مرتضى فـرج

محطّات في تاريخ القرآن

مبررات الإيمان بسلامة النص القرآني

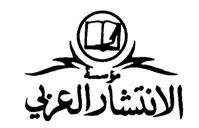




مرتضى فرج

محطّات في تاريخ القرآن

مبررات الإيمان بسلامة النص القرآني




شبكة الفكر
alfeker.net

محطّات في تاريخ القرآن

مبررات الإيمان بسلامة النص القرآني

مرتضى فرج



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت ـ لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-735-4
الطبعة الأولى 2015

المحتويات

الباب الأول: معالم الطريق

الباب الثاني: محطَّات في تاريخ القرآن

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرْسلين، سيِّدنا وحبيبنا محمَّد ﷺ، وعلى آلهِ الطِّيبين الطَّاهرين، وصحبهِ المنتجبين.

الكتابُ الذي بين يديك هو حصيلة سلسلة منقَّحة من دروسٍ تمَّ إلقاؤها في شهرِ رمضان سنة 1435 هـ الموافق يوليو/ تموز ـ أغسطس/ آب 2014م.

هدف البحث:

اخترْتُ هذا الموضوع في هذا الشَّهر، لأنَّ شهرَ رمضان هو ربيعُ القرآن. وكنتُ قد اشتغلْتُ بتقديمِ سلسلة دورات في الوحيِ والنُّبوة، وانتهيتُ من بحثِ النُّبوة العامة، وكدْتُ أشرع ببحثِ النُّبوة الخاصةَّ، المتعلِّق بصدْقِ نُبوَّة النَّبي محمَّد ﷺ. واستباقًا لذلك، وتهيئةً للأرض، وتعبيدًا للطَّريق، رأيتُ من الضَّروري أنْ أدرُسَ قبلَ ذلك مُبرِّرات الإيمان بسلامةِ النَّص القرآني، ليكونَ كلامي عن آيويةِ (إعجاز) القرآن، ووجهِ آيويتهِ (إعجازه)، مرتكزًا على أساسٍ متين. فالمثلُ يقول: «العرْشُ ثمَّ النَّقْش».

فنحنُ بعد آنْ آمنَّا باللهِ تعالى، آمنَّا أيضًا بنُبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ، ونظَرْنا إلى القرآنِ بوصفِهِ آية بيِّنة أعجَزَت العرَب في عصْرِهِ ـ والعُصُور التالية ـ عن الإتيانِ بمثْلِهِ. إلا أنَّ الإيمانَ بالقُرآنِ بهذا الوصف، يتطلَّبُ قبْلَ ذلكَ التثبُّت من سلامةِ النَّص القرآني، وأنَّه محفُوظٌ عن التَّحريفِ والتَّزوير، عن الزِّيادةِ والنُّقصان، عن التَّغييرِ والتَّبديل، بقصْدٍ أو دون قصْد.

هذا هو البناء التَّحتي للإيمانِ بنُبوَّةِ محمَّد ﷺ، لأنَّه هو الأساس للإيمانِ بالقُرآنِ كآيةٍ بيِّنة (معجز). وإلا كيفَ يمكنُ الإيمان بأنَّ القُرآنَ آيةٌ بيِّنةٌ (معجز)

إنْ لم يكُن محفوظًا عن التَّحريف؟ بل هو الأساسُ ـ كما سترى ـ للإيمانِ بنُبوَّةِ سائرِ الأنبياء، والأساسُ للإيمانِ بكُلِّ ما جاءَ بِهِ القرآنُ من تعاليمِ ومواعِظَ وقصَصٍ وأخبار. إذن، لا بدَّ من بذْلِ الوسْع للتأكُّد من سلامةِ النصِّ القُرآني، حتى يكُون إيمانُنا بنُبوَّةِ محمَّد ﷺ مبْتَنيًا على أساسٍ صلْب[1].

هذا هو الهدفُ الأساس من هذا الكتاب؛ استعراضُ مُبرِّرات الإيمان بسلامةِ النَّص القرآني، من خلالِ التعرُّف على ظروف وملابسات المحطَّات التي مرَّ بها القرآنُ في تاريخِهِ.

إذن لا أستهدِفُ من هذا البحث إثبات أنَّ القرآنَّ آيةٌ بيِّنة (معجز)، كما لا أستهدِفُ بيان وجه آيوية القرآن (وجه الإعجاز). الدِّراسةُ التي بين يديك إنَّما هي مقدِّمة لذلك. بعبارة موجزة: الإيمانُ بسلامةِ النَّص القرآني هو مقدِّمة للإيمانِ بأنَّه آية بيِّنة (معجز)، والإيمانُ بكونِهِ آيةٌ بيِّنة هو مقدِّمة للبحثِ عن وجهِ الآيوية (وجه الإعجاز).

منهج البحث:

منهجي في هذا البحث هو منهجٌ «تاريخيٌّ سرديٌّ تحليلي». أعني

---

(1) كتب السيد الطباطبائي: «صحة النبوة اليوم متوقفة على سلامة القرآن من التحريف، المستوجب لزوال صفات القرآن الكريمة عنه، كالهداية وفصل القول وخاصة الإعجاز، فإنه لا دليل حيًّا خالدًا على خصوص نبوة النبي ﷺ غير القرآن الكريم بكونه آية معجزة. ومع احتمال التحريف بزيادة أو نقيصة أو أي تغيير آخر، لا وثوق بشيء من آياته ومحتوياته أنه كلام الله محضًا، وبذلك تسقط الحجة وتفسد الآية». (الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج12، ص111).
أقول: مع ذلك، قد يُقال إنَّ كون القرآن آية بيِّنة (معجزًا) يمكن إثباتُهُ، حتى لو لم نقُل بسلامةِ النَّص القرآني. وبالتالي يمكن إثبات نُبوَّة النَّبي ﷺ حتى لو لم يصل إلينا النصُّ القرآني كاملًا. وهذا يتمُّ على ضوءِ إثبات المقدِّمات التالية:
المقدمة الأولى: وقوع التحدِّي بالقرآن (بمعنى ظهور القرآن على يده، وأنه ادَّعى أن الله تعالى خصّه به، وأن جبرائيل يهبط به).
المقدمة الثانية: عدم معارضة القرآن.
المقدمة الثالثة: معارضة القرآن لم تقع لتعذُّرِها.
المقدمة الرابعة: تعذُّر المعارضة كان على وجهٍ يُخالِفُ العادة.
وقد شيَّدَ هذا الاستدلال البديع السيِّد المرتضى في كتابهِ **«المُوضِّح عن جهةِ إعجاز القرآن»**، انظر ص273 إلى آخرِ الكتاب. وذكره مرة أخرى في كتابه **«الذخيرة في علم الكلام»**، انظر ص364 ـ 378. وذكره مرة ثالثة موجزًا جدًّا في كتابه **«شرح جمل العلم والعمل»**، ص175 ـ 180.

بـ «المنْهج» الطريقةُ المنظَّمة التي سارَ عليها البحث. وأعني بـ «تاريخي» أنَّ البحثَ يعتمدُ على القرآنِ وعُلومِهِ والحديثِ والتاريخ والسِّيرة وغيرها من المصادر كوثائق لانتزاعِ كلّ المعطيات (الشَّواهد والقرائن) لمعرفةِ مسار القرآن التاريخي. وأعني بـ «سَرْدي» أنَّ البحثَ يقومُ بسرْدِ المحطَّات التي سارَ عليها القرآن في تاريخِهِ بنحوٍ متسلسلٍ زمنيًّا على الأغلب. وأعني بـ «تحليلي» أنَّ البحثَ يضطرُّ بين فترةٍ وأخرى للتوقُّفِ عن سرْدِ الأحداث من أجلِ تحليلِها والردِّ على التَّساؤلات المتعلِّقة بالمحطَّة محل البحث.

في هذا الكتاب، نظْرَتي للقرآنِ هي نظرةٌ استقلالية، فلا أستهدفُ بالأساس تفسيرَ الآيات أو الولوجَ في بُحوثٍ كلامية، أو الدُّخولَ في تفاصيلٍ تاريخية، إلا بقدرِ ما يُحقِّق هدَفي الأساس، وهو التعرُّف على المحطَّاتِ التي مرَّ بها القرآنُ تعرُّفًا موضوعيًّا، يكشفُ لنا السَّيرَ الطَّبيعي الذي سارَهُ القرآنُ حتى وصَلَ إلينا على هيئتِهِ الفعلية. ومن خلالِ هذه الجولة سنتعرَّفُ على المُبرِّراتِ الموضوعية للإيمانِ بسلامةِ النصِّ القرآني.

هذه الدِّراسة سلَّطت الضَّوء على النِّقاط التالية:

1. دور الإمام علي عليه السلام في حفْظِ القرآن. حيث سيتجلَّى معنى من معاني حديث النَّبي صلى الله عليه وآله: «عليٌّ مع القرآنِ والقرآنُ مع عليٍّ، لن يتفرَّقا حتى يرِدا عليَّ الحوض»[1]، وسيبدو الدُّور الذي مارَسَهُ الإمام علي عليه السلام شبيهًا بدور «أُمّ الولَد»[2].
2. دور عثمان بن عفان في تدوينِ نُسْخة مرجعية للقرآن.
3. دور بعض أصحاب النَّبي صلى الله عليه وآله المؤثِّر في حفْظ القرآن، كأُبيّ بن كعب، الذي

(1) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة، ج3، ص124. كذلك: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص206، وقال: أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير.

(2) هذا المصطلح له دلالة رائعة، فهو مشتق من قصة نقلها المؤرخون. الشيخ المفيد مثلًا كتب: «ورووا أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل، ادعته كل واحدة منهما ولدًا لها بغير بيِّنة، ولم ينازعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر، وفزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فاستدعى المرأتين، ووعظهما وخوَّفهما، فأقامتا على التنازع والاختلاف، فقال عليه السلام عند تماديهما في النزاع: «ايتوني بمنشار»، فقالت له المرأتان: ما تصنع؟ فقال: =

كان أحد أقدَم كُتّاب الوحي وإمامًا في الأداء والمُمْلي الرَّئيس على لجنةِ تدوين المصْحف. وابن مسعود، الذي كان إمامًا في الأداء والمُعلِّم الرَّئيس للقرآن في مسْجدِ الكوفة. وحُذيفة بن اليمان الذي كان له دورٌ أساس في تنبيهِ وإلفاتِ نظَر عثمان إلى ضرورة تدوين نُسْخة مرجعية للقرآن.

4. دور بعض التَّابعين من تلامذةِ الإمام علي عليه السلام، كأبي الأسود الدُّؤلي في نقْطِ القرآن، وأبي عبد الرَّحمن السُّلَمي في إقراءِ القرآن في مسْجدِ الكوفة لعقودٍ من الزَّمن.
5. أسباب تعدُّد القراءات، ووضْع هذا التعدُّد في سياقهِ التاريخي.
6. بصْمة الزَّنادقة والغُلاة في وضْعِ الرِّوايات الموحية بتحريف القرآن، ووضْع دورِهُم في سياقِهِ التاريخي.
7. أهميَّة مخطوطات القرْن الأول الهجري كأدِلَّة حسِّية قاطعة على حقائق جوهرية تتعلَّق بالقرآن.

فرضية البحث:

هذا البحثُ يفترضُ أنَّ مسارُ حفْظِ القرآن ـ خصوصًا في القرْنينِ الأول والثاني الهجري ـ مرَّ بأخطر المراحل. فخلال هذين القرْنين من الزَّمان تمَّ فتح بلاد فارس والرُّوم، واختلَطَ لسانُ العرب بغيرِهِم، وامتزجَت الثقافات، وانفلَتَ الوضْعُ السِّياسي (أمثلة: مقتل عثمان، حرْب الجمل وصفِّين والنَّهروان غارات معاوية، ومقتل الحسين عليه السلام، ثمَّ وقعة الحرَّة واستباحة المدينة ثلاثة أيام، ضرْب الكعبة بالمنْجنيق، وحروب بني أمية مع الخوارج وآل الزُّبير)، فكانت

= «أقدُهُ نصفين»، لكل واحدة منكما نصفه، فسكتت إحداهما وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لا بدَّ من ذلك فقد سمحتُ به لها، فقال: «الله أكبر، هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقَّت عليه وأشفقت»، فاعترفت المرأة الأخرى بأنَّ الحقَّ مع صاحبتها، والولد لها دونه، فسُري عن عمر ودعا لأمير المؤمنين بما فرج عنه في القضاء». انظر: المفيد، **الإرشاد**، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ج1، ص205 ـ 206. أيضًا: ابن شهرآشوب، **مناقب آل أبي طالب**، ج2، ص367. أقول: فصار هذا المصطلح «أم الولد» مثلًا يضرب في مواقف التضحية ونكران الذات وترجيح المصالح العامة على المصالح الخاصة. وورد ما يكاد يطابق هذه القصة في العهد القديم، **سِفر الملوك الأول**، الإصحاح الثالث 18 ـ 28، منسوبًا لحكم سُليمان عليه السلام.

النتيحة أنْ نشطَت حركةُ الوضَّاعين للحديثِ، وانتشَرَ الإلحادُ والزَّندقة، ودسَّ الغلاةُ والزَّنادقةُ الأحاديثَ المجعولة في كُتُبِ الحديث، وصارَ مصيرُ القرآن على المحَك.

الظُّروفُ والملابسات التي مرَّ بها القرآن تُذكِّرُنا بقصَّةِ النَّبي موسى عليه السلام. عندما أخبَرَ الكهنةُ فرعونَ بأنَّ نهايةَ مُلْكِهِ ستكون على يدِ صبيٍّ يُولَدُ لبني إسرائيل، فقرَّرَ فرعونُ على إثْرِ ذلكَ القضاءَ على أيِّ طفلٍ يُولَدُ لهم، فأمَرَ اللهُ سبحانَهُ أُمَّ موسى بأنْ تضَعهُ في التابوتِ وتقذِفهُ في اليَم، وأنْ لا تخافَ ولا تحزن، فهو تكفَّلَ بأنْ يَرُدَّهُ إليها ويجعلهُ من المرْسلين.

فحفْظُ موسى عليه السلام لم يتأتَّ بمُعجزةٍ خارقة، وإنَّما بتقديرٍ مُذْهلٍ للأحداثِ الطَّبيعية، بحيث تسلْسلَت بطريقةٍ تكاد لا تُصدَّق لصالحِ حفْظِ حياة موسى عليه السلام. إلى درجةِ أنَّ من التقطَهُ من اليمِّ وربَّاهُ عندَهُ هو فرعونُ نفسُهُ! وحرَّمَ اللهُ تعالى على موسى المراضِعَ حتى تأتي أختُهُ وتدُلُّهُم على من يتكفَّلَ بإرضاعِهِ، وهكذا رجَعَ موسى إلى أُمِّهِ سالمًا من أيِّ سوء.

فمن يُصدِّق أنَّ طفْلًا يُوضَعُ في تابوتٍ، ويُلْقى في النَّهرِ، وتتقاذَفُهُ الأمواجُ يمينًا وشمالًا، ثمَّ يبقى بعدَ ذلك حيًّا دونَ أنْ يغرق؟ ومن يُصدِّق أنَّ إنقاذَهُ قد كان على يدِ شخْصٍ من آلِ فرعون؟ ومن يُصدِّق أنْ يُقدَّر لموسى أنْ يصِلَ إلى بيتِ فرعون الذي كان يسعى للقضاءِ عليه؟ ومن يُصدِّق أنْ يُقرِّرَ فرعونُ بإرادتِهِ الكاملة أنْ يُربِّي موسى ويرعاهُ حتى يكبُر بعد أنْ ألقى اللهُ تعالى محبَّتَهُ في قُلُوبِهِم؟ ومن يُصدِّق أنْ يُقدَّرَ لموسى أنْ يعودَ لأُمِّهِ مرَّةً أخرى كي تقرَّ عينُها؟ ما قيمة احتمال وقوع كل هذه الحوادث بهذا النَّحو المُتسلْسل لتُؤدِّي إلى هذه النَّتيجة، التي سيترتَّبُ عليها حفْظ حياة موسى عليه السلام، ولاحقًا تشريفِهِ بالنُّبوةِ وتكليفِهِ بالذَّهابِ إلى فرعون ليضَع حدًّا لطُغيانِهِ؟

هكذا الأمرُ في القرآنِ؛ فالتحدِّياتُ التي عصفَتْ به في القرْنينِ الأول والثاني الهجري، كادَتْ أنْ تطيحَ بهِ وتجعلهُ في مهبِّ الرِّيح. لكن الله تعالى بتقديرٍ مُسْبق، رفَعَ موانِعَ حِفْظِهِ من ناحية، وأوجَدَ مقتضيات ذلك من ناحيةٍ أخرى. لقد فتحَ اللهُ تعالى شهيَّةَ أعداءِ القرآن ليُوظِّفوه لأهدافِهِم الخاصة، فاهتمُّوا لاحقًا بكتابتِهِ وسلامةِ نصِّهِ، كما اهتمُّوا بتزْيينِهِ وتذْهيبِهِ، لكي يظهَرُوا

أمامَ الناس بمظهرِ الحريصِ على الدِّين. وأشْغَلُوا الناسَ عن الانْخراطِ في العالَمِ السِّياسي، بالانشغالِ بقراءتِهِ وحفْظِهِ وتجويدِهِ وتفسيرِهِ، وإقامةِ الحلَقات المُتكَفِّلة بذلكَ في المدينةِ ومكة والشَّام والبصْرة والكوفة، وإثارةِ الجدَل الكلامي حولَ قِدَمِهِ أو خلْقِهِ، واستحضار الإسْرائيليات التي تملأ ما يتوهَّمونَ أنَّها فراغات في قصَصِ القرآن. . . . وبهذا حققُّوا هُم أغراضَهُم السِّياسية، وأشبَعَ المُنْشغلُون بذلك نهَمَهُم العِلْمي، لكن الله تعالى حقَّقَ بتدبيرِهِ الخفي غرَضَهُ بأنْ حفَظَ القرآنَ بيدِ أوليائِهِ وأعدائِهِ معًا، كما حفَظَ موسى بيدِ أُمِّهِ وأُختِهِ وفرعون وآلِهِ في وقتٍ واحد!

إذن الفرضية التي يقومُ عليها هذا البحث تدَّعي أنَّ التحدِّيات التي عصفَتْ بالقرآن في القرْنينِ الأول والثاني الهجري، كادَتْ أنْ تطيحَ بهِ. لكن الله تعالى بتقديرٍ مُسْبق، رفَعَ موانِعَ حِفْظِهِ، وأوجَدَ مقتضيات ذلك، وشوَّقَ بتدبيرِهِ أعداءَهُ لخدمتهِ. فوصلَ إلينا النصُّ القرآني سليمًا رغمَ قسوة الظُّروف التي مرَّ بها.

فعلى ضوءِ دراسة ظُرُوف وملابسات مسار القرآن التاريخي، وحقيقة أنَّ العمدةَ في تداولِ القرآن في صدْرِ الإسلام كان هو التلقِّي بالمشافهةِ والحفظِ على نطاقٍ واسع، وتدوين المُصْحَف في زمنِ النَّبي ﷺ، والإجراءات التي اتُّخِذَت بعد ذلك لحفْظِ القرآن، وأخيرًا التدقيق في مخطوطاتِ المصاحف المتعدِّدة التي كُتِبَت في القرْن الأول الهجري كمعطيات وأدلَّة حسِّية متاحة للجميع. . . على ضوءِ ذلك كلِّه، أنتهي إلى الإيمانِ الرَّاسخِ بسلامةِ النَّصّ القرآني.

والقارئُ الكريم ـ بعد أنْ ينتهي من قراءةِ الكتاب قراءةً فاحصة ويعي المراحلَ التي طواها الخطُّ العربي في تطوُّرِهِ ـ مدعوٌّ للقيام بتجرُبةٍ في آخرِ هذا الكتاب، بأنْ يُقارِنَ بين نماذِج من مخطوطاتِ القرْن الأول الهجري، مع المُصْحفِ المتداول بأيدينا اليوم، ليطمئنَّ بنفسِهِ إلى عدمِ نُقصانٍ أو إضافةِ كلمةٍ واحدة.

مرتضى فرج

الكويت

24 يناير/كانون الثاني 2015م

3 ربيع الآخر 1436هـ

الباب الأول:

معالم الطريق

قبلَ استعراض المحطَّات الرَّئيسيَّة التي مرَّ بها القرآنُ في تاريخِهِ، ثمَّة مسائل تمهيدية من المناسبِ أنْ أبدأَ بها.

- **في الفصْلِ الأول** أتساءل: النَّبيُّ محمَّد ﷺ هل كان يقرأ ويكتُب؟
- **وفي الفصْلِ الثاني** أُبيِّنُ أنَّ القرآنَ يختلفُ عن بقيَّةِ الآيات (المعجزات) بسماتٍ جوهرية.
- **وفي الفصْلِ الثالث** أشْرحُ معنى حفْظ وسلامة النَّص القرآني.
- **وفي الفصْل الرَّابع** أُبيِّنُ أنَّ العُمْدةَ في تداول النَّص القرآني في زمنِ النَّبي محمَّد ﷺ ـ والعقود الأولى من القرْن الأول الهجْري ـ كان هو التلقِّي بالمشافهة والحفْظ.
- **وفي الفصْلِ الخامس** أتحدَّثُ عن التدوينِ المبكِّر للقرآن ومُبرِّراتِهِ.

الفصل الأول:

محمَّد ﷺ هل كان يقرأ ويكتب؟

أجمَعَ المسلمون على أنَّ اللهَ سبحانَهُ أنزَلَ كتابَهُ على النَّبي محمَّد ﷺ الذي لم يقرأ ولم يكتُب قبلَ بعثَتِهِ. والشَّاهدُ الأساس على ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

لكن هل كانّ النبيُّ محمَّد ﷺ قادرًا على القراءةِ والكتابة وهو لم يفعل؟ أو لم يكن قادرًا على ذلكَ أصْلًا؟ وهل كان قادرًا بعد البعثةِ دونَ قبْلها؟ وهل قرأَ بعد البعثةِ دون أنْ يكتُب كما يبدو من بعضِ الرِّوايات؟ في المسألةِ أقوال.

هذا البحثُ يُشكِّلُ أرضيةً للبحثِ في سلامةِ النَّص القرآني؛ فلو كان محمَّدٌ ﷺ يقرأ ويكتُب قبلَ البعثة، فهذا قد يفتَحُ المجالَ لإثارةِ الشُّكُوك بأنَّه قد استقى مضامينَ القرآن ومعارِفَهُ من كُتُبٍ سماويةٍ سابقة، أو من مصادر أخرى غير الوحي. والميلُ لرأي دونَ آخر، ينطلقُ من دوافع وتترتَّبُ عليه آثار وعواقب. لكن الإيمان بآيويةِ القرآن (إعجازهِ) سيُغلِقُ البابَ مُجدَّدًا أمامَ تلك الشُّكوك، حتى لو افترضنا جدلًا أنَّ محمَّدًا ﷺ كان يقرأ ويكتُب قبلَ البعثة.

هل كان قادرًا على ذلك؟

ذهبَ بعضُ المُتكلِّمين ممَّن يُؤمن بأنَّ النبيَّ لا بدَّ أنْ يكونَ أكمَل أهل عصْرِهِ، إلى أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ كان قادرًا على القراءةِ والكتابة، وإنْ لم

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 49.

يفعل لحكمةٍ اقتضَت ذلك. من أبرزِ هؤلاء الشّيخ المفيد[1] في كتابهِ أوائل المقالات[2].

وكتَبَ السيِّد أمير محمَّد القزويني[3] في السِّياقِ ذاتِهِ: «نبيُّنا ﷺ كان قادرًا على القراءةِ والكتابة لأنَّهما صفتا كمال، وهو أكمَلُ الموجودات. فلو لم

(1) (ت 413 هـ/ 1022م)

(2) كتب الشيخ المفيد: «إنَّ الله تعالى لمَّا جعلَ نبيَّهُ ﷺ جامعًا لخصالِ الكمال كلِّها، وخلال المناقب بأسْرِها، لم تنْقُصه منزلة بتمامِها يصحُّ له الكمال، ويجتمع فيه الفضل. والكتابةُ فضيلةٌ، من مُنِحَها فضل ومن حُرِمَها نقص.
ومن الدَّليلِ على ذلك: أنَّ الله تعالى جعلَ النبيَّ ﷺ حاكمًا بين الخلْق، في جميع ما اختلفوا فيه، فلا بدَّ أنْ يُعلِّمه الحكمَ في ذلك. وقد ثبَتَ أنَّ أمورَ الخلْق قد يتعلَّق أكثرُها بالكتابة، فتثبُتُ بها الحقوق، وتبرَئُ بها الذِّمم، وتقومُ بها البيِّنات، ويُحفَظُ بها الدِّيون، وتُحاطُ بها الأنْساب، وأنَّها فضْلٌ تشرَّفَ المُتحلِّي به على العاطلِ منه.
وإذا صحَّ أنَّ الله جلَّ اسمُهُ قد جعلَ نبيَّهُ بحيث وصفناهُ من الحكمِ والفضْل، ثبَتَ أنَّه كان عالِمًا بالكتابةِ، مُحسِنًا لها.
وشيءٌ آخر، وهو أنَّ النبيَّ ﷺ لو كان لا يُحسِنُ الكتابةَ ولا يعرفُها، لكانَ محتاجًا في فهم ما تضمَّنَتْهُ الكُتُبُ من العقول (الحقوق) وغير ذلك إلى بعضِ رعيَّتِهِ، ولجازَ أنْ يحوجه اللهُ في بعضِ ما كلَّفَهُ الحكمَ فيه إلى سواه. وذلك مُنافٍ لصفاتِهِ، ومضادٌّ لحكمةِ باعثِهِ. فثبَتَ أنَّه ﷺ كانَ يُحسِنُ الكتابة.
وشيءٌ آخر، وهو قولُ الله سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة، 2]، ومحالٌ أنْ يُعلِّمهم الكتاب وهو لا يُحسِنُهُ، كما يستحيلُ أنْ يُعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وهو لا يعرِفُهُما.
ولا معنى لقولِ من قال: «إنَّ الكتابَ هو القرآنُ خاصَّة»، إذْ اللَّفظُ عامٌّ، والعمومُ لا ينصرفُ عنه إلا بدليل، لا سيَّما على قولِ المعتزلة وأكثر أصحاب الحديث.
ويدلُّ على ذلكَ أيضًا قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت، 48]، فنفى عنه إحسانَ الكتابة وخطّه قبلَ النبوَّة خاصَّة، فأوجَبَ بذلك إحسانَهُ لها بعدَ النبوَّة. ولولا أنَّ ذلكَ كذلك، لما كان لتخصيصِهِ النفيَ معنى يُعقَل. ولو كان حالُهُ ﷺ في فقدِ العلْم بالكتابة بعدَ النبوَّةِ كحالِهِ قبلَها، لوجبَ إذا أراد نفيَ ذلكَ عنه أنْ ينفيهِ بلفظٍ يُفيدُهُ، لا ينقض (لا يتضمن) خلافَهُ، فيقولُ له «وما كنْتَ تتلو من قبلِهِ من كتاب ولا تخُطُّهُ بيمينِكَ إذْ ذاكَ ولا في الحال»، أو يقول «لسْتَ تُحسِنُ الكتابةَ ولا تأتي بها (ولا يتأتى منك) على كلِّ حال»، كما أنَّه لمَّا أعدَمَهُ قولَ الشِّعر ومنعَهُ منه، نفاهُ عنه بلفظٍ يعُمُّ الأوقات، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[يس، 69].
وإذا كان الأمرُ على ما بيَّناهُ، ثبَتَ أنَّه صلَّى الله عليه وآله، كان يُحسِنُ الكتابةَ بعدَ أنْ نبَّأهُ الله تعالى على ما وصفناه. وهذا مذهبُ جماعةٌ من الإمامية، ويُخالفُ به باقيهم. وسائرُ أهل المذاهب والفِرَق يدْفعونَهُ ويُنْكِرُونَهُ». (الشيخ المفيد، **أوائل المقالات**، ص157 ـ 159).

(3) (ت 1414 هـ 1994م)

يكُن قادرًا عليهما كان غيرُهُ أكمَلَ منه في هذينِ الوصْفين. وقد ثبَتَ أنَّ الشَّخْصَ لا يكونُ نبيًّا إلا أنْ يكونَ أكمَلَ أهل زمانِهِ في جميعِ الصِّفات. . .ولا يجبُ من قدرتِهِ عليهما ألَّا يمتنع من فعلِهِما إذا اقتضَت الحكمَة، فإنَّ اللهَ تعالى قادرٌ على فعلِ القبائح، ولكن لا يفعل، لمخالفتِهِ للحكمة. وكذلكَ أحدُنا يقدِر على فعلِها، ولكن قد لا يفعَلُها. فالقدرةُ عليها شيءٌ، وعدمُ فعلِها شيءٌ آخر، لا تلازُمَ بينَهُما في الخارج»[1].

وهذه الحُجَّةُ سليمةٌ لو كانت القراءةُ والكتابةُ صفتا كمالٍ فعلًا. فالصِّفةُ تعتبرُ كمالًا لو كانت خيِّرة بذاتِها وتُعبِّرُ عن فضيلةٍ من الفضائل. لكن الأمرَ بالنِّسبةِ للقراءةِ والكتابةِ ليس بهذا الوضوح.

لتوضيحِ ذلك: قيمةُ القراءةِ والكتابة تكمُنُ إما في **موضوعِ** القراءة والكتابة (كما لو كُنْتَ تقرأ أو تكتُب موضوعًا فيه فائدةً حقيقية)، أو أنَّ قيمتَها تكمُنُ في **غايةِ** القراءة والكتابة (كما لو كُنْتَ تقرأ أو تكتُب لتحصيلِ فائدة حقيقية). وإلا لو كُنْتَ تقرأ أو تكتُب موضوعًا فيه ضرر أو إتلاف للوقت، فلا قيمةَ لما تقرأ أو تكتُب، بل القيمةُ في هذه الحالة سلْبية. لذا كتَبَ السيِّد محمد علي الباقري مُحِقًّا: «لا دليلَ على أنَّ للقراءةِ والكتابة قيمة ذاتيَّة لتكون الأُمِّية ـ بمعنى عدَم القراءة والكتابة ـ منْقصة، ويبدو أنَّ سبَبَ التَّسالُم على ذلكَ التأثُّر بالعُرْفِ المُتأخِّر عن عهدِ النبيِّ ﷺ»[2].

من ناحيةٍ أخرى، ما الهدفُ من اكتسابِ القُدْرة على القراءةِ والكتابة؟ أليس هو تحصيلُ العِلْم؟ الآن، ماذا لو كان لدينا إنسانٌ (نبيٌّ) لديهِ القُدرة على اكتسابِ المعارف وتحصيلِ العلوم التي يحتاجُها وتحتاجُها البشرية لهدايتِها إلى الصِّراطِ المستقيم دون ممارسة القراءة والكتابة؟ في مثلِ هذه الحالة هل يكونُ عدم القراءة والكتابة نقْصٌ أصلًا؟[3]

(1) السيد أمير محمد الكاظمي القزويني، **عقيدة المسلم**، ص66.
(2) السيد محمد علي الباقري، **نبوة النبي**، ص78.
(3) بعد كتابتي لهذه الأسطر، اطلعت على رأي للشيخ كاشف الغطاء يؤكد هذه الفكرة، حيث كتب رحمه الله: «الكمالات البشرية جسمانية أو روحية إنما هي كمال نظرًا إلى حصول الغاية التيَ ترتَّب عليه ـ وهي رؤية الأشياء ـ والعمى نقص نظرًا إلى عدم حصول الرؤية فيه. فلو أن =

موقفُ السيِّد المرتضى يقتربُ من هذا. ففي جوابهِ على سؤالٍ وُجِّهَ إليه: ما الذي يجبُ أنْ يُعتَقَد في النَّبي ﷺ؟ هل كان يُحسِنُ الكتابةَ وقراءةَ الكتب أم لا؟ أجاب: «الذي يجبُ اعتقادُهُ في ذلكَ هو التجويز، لكونِهِ عليه السلام عالِمًا بالكتابةِ وقراءةِ الكتب، ولكونهِ غير عالِم بذلك، من غير قطْعٍ على أحدِ الأمرين. وإنَّما قُلنا ذلك، لأنَّ العلْمَ بالكتابةِ ليس من العُلُومِ التي يُقطَع على أنَّ النبيَّ والإمامَ عليه السلام لا بدَّ من أنْ يكونَ عالِمًا بها وحائزًا لها... والكتابةُ صنْعةٌ كالنّساجةِ والصِّياغة، فكما لا يجبُ أنْ يُعلَم ضُرُوب الصِّناعات، فكذلكَ الكتابة»[1].

ومن الواضحِ أنَّ المُصِرِّين على إثباتِ قُدْرة النَّبي محمَّد ﷺ على القراءةِ والكتابة، استهدفوا نفي ما كانوا يرونَهُ انتقاصًا من مقامِهِ. فكما أنَّ هناكَ محاولات في كُتُبِ الحديث للانتقاصِ من مقامِ النَّبي محمَّد ﷺ، في مجالاتٍ مُتعدِّدة تتعلَّق بذاكرتِهِ وفكرِهِ وسُلُوكِهِ، دسَّها عليه خصومُهُ، كذلك يأتي هذا الأمر، في سياقِ التَّشكيك في قُدُراتِهِ، حيثُ كان فاقدًا لقدرةٍ اكتسبّها آخرون! وللمسألةِ دوافع آيديولوجية أخرى، سوف أتناوَلُها في الفقرةِ التالية.

دوافع أيدلوجية متعارضة وراء المسألة:

رغمَ أنَّ موضوع قراءة النَّبي محمَّد ﷺ وكتابته ـ بعد البعثة ـ لا تُؤثِّر في نُبوَّتِهِ، إلا أنَّ خُصومَ الإسلام كان يهُمُّهم التَّشكيك في عدَم قراءتِهِ وكتابتِهِ (قبل وبعد البعثة)، في حين أنَّ المدافعينَ عن نُبوَّتِهِ ﷺ كان يهُمُّهُم التأكيد على عدَمِ قراءتِهِ وكتابتِهِ (قبل وبعد البعثة).

= شخصًا يرى الأشياء من دون حاجة إلى العين، فهل عدم العين نقص فيه في حال أنه يرى الأشياء أحسن مما يراه صاحب العين؟ فالقراءة والكتابة كمالهما بالنظر إلى معرفة الأشياء والاطلاع على مقاصد الغير أو إبلاغ مقاصده إلى الغير. فلو أن شخصًا يُبلِّغ مقاصده إلى الناس من غير حاجة إلى الكتابة، فهل هذا نقص فيه أو هو كمال بل هو فوق الكمال؟ وهذه هي صفة النبي ﷺ في أميته. وهذا جواب مبتكر لم يسبق إليه أحد، وهو عين الحقيقة والواقع». انظر: محمد حسين آل كاشف الغطاء، **جنة المأوى**، دار أنوار الهدى، قم، ط2، 1436 هـ، ص109 ـ 110.

(1) المرتضى، **رسائل المرتضى**، ج1، المسألة الثانية، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ص 104 ـ 105.

يوحنا الدِّمشْقي (منْصور بن سِرْجُون)[1] ـ الذي تصدَّى للإسلامِ في وقتٍ مبكِّر بوصفِهِ هرطقة مسيحيَّة ـ كان يُردِّد بأنَّ أفكارَ وقصَصَ القرآن مستقاةٌ من التوراةِ والإنجيل. وحتى يبدو هذا الاتِّهامُ معقولًا، كان لا بدَّ من التَّشكيك فيما بعد، في عدَمِ ممارسة النبيِّ محمَّد ﷺ للقراءةِ والكتابة، ليُقال إنَّه ﷺ قرأَ التوراةَ والإنجيل واستلَّ منهما ما ورَدَ في القرآنِ بعدَ إعادةِ صياغتِهِ بلُغةٍ عربيةٍ فصيحة.

ثمَّ قامَ بعضُ المستشرقين ببحوثٍ حاولوا فيها بشتَّى الطُّرُق إثبات أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ كان يقرأ ويكتُب[2]، وظنَّ بعضُهُم أنَّ الدَّليلَ الأساس من القرآنِ على عدم قراءة وكتابةِ النبيِّ محمَّد ﷺ هو قولُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[3]، وعلى هذا شرَعَ في إرجاعِ كلمة «أُمِّي» إلى جذْرٍ عبري، وقيل إنَّ معناها من لم يتَّبع كتابًا سماويًّا، وحاولَ آخرون إرجاعَها إلى «أُمِّ القُرى» (= مكة).

في المقابل، أصرَّ كثيرٌ من المسلمين على أنَّ معناها غير المُتعلِّم للقراءةِ والكتابة ـ نسْبةً لـ «الأم» ـ الذي بقيَ على الحالِ الذي ولدَتْهُ أُمُّهُ عليه.

والحقُّ أنَّ الدَّليلَ الأساس على عدَمِ قراءتِهِ وكتابتِهِ قبلَ بعثتِهِ ـ أيًّا كان معنى كلمة «أُمِّي» ـ هو قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[4]. والتعليلُ في الآيةِ واضحٌ: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾. فلو كان النبيُّ محمَّد ﷺ يتلو كتابًا من قبلِ البعثة أو يخُطُّهُ بيمينِهِ، لفسَحَ المجالَ لتشكيكِ المُشكِّكينَ بنبوَّتِهِ[5]. لذا أجمَعَ المسلمون

---

(1) (ت 132 هـ/ 749م)

(2) منهم على سبيل المثال شبرنغر Sprenger. انظر: نولدكه، **تاريخ القرآن**، ص15 ـ 16.

(3) سورة الأعراف، الآية: 157.
كتب شوكت مقرِّي: «الاعتقادُ بأنَّ محمَّدًا لم يكن مُتعلِّمًا، يرتكزُ بشكلٍ رئيس على نصٍّ واحد، يصِفُهُ بأنَّه نبيٌّ أمي» (شوكت مقري، نظرة مسيحية إلى الإسلام، ص67).

(4) سورة العنكبوت، الآية: 49.

(5) لكن لو لم يكن المرء مبطلًا، وآمن بآيوية القرآن وإعجازه، بالنسبة إليه، ستكون قراءة النبي ﷺ وكتابته قبل البعثة وبعدها، سواء. ولن يرتاب في نبوته ﷺ، لأن القرآن بذاته آية بيّنة ومعجزة.

على أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ لم يقرأ ولم يكتُب قبلَ البعثة. لكن اختلفوا في ذلكَ بعدَ البعثة[1].

هل قرأ النَّبيُّ وكتَبَ فعلًا بعد البعثة؟

كتَبَ السيِّد هبة الدين الشَّهْرستاني[2]: «المشهورُ لدى المُفسِّرين وجمهور المسلمين هو أنَّه ﷺ أميٌّ، أي لا يكتُب ولا يقرأ المكتوب، وذلك لحكمةٍ إلهيةٍ مخصوصةٍ به وبمحيطِهِ، وبالنَّظَرِ إلى معارضي شريعتِهِ من بعدِهِ. ويدُلُّ على ذلك:

أولًا: آياتٌ قرآنية كآية: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[3].

وثانيًا: اتِّخاذُهُ ﷺ كُتَّابًا لوحيهِ من خاصَّةِ صحْبِهِ، كعليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكُتَّابًا لمراسلاتِهِ مع الزُّعماء، كمعاوية.

وثالثًا: أنَّه في صُلْحِ الحُديبية لم يعرف موقع اسْمه المكتوب حتى وضَعَ عليٌّ عليه السلام إصبعَهُ عليه، فمحى من ورقةِ الصُّلْح كلمة «رسول الله».

ورابعًا: الشُّهرة المستفيضة بعدَمِ معرفتهِ الكتابة، حتى كادت تكون ضرورة عندَ المسلمين.

---

(1) خرق هذا الإجماع د. عبد اللطيف الهندي في مقال له ـ باللغة الإنجليزية ـ ألقاه في المؤتمر الإسلامي المنعقد في حيدر آباد عام 1964، وادعى أنه ﷺ كان يقرأ ويكتب في حداثة سنة إلى أخريات أيامه. وقال إن المراد بقوله ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ إنما هو الكتب السماوية، نظائر التوراة والإنجيل النازلة بغير اللغة العربية، فلم يكن النبي عارفًا بتلكم اللغات، ولا قادرًا على تلاوتها. وهو غير القول بأنه ﷺ لم يكن قارئًا ولا كاتبًا حتى باللغة العربية» (انظر: جعفر السبحاني، **معالم النبوة في القرآن الكريم**، دار الأضواء، ط2، بيروت، 1984، ص324).

ومال إلى هذا الرأي أيضًا د. محمد عابد الجابري (انظر كتابه: **مدخل إلى القرآن الكريم**، الجزء الأول، في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2007، ص81 ـ 98).

(2) (ت 1315 هـ/ 1897م)

(3) سورة العنكبوت، الآية: 48.

غير أنَّ جماعةً من عُلمائِنا (الإمامية) ذهبوا إلى أنَّه ﷺ كان لا يعلَم الكتابة قبلَ نبوَّتِهِ فقط، كما تُشْعِرُ بذلك الآية، وأما بعدَ نُبوَّتِهِ، فقد علِمَها، وعلِمَ لُغات البشَر. وحُكيَ هذا الرَّأي عن شيخِ الطَّائفة محمَّد بن الحسن الطُّوسي[1] في كتابِ **المبسوط**. وعن محمد بن إدريس الحلِّي[2] في **السَّرائر**».

ويواصل السيِّد الشَّهْرستاني فيقول: «ويُستدَلُّ على هذا الرَّأي:

أولًا: برواياتِ الصفَّار في **بصائرِ الدَّرجات**، التي تنُصُّ على معرفةِ نبيِّنا ﷺ كُليَّة اللُّغات والخُطُوط بعدَ نُبُوَّتِهِ، وتنُصُّ أيضًا على أنَّ «الأميَّ» معناهُ النِّسبة إلى أُمِّ القُرى، أي مكة. غير أنَّني لا أعتمدُ على هذا الكتاب (بصائر الدَّرجات)، إذْ هو مشتركٌ بين رجُلين، وفيه رواياتٌ عن الغُلاةِ والضُّعفاء.

وثانيًا: بآيةِ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3]. وأُجيبَ عنها أنَّ تلاوةَ الآية لا تفتقرُ إلى معرفةِ الكتابة، إذا ألقى التالي محفوظاتِهِ من وحي أو تلْقين. وأكثرُ العُمي والعوام يتعلَّمُ آيات القرآن من الصُّدُور لا من السُّطُور، ثمَّ يتلُوها كما حفظَ، بدون توقُّف على معرفةِ الخط.

وأما معنى قولِهِ تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، فليس معناهُ تعليم النَّبي لقومِهِ الكتابةَ مباشرةً؛ إذْ لم يُعهَد ولا رُويَ أنَّه ﷺ جلَسَ مع أفرادِ أمَّتِهِ يُعلِّمهم نقوش الحُرُوف الهجائية وتراكيبها الأبجدية قطعًا. وإنَّما المرادُ أنَّه قامَ ﷺ بأمرِ تعليم الأمة لمهمَّةِ الكتابة. فقد تواتَرَ عنه ﷺ اتِّخاذ الأسرى من اليهودِ وأهلِ الكتاب، يشترطُ عليهم أنْ يُعلِّموا أهلَ مدينَتِهِ الخطَّ والكتابة، فكان الأسيرُ الكتابي إذا علَّمَ الكتابةَ عشْرة من المسلمين أطلَقَ سراحَهُ النبيُّ، مكافأةً لعملِهِ. وبهذه الوسيلة البسيطة عمَّمَ في أتباعِهِ صناعةَ الخط، وأخرجَهُم من ظُلْمةِ الأمِّية».

ويُعلِّق السيِّد الشَّهْرستاني على ذلك فيقول: «وكان الأحرى بهؤلاءِ

---

(1) (460 هـ/ 1067م).

(2) (598 هـ/ 1201م).

(3) سورة الجمعة، الآية: 2.

العُلَماء أنْ يستدِلُّوا بما صحَّت روايتُهُ عنه ﷺ عند وفاته أنَّه قال: «آتوني بدواةٍ وبياض لأكتُب لكم كتابًا لن تضلُّوا معه». إلا أنْ يُجابَ عنه بأنَّ الوجهَ في هذا، هو الوجهُ في بقيةِ كُتُبِهِ إلى الملوك، إذْ كان ﷺ يكتُب، ولكن بأمرٍ منه، لا بمباشرةٍ من يدِهِ الشَّريفة.

ولدى هؤلاء يُوصَفُ النبيُّ ﷺ بكونِهِ «أمِّيًّا» نظرًا إلى حالِهِ قبلَ نُبوَّتِهِ، كما يُوصَفُ بأنَّه «مكِّيٌّ» بمناسبةِ حالِهِ قبلَ هجرتِهِ»[1].

وكتَبَ محمود شهاب الدِّين الآلوسي[2] بعد تفسيرِهِ لهذه الآية: «واختُلِفَ في أنَّه ﷺ أكانَ بعد النُّبوةِ يقرأ ويكتُب أم لا؟ فقيلَ: إنَّه ﷺ لم يكن يُحسِنُ الكتابة، واختارَهُ البغوي في التهذيب، وقال: إنَّه الأصحُّ.

وادَّعى بعضُهُم أنَّه ﷺ صارَ يعلَمَ الكتابةَ بعدَ أنْ كانَ لا يعلَمُها، وعدَمُ معرِفَتِها بسببِ المعجزة لهذه الآية، فلمَّا نزَلَ القرآنُ واشتُهِرَ الإسلامُ وظهَرَ أمرُ الارتياب، تعرَّفَ على الكتابةِ حينئذٍ. وروى ابنُ أبي شيبة وغيرُهُ: «ما ماتَ ﷺ حتى كتَبَ وقرأ». . . .

ثمَّ قال: ويشْهَدُ للكتابةِ أحاديث في صحيحِ البخاري وغيرِهِ كما ورَدَ في صُلْحِ الحُديبية: «فأخَذَ رسولُ اللهِ ﷺ الكتابَ، وليس يُحسِنُ يكتُبُ، فكتَبَ: هذا ما قاضى عليه محمَّدُ بنُ عبد الله. . .»[3].

ويواصل الآلوسي فيقول: «وممَّن ذهَبَ إلى ذلك أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة، وحكاهُ عن السِّمْناني، وصنَّفَ فيه كتابًا، وسبَقَهُ إليهِ ابنُ منبِّه، ولمَّا قالَ أبو الوليد ذلك، طُعِنَ فيه ورُميَ بالزَّندقةِ، وسُبَّ على المنابر، ثمَّ عُقِدَ له مجلسٌ فأقامَ الحُجَّةَ على مُدَّعاهُ، وكتَبَ به إلى عُلماءِ الأطراف، فأجابوا بما يُوافِقُهُ.

---

(1) السيد هبة الدين الشهرستاني، **مجلة المرشد البغدادية**، السنة الرابعة، ص327 ـ 328، نقلًا عن حواشي كتاب **أوائل المقالات** للشيخ المفيد، كتب الحواشي فضل الله الزنجاني، ص158 ـ 159.

(2) (ت 1270 هـ/ 1854م)

(3) **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، رقم 4005.

ومعرفةُ الكتابِ بعدَ أُمِّيَّتِهِ ﷺ لا تُنافي المعجزة، بل هي معجزةٌ أخرى لكونِها من غير تعليم»![1]

من جهةٍ أخرى، قالَ السيِّد المرتضى[2] في قولهِ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ﴾: «ظاهرُ الآيةِ يقتضي نفيَ الكتابة والقراءة بما قبل النُّبوة دون ما بعدها، ولأنَّ التعليلَ في الآيةِ يقتضي اختصاصَ النَّفي بما قبل النُّبوة، لأنَّهم إنَّما يرتابونَ في نُبُوَّتِهِ لو كان يُحْسِنُها قبلَ النُّبوة، فأمَّا بعدها فلا تعلُّق له بالرِّيبة، فيجوزُ أنْ يكون تعلَّمهُما من جبرائيل بعدَ النُّبوة، ويجوزُ أنْ لم يتعلَّم فلا يعلَم. قالَ الشُّعْبي وجماعةٌ من أهل العِلْم: ما ماتَ رسولُ الله ﷺ حتى كتَبَ وقرأ. وقد شُهِرَ في الصِّحاحِ والتَّواريخ قولُهُ ﷺ: آتوني بدواةٍ وكتِفٍ أكتُب لكُم كتابًا لنْ تضِلُّوا بعدَهُ أبدًا».

ويستدِلُّ أصحاب هذا الرَّأي بعدَّةِ روايات، منها صحيحة هشام بن سالم عن الإمامِ جعفر الصَّادق عليه السلام: كان ﷺ يقرأُ الكتابَ، ولا يكتُب.

وصحيحةِ أبان بن عثمان عن الصَّيْقل قال: سمِعْتُ أبا عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام) يقول: كان ممَّا منَّ اللهُ عزَّ وجل على نبيِّهِ أنَّه كان أُمِّيًّا لا يكتُب ويقرأُ الكتابَ.

في مقابلِ ذلك، روى جعفر بن محمَّد الصُّوفي قال: سألتُ أبا جعفر محمَّد (الجواد) بنَ عليّ الرِّضا عليه السلام فقلْتُ: يا بنَ رسول الله، لمَ سُمِّي «النبيَّ الأمي»؟ فقال: ما تقولُ الناس؟ قلْتُ: يزْعُمُونَ أنَّه إنَّما سُمِّيَ «الأمِّي» لأنَّه لم يُحسِنْ أنْ يكتُب، فقال عليه السلام: كذبوا... أنَّى ذلك؟ واللهُ يقولُ في مُحكَم كتابِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3]. فكيفَ كان يُعلِّمُهُم ما لا يُحسِنُ؟ واللهِ لقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يقرأ ويكتُب باثنينِ وسبْعينَ، أو قال: بثلاثةِ

---

(1) الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج1، ص307 ـ 308.

(2) (ت 436 هـ/ 1044م)

(3) سورَة الجمعة، الآية: 2.

وسبعينَ لسانًا، وإنَّما سُمِّيَ «الأُمِّي»، لأنَّه كان من أهلِ مكة، ومكة من أُمَّهاتِ القرى، وذلكَ قولُ اللهِ عزَّ وجلّ: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ﴾[1].

كتَبَ الشَّيخ آصِف مُحسِني معلِّقًا على هذه الرِّواية الأخيرة: «الرِّوايةُ تدُلُّ على أنَّه ﷺ يُحسِنُ الكتابةَ (= كان قادرًا عليها)، لا أنَّه كتَبَ كتابًا (فعلًا)، فإنَّه هو موردُ السُّؤال. وهو الظَّاهرُ من الجوابِ أيضًا، فإنَّه لا شكَّ أنَّه ما كتَبَ بعشرين لُغة، فضْلًا عن سبعين لسانًا، وهذا دليلٌ قطْعيٌّ على أنَّ المرادَ هو التمكُّن من الكتابةِ والقراءة، لا وقوعهما. . . . والمُتحصَّل من جميعِ ذلك: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يقرأ قبلَ النُّبوةِ قطعًا، وقرأَ بعدَها كما دلَّت عليه الرِّوايات. وأنَّه ﷺ لم يكتُب أصلًا، وإنْ كانَ يُحسِنُ الكتابةَ بعدَ رسالتِهِ، وذلك لدلالةِ الرِّوايات عليه»[2].

وهناك موقفٌ آخر حاولَ الجمْعَ بين هذه الأقوال، فقد كتَبَ المجلسي[3]: «يمكنُ الجمْعُ بين هذه الأخبار بوجهين:

الأول: أنَّه ﷺ كان يقْدِر على الكتابة، ولكن كان لا يكْتُب لضرْبٍ من المصلحة.

الثاني: أنْ نحْمِل أخبارَ عدَم الكتابة والقراءة على عدَم تعلُّمهُما من البشَر، وسائرَ الأخبار على أنَّه كان يقْدِر عليهما بالإعجاز. وكيفَ لا يعلَم من كان عالِمًا بعُلُوم الأوَّلينَ والآخرين، أنَّ هذه النُّقُوش موضوعةٌ لهذه الحروف؟ ومن كان يقْدِر بإقدارِ الله تعالى على شقِّ القمَر وأكبر منه، كيف لا يقْدِر على نقْشِ الحُرُوف والكلِمات على الصَّحائفِ والألواح؟ واللهُ تعالى يعلَم»[4].

وكان الشَّيخ المطهَّري[5] من أفضلِ من بحَثَ هذا الموضوع بحثًا مستفيضًا، وذلك في كتابِهِ **النبيُّ الأُمِّي**، فكان ممَّا كتب:

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 92. محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، ج16، ص132 ـ 133.

(2) محمد آصف محسني، **صراط الحق**، ج3، ص116.

(3) (1111 هـ/ 1698م).

(4) محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، ج16، ص134 ـ 135.

(5) (ت 1399 هـ/ 1979م)

«من الأمورِ الواضحة في حياةِ الرَّسول الأكرم ﷺ أنَّه لم يتعلَّم ولم يتتلمذ على أحد، ولم يطَّلِع على مقالٍ أو كتاب، ولم يدَّعِ له ذلك أيُّ مُؤرِّخ، سواءٌ كان مسلمًا أو غير مسلم، لا في دورِ طُفولتِهِ أو شبابِهِ، ولا بالأحرى في دورِ الكهولة والشَّيخوخة وهو دور الرِّسالة.

كما أنَّه لم يذكر أحد أو يعرض سندًا يُوضِّح أنَّه ﷺ قد قرأَ سطْرًا واحدًا، أو كتَبَ كلمةً واحدةً قبلَ عصْر البعثة.

لقد كان العربُ آنذاك، وبالأخص عربُ الحجاز أُناسًا أُمِّيِّين، وكان الذين يستطيعونَ القراءةَ والكتابة يُعدُّون بالأصابعِ ويُشارُ إليهم بالبنان. فلا يمكنُ والأمرُ كذلك أنْ نتصوَّر وجود شخص يُتْقن القراءةَ والكتابةَ في هذه البيئةِ ولا يُعرَفُ عنه ذلك.

ونحنُ نعلم. . .أنَّ معارضي الرَّسول الأكرم ﷺ اتَّهموهُ آنذاك بالاستماع إلى الآخرين، ونقْلِ تعاليمِهِ منهم، ولكنَّهم لم يتَّهموهُ مطلقًا بأنَّه كان يعرفُ القراءةَ والكتابة؛ فهو مثلًا يحتفظُ بكُتُبٍ لديه يستَلُّ منها المواضيع ويستفيدُ منها. . . وهو اتِّهامٌ قريبٌ تصوُّرهُ لو كان النبيُّ يُلِمُّ أقلَّ إلمام بالقراءةِ والكتابة».

ويواصل الشَّيخ المطهَّري كلامَهُ فيقول: «ولم يجد المستشرقون ـ الذين ينظرونَ بعينِ النَّقد الدَّقيق للتاريخِ الإسلامي ـ أيَّ إشارةٍ إلى وجودِ معرفة له ﷺ بالقراءةِ والكتابة». واستشهدَ المطهَّري بأقوال بعض المستشرقين(1)، ثمَّ قال: «والواقعُ أنَّنا لم نكن نهدِفُ من خلالِ نقل عبائر هؤلاء إلى الاستشهادِ بحديثِهِم، فإنَّ المسلمينَ هم أولى بإظهارِ النَّظَر في تاريخِ الإسلام من غيرِهِم، وإنَّما كُنَّا نهدفُ إلى التأكيدِ لكُلِّ أولئكَ الذين لا يمتلكونَ بأنْفُسِهِم مطالعات تاريخية على أنَّه لو كانت هناك أيةُ علامة في هذا المجال، فإنَّها لم تكن لتخفى على المُؤرِّخين الباحثين والنُّقَّاد من غير المسلمين.

. . . لكي نُوضِّح هذا الأمر ينبغي أنْ يتناول البحث مجالين:

---

(1) كتب نولدكه: «بسبب ما تقدم، يتبين أن الحجج التي تؤيد القول أن محمدًا كان يستطيع القراءة والكتابة حجج واهية جدًا». (نولدكه، **تاريخ القرآن**، ص13).

الأول: مجال ما قبل البعثة.

الثاني: مجال ما بعد البعثة.

... وسوف نجد أنَّ المُسلَّم والقطْعي الذي يتَّفق عليه علماءُ المسلمين وغيرُهُم أنَّه ﷺ لم تكن له أيَّ معرفة بهما قبلَ البعثة. ولكن الأمرَ ليس كذلك وبهذا المستوى من الوضوح بالنِّسبةِ لعصْرِ الرِّسالة.

فالذي يقرُبُ من الواقع في هذا العصْر أنَّه لم يكن يكتُب، أما عدمُ قراءتِهِ فقد وقَعَ فيه خِلافٌ. ويظهرُ من بعضِ الرِّوايات الشِّيعية أنَّه ﷺ كان يقرأ في عصْرِ البعثة دونَ أنْ يكتُب، وإنْ كانت الرِّوايات الشِّيعية مختلفة وغير متطابقة».

ثمَّ ينتهي الشَّيخ المطهَّري إلى النتيجة التالية: «الذي نستفيدُهُ من مجموعِ القرائن والدَّلائل أنَّه ﷺ لم يكن يقرأ أو يكتُب حتى في عصْرِ البعثة»[1].

الموقف من المسألة:

هذا البحث طويلُ الذَّيل، لا يسَعُ المقامُ التفصيلَ فيه أكثر من ذلك، ولا يُؤثِّر في عظمةِ القرآن وإعجازهِ شيئًا .**فالقرآنُ إنْ كان عظيمًا ومُعجِزًا، فنبيُّ القرآن سواءٌ قرأَ وكتَبَ بعد البعثة أو لم يقرأ ويكتُب، فسيبقى القرآنُ عظيمًا ومُعجِزًا.**

ما يهُمُّني فعلًا هو التأكيد على عدمِ ممارستِهِ للقراءةِ والكتابة قبلَ البعثة. وهذا ما تُؤكِّدهُ الآية ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[2]. فترسيخُ هذه الحقيقة كان ضروريًّا حتى لا يرتابَ المبطلون، فيطعنونَ في نُبوَّتهِ، زاعمين أنَّه اقتبسَهُ من كُتُبِ الآخرين، أو راسَلَ أحدًا ليُعينَهُ على بناءِ هذا الدِّين وتشْييدِهِ.

---

(1) الشَّيخ مرتضى المطهَّري، النبي الأمي، ص6 ـ 10. ممن كتب باستفاضة في هذا الموضوع: الشيخ جعفر السبحاني، في كتابه **معالم النبوة في القرآن الكريم**، دار الأضواء، ط2، بيروت، 1984، ص321 ـ 374.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 49.

أما بعدَ البعثة، فلا مانع من القولِ بأنَّه ﷺ قرأَ أو كَتَب، لكن الأمر بحاجةٍ لأدِلَّة نقْلية تؤكِّدُ ذلك. توجدُ عند أهل السُّنة رواية في صحيحِ البخاري تُشيرُ إلى أنَّه ﷺ كتَبَ في صُلْح الحُديبية، لكن لا توجد روايات من طُرُقِهم دالَّة على أنَّه قرأ. وعند الشِّيعة الأمرُ بالعكس، توجدُ روايات تُشيرُ إلى أنَّه قرأَ بعدَ البعثة لكن لم يكتُب. وتوجدُ أقوال لبعضِ أهل العِلْم أنَّه ﷺ قرأَ وكتَبَ بعدَ البعثة. لكن الكلام كلُّ الكلام في كفايةِ تلكَ الشَّواهد النَّقلية على صحَّة ذلك.

ملاحظات إضافية هامة:

- القولُ بأنَّ المقصودَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾: الكتابَ السَّماوي كالتوراةِ والإنجيل (كما ذهب د. محمد عابد الجابري)[1]، يصعُبُ الميلُ إليه، لسببين:

  أوَّلُهما: أنَّه خلافُ الظاهر.

وثانيهما: أنَّ القرآنَ استَخدَمَ لفظ «كتاب» في مختلفِ الكتابات؛ فتارةً تُستعمَلُ في موردِ رسالة بين شخصين، كما جاءَ في قصَّة ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ...﴾[2]، وأخرى في موردِ الوثيقة التي يكتُبُها طرفان متعاملان، مثل ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾[3]، وثالثةً في موردِ الألواح الغيبية والحقائق الملكوتية التي لها نحو تعبير عن الحوادثِ في هذا العالَم مثل ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[4]. نعم إذا أُضيفَت كلمة «أهل» إلى «الكتاب» فإنَّهُما تُشكِّلان اصطلاحًا قرآنيًا خاصًا في أنَّ المرادَ هم أتباع الكتب السَّماوية.

والحقيقة أنَّ علاقاتِ النَّبي محمَّد ﷺ مع الآخرين واضحةٌ ويسْهُلُ رصْدُها. ولو كان معروفًا بممارستهِ للقراءةِ والكتابة لاتُّهِمَ سريعًا من خصومِهِ

(1) محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ص91.
(2) سورة النمل، الآيتان: 29 ـ 30.
(3) سورة النور، الآية: 33.
(4) سورة الأنعام، الآية: 59.

بأنَّه اقتبَسَ من غيرِهِ، أو راسَلَ أحدًا فزوَّدَهُ بالمعلوماتِ المطلوبة، خصوصًا مع توفُّر الدَّواعي لمثلِ هذا الاتّهام. لذا يقول تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]؟!

على ضوءِ ذلك، لا يمكنُ قبول قول نولدكه عن الآية ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ﴾ أنَّها شهادةُ المرءِ لنفْسِهِ[2]. كما لا يمكنُ قبول قوله: «إنَّ محمَّدًا نفسَهُ لم يشأ أنْ يُعتبر عارفًا بالقراءةِ والكتابة، ولهذا السَّبَب أوكل آخرين بقراءةِ القرآن ورسائلِهِ»[3]!

لأنَّا حتى لو تعاطينا مع القرآنِ على أنَّه مجرَّد وثيقة تاريخية، وأنَّ محمَّدًا شهَدَ على ذلكَ لنفْسِهِ، لكانَ هذا الادِّعاء مثلبة كبيرة بحقِّه، فيما لو رصَدَ يومًا ما أحدُ معاصريه أنَّه قرأَ أو كتَبَ شيئًا. بالإضافةِ إلى ذلك، لا يمكن في ذلكَ المجتمع الصغير، إخفاءُ اكتساب هذه المهارة دون أنْ يطَّلِع على ذلكَ أحد[4].

---

(1) سورة يونس، الآية: 16.

(2) نولدكه، **تاريخ القرآن**، ص14.

(3) المصدر السابق نفسه، ص15.

(4) لذا كتب السيد المرتضى: «فإنْ قيل: أليسَ اللهُ تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؟
قُلنا: إنَّ هذه الآية إنَّما تدلُّ على أنَّه ﷺ ما يُحسِنُ الكتابةَ قبلَ النُّبوة، وإلى هذا يذهب أصحابُنا، فإنَّهم يعتمدونَ أنَّه ﷺ ما كان يُحسِنُها قبلَ البعثة، وأنَّه تعلَّمَها من جبرائيل بعدَ النُّبوة. وظاهرُ الآية يقتضي ذلك، لأنَّ النَّفيَ تعلَّقَ بما قبل النُّبوة دون ما بعدها...
فإنْ قُلْت: فلِمَ نعلَم أنَّه ﷺ ما كان يُحسِنُ الكتابةَ قبلَ النُّبوة بهذه الآية. قيلَ لكم: هذه الآية إنَّما تكونُ حُجَّةً وموجبةً للعلْمِ إذا صحَّت النُّبوة، فكيف يُجعَل نفيُ الآية دلالة على النُّبوة وهو مبنيٌّ عليها؟
قُلنا: الذي يجبُ أنْ يُعتمَد عليه في أنَّه ﷺ لا يُحسِنُ الكتابةَ والقراءةَ قبلَ النُّبوة، هو أنَّه ﷺ لو كان يُحسِنُها وقد نطَقَ القرآنُ الذي أتى بنفي ذلكَ عنه ﷺ قبلَ النُّبوة، ممَّا جازَ له أنْ يخفى الحالُ فيه مع التتبُّع والتفتيش والتنقير، لأنَّ هذه الأمور كلّها إنَّما يجوزُ أنْ تخفى مع عدَمِ الدَّواعي إلى كشفِها، ومع الغفلةِ عنها، والإعراض عن تأمُّلِ أحوالها. وأما إذا قويت الدَّواعي، وتوفَّرَت البواعث على كشفِ حقيقة الحال، وتعلَّق ذلك دعوى مُدَّعٍ بمعجزةٍ، فلا بدَّ من الفحصِ والتفتيش، ومعها لا بدَّ من ظُهورِ حقيقةَ الحال. ومن كان يُحسِنُ القراءةَ والكتابة لا بدَّ من أنْ يكونَ قد تعلَّمَها أو أخذَها من موقفٍ ومُعرِّف، والذين كانوا يُحسِنُونَ الكتابةَ من العرب في ذلك الزَّمان معدودون قليلون. فمن تعلَّمَ من أحدِهِم، وكُشِفَ عن أمرِهِ على طول الأيام، لا بدَّ من ظُهورِ حالِهِ بمقتضى العادة. وهذه الجملة تدُلُّ على أنَّه ﷺ ما =

■ أما وصْفُ القرآن للنَّبي بأنَّه «أمي»، فعندَ التدقيق، نجد أنَّه يدُلُّ على أمرٍ آخر لا يتعلَّق بالقراءةِ والكتابة.

لذا كتَبَ السيِّد الباقري مُحقًّا: «لا دليلَ على أنَّ «الأميّ» كان يُطلَق على «من لا يقرأ ولا يكتُب». والأرجح أنَّ العربَ وُصِفُوا بالأميِّين لعدَمِ كونِهم من «أهلِ كتاب»، أي لخُلُوِّهِم عن الثقافةِ الدِّينية الناتجة من «قراءةِ كتاب»، أو عن أيَّةِ ثقافة متفلسفة»[1].

أقول: ويُؤيِّد ذلكَ صحيحةُ معاوية بن عمَّار حيثُ يروي أنَّ الإمامَ جعفر الصَّادق عليه السلام قالَ في قولِهِ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾[2]: كانوا يكْتُبُونَ، ولكن لم يكن معهم كتابٌ من عندِ الله، ولا بُعِثَ إليهم رُسُولًا، فنَسَبَهُم إلى الأُمِّيِّين[3].

ويأتي في هذا السِّياق أيضًا ما ورَدَ في نهجِ البلاغة عن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ اللهَ بعَثَ محمَّدًا صلى الله عليه وآله وليسَ أحدٌ من العربِ يقرأُ كتابًا ولا يدَّعي نُبوَّة»[4].

■ يبدو أنَّ هذا البحث قد أُثيرَ في زمنٍ مُتأخِّرٍ لدعمِ أدلَّة نُبوَّة النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله، بعد تشكيكات البعض كابن الرَّاوندي (في القرن الثالث

= كان يُحسِنُ الكتابةَ قبلَ النُّبوة». (المرتضى، **رسائل المرتضى**، ج1، المسألة الثانية، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، 107 ـ 108).

(1) السيد محمد علي الباقري، **نبوة النبي**، ص77 ـ 78.

(2) سورة الجمعة، الآية: 2.

(3) **تفسير القمي**: 678. أيضًا: المجلسي، **بحار الأنوار**، ج16، ص132. وقوله «كانوا يكتبون» لا نفهم منها شُيوع الكتابة بينهم، بل وجود من يكتُب منهم، دون أنْ ينفي عنه صفة الأمية بمعنى عدم الاطِّلاع على الكُتُبِ السَّماوية السَّابقة.

(4) الشَّريف الرَّضي، **نهج البلاغة**، خ33.

كتب السيِّد المرتضى: «فإنْ قيل: فقد وصَفَ اللهُ تعالى نبيَّهُ صلى الله عليه وآله بأنَّه «أُمّي» في مواضعَ من القرآن، والأميُّ الذي لا يُحسِنُ الكتابةَ، فكيف تقولونَ إنَّه عليه السلام أحسَنَها بعدَ النُّبوة؟

قُلنا: أما أصحابُنا القاطعون على أنَّه عليه السلام كان يُحسِنُ الكتابةَ بعدَ النُّبوة، فإنَّهم يجيبون عن هذا السُّؤال بأنْ يقولوا: لم يُرِدْ اللهُ تعالى بقولِهِ «أمي» أنَّه لا يُحسِنُ الكتابة، وإنَّما أرادَ اللهُ تعالى نسبتَهُ إلى أُمِّ القرى، لأنَّه من أسماءِ مكة: «أُمّ القرى». فإنْ كانت هذه النِّسبة محتملةً لأمرين، لم يجز أنْ يقطعوا على أحدِهِما بغيرِ دليل». المرتضى، **رسائل المرتضى**، ج1، المسألة الثانية، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، 108.

الهجري)، حيثُ صارَ التّشكيكُ في عدَمِ قراءتِهِ وكتابتِهِ مقدِّمة للتّشكيكِ في نُبوَّتِهِ ﷺ.

والأمرُ ليس كذلك؛ فالقرآنُ إنْ كان آيةً بيِّنةً ومُعجِزًا، فهو كذلك حتى لو جاءَ ممَّن مارَسَ القراءةَ والكتابة. غايةُ الأمر، أنَّ النبيَّ ﷺ لو مارَسَ القراءةَ والكتابةَ قبلَ البعثة، لانفتحَ بابُ التّشكيك للمُبْطلين. والقرآنُ نفى ذلكَ عنه قبلَ البعثة دون نكيرٍ من أحد. وهذا القدْرُ يكفينا لننطلق في البحثِ بكلِّ اطمئنان.

لكن إنْ كان القرآنُ آيةً بيِّنةً ومُعجِزًا، فما هي السِّمات التي تُميِّزُهُ عن بقيَّةِ الآيات والمعجزات؟ هذا ما أتناولُهُ في الفصْلِ القادم.

O

الفصل الثاني:

القرآن لا كغيره من الآيات

عرفنا في الفصْلِ السَّابق أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ لم يقرأ ولم يكتُب، قبلَ البعثةِ على أقلِّ تقدير. هذا الأمرُ أثارَ دهشةَ معاصريه. كيف يمكن أنْ يصْدُرَ القرآنُ بمضامينهِ العالية ومعلوماتهِ الدَّقيقة من إنسانٍ لم يقرأ ولم يكتُب؟ ما هو مصدر هذه المضامين وتلك المعلومات؟ فطفقوا يبحثونَ عن إجابةٍ لهذا السُّؤال.

لم يكن هو الأمرَ هو الوحيد الذي أثارَ دهشةَ معاصريه. بل ثمَّة ميِّزات أساسية بين القرآنِ وغيرِه من الآيات التي ظهرَت على يدِ الأنبياء السَّابقين، بل وغيرِهِ من الآياتِ التي ظهرت على يدِ النبيِّ محمَّد ﷺ نفْسِهِ.

فالقرآنُ في نظَرِ المسلمين يمتازُ عن بقيَّةِ آيات الأنبياء بميِّزتينِ على الأقل:

الأولى: أنَّها آيةٌ غير بصريَّة، بمعنى أنَّها وإنْ كانت تُتلقَّى بحاسَّةِ السَّمْع، إلا أنَّها تُدْرَكُ بالعقل، وتُسْتشعَر بالقلْب، ويتأثَّر لها الوجدان، بخلافِ آيات الأنبياء التي كانت غالبًا بصريَّة.

هذا الأمرُ لم يرُقْ لكُفَّارِ قريش؛ فقد كانوا يظُنُّونَ أنَّ الآيات (المعجزات) أمرٌ باختيارِ النَّبي، يقومُ بها وقتما شاء وكيفما شاء ولأيِّ غرضٍ شاء! وكانوا يُطالبونَ بآياتٍ بصريَّةٍ تُصمَّمُ على ذوقِهِم.

القرآنُ من ناحيتِهِ أجابَهُم بأنَّ عدم إتيان النَّبي محمَّد ﷺ بما يروقُ لكم من آياتٍ بصريَّة، لا يعني أنَّ اللهَ عاجزٌ عن ذلك، إنَّما يعني أنَّ الإتيانَ بالآياتِ (على مستوى التَّوقيت والكيفية والغرض) منوطٌ بأمرِ الله تعالى. قال

تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

لذا أكّدَ القرآنُ على أنَّ وظيفةَ النبيِّ ﷺ إنَّما هي الإنذارُ الواضح، وليس تلبية رغبات هذا أو ذاك، لأنَّ القرآنَ بذاتِهِ آيةٌ بيِّنةٌ وكافيةٌ لكلِّ البشر، لا يحتاجونَ بعدها لأيَّةِ آية بصريَّة. واللهُ سبحانَهُ وحدَهُ هو الذي يُحدِّد طبيعةَ الآية التي يدْعَم بها موقفَ أيِّ نبي. والقرآنُ هو الآيةُ والرَّحمةُ النَّازلةُ باستمرار، التي ستتكفَّلُ بتوجيهِهِم وتذكيرِهِم ببقيةِ آياتِ الله في الآفاقِ وفي أنفُسِهِم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿50﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

هذا التغيُّر الكيفي في طبيعةِ الآية، من آياتٍ بصريَّة جرت عادةُ الأنبياء السَّابقين على الإتيانِ بها، إلى آيةٍ غير بصريَّة، تُتلقَّى بحاسَّةِ السَّمْع، وتُدْرَكُ بالعقل، وتُسْتشعَر بالقلْب، هو الذي فتَحَ المجال لتشكيكِ البعض بنُبوَّةِ النَّبي محمَّد ﷺ واتِّهامِهِ بالكذبِ على الله. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿101﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

ولم يُدرك كُفَّار قريش أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ، لا يتحدَّاهم فقط، بل يتحدَّى عامةَ البشَر بالقرآنِ خاصَّة من بين سائرِ آياتِهِ (معجزاته)، لأنَّ النُّبوة الأبديةَ العامة، تستدعي آيةً (معجزة) خالدةً عامة، وهي منْحصرةٌ بالقرآن، وليس في سائرِ آياتِهِ ﷺ ما يُتصوَّر له البقاءُ والاستمرار. وهذا ما سيتَّضح في النُّقطةِ التالية.

الثانية: أنَّ القرآنَ آيةٌ محفوظةٌ من أيِّ تبديلٍ أو تغييرٍ أو تحريف،

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 37.

(2) سورة العنكبوت، الآيتان: 50 ـ 51.

(3) سورة النحل، الآيتان: 101 ـ 102.

وهي باقية، بخلافِ آيات الأنبياء التي يندثِرُ تأثيرُها بموتِ الشُّهود وتطاول الزَّمان. لذا قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

على ضوءِ ذلك، نعرف أنَّ القرآنَ يُؤكِّد على أنْ لا مجالَ لافتراضِ أيِّ تدخُّل من طرَفِ النبيِّ محمَّد ﷺ في صياغةِ القرآن. قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[3].

كتَبَ السيِّد الخوئي[4] حول الآية الأخيرة: «المرادُ من الآيةِ الكريمة أنَّ محمَّدًا الذي أثبَتْنا نُبوَّتَهُ، وأظهرنا المعجزةَ لتصديقِهِ، لا يمكن أنْ يتقوَّلَ علينا بعضَ الأقاويل، ولو صنَعَ لأخذْنا منه باليمين، ولقطَعْنا منه الوتين، فإنَّ سُكُوتَنا عن هذه الأقاويل إمضاءٌ منَّا لها، وإدْخالٌ للباطلِ في شريعةِ الهدى، فيجبُ علينا حفْظُ الشَّريعة في مرحلةِ البقاء، كما وجَبَ علينا في مرحلةِ الحُدُوث»[5].

وكتَبَ أيضًا: «كانت للنبيِّ معجزاتٌ أخرى غير القرآن، . . . . . . ، ولكن القرآنَ أعظَمُ هذه المعجزات شأنًا، وأقوَمُها بالحُجَّةِ، لأنَّ العربيَّ الجاهلَ بعُلُومِ الطَّبيعةِ وأسرارِ التكوين، قد يشُكُّ في هذه المعجزات، وينْسِبُها إلى أسبابٍ علْميَّةٍ يجهَلُها، وأقربُ هذه الأسباب إلى ذهنِهِ هو السِّحر فهو ينْسِبُها إليه. ولكنَّه لا يشُكُّ في بلاغةِ القرآن وإعجازِهِ، لأنَّه يُحيطُ بفُنونِ البلاغة، ويُدْرِكُ أسرارَها. على أنَّ تلكَ **المعجزات الأخرى مُؤَقَّتة، لا يمكنُ لها البقاء،**

(1) سورة الأنعام، الآية: 115.
(2) سورة يونس، الآية: 15.
(3) سورة الحاقة، الآيات: 44 ـ 46.
(4) (ت 1412 هـ/ 1992م)
(5) السيد أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص36.

فسُرْعان ما تعودُ خبرًا من الأخبار، ينقلُهُ السَّابقُ للَّاحق، وينفتِحُ فيه بابُ التَّشكيك. أما القرآن فهو باقٍ وإلى الأبد، وإعجازُهُ مستمرٌّ مع الأجيال...

إنَّ طريقَ التَّصديق بالنُّبوةِ والإيمان بها، ينحصِرُ بالمُعجزِ الذي يُقيمُهُ النبيُّ شاهدًا لدعواه. ولمَّا كانت نُبوءات الأنبياء السَّابقين مختصَّةً بأزمانِهِم وأجيالِهِم، كان مقتضى الحكمة أنْ تكونَ معاجِزُهُم مقصورةَ الأمد ومحدودة، لأنَّها شواهدُ على نُبوءات محدودة، فكانَ بعضٌ من أهلِ تلكَ الأزمنة يُشاهِدُ تلكَ المعجزات فتقومُ عليه الحُجَّة، والبعضُ الآخر تُنْقَلُ إليه أخبارُها من المشاهدين على وجهِ التَّواتُر، فتقومُ عليه الحُجَّةُ أيضًا.

أما الشَّريعةُ الخالدة، فيجبُ أنْ تكونَ المعجزةُ التي تشهَدُ بصدْقِها خالدةً أيضًا، لأنَّ **المعجزةَ إذا كانت محدودةً قصيرةَ الأمد، لم يُشاهِدها البعيد، وقد تنقطِعُ أخبارُها المتواترة، فلا يمكنُ لهذا البعيد أنْ يحصَل له العلْم بصدْقِ تلك النُّبوة، فإذا كلَّفَهُ اللهُ الإيمانَ بها، كان من التَّكليفِ بالممتنع، والتكليفُ بالممتنعِ مستحيلٌ على الله تعالى. فلا بدَّ للنُّبوةِ الدَّائمةِ المستمرَّةِ من معجزةٍ دائمة.** وهكذا أنزَلَ اللهُ القرآنَ معجزةً خالدة، ليكونَ برهانًا على صدْقِ الرِّسالة الخالدة، وليكونَ حُجَّة على الخَلَف، كما كان حُجَّة على السَّلَف»[1].

وفي السِّياقِ ذاتِهِ، كتَبَ السيِّد محمد الموسوي الشِّيرازي المعروف بـ سُلْطانُ الواعظين[2]: «لقد بعَثَ اللهُ تعالى كلَّ نبيٍّ من أنبياءِ أولي العزم برسالةٍ ذات قوة تفوقُ جميعَ قُوى البشَر في ذلك الزَّمان، ومنها أنَّها تستطيعُ الاستحواذَ على الموجوداتِ في العالَمِ بأمرِ الله تعالى وإذنِهِ، فمتى شاءَ الأنبياءُ أنْ يُثبتوا حقًّا للأممِ الماضية، توسَّلوا بمعجزاتِهِم.

بيدَ أنَّه كان لكلِّ واحدٍ منهم معجزة خاصة، لم تكن عندَ غيرِهِ مثلُها فيما سبَق، فيتحدَّى بها قومَهُ، ويُظهِرُ الحقَّ بواسطتِها، فاختُصَّ النبيُّ صالح عليه السلام مثلًا بخُروجِ الناقة من الصَّخرةِ الصمَّاء، ولم تصْدُر اليد البيضاء والثعبان إلا

---

(1) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص40 ـ 43.
(2) (ت 1392 هـ/ 1972م).

عن النبيِّ موسى ﷺ دون الأنبياء الماضين، كما أنَّ إحياءَ الموتى معجزةٌ اختُصَّت بالنبيِّ عيسى ﷺ فحسب.

ووفق هذه القاعدة المُسلَّم بها، فإنَّه قد صدَرَت عن خاتَم الأنبياء ﷺ معجزاتٌ كثيرة، كما صدَرَت عن الأنبياءِ المُتقدِّمين. وكان يُختَصُّ فضلًا عن ذلكَ بمعجزةٍ أيضًا، ألا وهي القرآن الكريم والكتاب السَّماوي الحكيم».

ويُواصل سُلْطانُ الواعظين كلامَهُ فيقول: «ومهما ذكرنا آنفًا أنَّ معجزات كهذه، أي الاستحواذ على الجماداتِ والنباتاتِ والحيواناتِ وملكوتِ العالَم العِلْوي، حتى إنَّه قد وردَت في الأخبارِ أربعة آلاف معجزة، غير أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يتحدَّ بأيٍّ منها، ولم يعدّها دليلًا على صدْقِ نُبوَّتهِ؛ لأنَّها غير باقية، فتموتُ بموتِ النبي ﷺ.

بيدَ أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ حينما ماتَ، ما ماتت معجزتُهُ كمعجزاتِ الأنبياء الماضين؛ إذ وعدَهُ اللهُ بأنْ لا يموتَ تراثهُ بموتهِ، لأنَّ شرائعَ الأنبياء كانت مؤقَّتة، وشريعتُهُ باقيةٌ وثابتةٌ إلى قيامِ السَّاعة. ولذا يلزَمُ الناسُ معجزةً خالدة، تهديهم في كلِّ آنٍ وزمانٍ. فالقرآنُ الكريم معجزةُ النبيِّ الخالدة.

إذا أرادَ إنسانٌ عاقلٌ وعالِم، ومنْصفٌ ومتحرِّر من جميعِ القيود، أنْ يعتنقَ اليومَ دينًا مدْعومًا بالحُجَّةِ والبرهان، ويُشاهدهما بالحسِّ والعيان، فلن يختار غير دين الإسلام. فلو ذهَبَ رجُلٌ عند حاخام (يهودي) وقال له: ما البرهان الذي كان يدُلُّ على صدْقِ نُبوَّة النَّبي موسى ﷺ؟ لقالَ له: اليدُ البيضاء والثعبان. ولو قالَ له: أرِنيها، لسَكَتَ الحاخامُ لا محالة؛ إذ ليسَ لها دليلٌ وبرهان. ولو ذهَبَ عند البابا والقسِّ (المسيحي) وطالبهُما بالدَّليلِ على صدْقِ نبوَّة النَّبي عيسى ﷺ، لذكَرَ له إحياءَ الموتى وإنطاقَ الأبكم وصُنْعَ الخفَّاش من الطِّين وجعل الحياة فيه. ولو طلَبَ منه رؤية هذه البراهين لسَكَت، لأنَّ هذه المعجزات ماتت بوفاةِ عيسى ﷺ.

أما إذا ذهَبَ عند عالِم ومُبلِّغ إسلامي وقالَ له: ما هو الدَّليلُ على صِدْقِ نُبوَّة النبيِّ محمَّد ﷺ؟ لما قالَ له: شقُّ القمر وردُّ الشَّمس، أو عروجُهُ بجسْمِهِ إلى السَّماء، أو مجيءُ الشَّجرةِ إليه، أو تكلُّم الحصى في كفِّهِ المبارك، وأمثالُ

ذلك. بل تمسّكَ بمُعجزةِ النبيِّ الخالدة، وعرَضَ عليه كلامَ اللهِ العظيم والقرآنَ الكريم، إنَّ دليل صِدْقِ العاشِق في كُمِّهِ كما يقولُ المثل»[1].

الخلاصة: عرفنا ممَّا مضى، أنَّ آيةَ النَّبي محمَّد ﷺ الرَّئيسية تختلفُ عن سائرِ آياتِ الأنبياء بأمرينِ بالغي الأهمية. أوَّلُهُما أنَّ القرآنَ لا كغيرِهِ من الآيات، هو آيةٌ غير بصريَّة، في حين أنَّ العادةَ جرت على أنْ تكون آياتُ الأنبياء بصريَّة. وثانيهما أنَّها باقية ومستمرة لكلِّ الأجيال. هذا الاختلاف فرَضَهُ ختْمُ النُّبوة. فإنْ لم يكن القرآنُ نورًا مبينًا، ومعجزةً واضحة، لظلَّت آياتُ الأنبياء السَّابقين، تحوطُها الشُّكوك من كلِّ جانب.

لكن ما معنى بقاءُ القرآنِ واستمرارُهُ وحفْظُهُ؟ هذا ما أعرضُ له في الفصْلِ القادم.

---

(1) المقالة 47 من كتاب صَدْ مقالة، نقلًا عن الدّارابي، النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا، ص 183 ـ 184. مع تصرُّف طفيف جدًّا. انظر: سلطان الواعظين، مائة مقالة سلطانية، ترجمة فاضل الفراتي، دار القارئ، ط1، بيروت، 2005، ص214 ـ 215.

الفصلُ الثالث:

معنى حفْظ القرآن

أجمَعَ المسلمون على أنَّ اللهَ سبحانَهُ تكفَّلَ بحفْظِ القرآن، فهو مصونٌ عن أيِّ تحريف، وأنَّهُ محفوظٌ عن أيِّ تغيير، والشَّاهدُ من القرآنِ على ذلك قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]. انطلاقًا من كونِ المقصود بـ «الذِّكْر»: القرآنَ بالتَّحديد، بقرينةِ السِّياق. ففي آيةٍ سابقةٍ قالَ تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2]. وحاشا اللهِ أنْ يُخلِفَ وعدَهُ وينقُضَ عهدَهُ[3].

---

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

(2) سورة الحجر، الآية: 6.

(3) كتَبَ ابنُ الجَزَري (ت 833 هـ/ 1429م): «قالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، فوكَلَ حفْظَ التوراة إليهم، فلهذا دخلَها بعد أنبيائِهم التحريف والتبديل. ولمَّا تكفَّل تعالى بحفْظِهِ، خصَّ من شاءَ من بريَّتِهِ، وأورثَهُ من اصطفاهُ من خليقتِهِ، قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾» (ابن الجزري، **النَّشْر في القراءاتِ العشر**، ص8).

كتَبَ النراقي (ت 1209 هـ/ 1794م): «من المعلومِ أنَّ القولَ بتحريفِ القرآن مخالفٌ للإعجاز، مع أنَّه ثابتٌ عند المسلمين أنَّ القرآنَ معجزةٌ باقيةٌ لرسولِ الله ﷺ». (النراقي، **تجريد الأصول**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص118).

وكتَبَ الكلْباسي (ت 1262 هـ/ 1846م): «بعدَ استقراءِ كلمات أعلام الإسلام بأصنافِهم، في كتُبِهِم الكلامية والأصولية والتفسيرية، وما اشتملَ على الحكاياتِ والقَصص، وما يتعلَّق بعلْمِ القرآن بأصنافهِ، ومنه علْم القراءة والتواريخ وغيرِها، مع كمالِ اهتمامِهِم في ضبْطِ ما يتعلَّقَ بكلِّ واحدٍ منها، يتبيَّن أنَّ النُّقْصانَ في الكتابِ ممَّا لا أصْلَ له، وإلا لاشْتُهِرَ وتواترَ نظرًا إلى العادةِ في الحوادثِ العظيمة، وهذا منها بل من أعظَمِها. كيف والكتابُ من أعظَمِ معجزاتِ النُّبوة؛ فإنَّه الباقي على مرِّ الدُّهور إلى يوم القيامة، وعليه يُبْنى حُدُوث الإسلام وبقاؤه في الأزمنةِ المتأخرة بعد انقطاعِ الوحي». (الكلْباسي، **إشارات الأصول**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص121).

=

على هذا الأساس، آمن المسلمون أنَّ القرآنَ يتمتَّعُ بحصانةٍ ذاتيةٍ. لكن بأيِّ معنى؟ حصانةُ القرآن الذَّاتية لا تعني أنَّ الإنسانَ ليس بمقدورِهِ أنْ يُحرِّفَ ويُزّوِرَ فيه، أو يُضيفَ حرْفًا أو كلمةً أو جُملةً، أو يحذِف حرْفًا أو كلمةً أو جُملةً. فهذا الأمرُ قد يقومُ به البشَر، بقصْدٍ أو بدون قصْد، كُفْرًا وجُحُودًا أو اشتباهًا وخطأً.

بعبارةٍ أخرى: بالإضافةِ لحصانةِ القرآن التَّشريعية ـ كحُرْمةِ مسِّهِ للمُحدِثِ بالحدَثِ الأكبرِ والأصغرِ بناءً على رأيٍّ فقهيٍّ معروف ـ فإنَّ للقرآنِ حصانةً تكوينية. لكن لا بمعنى عدمُ إمكانِ حرْقِهِ، كيف وقد حرَقَ عثمانُ المصاحفَ كما سنرى. ولا بمعنى عدمُ إمكانِ إضافة أو حذْف جُملة أو كلمة أو حرْف إليهِ أو منه. بل بمعنى أنَّ هذا التَّزوير لن يُكتَب له البقاء، وسيُكتَبُ البقاءُ بين الناس لما أنزَلَهُ اللهُ تعالى.

هنا لا بدَّ أنْ أشرح بأيِّ معنى يكونُ النصُّ القرآني مصونًا عن التَّحريف؟ وماذا يعني قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾؟

معاني تحريف القرآن:

الشَّاهدُ من القرآن على صيانتِهِ من التَّحريف قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿41﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَـٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

ولبيانِ معاني التَّحريف، كتَبَ السيِّد الخوئي[2]: «يُطلَقُ لفْظُ «التَّحريف»، ويُرادُ منه عدَّةُ معانٍ على سبيلِ الاشتراك، فبعضٌ منها واقعٌ في القرآنِ باتِّفاقٍ من المسلمين، وبعضٌ منها لم يقع فيه باتِّفاقٍ منهم أيضًا، وبعضٌ منها وقَعَ الخلافُ بينهم. وإليكَ تفصيلُ ذلك:

= أقول: ما مرَّ يُؤكِّدُ على أمرٍ بالغِ الأهمية، وهو أنَّ القائلَ بالتحريف يُوجِّهُ ـ من حيثُ يدري أو لا يدري ـ سهْمًا مسمومًا لقلْبِ نُبوَّةِ محمَّد ﷺ، التي ترتكزُ على القرآنِ بوصفِهِ معجزتَهُ الرَّئيسية. هذا يُذكِّرُني بالطَّائرِ الذي بنى عشَّهُ على غصْنٍ ووضَعَ بيضَهُ وأفراخَهُ فيه، ثمَّ بدأ بنقْرِ الغُصْنَ، حتى وقَعَ العشُّ وسقطَ بيضُهُ وأفراخُهُ.

(1) سورة فصلت، الآيتان: 41 ـ 42.

(2) (ت 1412 هـ/ 1992م).

الأول: نقْلُ الشَّيءِ عن موضِعِهِ وتحويلِهِ إلى غيرِهِ. ومنه قولُهُ تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾(1).

ولا خلافَ بين المسلمين على وقوعِ مثل هذا التَّحريف في كتابِ الله؛ فإنَّ كلَّ من فسَّرَ القرآنَ بغيرِ حقيقتِهِ، وحملَهُ على غيرِ معناهُ فقد حرَّفَهُ. وترى كثيرًا من أهلِ البدعِ والمذاهبِ الفاسدة، قد حرَّفُوا القرآنَ بتأويلِهِم آياتِهِ على آرائِهِم وأهوائِهِم...(2)

الثاني: النَّقْصُ أو الزِّيادةُ في الحُرُوفِ أو في الحركات، مع حفْظِ القرآن وعدَمِ ضياعِهِ، وإنْ لم يكن مُتميِّزًا في الخارجِ عن غيرِهِ.

والتَّحريفُ بهذا المعنى وقَعَ في القرآنِ قطْعًا، فقد أثبَتْنا فيما تقدَّم عدم تواتُر القراءات (هذا كلام السيِّد الخوئي، وسأُوضِّح هذه النُّقطة في الفصْلِ القادم)، ومعنى هذا أنَّ القرآنَ المُنْزل إنَّما هو مُطابقٌ لإحدى القراءات، وأما غيرُها فهو إما زيادةٌ في القرآنِ وإما نقيصةٌ فيه.

الثالث: النَّقْصُ أو الزِّيادةُ بكلمةٍ أو كلمتين، مع التحفُّظ على نفْسِ القرآن المُنْزل.

والتَّحريفُ بهذا المعنى قد وقَعَ في صدْرِ الإسلام، وفي زمانِ الصَّحابة قطعًا. ويدُلُّنا على ذلكَ إجماعُ المسلمين على أنَّ عثمانَ أحرَقَ جُمْلةً من المصاحفِ، وأمَرَ ولاتَهُ بحرْقِ كلّ مُصْحف غير ما جمعَهُ. وهذا يدُلُّ على أنَّ هذه المصاحف كانت مخالفةً لما جمعَهُ، وإلا لم يكن هناكَ سببٌ موجبٌ لإحراقِها».

أقول:

- قامَ عثمان بذلك لكونِ بقيَّة المصاحف مشتملة على بعضِ التَّفسير أو التَّأويل بكلمةٍ أو كلمتين مثلًا، لأنَّ إقراءَ النَّبي ﷺ للقرآن كان يتضمَّن علاوةً على نصِّ القرآن الأصلي: التَّفسيرَ أو التأويل، وكان الصَّحابةُ

(1) سورة النساء، الآية: 46.
(2) أقول: وقد يكون منه قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، [آل عمران، 78].

يُميِّزون هذه الزِّيادات عن النصِّ القرآني الأصْلي، لكن وجودَها في المصاحف بدأَ يُسبِّبُ تشويشًا كبيرًا للجيلِ الأول من التابعين. وكذا قد تكون هناك أخطاء في إسقاطِ كلمة أو كلمتين اشتباهًا أثناء إملاء النَّبي ﷺ لهم أو نقْلهم لها من صحيفةٍ لأخرى، لأنَّها لم تكن قد رُوجعت بعد.

لكنّي سأُبيّنُ بعد هذا إنْ شاءَ الله تعالى أنَّ ما جمعَهُ عثمان كان هو القرآنُ المعروف بين المسلمين، الذي تداولوهُ عن النبيِّ ﷺ يدًا بيدٍ. فالتَّحريفُ بالزِّيادةِ والنَّقيصة إنَّما وقَعَ في تلكَ المصاحف التي انقطعت بعدَ عهدِ عثمان، وأما القرآنُ الموجود فليسَ فيه زيادةٌ ولا نقيصة.

- هذا القدْرُ من التَّحريفِ في رسْم المصْحف، بُرْهة من الزَّمن، لا يضُرُّ أبدًا. لأنَّ القراءةَ المشْهورة متواترةٌ بين المسلمين، محفوظةٌ في الصُّدور، والنُّسْخةُ المرجعيةُ ـ كما سنرى ـ قد جمَعَها الإمامُ عليٌّ عليه السلام فورَ وفاة النَّبي ﷺ.

ثمَّ يواصل السيِّد الخوئي كلامَهُ فيقول: «وجُمْلةُ القول: إنَّ من يقولُ بعدَم تواتُر تلكَ المصاحف ـ كما هو الصَّحيح ـ فالتَّحريفُ بهذا المعنى وإنْ كان قد وقَعَ عندَهُ في الصَّدرِ الأول، إلا أنَّه قد انْقَطَعَ في زمانِ عثمان، وانْحَصَرَ المُصْحفُ بما ثبَتَ تواتُرُهُ عن النبيِّ ﷺ» (أي إنَّ ما تمَّ تدوينُهُ رسْمًا هو ما يُناظِرُ القراءةَ المتواترةَ شفاهًا المأخوذة عن النبيِّ). وأما القائلُ بتواتُرِ المصاحفِ بأجْمَعِها، فلا بدَّ له من الالتزام بوقوعِ التَّحريف بالمعنى المُتنازع فيه في القرآنِ المُنْزَل، وبضياعِ شيء منه. وقد مرَّ عليكَ تصريحُ الطَّبري وجماعة آخرين بإلغاءِ عثمان للحُرُوفِ السِتَّة التي نزَلَ بها القرآن، واقتصارِهِ على حرْفٍ واحد.

الرَّابع: التَّحريفُ بالزِّيادةِ والنَّقيصة في الآيةِ والسُّورة، مع التحفُّظِ على القرآنِ المُنْزَل، والتَّسالُم على قراءةِ النَّبي ﷺ إيَّاها.

والتَّحريفُ بهذا المعنى أيضًا واقعٌ في القرآنِ قطعًا. فالبسْملةُ ـ مثلًا ـ ممَّا تسالَمَ المسْلمون على أنَّ النبيَّ ﷺ قرأها قبلَ كلّ سورة غير سورة التوبة، وقد وقَعَ الخلافُ في كونِها من القرآنِ بين عُلماءِ السُّنة، فاختارَ جمْعٌ منهم أنَّها ليست من القرآن، بل ذهبَت المالكيةُ إلى كراهةِ الإتيانِ بها قبلَ قراءة الفاتحة

في الصَّلاةِ المفروضة، إلا إذا نوى به المُصلِّي الخُروجَ من الخِلاف، وذهبَ جماعةٌ أخرى إلى أنَّ البسْملةَ مِن القرآن. وأما الشِّيعة، فهم مُتسالمونَ على جُزْئيةِ البسْملة من كلِّ سورة غير سورة التوبة، واختارَ هذا القولَ جماعةٌ من عُلماء السُّنة أيضًا . . . .».

أقول:

- الشِّيعة مُتسالمونَ على جُزْئية البسْملة من كلِّ سورة غير سورة التوبة، لكن هل تُعدُّ آيةً مستقلة؟[1] أم إنَّها تُعدُّ كذلك من سورةِ الحمد فقط؟[2] أم إنَّها تُقرأ قبلَ الآية الأولى من السُّورة ويُعدَّانِ معًا الآية الأولى منها؟[3] بحثُ هذا الأمر يتناولُهُ علْمُ «عدِّ الآي»، والمدارسُ في ذلك مختلفة[4].
- قيلَ إنَّ هذا قد وقَعَ على مستوى بعض السُّور كالمعوذتين؛ فقد نُسِبَ لابنِ مسعود إنكارهُ جُزْئيَّتهما للقرآن، وإنْ تسالَمَ الجميع على قراءةِ النَّبي ﷺ إيَّاها. وستعرفُ في ثنايا فصول هذا الكتاب عدم صحَّة هذه النِّسبة.

الخامس: التَّحريفُ بالزِّيادةِ بمعنى أنَّ بعضَ المُصْحَف الذي بأيدينا ليسَ من الكلامِ المُنْزَل.

والتَّحريفُ بهذا المعنى باطلٌ بإجماعِ المسلمين، بل هو ممَّا عُلِمَ بُطلانُهُ بالضَّرورة.

السَّادس: التَّحريفُ بالنَّقيصة، بمعنى أنَّ المُصْحَفَ الذي بأيدينا لا يشتمِلُ على جميعِ القرآن الذي نزَلَ من السَّماء، فقد ضاعَ بعضُهُ على الناس.

والتَّحريفُ بهذا المعنى هو الذي وقَعَ فيه الخلاف، فأثْبَتَهُ قومٌ، ونفاهُ آخرون. . . .

---

(1) كما يظهر من بعض المصاحف المطبوعة.

(2) كما يظهر من مصحف المدينة (مجمع الملك فهد).

(3) كما يفهم من السيد علي السيستاني والسيد محمود الهاشمي في رسالتهما منهاج الصالحين، حيث ذكرا بأن الأحوط عدم الاقتصار على قراءة البسملة كآية مستقلة في مثل صلاة الآيات. انظر: **منهاج الصالحين**، ج1، كتاب الصلاة، صلاة الآيات، المبحث الثالث، مسألة 708.

(4) لمعرفة بعض التفاصيل التاريخية حول مسألة البسملة، انظر: مرتضى العسكري، **القرآن الكريم وروايات المدرستين**، الكتاب الثاني، ص37 ـ 67.

المعروفُ بين المسلمين عدَم وقوع التَّحريف في القرآن، وأنَّ الموجودَ بأيدينا هو جميعُ القرآن المُنْزَل على النبيِّ الأعظم ﷺ، وقد صرَّحَ بذلكَ كثيرٌ من الأعلام. منهم رئيس المُحدِّثين الصَّدوق محمد بن بابويه، وقد عدَّ القولَ بعدَمِ التَّحريف من معتقداتِ الإمامية. . . .

وجُمْلةُ القول: إنَّ المشهورَ بين عُلماءِ الشِّيعة ومُحقِّقيهم، بل المُتسالَم عليه بينَهُم هو القولُ بعدَمِ التَّحريف. نعم ذهبَ جماعةٌ من المُحدثِّين الشِّيعة، وجمْعٌ من عُلماءِ أهل السُّنَة إلى وقوعِ التحريف»[1].

أقول:

- سأتطرَّقُ إلى ما ذهَبَ إليه هؤلاء القلَّة القليلة من الشِّيعةِ والسُّنة في الفصْلِ الأخير من هذا الكتاب.
- هذا المعنى للتَّحريف يمكنُ أنْ يُتصوَّر على نحوين:

الأول: إنْ يكونَ التغيُّر بالنَّقْصِ كبيرًا بحيث يُخِلُّ بالهدفِ الأساس من إنزالِهِ. بمعنى أنَّ النَّقْصَ فيه وصَلَ إلى حدٍّ لم يعُد معه نورًا يهدي البشَر، كما يصِفُ نفسَهُ، ولم يعُد حُجَّةً يمكنُ الاحتجاجُ بها عليهم.

وهذا الكتابُ يتكفَّلُ ببيانِ بطلانِ هذا الاحتمال. ووقوعُ مثل هذا النَّقْص يُزلزلُ نُبوَّة النَّبي محمَّد ﷺ، لأنَّه يُسْقِطُ آيَةَ نُبوَّتِهِ الأساسية، التي يُفترَض ـ طالما أنَّها نُبوَّة خاتمة ـ أنْ تكون خالدة ومحفوظة على مرِّ الأجيال.

الثاني: أنْ يكونَ التغيُّر بالنَّقْصِ محدودًا لا يُخِلُّ بالهدفِ الأساس من إنزالِهِ. بمعنى أنَّ النَّقْصَ الذي وقَعَ فيه لم يصل إلى حدٍّ لم يعُد معه نورًا يهدي البشَر. فما زالَ القرآنُ ـ رغمَ هذا التغيُّر المحدود ـ ينطوي على بيانِ ما يحتاجَهُ البشَر لمعرفةِ الله تعالى ومعرفةِ الطريق الموصل إليه.

وهذا الاحتمال، رغمَ أنَّ هذا الكتاب يتكفَّلُ ببيانِ بُطلانِهِ، إلا أنَّ وقوعَهُ لا يُزلزِل ـ من الناحيةِ المنطقية ـ نُبوَّةَ النَّبي محمَّد ﷺ، ولا يُسْقِط آيَةَ نُبوَّتِهِ

(1) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص197 ـ 201.

الأساسية. فوفقًا لهذا الاحتمال ـ الذي لا أرتضيه ـ فإنَّ القرآنَ محفوظٌ بالقدَرِ الذي يُؤدِّي غرضَهُ في هدايةِ البشَر والاحتجاجِ عليهم.

معنى حفْظ القرآن:

إذن مالَ بعضُ المحدِّثين الإخباريين ـ كما سنرى ـ إلى القولِ بأنَّ النُّسْخةَ الكاملةَ من القرآنِ محفوظةٌ عند إمامِ كلِّ زمان، أما النُّسَخ المتداولة بين أيدي الناس فهي ناقصة. وقد استعرَضَ السيِّد البروجردي[1] إشكالات هؤلاء فقال:

«**منْها**: أنَّ المرادَ بحفْظِهِ في الجُملةِ، لا مُطلقًا بتمامِ أفرادِهِ ونُسَخِهِ، ولذا نجد في التاريخ أنَّ الوليدَ مزَّقَهُ على ما اشتُهِرَ منه، فيكفي حفْظُ نُسخةٍ منه في العالَم، وقريبٌ من هذا ما يُقال: من أنَّ المرادَ حفْظُهُ عند أهلِهِ يعني الأئمة عليهم السلام.

وفيه: أنَّ هذا ليس فيهِ هذا المقدار من الأهميةِ التي تظهَرُ من الآية، بل **المرادُ حفْظُهُ بين الناسِ ليستضيئوا من أنوارِهِ ويهتدوا بهُداه، وهذا هو الذي يُناسِبُ تلك التأكيدات** (تكرُّر الضَّمير خمس مرَّات: إنَّا، نحنُ، نا، إنَّا، لـ. مضافًا للإتيانِ بضميرِ الجمْع مع وَحدَةِ المُتكلِّم)، **ولهذا عبَّرَ عنه بـ «الذِّكْر»، لأنَّه مُذكِّرٌ للناسِ وهاديهِم.**

هذا مع أنَّه أحدُ الثِّقلينِ اللَّذين تركَهُما النبيُّ صلى الله عليه وآله للناسِ، وخلَّفَهُما فيهما، فقالَ قُبيلَ موتِهِ: «كأنِّي قد نُعيَت إليَّ نفْسي، وإنِّي تاركٌ فيكُم الثَّقلين كتابَ الله وعِتْرتي، وقد أخبرَني جبرائيل أنَّهما لا يفترقانِ حتى يردا عليَّ الحوض» فيجبُ بقاؤُهُما بين الناسِ إلى يومِ القيامة حتى يردا عليهِ عليه السلام الحوض»[2].

وكتَبَ الشَّيخ مصْباح يزْدي: «صيانةُ القرآن الشَّريف عن التحريفِ لا تعني اعتبارَ كلّ كتاب ونُسْخة من القرآنِ الكريم قرآنًا كاملًا مصونًا من كلِّ خطأٍ في الكتابةِ والقراءة، أو أنَّه لا يمكن أنْ يتعرَّضَ لأيِّ تفسيرٍ خاطئٍ أو تحريفِ

(1) (ت 1380 هـ/ 1960م)

(2) البروجردي، **تقريرات بحث الأصول**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص168 ـ 169.

معنوي، أو أنَّ الآياتَ والسُّور قد رُتِّبت بنفْسِ ترتيب نُزُولِها، بل إنَّما نعني من ذلكَ أنَّ: **القرآنَ الكريم يبقى بينَ البشَرِ بصُورةٍ يمكنُ فيها لكُلِّ باحثٍ عن الحقيقةِ من الوصولِ لآياتِهِ كلِّها كما نزَلَت، دونَ زيادة أو نقيصة**. ومن هنا، فإنَّ نقيصةَ بعض النُّسَخ القرآنية، أو عروض الخطأ عليها، أو الاختلاف في القراءات، أو ترتيب الآيات والسُّور بصُورةٍ مخالفةٍ لترتيبِ النُّزُول، أو وجود التحريفات المعنوية، ومختلف أنواع التفسير بالرَّأي. . . . هذا كلُّه لا ينافي صيانة القرآن الكريم عن التحريفاتِ الذي نبحَثُ فيه[1].

وكتَبَ الشَّيخُ مكارم الشيرازي: «إنْ قُلتَ: إنْ كانَ المرادُ من «الحفْظِ» (في الآية ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾) الحفْظَ العام، ومن جميعِ الجهات، فهو متيقَّنُ العدَم، لما وقَعَ في التاريخِ بالنِّسبةِ إلى مصاحِفِهِ من الاندراس والإلقاء في البحر وإحراقِها من جانبِ عثمان وغيرِهِ أحيانًا، بأيِّ غرضٍ كان. وإنْ كان المرادُ منه «حفْظٌ ما»، فهو حاصلٌ ولو بالقرآنِ المحفوظ عند الحُجَّةِ عليه السلام، وحينئذٍ لا تدُلُّ الآيةُ على المُدَّعى.

قُلنا: إنَّ لـ «الحفْظِ» معنًى عُرْفيًّا لا يصْدُقُ على شيءٍ من المعنيين (الحفْظ الكُلِّي والحفْظ الجزئي)، وهو كون الكتاب في أيدي الناس ووجوده بينهم. فالمرادُ من قولهِ تعالى: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ لحافظونَهُ عند الناسِ وبينهم، لا بمعنى حفْظ جميع المصاديق، أو مصداقٌ من مصاديقهِ. كما أنَّه إذا قيلَ «إنَّ ديوانَ الشَّاعر الفلاني موجودٌ ومحفوظٌ إلى اليوم»، لا يكونُ المقصودُ منه أنَّ جميعَ مصاديقهِ بقيَت محفوظة، أو مصداقٌ من مصاديقهِ محفوظٌ في متحفٍ من المتاحف، بل **المرادُ منه بقاؤهُ بين الناسِ وبين أيديهم**، كما لا يخفى»[2].

أقول: اتَّضحَ ممَّا مرَّ، أنَّ حفْظَ القرآن لا يعني بقاءَهُ عندَ الإمام عليه السلام

---

(1) مصباح يزدي، **دروس في العقيدة**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص 520.

(2) مكارم الشِّيرازي، **أنوارُ الأصول**، نقلًا عن الدَّارابي: **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص 401. مع تصرف طفيف جدًا.

فقط، لأنَّ بقاءَهُ عند الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فقط نظيرُ بقائِهِ في اللَّوح المحفوظ، لا يستفيدُ منه الناس. كما أنَّ حفْظَ القرآن لا يعني أنَّ لنُسَخِ القرآن حصانة تكوينية، بل يعني أنَّ لوجودِ القرآن بين الناس، وتداوُلَهُ جيلًا بعد جيل، دون تحريف، حصانة تتكفَّلُ السُّنن التكوينية بتوفيرِ أسبابِها. وهذا نحوٌ من أنحاءِ الحصانة التَّكوينية، للقُرآنِ نفْسِهِ، لا لنُسَخِهِ.

وسنرى أنَّ حفْظَ القرآن ـ بالمعنى المذكور ـ يتطلَّبُ حفْظَهُ في عدَّةِ محطَّات:

1. حفْظَهُ في قلْبِ النبيِّ محمَّد ﷺ بحيث لا ينْساهُ ولا يُخطئُ في تبْليغِهِ.
2. حفْظَهُ في الصُّدُور، بمعنى بقاءَهُ الإجمالي بين حُفَّاظِهِ، بحيث لو أخطأَ أحدُهُم في موردٍ صحَّحَ له الآخرون.
3. حفْظَهُ في كتابتِهِ، بمعنى بقاءَهُ الإجمالي بين النُّسَخِ المكتوبةِ أو المطبوعة، بحيث لو حصَلَ اشتباهٌ في بعضِها، بإسقاطِ حرْفٍ أو كلمةٍ أو إضافتِها، تمَّ تصحيحُها على ضوءِ ما هو محفوظٌ في الصُّدُور، أو بقيَّة النُّسَخ الصَّحيحة.
4. حفْظَهُ بتسجيلِ قراءات القُرَّاء في اسطواناتٍ أو أشرطةِ كاسيت أو أقراصٍ مُمَغْنطة أو في الشَّبْكة العنكبوتية. . .إلخ، وهذا ما استُحدِثَ مؤخَّرًا وأعطى ضمانة إضافية لبقاءِ القرآن.

وستجدُ في هذا الكتاب، خصوصًا في الباب الثاني منه، تفاصيل مهمَّة تتعلَّقُ بهذه المحطَّات التي مرَّ بها القرآنُ في تاريخِهِ[1].

---

(1) ثمةَّ نقطة إضافية، تتعلَّق بالسُّؤال: هل أوحى اللهُ إلى النبيِّ محمَّد ﷺ وحيًا آخر غير القرآن الموجود بين أيدينا؟
حول هذا السُّؤال، كتَبَ الشَّيخُ آغا بُزُرْك الطَّهراني (ت 1389 هـ/ 1969م) بعدما نفى أيَّ تحريفٍ عن القرآنِ: «نعم، بينهم خلافٌ مشهورٌ في موضوعٍ آخر غير هذا الكتاب الكريم، وهو أنَّه هل أُوحيَ إلى نبيِّنا وحيٌ قرآنيٌّ آخرَ غير هذا الموجود بين الدفَّتين أم لا؟
فمنْهُم من يدَّعي القطْعَ واليقين بأنَّ جميعَ ما أُنزِلَ قرآنًا من لدُن البعثة إلى الرِّحلةِ هو في هذا الموجود بين الدَّفتين. =

محاولات بائسة:

على ضوء ما سبق، عرفنا أنَّ حصانة القرآن الذَّاتية تعني أنَّ أيَّ تحريفٍ أو تزوير، بإضافةٍ أو حذْفٍ، سيكونُ مفْضُوحًا، لذا لن يُكتَب له النَّجاح، لأنَّ ردَّة الفعل الطَّبيعية تجاهَهُ ستكون: النَّبْذَ والرَّفْض، تمامًا كما ينبُذُ الذَّهبُ المُصفَّى الشَّوائبَ، وكما ينبُذُ الماءُ النقيُّ الزَّبَد.

من محاولات التَّحريف الفاشلة ما ذكرَتْهُ جريدةُ الأهرام عام 1960م أنَّ إسرائيلَ قد قامت بطبْعِ مئة ألف نُسْخة من القرآنِ، وقد أدْخلَت عليها التحريف، وذلك بإحداثِ أكثر من ألفِ خطأٍ مطْبعي ولفْظي مُتعمَّد، وقد تمَّ توزيع هذه النُّسَخ المُحرَّفة في جُملةٍ من البلدان الآسيوية والأفريقية؛ كالمغرب، وغانا، وغينيا، ومالي، ودول أخرى. وقد اكتشفت سفارةُ الجمهورية العربية المتَّحدة (مصْر وسوريا) في المغرب هذه المحاولة الأثيمة، فأشعرَت بذلك السُّلطات في القاهرة، وبعثَت إليها ببعض النُّسَخ المُحرَّفة. وقد تصدَّى شيخُ الأزهر آنذاك محمود شلْتوت لهذه المحاولة[1].

وكتَبَ الشَّيخ محمد جواد مغْنيَّة[2]: «بالأمسِ القريب، طبعَت إسرائيلُ

= ومنْهُم من يدَّعي نُزُولَ وحيٍ آخر، من غيرِ نسْخ الأحكام على نحوِ الإجمال. بمعنى أنَّه ليسَ ذلكَ الوحيُ معلومًا عندَهُم بعينِهِ وشخصِهِ، بل دلَّهُم على نُزُولِهِ القرائنُ القطعية. وهؤلاء يعتذرونَ عن المُدَّعينَ للقطْع بعدَم حصول القطْع لهُم لمكانِ الاحتمالات التي لا يسُدُّ بابُها شيءٌ ممَّا يُذْكَر، ومع تلكَ الاحتمالات لا يبقى مجالٌ للقطْع بعدَم نُزُولِ وحيٍّ آخر. وهذا هو تحريرُ محلِّ البحث في المسألةِ المعروفة بـ «التَّحريف»! فنُحيلُ المحاكمة بين الطَّرفينِ إلى نظَرِ الباحثِ في تواريخ صدْر الإسلام من جميعِ الجهات». انظر: الطَّهراني، **الذَّريعة**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص177.

أقول: أشرْتُ فيما مضى، إلى أنَّ الإيمانَ بحفْظِ القرآن بالقدرِ الذي يظلُّ نورًا يهدي البشَر وحُجَّةً عليهم، يكفي منطقيًا كأساسٍ للإيمانِ بكونِهِ آيةً بيِّنة على نُبوَّةِ النَّبي محمَّد ﷺ، حتى لو افترضْنا جدلًا أنَّه لم يحتوِ على كلِّ ما أُوحيَ إلى النبيِّ محمَّد ﷺ طالما احتفَظَ بصفاتِهِ وخصائصِهِ. لكن ما أدَّعيهِ في هذا الكتاب هو ما تسالَمَ عليه المسلمون من الإيمانِ بأنَّ القرآنَ محفوظٌ بكلِّ سُورِهِ وآياتِهِ وجُمَلِهِ وكلماتِهِ، وهذا ما تؤكده مخطوطات القرن الأول الهجري.

(1) **الأهرام المصرية**، عدد 28 ديسمبر/كانون الأول 1960، أيضًا **مجلة آخر ساعة**، عدد 11 يناير/كانون الثاني 1961، نقلًا عن الدَّارابي: **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص541.

(2) (ت 1400 هـ/ 1979م)

ألوف النُّسَخ من القرآن، وحرَّفَت ما اشْتَهَت من الآيات، منْها الآية 85 من سورة آل عمران، التي صارَت في قرآنِ إسرائيل: «ومن يبْتَغِ غيرَ الإسلام دينًا يُقْبَل منه»!..وقد حدَثَ هذا سنة 1968، فجمَعَ الأزهرُ هذه النُّسَخ ومنَعَها من الانتشار، ولكن إسرائيلُ عادَت ثانيةً وزوَّرت سنة 1969 آيات أخرى، منها ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾[1]، فغيَّرت إسرائيلُ كلمة «لُعنوا» إلى كلمةِ «آمنوا»، وغمَرَت بهذه النُّسَخ أسواقَ لبنان ومعظم البلاد العربية وماليزيا وباكستان واندونيسيا وغينيا وساحل العاج وإيران.... ولم تقِف إسرائيلُ في حرْبِها للإسلامِ والمسلمين عندَ هذا الحدِّ، فأذاعَت القرآنَ من إذاعتِها مُحرَّفًا... وطريفٌ قولُ بعض الشُّيوخِ المزيَّفين: «إنَّ إسرائيلَ أحسَنُ من غيرِها، لأنَّها تُذيعُ القرآنَ من إذاعَتِها»... أجَل يا شيخ، إنَّها تُذيعُهُ، بل وتطْبَعُهُ وتنْشُرُهُ أيضًا، ولكن مُزيَّفًا ومُحرَّفًا، لتقضي على الإسلامِ تمامًا كبعضِ المُعمَّمين المُزيَّفين»[2].

وقد تفتَّقَ ذهنُ الأستاذ لبيب السَّعيد عن محاولةٍ لتسجيل المصْحف المُرتَّل. وبعد محاولاتٍ وعقبات، تمَّ تسجيلُ القرآنَ كاملًا في اسطوانات، وحُفِظَ صوتًا مسْموعًا مُرتَّلًا بروايةِ حفْص لقراءةِ عاصِم الكوفي، بصوتِ المرحوم الشَّيخ محمود خليل الحُصَري، عدا تسجيلات سواهُ من القُرَّاء، وخصَّصَت مصْر وإلى اليوم إذاعةً خاصةً يُتلى بها القرآن ليلَ نهار أسْمَتْها: «إذاعة القرآن الكريم»، لقد تمَّ هذا الحديث في صورتِهِ النهائية التنفيذية في 23 يوليو/تموز 1961. وتقرَّرَ توزيع اسطوانات المصْحف المُرتَّل في الدُّولِ التي وزَّعَت فيها إسرائيل المصاحف المُحرَّفة، وكأنَّما جاءَ هذا الحدَثُ ردًّا حاسمًا لدرْءِ محاولة التحريف. وبذلك تحقَّقَ لسلامةِ القرآن عاملان: الكتابة في المصْحفِ كما نزَل، والتلاوة على الأسْماع من خلالِ المصْحف المُرتَّل تسجيلًا كاملًا، مُحافظًا على أُصولِ القراءة[3].

---

(1) سورة المائدة، الآية: 64.

(2) محمد جواد مغْنيَّة، تفسير الكاشف، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص198 ـ 200.

(3) الدَّارابي: **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص542.

هذه هي انطلاقة حفْظ القرآن بنحوٍ مُسجَّل. ومع تطوُّر طُرُق وأدوات التَّسجيل، من أسطواناتٍ مرورًا بأشرطةِ كاسيت إلى أقراص ممغنطة كمبيوترية، ومن إذاعات قرآن كريم مرورًا بفضائيات مُتخصِّصة في إذاعةِ القرآن إلى مواقع على الانترنت تبُثُّ القرآنَ مُرتَّلًا مسموعًا على مدارِ السَّاعة. . . . إلى أنْ انتهى الأمر بهواتف ذكية محمولة مع كلِّ إنسان، يمكن تحميلها بنُسْخةٍ مكتوبة من القرآن، وختْمةٍ مرتَّلةٍ تختارُ فيها القارئ الذي يروقُ لك. . .هذا كلُّه يصبُّ في رصيدِ حفْظ القرآن متداولًا بين الناس إلى قيامِ السَّاعة، وصدَقَ اللهُ تعالى ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.

لكن في زمنِ النَّبي ﷺ، ما هو الأساس الذي اعتمَدَ عليه المسلمون في تداول النَّص القرآني؟ هل اعتمدوا على التلقِّي بالمشافهةِ والحفظ؟ أم على النَّص المُدوَّن؟ هذا ما أدْرُسُهُ في الفصْلِ القادم.

الفصل الرابع:

العُمْدةُ هو التلقِّي بالمُشافهة

أساسُ الكلام الإنساني هو الوجود اللَّفْظي لا الكتْبي. أي الأصوات المتداولة لا الخطوط المنقوشة. فاللُّغةُ كانت لسانًا وأذنًا، كلامًا وسمْعًا، لأنَّ أيَّ قوم إذا غيَّرُوا أبجديَّتَهُم (كما فعَلَ أتاتورك عندما استبدَلَ الأبجديَّة التُركية العربيةَ الحرْف باللاتينية سنة 1928م)، لا يتأثَّرُونَ في كلامِهِم فيما بينَهُم وفهمِهِم للُغَتِهِم، بل يتأثَّرونَ بقراءةِ المخطوط، علْمًا بأنَّ القرآنَ إنَّما جاءَ إلى النبيِّ ﷺ وحيًا، أي جاءَهُ مُنجَّمًا بصيغةٍ صوتيةٍ غير مخطوطة، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1]. بخلافِ ما نزَلَ على موسى عليه السلام مثلًا، حيثُ نزَلَ على ما يبدو دفعةً واحدةً مكتوبًا، كما يوحي قولُهُ تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[2].

وثمَّة نقطة مركزية بالغة الأهمية، غفلَ عنها عددٌ من المُسْتشرقين، وهي **أنَّ العُمدةَ في تواتُرِ القرآن بين الناس إنَّما هو التَّواتُر اللَّفظي؛ فالاعتمادُ أساسًا في نقْلِ القرآن كان على ما حُفِظَ ـ على نطاقٍ واسعٍ ـ في القلوبِ والصُّدور، لا على ما حُفِظَ في المصاحفِ والسُّطور** .كتَبَ ابن الجزَري[3]: «كانَ الاعتمادُ على الحفْظِ، لا على مجرَّدِ الخط»[4].

هذه نقطةٌ بالغة الأهمية، لأنَّ المُسْتشرقين توهَّموا أنَّ حفْظَ القرآن لم يبلُغ حدَّ التواتُر، وركَّزُوا انتباهَهُم على نُسَخ القرآن المخطوطة من ناحية، وضلَّلَتْهُم

(1) سورة الشُّعراء، الآية: 195.
(2) سورة الأعراف، الآية: 145.
(3) (ت 833 هـ/ 1429م)
(4) ابن الجزَري، **النَّشر في القراءاتِ العشر**، ص10.

الرُّوايات الكثيرة التي تتحدَّث عن آليةِ جمْع القرآن والفُرُوق بين المصاحف ودعاوى وقوع نقْص في القرآن من ناحيةٍ ثانية، مضافًا لما وجدوهُ من فُروقٍ بين القراءاتِ من ناحيةٍ ثالثة، والتفاوت في طريقة كتابةِ بعض الكلمات من ناحيةٍ رابعة، فانتهى كثيرٌ منْهم إلى الاعتقاد بأنَّ القرآنَ لم يُحافظ على كينونَتِهِ التي أُنزِل بها[1]. وغفلوا عن النُّقطةِ الأهم، وهي: القراءةُ المتواترةُ المحفوظةُ في صُدُورِ حُفَّاظ القرآن، والمتوارثةُ من خلال التلقِّي بالمشافهةِ والحفْظ من جيلٍ إلى جيل، بين أعدادٍ كبيرةٍ جدًّا من المسلمين، ابتداءً من الجيلِ المعاصر للنبيِّ محمَّد ﷺ، مرورًا بجيلِ التابعين، ثمَّ تابعي التابعين..وهكذا. وتزامَنَ ذلك كلّه مع توثيقِ القرآن كتابةً، ثمَّ المراجعات المستمرَّة للنُّسَخِ المتداولة بين الأيدي على ضوءِ القراءة المتواترة[2].

لتقريبِ فكرة تواتُر القرآن والتَّشغيب بشأنِها، لتعرف مبرِّر عدم اكتراث المسلمين بعددٍ غير قليل من الرِّوايات، لكونِها مخالفة لطبيعةِ الأشياء، خُذْ المثال التالي:

إذا تصوَّرنا من ناحيةٍ حالَ سورة الحمْد، التي سمِعَها المسلمونَ من النبيِّ محمَّد ﷺ، وهو يقرَؤُها في صلواتِهِ اليومية، بنحوٍ مُكرَّر على مدى سنوات، وتصوَّرنا من ناحيةٍ أخرى بعضَ الرِّوايات التي تتحدَّث عن عدَمِ إتقان عمر بن الخطاب قراءة سورة الحمْد، وأنَّه كان يقرؤُها هكذا «صراطَ منَ أنعمْتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم وغير الضَّالين»! وعن الأسْود وعلْقمة أنَّهما صلَّيا خلْفَ عمر فقرأَ بهذا[3]، يحِقُّ لنا أنْ نضَعَ علامة استفهام كبيرة حول روايات من هذا القبيل، لأنَّها مخالفة لطبيعةِ الأشياء وغير معقولة بحسابِ الاحتمالات.

(1) انظر على سبيل المثال: إيجانس جولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، 2013، ص6.

(2) بحيث إنَّ القراءةَ المتواترة ـ كما سنرى في فصول الباب الثاني ـ فرضت بالتدريجِ كتابةً محدَّدةً متواترةً أيضًا، وحكَمَت ووجَّهت فيما بعد عملية التَّنقيط على مستوى الإعجام والشَّكل، كما أنَّها فرَضَت انحسارًا تدريجيًّا لبقيةِ القراءات المتداولة، لصالِحها، وهي ذاتها القراءة التي سارَ عليها حفْص في روايتِهِ عن عاصم، لذا قُدِّر لهذه القراءة البقاء مُتداوَلةً بين الناس دونَ غيرِها.

(3) ابن أبي داود، المصاحف، ص290 ـ 291. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط من القرآن، ح1، ص162.

فأينَ عمر من النبيِّ محمَّد ﷺ وهو يقرأ سورة الحمْد في الصَّلواتِ اليومية؟ وأينَ المُسْلمونَ من عمر؟ كيف لا يُصحِّحُونَ له قراءتَهُ بمجرَّد سَماعِهِم له وهو يقرؤُها بنحوٍ غير صحيح؟ وكيف لم يُثْبِّتها عمر في المصْحفِ إنْ كان مُتيقِّنًا كونها كذلك؟ وقِسْ على ذلكَ بقيَّة الرِّوايات التي تُشيرُ إلى شيءٍ من هذا القبيل.

المؤسف أنْ يتسرَّبَ ذلك إلى كُتُبِ الشِّيعة أيضًا، فيُروى ذلك عن الإمامِ جعفر الصَّادق عليه السلام. فقد رُويَ في التفسيرِ المنْسوب لعليِّ بن إبراهيم القُمِّي عن حُريز عن الصَّادق عليه السلام في سورةِ الفاتحة: «صراطَ من أنعمْتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم وغير الضَّالين»(1)!!

والحقُّ أنَّ حال سورة الحمْد هو حال بقيَّة سُوَر القرآن، التي كانت متداولة جدًّا بين قِطاعٍ كبيرٍ من معاصري النبيِّ محمَّد ﷺ، يسْمعوها منه بنحوٍ مُكرَّر، ويُردِّدُونَها بمحضَرِهِ بنحوٍ مُكرَّر، ويُردِّدُونهَا في حياتِهِ فيما بينَهُم بنحوٍ مُكرَّر، في السَّفَر والحضَر، في الصلاةِ وخارجِها، في شهرِ رمضان وغيرِهِ من الشُّهور. . .لذا من الطَّبيعي أنْ يُصحِّحَ بعضُهُم لبعضٍ، بمجرَّد أنْ ينْسى أحدُهُم كلمةً أو يُخطئَ في آيةٍ.

ولا يمكنُ تصديق الرِّوايات التي تتحدَّث عن أخطاءٍ فاحشة من هذا القبيل، خصوصًا تلك التي تتحدَّث عن إصرارِ صحابيٍّ دونَ غيرِهِ على قراءةٍ شاذَّة، دونَ أنْ يُصحِّح له الآخرون أو يُنكرونَ عليه، وبنحوٍ أخص في مثلِ سورة الحمد التي لا يفتأ المسلمونَ يُردِّدُونَها صباحًا ومساءً.

تواتر القرآن لا يعني تواتر القراءات:

إذن ارتكازُ القرآن في صدر الإسلام على التلقِّي بالمشافهة والحفْظ على نحوِ التواتُر، هو من أهمِّ النِّقاط التي غفَلَ عنها المستشرقون، حيثُ صعُبَ عليهم تصوُّر تواتُر القرآن، لذا صعُبَ عليهم التصديق بعدَم تحريفِهِ. فكثيرٌ منهم تصوَّرَ أنَّ القرآنَ ارتكزَ على حفْظِ عددٍ محدودٍ من أصحابِ

---

(1) **تفسير القمي**، ج1، ص29.

النَّبي ﷺ، مع عدمِ الاهتمام بكتابتِهِ في زمنِ النَّبي ﷺ، والذَّاكرة من ناحية لها عيوبُها، والكتابة من ناحيةٍ أخرى كانت بنحوٍ متفرّق على العُسُبِ واللِّخاف، إذن لا يمكن الإيمان بأنَّ النصَّ الذي بين أيدينا هو كلُّ ما ادَّعى محمَّد ﷺ أنَّه أُنزِلَ عليه، بكُلِّ ألفاظِهِ وآياتِهِ، والشَّاهدُ على ذلك تعدُّد القراءات. . . هكذا يُفكِّرُ أغلَبُ المستشرقين.

لكن سترى أنَّ الإيمانَ بتواتُرِ القرآن بموادِّ ألفاظِهِ وآياتِهِ، هو أمرٌ يفرِضُهُ البحثُ الدَّقيق في تاريخِ القرآن. فضلًا عن كونِ ذلك من ضروريات المسْلمين، ولا يوجدُ فيه لفْظٌ يدَّعي أحدٌ من المسْلمين أنَّه من غيرِ القرآن.

وهذا الأمرُ يختلفُ عن القراءات، لأنَّها هي كيفيات التلفُّظ وقراءة موادّ ألفاظ القرآن، وما يعرضُ عليها من الاختلافِ بحسَبِ وجوه الإعراب. على هذا الأساس، **فإنَّ القرآنَ والقراءات حقيقيتانِ متغايرتان، الأوَّلُ لا شكَّ في تواتُرِهِ، والثاني ادُّعيَ تواتُرُهُ لكن دون إثبات ذلك خرْطُ القتاد** (باستثناء قراءة حفص عن عاصم كما سيتَّضح).

كتَبَ الزَّرْكشي[1]: «القرآنُ والقراءات حقيقتانِ مُتغايرتان؛ فالقرآنُ هو الوحيُ المُنْزَلُ على محمَّدٍ ﷺ للبيانِ والإعجاز، والقراءات اختلافُ ألفاظ الوحي المذْكور في الحُرُوفِ وكيفيتِها من تخفيفٍ وتشديدٍ وغيرهِما. والقراءاتُ السَّبْعُ متواترةٌ عندَ الجمهور، وقيل بل هي مشْهورةٌ .**والتَّحقيقُ أنَّها متواترةٌ عن الأئمةِ السَّبْعة، أما تواتُرُها عن النبيِّ ﷺ ففيهِ نَظَر**»[2].

كتَبَ السيِّد الخوئي[3]: «إنَّ تواتُرَ القرآن لا يستلزِمُ تواتُرَ القراءات، لأنَّ الاختلافَ في كيفيةِ الكلمة لا يُنافي الاتِّفاق على أصْلِها . . .إنَّ الواصِلَ إلينا بتوسُّط القرَّاء إنَّما هو خصوصيات قراءاتهم. وأما أصْلُ القرآن، فهو واصِلٌ إلينا بالتواتُرِ بين المسلمين، وبنَقْلِ الخَلَفِ عن السَّلَف، وتحفُّظهم على ذلكَ في صُدُورِهم وفي كتاباتِهِم، ولا دخْلَ للقرَّاء في ذلكَ أصْلًا.

(1) (ت 794 هـ/ 1391م)
(2) السُّيوطي، **الإتقان**، النوع الثاني والعشرون إلى السابع والعشرين، ج1، ص223.
(3) (ت 1412 هـ/ 1992م)

ولذلكَ فإنَّ القرآنَ ثابتٌ بالتَّواتُرِ حتى لو فرضْنا أنَّ هؤلاء القرَّاء السَّبْعة أو العشْرة لم يكونوا موجودين أصْلًا. وعظَمةُ القرآن أرقى من أنْ تتوقَّف على نقْلِ أولئكَ النَّفَر المحصورين»[1].

والقرآنُ كما هو متواتِرٌ بموادِّ ألفاظِهِ وآياتِهِ، هو متواترٌ ـ كما سنرى ـ بقراءةٍ مُحدَّدة، سارَ عليها حفْص عن عاصِم[2]. تواتُر هذه القراءة هو الذي جعلَها تفرِضُ نفْسَها مع مُرورِ الزَّمن على كلِّ القراءات الأخرى، رغمَ كلّ محاولات إسْباغ الشَّرعية على بقيَّةِ القراءات. وسيتَّضِح هذا الأمرُ بالتدريج مع فصولِ الباب الثاني.

لكن إنْ كان هذا هو حالُ القرآن على مستوى التلقِّي بالمشافهة والحفْظ، فما هو حالُهُ على مستوى التَّدوين؟ هل اعتمادُ المسلمين على تلقِّي القرآن بالمشافهةِ دفَعَ النَّبي ﷺ لتأجيلِ تدوينِهِ؟ أم أنَّ النبيَّ ﷺ بموازاةِ إقراء المسلمين القرآن بالمشافهةِ كان يأمُر بتدوينِهِ أولًا بأول؟ هذا ما أدْرُسُه في الفصْلِ التالي.

---

(1) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسيرِ القرآن**، ص158.

(2) هذا هو تقييمي العام لقراءة حفص عن عاصم. لكن سترى أن ثمة موارد طفيفة انفردت به هذه القراءة عن بقية القراء (أغلبها يتعلق بطريقة نطق بعض الحروف على ضوء لهجة معينة من لهجات العرب). في بعض هذه الموراد قد ترجح قراءات أخرى.

الفصل الخامس:

تدوين القرآن

إنْ كان اعتمادُ المسلمين في تداولِ القرآن على التلقّي بالمشافهة والحفْظ، فلماذا اهتمَّ النبيُّ محمَّد ﷺ والخلفاءُ من بعدِهِ بتدوينِهِ؟ هذا الفصْلُ يتكفَّل بتشييدِ بعض الأُسُس للإجابةِ عن هذا السُّؤال، وتفصيلُ الإجابة تجِدُها في فُصُولِ الباب الثاني.

لماذا دُوِّنَ القرآن؟

اعتمد المُسلمونَ ـ على مرِّ الأجيالِ والعصور ـ على ما يأخذونَهُ من بعضِهِم البعض من خلال التلقّي بالمشافهةِ والحفْظ، أكثر من اعتمادِهِم على ما هو مسْطورٌ في المصاحفِ. مع ذلك، كان تدوينُ القرآن أمرًا بالغ الأهمية، لما يلي:

السَّببُ الأول: بيانُ ترتيب الآيات، ووضعُها بجانبِ بعضِها البعض. فترتيبُ الآيات توقيفيٌّ، نزَلَ به جبرائيل عليه السلام. وقيلَ إنَّ ترتيب السُّور توقيفيٌّ كذلك[1].

فالنبيُّ ﷺ أوقَفَ كتبةَ الوحي على ترتيبِ الآيات داخل كلّ سورة. فعن ابنِ عباس قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يأتي عليه الزَّمانُ وهو ينزل عليه السُّور

(1) روى الطبرسي في مجْمعِ البيان عن جابر عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام: إذا قامَ قائمُ آلِ محمَّد ﷺ ضرَبَ فساطيطَ لمن يُعلِّم الناسَ القرآن، على ما أنزَلَ اللهُ جلَّ جلالُهُ، فأصْعَبُ ما يكونُ على من حفِظَهُ اليوم، لأنَّه يخالِفُ التأليفَ. (الطبرسي، **مجمع البيان**، ج2، ص394).
أقول: إذا صحَّت هذه الرِّواية، فهذا يُرجِّح احتمال كون ترتيب السُّور في مصحَفِ الإمام علي عليه السلام يختلفُ عن ترتيبِهِ الحالي. على أي حالٍ، فقد اختلَفَ علماؤُنا في هذه النقطة، فبعضُهُم أكَّدَ على أنَّ ترتيبَ السُّور في مصْحفِ الإمام علي عليه السلام موافقٌ لترتيبِهِ المتداول بيننا اليوم، وذهبَ الأكثر إلى أنَّ ترتيبَ السُّور في مصْحفِهِ مختلفٌ عمَّا هو متداولٌ بيننا. والأمرُ سهْلٌ، لأنَّ المهم هو سلامة ترتيب الآيات داخل كلّ سورة.

ذوات العدد، فكانَ إذا نزَلَ عليه الشَّيءُ، دعا من كان يكتُب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السُّورةِ التي يُذْكَر فيها كذا وكذا[1].

وروى أحمد في مسندِهِ عن عثمان بن أبي العاص قال: كُنْتُ جالِسًا عندَ رسولِ الله ﷺ إذ شخَصَ ببصَرِهِ ثمَّ صوَّبَهُ ثمَّ قال: «أتاني جبريل فأمَرَني أنْ أضَع هذه الآية هذا الموضِع من هذه السُّورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾» إلى آخرها[2].

وعن سعيد بن المسيِّب أنَّ النبيَّ ﷺ قال لبلال: «مرَرْتُ بكَ وأنتَ تقرأُ من هذه السُّورةِ ومن هذه السُّورة!» فقال: أخلُطُ الطِّيبَ بالطِّيبِ. فقال ﷺ: «اقرأ السُّورة على وجهِها»، أو قال: «على نحوِها»[3].

وعن ابنِ عباس: كان النبيُّ ﷺ يعرِفُ فصْلَ سُورةٍ بنُزُولِ «بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم»، فيعرِفُ أنَّ السُّورةَ قد خُتِمَت وابتدأَت سُورةٌ أخرى[4].

وعن أبي عبد الله الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: «كان يُعرَفُ انقضاء سورة بنُزُولِ «بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم» ابتداءً لأُخرى»[5].

كتَبَ السُّيوطي[6]: «الإجماع والنُّصوص المترادفة على أنَّ ترتيبَ الآيات توقيفيٌّ، لا شُبْهَةَ في ذلك. أما الإجماع، فنقَلَهُ غيرُ واحد، منهم الزَّركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزُّبير في مناسباتِهِ، وعبارتُهُ: ترتيبُ الآيات في سُورِها واقعٌ بتوقيفِهِ ﷺ وأمرِهِ، من غيرِ خلافٍ في هذا بينَ المسلمين»[7].

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح16، ص158. أيضًا ح1، ص152. السُنَن للتِّرمذي، **والمستدرك** للحاكم، **وتاريخ اليعقوبي**، ج2، ص36.

(2) السيوطي، **الإتقان**، ج1، ص172.

(3) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب القارئ يقرأ آي القرآن من مواضع مختلفة أو يفصل القراءة بالكلام، ح1، ص95.

(4) **المستدرك** للحاكم، ج1، ص231 .**تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص27.

(5) **تفسير العياشي**، ج1، ص19، ح5.

(6) (ت 911 هـ/ 1505م)

(7) السيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع الثامن عشر: في جمعه وترتيبه، ص171.

كتَبَ الشَّيخ حسن زادة الآملي: «ترتيبُ الآياتِ في السُّورِ توقيفيٌّ، إنَّما كانَ بأمرِ النبيِّ ﷺ كما أخبَرَ بهِ الأمينُ جبرائيل عن أمرِ ربِّهِ»[1].

وهناكَ الكثير من الأحاديث التي تُصوِّر النبيَّ ﷺ وهو يُمْلي القرآنَ على كُتَّاب الوحي، ويوقِفهم على ترتيبِ الآيات. ومن المؤكَّد أنَّه ﷺ قرأَ سُورًا عديدة بترتيبِ آياتِها في الصَّلاة. وهذا دليلٌ على أنَّ ترتيبَ آياتِها توقيفيٌّ، وما كان أصحابُهُ ليُرتِّبوا ترتيبًا سمِعُوا النبيَّ ﷺ يقرأُ على خلافهِ، فبلَغَ ذلكَ مبلَغَ التواتُر. وإليكَ نماذج من ذلك:

- روى النَّسائي عن حُذيفة أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ البقرةَ وآلَ عمران والنِّساءَ في رَكعةٍ، لا يمُرُّ بآيةِ رحمة إلا سأل، ولا بآيةِ عذاب إلا استجار[2].
- روى أحمد في مُسْندهِ عن عوف بن مالك الأشْجعي قال: قُمْتُ مع رسولِ الله ﷺ... ثمَّ قام يُصلِّي، وقُمْتُ معه، فبدأَ فاستَفْتَحَ البقرة، لا يمُرُّ بآيةِ رحمة إلا وقَفَ فسأَل، ولا يمُرُّ بآيةِ عذاب إلا وقَفَ يتعوَّذ... إلخ[3].
- روى البخاري في صحيحِهِ عن ابنِ مسْعود قال: قال النبيِّ ﷺ: **«من قرأَ بالآيتينِ من آخرِ سورة البقرة في ليلةٍ كفتاهُ»**[4].
- وفي سنن الترمذي عن ابنِ عباس قال أبو بكر: يا رسولَ الله قد شِبْتَ؟ قال: **«شيَّبَتْني هود والواقعة والمُرْسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشَّمْسُ كُوِّرت»**[5].
- وفي تفسيرِ السُّيوطي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«شيَّبَتْني هود وأخواتُها الواقعة والحاقَّة وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَت»**.
- وفي تفسيرِ السُّيوطي: أخرَجَ عبد الرَّزاق وابن أبي شيبة معًا في المُصنَّف عن عروة قال: كان شِعارُ أصْحاب النَّبي يومَ مُسَيْلَمة «يا أصحابَ سورة البقرة».

---

(1) حسن زادة آملي، **هشْت رسالة عربي، فضْلُ الخطاب في عدَمِ تحريف كتاب ربّ الأرباب**، ص240.

(2) **سنن النسائي**، كتاب الافتتاح، قرأ البقرة وآل عمران، رقم 1009.

(3) **مسند أحمد بن حنبل**، باقي مسند الأنصار، رقم 23460.

(4) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة.

(5) **سنن الترمذي**، كتاب تفسير القرآن، رقم 3297.

■ وروى البخاري عن البَراءِ بنِ عازب قال: تعلَّمْتُ «سبِّحِ اسْمَ ربِّكَ الأعلى» قبْلَ أنْ يقْدَمَ النبيُّ ﷺ[1].

■ عن أبي سعيد الخُدْري في «قُلْ هو اللهُ أحد» أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**والذي نفْسي بيدِهِ إنها لتعدِلُ ثُلُثَ القرآن**»[2].

من خلالِ ما مضى، نعرِفُ أنَّ ترتيبَ الآيات داخل كلّ سورة توقيفيٌّ[3]، وهذا يدُلُّ على أنَّ ترتيبَ الكلمات في الآيةِ الواحدة توقيفيٌّ أيضًا. كما نعرفُ أنَّ الشَّيءَ الوحيد الذي لا يمكنُ الجزْمَ به، هو كون ترتيب السُّور توقيفي. أما وجودُ كيانٍ منفصلٍ لكلِّ سورة، بحيثُ تكون متميِّزة عن غيرها، فهذا أمرٌ لا شكَّ فيه.

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن.

(2) المصدر السابق نفسه، كتاب فضائل القرآن باب فضل «قل هو الله أحد».

(3) لذا لا يمكن الموافقة على ما ذكر السيد الطباطبائي بأنَّ ترتيبَ بعض الآيات لم يخلُ من تدخُّل بعض أصحاب النبي ﷺ، حيث قال: «إنَّ وقوعَ بعض الآيات القرآنية ـ التي نزلت متفرقة ـ موقعها الذي هي فيه الآن، لم يخلُ عن مداخلةِ الصَّحابة بالاجتهاد، كما هو ظاهر روايات الجمع الأول» (الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج12، ص127)، ويقصد بـ «الجمع الأول» الجمع في عهد أبي بكر. وسترى في طيات هذا البحث، أن مثل هذه الروايات لا يمكن الاعتداد بها والتعويل عليها.

والحقيقة أنَّ القول بأنَّ ترتيب بعض الآيات جاء نتيجة تدخل بعض أصحاب النبي ﷺ، يُسقط دلالةَ السِّياق من القرآن، بل يُسقط قسطًا وافرًا من بهاءِ وجلالِ القرآن، ومن ثَمَّ يؤثر لا محالة على بعض جوانب إعجازه. لأنَّ من أبرز مظاهر عظمة القرآن وقدرته على التأثير على وجدان الإنسان الترابط الوثيق بين آياته داخل السورة الواحدة.

بل ثمة محاولات لإثبات الترابط الوثيق بين السُّوَر، وهذا إنْ صحَّ، فهو يصبّ لصالح القول إنَّ ترتيبَ السُّوَر توقيفي أيضًا. انظر: العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ) في كتابه **البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن**، والإمام برهان الدين البقاعي (ت 885 هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، في 22 جزءًا. أيضًا: د. مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن**، جامعة الشارقة، في 10 مجلدات.

وقد تحدث السيوطي عن هذه النقطة في كتابه **الإتقان**، في النوع الثاني والستين: في مناسبة الآيات السور (ج2، ص299 ـ 317). فكان مما كتب ما يلي: «قال بعضهم: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم:

أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم.

الثاني: الموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.

الثالث: للتوازن في اللفظ، كآخر تبت وأول الإخلاص.

الرابع: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى، كالضحى وألم نشرح». **الإتقان**، في النوع الثاني والستين: في مناسبة الآيات السور، ج2، ص310.

الخلاصة: السَّببُ الأول لتدوينِ القرآن، هو حفْظُ التَّرتيب السَّليم لآياتِ كلّ سورة من سُوَر القرآن. والسَّببُ الثاني أنَّه توثيقٌ إضافيٌّ ضروري؛ فالكتابةُ طريقٌ بالِغُ الأهمية من طُرُق الإثْبات، وهي وإنْ كانت ـ من بعضِ النواحي ـ أضعَفَ من السَّماع[1]، فضْلًا عن التَّواتُرِ اللَّفْظي، إلا أنَّها إذا انضَمَّت إلى ما هو أقوى منها في الإثباتِ زادَت قوةً على قوةٍ، فاحتيجَ إلى زيادةِ التوثيق في القرآن.

هذا الاهتمامُ يعودُ لكونِ القرآن ـ بالنِّسبةِ للمسلمين ـ كلامُ الله، وأعظَمُ معجزةٍ للنَّبي ﷺ، ولكونِهِ أساسَ الشَّريعةِ الإسلامية، وإليه ترجعُ سائرُ الأدلَّةِ الشَّرعيةِ في ثُبُوتِ اعتبارها في نظَرِ الشَّارع، وثبتَت به أُسُس العقائد الدِّينية، وأُمَّهات الأحكام الفرْعية. ولكونِ الله تعالى قد تعبَّدَ المسلمينَ بتلاوةِ لفْظِهِ في الصَّلاةِ وغيرِها، لم يُجزْ لهم أنْ يُبدِّلوا حرْفًا منه بحرْفٍ آخر. فلهذه الأمور وغيرها اهتمَّ الشَّارعُ بإثباتِهِ للناسِ إلى يومِ الدِّين بجميعِ الطُّرُق الممكنة التي يتأتّى بها الإثبات، قويِّها وضعيفِها، للمحافَظةِ على لفْظِهِ ونظْمِهِ.

متى دُوِّنَ القرآن؟

هل تمَّ تدوينُ القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ أم بعدَهُ؟ هذا السُّؤالُ بالغُ الأهمية؛ لأنَّ التَّدوينَ لو كان قد تمَّ في زمنِهِ ﷺ فلا مجالَ للتَّشكيكِ في سلامةِ النصِّ القرآني. أما لو قُلنا إنَّ تدوينَ القرآن قد تمَّ بعدَهُ ﷺ، فهذا القولُ يفتحُ المجالَ للشكِّ في سلامةِ النصِّ القرآني[2].

(1) فالكتابةُ قبلَ شكْلِ الحُرُوف ونقْطِها كانت أضعَف من التلقي بالمشافهة والسَّماع بكلِّ تأكيد. لكن الأمرَ لم يعُد كذلكَ بعد مرورِ مئات السِّنين. فالكتابَة بعدَ شكْلِ الحروف ونقْطِها صارَت أساسًا مهمًّا لتقويم القراءة والسَّماع، خصوصًا بعد انتشارِ المطابع، وتداول المصاحف المطبوعة المُراجَعَة من هيئاتٍ مُتخصِّصة ومعتمدة.

(2) حاول عدد كبير من المستشرقين التأكيد على أن القرآن لم يُدوَّن بنحوٍ كامل إلا بعد وفاة النبي ﷺ. منهم المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير Blache، في كتابه **مقدمة في القرآن**، حيث صور أن المسلمين لم يدركوا ضرورة تدوين القرآن، لأنهم لم يعرفوا من قبل فكرة نص مكتوب، ويستغرب كونه حتى بعد ما اهتدوا إلى الكتابة على أيدي المسيحيين واليهود في المدينة، لم يبدأوا بالتدوين. وادعى أن محمدًا لم يعط أهمية لكتابة النص القرآني في حياته. وقد ذهب إلى ذلك أيضًا المستشرق الألماني بيتر هاينه في كتابه الإسلام، والمستشرق =

لقد وردَت ـ مع الأسفِ ـ رواياتٌ كثيرة في كُتُبِ الفريقين المعتبرة، كالبخاري ومسْلِم عند أهل السُّنة، والكافي عند الشِّيعة، تتحدَّث عن حدوثِ تحريفٍ في القرآن. هذه الرِّوايات رغْمَ شُذُوذِها، وعدم تعويل الفريقين عليها، مهَّدَت الأرضية ـ بسببِ كثرَتِها ومضامينِها ـ للمُلْحدين والزَّنادقة قديمًا، وللمُسْتشرقين والمُتعصِّبين من المسيحيِّين في القُرونِ الأخيرة، للطَّعنِ في سلامةِ النصِّ القرآني.

وهناكَ شواهد على أنَّ **الرِّوايات الكثيرة الموجودة في كتُبِ أهل السُّنة الدَّالة على ذلك هي من نسْجِ خيال بعض الكتابيِّين من يهودٍ ونصارى**، ولهم دورٌ أساسيٌّ في نشْرِها وترويجِها في القرْنِ الأوَّل والثاني الهجري. وهناكَ شواهد على أنَّ **الرِّوايات الكثيرة الموجودة في كتُبِ الشِّيعة الدَّالة على ذلك هي من نسْجِ خيال بعض الغُلاة** (كأحمد بن محمَّد السيَّاري)(1)، ولهم دورٌ أساسيٌّ في دسِّها وترويجِها في القرْنِ الثالث والرَّابع الهجري(2).

= الألماني شبرنجر، والمستشرق الألماني نولدكه في كتابه **تاريخ القرآن**، والمستشرق سوردال في كتابه **حضارة الإسلام الكلاسيكية**، والمستشرق الفرنسي هنري ماسيه في كتابه **الإسلام**، والمستشرق الأمريكي إرفنج في كتابه حياة محمد وخلفائه، الذي كتب: «لم يقم المسلمون في حياة الرسول بتدوين القرآن تدوينًا شاملًا منظمًا، وظل القرآن حتى وفاته في ذاكرة المسلمين». وذاكرة الإنسان تبقى دائمًا عرضة للنقصان والخطأ. بل بعضهم ـ مثل المستشرق هنري لامنس - Lammens يشكك بوجود عدد كبير حافظ للقرآن. والنتيجة هي عدم وجود أساس في التاريخ أو الأدلة على أن القرآن قد تم حفظه سليمًا كما هو.

في المقابل، ذهب مستشرقون آخرون إلى أن القرآن كان قد دوِّن في زمن النبي ﷺ، مثل بودلي في مقدمة كتابه: **الرسول حياة محمد**، وآثر جفري في مقدمته على كتاب **المصاحف** لابن أبي داود، والمستشرق الفرنسي جاك بيرك في مقدمته لـ «**ترجمة القرآن**».. وأصرّ على ذلك بكل وضوح وصراحة المستشرق الفرنسي موريس بوكاي في كتابه **القرآن والتوارة والإنجيل والعلم**، فضلًا عن جلكريست في كتابه **جمع القرآن**. (للتفصيل انظر: رباح صعصع الشمري، **جمع القرآن عند المستشرقين**: جون جلكريست نموذجًا، العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2014، ص120 ـ 150).

(1) في الفصل الثاني عشر، سأشير في الهامش لبعض التفاصيل حول هذا الرجل المشبوه.

(2) ومن نصِّ ابن شاذان (ت 260 هـ/ 873م)، في «الإيضاح» يتبيَّن أنَّ رواجَ روايات بعض الغُلاة في كتُبِ التُّراث الشِّيعي حصَلَ بعد هذا العصْر. انظر: الدارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص72 ـ 75.

والتقى هذان الرافدان (الإسلام الكتابي، إسلام الغُلاة) في الجنايةِ على القرآن، وأثَّرا بنحوٍ من الأنحاء في التُّراثِ السُّني والشِّيعي على السَّواء.

وساعَدَ على ترسيخ هذا الأمر، ما ذكرَهُ السيِّد البروجردي[1]، حيثُ قال: **الفريقان أرادوا تنزيهَ أئمَّتهم عن الخطأِ وبيان مناقبهم، ولم يدْرُوا ما صنعوا بكتابِ اللهِ تعالى»**[2].

وهذه نقطةٌ بالغةُ الأهمية، فالصِّراعات السِّياسية والمذهبية فسَحَت المجال ليضَع أصحاب المصالح من الكذَبة ما يشاؤونَ من أحاديث، ليتم تداوُلُها بين الناس، ثمَّ جاءَ مُدوِّنو كُتُب الحديث، فدوَّنُوها في كُتُبِهم. لذا صحَّ

---

(1) (ت 1380 هـ/ 1960م)

(2) البروجردي، **بحث الأصول**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص166.
لذا تجد السيد محمد سعيد الحكيم يكتب: «أما اتهام الشيعة بأنهم يقولون بتحريف القرآن الشريف، فهو لا يضر بالشيعة وحدهم، بل يضر بالقرآن الكريم الذي هو كتاب المسلمين عامة، ومعجزة الإسلام الخالدة، لأنه يسجل نقطة ضعف عليه، وأنه ليس بنحو من الوضوح والظهور بحيث يفرض نفسه ويتسالم عليه المسلمون بأجمعهم. بل هناك طائفة كبيرة من المسلمين لا تقره، وتراه محرفًا، كما حرفت بقية الكتب السماوية! وهو أمر يستغله أعداء الإسلام والقرآن الذين يتربصون بهما الدوائر ويبغونهما الغوائل. . .
وحتى لو دافع الشيعة عن اتهامهم بالقول بتحريف القرآن الشريف، وأثبتوا كذبه، فإن العدو المشترك لا يسمع ذلك منهم، ويبقى متشبثًا بالاتهام المذكور، ويحاول تضخيمه ما وجد له سبيلًا.
أما لو أراد بعض الشيعة أن يرد بالمثل، ويتحرى من يظهر منهم القول بالتحريف من السنة، فالخطر أعظم، حيث يستغل العدو حينئذ إجماع الشيعة والسنة على تحريف القرآن، من أجل النيل من كرامة القرآن وعظمة الإسلام، ويتجاهل الإجماع العملي. . .وتصريحات أعلام المسلمين، وجميع ما يذكرونه من الشواهد على عدم التحريف، ليقضي مآربه ومقاصده الظالمة.
وإذا كانت التهم المتبادلة بين طوائف المسلمين فيما مضى تنتشر بينهم في إطار ضيق، ولا تتجاوزهم، فإنها - اليوم بسبب وسائل الإعلام المتطورة - تنتشر بين أعداء الإسلام وتصل إليهم، كما تنتشر بين المسلمين، بل أكثر بكثير، وذلك يسهل على العدو تسجيل نقاط الضعف على الإسلام، وتكثيرها واستغلالها.
فليعرف الذين يجندون أقلامهم للطعن بالشيعة في مثل هذه الأمور الحساسة، التي تضرّ بمقدسات المسلمين جميعًا، ماذا يجنون على الإسلام ومقدساته، ولينتبه المسلمون عمومًا للخطر المحدق بهم وبدينهم ومقدساتهم، وليحسنوا التصرف، ويتحملوا مسؤولياتهم إزاء ذلك كله» (انظر: محمد سعيد الحكيم، **في رحاب العقيدة**، ج1، ص140 - 141).

قولُ السيِّد مصطفى الخميني[1]: «إنَّ تاريخَ القرآن مضطَّربٌ جدًّا»[2]. وهذا الكتابُ يحاولُ تخفيفَ هذا الاضّطراب قدْرَ الإمكان حتى تتَّضح الرُّؤية.

كتَبَ الشَّيخُ الحرُّ العاملي[3]: «من أوضَحِ ضروريات الدِّين تواتُر القرآن، وكونُهُ محروسًا عن التَّغييرِ والزِّيادةِ والتَّحريف، لا يكادُ يشُكُّ في ذلكَ أحدٌ من عُلماءِ الإسلام. . .وما علِمْنا أحدًا شكَّ في ذلكَ غير أبي العلاء المعرِّي، وكان مُلْحدًا، وصنَّفَ كتابًا لبعضِ رؤساء اليهود في إبطالِ الإسلام، واحتجَّ فيه على نفي تواتُر القرآن، وكان حاذقًا جدًّا. فحصَلَ شُبُهات وتمويهات، وأخَذَ من اليهودِ مالًا جزيلًا، ثمَّ عزَمَ المعرِّي على نقْضِ ذلكَ الكتاب لبعضِ رُؤساء المسلمين، فبذَلَ له اليهودُ أموالًا أيضًا، فأمسَكَ عن نقْضِهِ، وبقيَ كتابُ المعرِّي مع اليهودِ في هذا المعنى ونحوه»[4].

أقول: يبدو أنَّ الحرَّ العاملي قد خلَطَ بين أبي العلاء المعرِّي[5] وابنِ الرَّاوندي[6]. . . . فقد نُقِلَ عن المعرِّي أنَّه عارَضَ القرآن (نقَلَ ذلكَ ياقوت الحموي في **مُعجَمِ الأدباء** في ترجمَتِهِ)، لكن المعرِّي كتَبَ في المقابل في **رسالةِ الغُفران** الشَّهيرة ما يُشيدُ فيه بفصاحةِ وبلاغةِ القرآن، ولم يُنْقَل عنه أنَّه كتَبَ كتابًا ينفي فيه تواتُر القرآن[7]. بخلافِ ابن الرَّاوندي، الذي عُرِفَ عنَّه أنَّه كتَبَ **الزُّمُرُّد** يحتجُّ فيهِ لإبطالِ نُبوَّةِ محمَّد ﷺ والطَّعن على القرآن، وكتَبَ **الدَّامغ** يطعَنُ فيه على نظْمِ القرآن، وأُتُّهِمَ بأنَّه كان مدعومًا من قِبَل اليهود.

---

(1) (ت 1397 هـ/ 1977م)

(2) السيد مصطفى الخميني، **تحريرات في الأصول**، ج3، ص198.

(3) (ت 1104 هـ/ 1692م)

(4) انظر: الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص109 ـ 110.

(5) (ت 449 هـ/ 1057م)

(6) (ت 245 هـ/ 859م)

(7) قيلَ إنَّه عارَضَ القرآن بكتابٍ سمَّاهُ **الفصول والغايات في مجاراةِ السُّوَر والآيات**، وإنَّه قيلَ له: ما هذا إلا جيِّد، غير أنَّه ليسَ عليه طلاوة القرآن، فقال: حتى تصْقُلُهُ الألسُن في المحاريبِ أربع مئة سنة، وعندَ ذلك انظروا كيف يكون! وقيلَ إنَّ من كتابِهِ: «أُقسِمُ بخالقِ الخيل، والرِّيحِ الهابَّةِ بليل، بين الشَّرطِ مطْلع سهيل، إنَّ الكافرَ لطويلُ الويل، وإنَّ العمْرَ لمكفوف، تعد مدارج السَّيل، وطالع التوبة من قبيل، تنْجُ وما أخالُكَ بناج» (الرافعي، **إعجاز القرآن**، ص138 ـ 147). لكن هذه النِّسبة مشكوكٌ بها تمامًا، خصوصًا إذا ما لاحظنا كلامَهُ في **رسالة الغفران**.

على أيٍّ حال، فإنَّ تسرُّبَ الكثير من الإسرائيليات إلى تُراثِ أهل السُّنة، بتأثيرِ كعب الأحبار ووهب بن مُنبِّه وأمثالهما، وترويجَ بعض التَّابعين كمحمَّد ابن كعب القُرَظي وهشام بن عروة بن الزُّبير لعددٍ كبيرٍ من الأحاديثِ المريبة، وتأخُّرَ تدوين حديث النَّبي محمَّد ﷺ لأكثرِ من قرْنٍ من الزَّمان، وتأثيرَ يوحنا الدِّمشْقي (منصور بن سِرْجون) ـ الذي كان مُقرَّبًا من البلاطِ الأموي ـ ومناقشاتِهِ الكاشفة عن حقْدٍ دفين أو سُوءِ فهمٍ شديد. . .كلُّ ذلكَ يجعَلُ الباحثَ يقف وقفةَ المرتاب من الأحاديثِ الدَّالة على التحريفِ في كُتُبِ أهلِ السُّنة.

كذلك، تسرُّب الكثير من أحاديثِ الغُلاة في التُّراثِ الشِّيعي، بتأثيرِ المُغيرة ابن سعيد وأبي الخطَّاب، ثمَّ أحمد السيَّاري وغيرهم. . . .كلُّ ذلكَ يجعلُ الباحثَ يقف وقفةَ المرتاب من الأحاديثِ الدَّالة على التحريف في كُتُبِ الشِّيعة.

نموذج لحديث غريب:

من تلكَ الأحاديث الدَّالة على التحريف في كُتُبِ الشِّيعة، ما نجِدُهُ في نُسَخ **الكافي** (للكليني) عن أبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام): «إنَّ القرآنَ الذي جاءَ به جبرائيل عليه السلام إلى محمَّد ﷺ سبعةَ عشَرَ ألف آية»![1] فإذا عرَفْنا أنَّ عددَ آيات القرآن 6236 آية (وهو العدّ الكوفي المنسوب للإمام عليّ عليه السلام)، فهذا يعني سقوط ما يقرُب من ثُلُثيه!

لقد حاولَ بعضُهُم توجيه هذا الحديث بأنَّ الزِّيادات هي مع الأحاديثِ القُدْسية، بحيث لو جمَعْنا الأحاديث القُدْسية مع آياتِ القرآن الموجود بين الدفَّتين، لبلَغَ سبعةَ عشَرَ ألف آية!

لكن هذا التوجيه لا يستقيم، لأنَّ الرِّواية تتحدَّث عن «القرآن» وأنَّ ما جاءَ به جبرائيل كذا «آية»، والأحاديثُ القُدْسية من ناحية ليست قرآنًا، ومن ناحيةٍ أخرى لا يُعبَّر عنها بالآيات.

وقد يُقالُ إنَّ القرآنَ المقصود بالحديث هو النَّص الأصلي للقرآن بالإضافةِ

(1) الكليني، **أصول الكافي**، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح28.

إلى تفسيرِهِ وتأويلِهِ، حيثُ كان النَّبي ﷺ يُقرؤهما للناسِ معًا. ومعنى الإقراء يبدو أنَّه تغير. فإقراءُ النَّبي ﷺ كان يشتمل على النَّص الأصلي للقرآن بالإضافةِ إلى تفسيرِهِ وتأويلهِ. لكن الإقراء صارَ يعني بعد ذلك، تلاوة وتحفيظ النَّص الأصلي للقرآن، دون تفسير أو تأويل. فمعنى «الإقراء» تاريخيًّا قد تغيَّرَ بالتدريج، وبدا ذلك جليًّا ابتداءً من القرْنِ الثاني الهجري.

لكن الأرجح أنَّ هناكَ تحريفًا في الرِّواية، من «سبعةِ آلاف آية» إلى «سبعة عشَر ألف آية». فقد قال السيِّد السيستاني مُعدِّدًا عوامل وضْع الحديث: «العاملُ الخامس: ما استهدَفَ هدْم الإسلام، وتضعيف معارفه ومبادئه الجليلة المقدسة، بوضْعِ الأحاديث التي تدُلُّ على الجبرِ والتشبيه والغلو، أو يُقصَد به الحطّ من مقامِ القرآن الكريم، بوضْعِ ما يدُلُّ على تصحيفهِ أو تحريفهِ. وكان السيِّد البروجردي يقولُ في درْسهِ: «إنَّه قد اشترَكَ العامة والخاصة في وضْعِ الأحاديث القادحة في صيانةِ القرآن. أما الزَّنادقةُ والملاحدة، فغرَضُهُم تشويهَ القرآن الكريم، وهو أساسُ الدِّين، وهناك شواهد تدُلُّ على وجودِ أفراد كانوا يستهدفون إسقاط القرآن الكريم عن السَّنَدِيَّة. أما العامة فكانوا يقصُدُونَ بذلك أنْ يُظهِرُوا أنَّه لولا جمْع الخلفاء للقرآنِ المجيد، لكانت بقيَّةُ آياتهِ تذهب أيضًا، فهم يهدفون من وراءِ ذلكَ مدْح الخلفاء بجمْعِهِم القرآن، وأنَّهم خدموا الإسلام. وأما بعض ضُعفاء الشِّيعة، فقد قصدوا من وضْعِ روايات التحريف القدْح فيهم، بدعوى أنَّهم حرَّفوا وألغوا بعض آيات القرآن المجيد، وحذفوها عن قصْد».

وبالتأمُّل في هذه الرِّوايات يتبيَّن ضعْفَها ووضْعَها من قِبَل هؤلاء الأفراد أو الجماعات التي تستهدف هذه الأهداف. وما ذُكِر، فهو بالنِّسبةِ لبعضِ العامة والخاصة لا جميعهم. ولذا فرواياتُ التَّحريف لا نجِدُها إلا في الكُتُب غير المعتبرة.

والرِّوايةُ قد لا يكونُ فيها دلالة على ذلك، ولكنَّها تُحرَّف لتكونَ من أمارات وقوع النُّقصان في القرآن، كما نُلاحِظُهُ في الرِّواية الموجودة في **الكافي** الشَّريف عن هشامِ بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ القرآنَ الذي جاءَ به جبرائيل على محمَّد ﷺ سبعة آلاف آية»، هذه بروايةِ **الوافي**،

ولكن جاءَ في **الكافي** ـ الطَّبعة الحديثة ـ «سبعة عشَر ألف آية». وهكذا في نُسْخة **تحف العقول**، فيكونُ المحذوف ما يُقارِب ثُلُثيه. أما على نقل **الوافي**، فلا يكونُ الخبرُ دليلًا على النُّقصان، ويكونُ ما ذُكِر «سبعة آلاف» من بابِ تدوير العدد»[1].

اختلاق مفضوح:

ويكفي لإثباتِ الدَّور الخطير الذي قامَ به خصوم الإسلام ما ذكرَهُ كلٌّ من الزَّركشي[2] والسُّيوطي[3]: «حكى المُظفَّري في تاريخِهِ قال: «لمَّا جمَعَ أبو بكر القرآنَ قال: سمُّوهُ، فقال بعضُهُم: سَمُّوهُ إنجيلًا، فكرِهُوهُ، وقالَ

(1) السيِّد هاشم الهاشمي، **تعارض الأدلة الشرعية**، تقريرات دروس السيد السيستاني، غير منشور، ج1، المقصد الثاني في علل اختلاف الحديث، ص363 ـ 364.
أقول: لم تدَّعِ أيُّ مدرسة من مدارسِ عدّ الآي (= الفواصل) أنَّ عددَ آيات القرآن سبعة آلاف آية. فمن المحتمل أنَّ ما ذُكِر في الرواية هو اشتباه غير مقصود من الرُّواة أو تصحيف من النُّسَّاخ، وأنَّ الصَّحيح في الرِّواية «سبعة عشر»، لكن سبعة عشر للتأكيد على العدد 6217؛ لأنَّ اختلاف المدارس في عدِّ الآي كان في العددينِ الأخيرين من الآحاد والعشرات، ولم يختلفوا في المئاتِ والآلاف. بعبارةٍ أخرى هم اتَّفقوا على أنَّ عددَ الآيات ستة آلاف ومئتين، لكن اختلفوا في العددينِ الأخيرين. فما عدَّهُ أهل الكوفة عن أهلِ المدينة 6217 آية، ثمَّ عُدَّ ثانيًا (رواية المصريين عن ورش) 6214 آية، وعدَّه المكيون 6219 آية، وعدَّه الكوفيون 6236 آية، وعدَّه البصريون 6204 آيات. والله أعلم.
لكن قد يُقالُ (تأييدًا لما مال إليه السيد السيستاني): القول بأنَّ عدد آيات القرآن سبعة آلاف آية، سببه أنَّ القوم عدُّوا كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسع مئة وأربعًا وثلاثين، فالقدر المعجز فيه يكون في العدد نحو سبعة آلاف تقريبًا، وذلك بقسمة عدد كلمات القرآن على عدد كلمات سورة الكوثر بوصفها أصغر سورة. وقد أشار لهذا العدد والقسمة السيوطي في كتابه **الخصائص الكبرى**، ج1، ص292.
والخلاصة أنَّ هذه الرواية يمكن أن تُوجَّه بأكثر من طريقة:
1. القول بأن المقصود بها القرآن مع تفسيره وتأويله.
2. القول بتحريف الرواية من سبعة آلاف (كما هو في **الوافي**) إلى سبعة عشر ألف (كما ورد في نسخ **الكافي**).
3. القول بأن اشتباهًا أو تصحيفًا قد وقع، وأن المقصود ستة آلاف ومئتين وسبعة عشر آية، حيث سقط «ستة آلاف ومئتين»، وبقيت «سبعة عشر».

(2) (794 هـ/ 1391م)

(3) (911 هـ/ 1505م)

بعضُهُم: سَمُّوهُ السِّفْر، فكرِهُوهُ من يهودٍ، فقال ابنُ مسعود: رأيتُ بالحبشةِ كتابًا يدْعُونَهُ «المُصْحَف»، فسَمَّوهُ به...»[1].

واختلاقُ هذا الأمر بالغ الوضوح، كأنَّ المسلمين لا يعرفونَ اسْمَ كتابِهِم؟! وبصْمةُ أهلِ الكتاب في مثْلِ هذه الأخبار واضحة، ويكفي في الردِّ على هذه التُرَّهات قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]، حيثُ وضَع اسَمَ «القرآن» في سياقٍ واحدٍ مع «التوراةِ» و«الإنجيل».

مبرِّرات الاستهانة بأحاديث التحريف:

سيلاحظُ القارئُ أنِّي لا أضَعُ اعتبارًا جدِّيًا للأحاديثِ التي تستهدِفُ الإيحاءَ بوقوعِ تحريفٍ للقرآن. وقد يتعجَّبُ من ذلك، ويتوهَّمُ أنَّ في الموقفِ تحيُّزًا، ويتساءَل عن مُبرِّرات الاستهانة بأحاديثٍ من هذا القبيل رغمَ كثْرتِها.

الجواب: لتعرف مُبرِّرات عدم التَّعويل على مثلِ هذه الأحاديث، لنفترض أنَّكَ عرفْتَ أنَّ جهةً ما، يغلي العداءُ والحقْدُ في قلْبِها تجاهَ جهةٍ أُخرى. وأنَّ هذه الجهةَ الحاقدة لا تتورَّع عن الكذِب، وأنَّها تمتلكُ آلةً إعلامية (قناة فضائية مثلًا). فمن الطَّبيعي أن لا تأخُذ الكثيرَ من أخبارِ تلك الآلة الإعلامية بجدِّية، مهما تنوَّعت أخبارُها وتعدَّدَ مراسلوها. فكثرةُ الأخبار لن تُزحزِح قناعتَكَ تجاهَ الجهة الأخرى المستهدفة، ولا تزيدُ كثرةُ الأخبار والمراسلين والشُّهود من احتمالِ صدْقِها، إلا إذا ظهرت قرائن من جهةٍ ثالثةٍ محايدة، أو ظهرت تناقضات داخلية من الجهةِ المستهدفة، تُؤكِّد أنَّ الأخبارَ التي أذاعتها الجهةُ الحاقدة صادقة (فقد يصدُق الكذوب).

---

(1) الزَّركشي، **البرهان**، النوع الخامس عشر، ص197 ـ 198. السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع السابع عشر، ص148.

(2) سورة التوبة، الآية: 111.

الآن، إذا عرَفْنا أنَّ العالَمَ الإسلامي عاشَ انفلاتًا خطيرًا على المستوى السيَّاسي، ووضعًا مُروِّعًا على المستوى النَّفْسي، وتفكُّكا شديدًا على المستوى الاجتماعي، وانحطاطًا عجيبًا على المستوى الأخلاقي، فسنُدْرِك حينَها أنَّ هذه الفترةَ هيَّأَتِ الأرضيَّة للانتهازيين والخصوم لجعْلِ ووضْعِ ونشْرِ الرِّوايات المنْسوبة للنَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ وأزواجِهِ والتَّابعين، التي يستهدفُ بعضُها إقناع المُتلقِّي بوقوعِ تحريفٍ في القرآن.

هذا الانفلات السِّياسي بدأَ مع مقتلِ عثمان بن عفان 35 هـ؛ فبدأَ العالَمُ الإسلامي يموجُ بالفتنِ ابتداءً من معركةِ الجمل 36 هـ ثمَّ صفين 37 هـ فمعركة النَّهروان 38 هـ وغارات معاوية على العراق والحجاز واليمن 38ـ40 هـ، ثمَّ واقعة كربلاء 61 هـ، وواقعة الحرَّة 63 هـ التي استُبيحَت فيها المدينة لثلاثةِ أيام، ثمَّ رُميت الكعبة بالمنْجنيق 64 هـ. بعد ذلك، استمرَّ العالَمُ الإسلامي يموجُ بالفتن مع حُروبِ عبد الملك بن مروان مع الخوارج وعبد الله بن الزُّبير 73 هـ، ثمَّ ثورة عبد الرَّحمن بن الأشعث 81 هـ. واستمرَّت الثورات والحروب إلى ما بعدِ القرْن الأول الهجري، إلى زمنِ خلافة عمر بن عبد العزيز الذي سمَحَ بتدوينِ الحديث. ولم يتمّ البدء بتدوينِ الحديث رسميًّا إلا سنة 105 هـ، بعدما أصدَرَ هشامُ بنُ عبد الملك أمرَهُ بذلك لابنِ شهاب الزُّهري.

الآن، إذا عرَفْنا أنَّ الحديثَ عند أهلِ السُّنة كان ممنوعًا من التدوينِ لعُقودٍ طويلة، ولم يبدأ تدوينُهُ الرسمي إلا بعدَ مرورِ ما يقرُب من قرْنٍ على وفاةِ النَّبي ﷺ[1]، عاشَ خلالَهُ العالَمُ الإسلامي هذا الانفلات الخطير على المستوى السيَّاسي، الذي انعكس على المستوى النَّفْسي، وتجلَّى بصورةِ تفكُّك اجتماعي وانحطاط أخلاقي، فسنُدْرِك حينَها أنَّ هذه الفترةَ هيَّأَتِ الأرضيَّة للانتهازيين والخصوم وبعضِ أهل الكتاب لجعْلِ ووضْعِ ونشْرِ الرِّوايات المنْسوبة للنَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ وأزواجِهِ والتَّابعين، التي يستهدفُ بعضُها إقناع

(1) كتب الذهبي في حوادث سنة 143 هـ: «وفي هذا العصر، شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج التصانيف بمكة...وقبل هذا العصر، كان سائر الأئمة يتكلمون عن حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة». انظر: شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج9، ص13.

المُتلقِّي بوقوعِ تحريفٍ في القرآن. على هذا الأساس، لا يمكنُ القبول بسذاجةِ بمثلِ هذه الرِّوايات، ولو أخرجَتْها صحاحُ أهل السُّنة.

ثمَّ انتشَرَ اتِّجاهُ الإلحاد والزَّندقة، ووصلَ هذا الاتِّجاه إلى ذروتِهِ من سنة 163 هـ إلى سنة 170 هـ، وكان من أبرزِ شخصياتِهِ أبو شاكر الدَّيصاني، وصالح بن عبد القدُّوس، والحمَّادون الثلاثة، وعبد الكريم بن أبي العوجاء الذي لما جيءَ به ليُقتل قال: واللهِ لقد وضَعْتُ فيكم أربعة آلاف حديث، أُحرِّمُ فيها الحلال، وأُحِلُّ فيها الحرام، ولقد فطَّرْتُكُم في يومِ صومِكُم، وصوَّمتُكُم في يومِ فِطْرِكُم. وكتَبَ الجاحظ[1] عن دورِ الزَّنادقة، وهو ممَّن عاصَرَ هذه المرحلَة الزَّمنية الحسَّاسة: «كانوا يضعون الآثار، ويُولِّدون الأخبار، ويبُثُّونَها في الأمصار، ويطعنون في القرآن، ويسألون عن مُتشابهِهِ، وعن خاصِّهِ وعامِّهِ، ويضعون الكُتُب على أهلِهِ. وليس شيءٌ ممَّا ذكرنا يستطيعُ دفعهُ جاهلٌ غبيٌّ ولا معاندٌ ذكي»[2].

في هذه الأجواء كتبَ الإمامُ مالك (ت 179 هـ) الموطَّأ، ثمَّ أحمد بن حنبل (ت 242 هـ) المُسْنَد، ثمَّ الإمامُ البخاري (ت 256 هـ) الصَّحيح، بعدما بذلوا جهودًا في تنقيةِ الحديث. لكن إلى أيِّ مدى نجحوا في هذه المهمَّة؟ هذا قابلٌ للنِّقاش.

ثمَّ إذا عرَفْنا من ناحيةٍ أخرى، أنَّ الحديثَ عند الشِّيعةِ قد ابتُلِيَ بالدسِّ والتَّزويرِ من الغُلاة، خصوصًا في زمنِ الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام في القرْن الثاني الهجري، حيثُ انتشَرَ الغلاة ودسُّوا أحاديثَ مجعولة، ومنهم المغيرة بن سعيد[3] (الذي قُتِلَ سنة 119 هـ)...ثمَّ عرفنا أنَّ اتِّجاه الغلو شاعَ من جديد

---

(1) (ت 255 هـ/ 868م).

(2) الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، الرسائل الكلامية، حجج النبوة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004، ص155.

(3) أخرج الكشي عن عبد الله بن مسكان عمّن حدثه من أصحابنا عن أبي عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) قال: سمعته يقول: لعن الله المغيرة بن سعيد إنّه كان يكذب على أبي، فأذاقه الله حرَّ الحديد. لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله، الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا.

بُعَيْدَ سقوط دولة بني أمية 132 هـ، فكان لأمثالِ أبي الخطّاب[1] (الذي قُتِلَ سنة 143 هـ) دورٌ بارزٌ في ترويجِ أحاديث الغُلُو..ثمَّ عرفنا أنَّ هذه الأحاديث دسُّها الغلاةُ فيما بعد في كُتُبِ الشِّيعة في القرْنِ الثالث الهجري، كما تُؤكِّد الرِّواية الصَّحيحة الهامة المرْوية عن يونُس بن عبد الرَّحمن[2].... إذا عرفنا ذلك كلّه، فسنُدْرك حينَها أنَّ هذه الفترة هيَّأَتِ الأرضيَّة للزَّنادقة والغُلاةِ، لجعْلِ ودسِّ الرِّوايات المنْسوبة لأئمةِ أهل البيت عليهم السلام، التي يستهدِفُ بعضُها إقناعَ المُتلقِّي بوقوعِ تحريفٍ في القرآن. على هذا الأساس، لا يمكنُ القبول بسذاجةِ بمثلِ هذه الرِّوايات، ولو كانت مُدوَّنة في كُتُبِ الشِّيعة بأسانيد معتبرة[3].

كتَبَ السيِّد هبة الدين الشَّهْرستاني[4]: **الدَّاعي إلى وضْعِ الأحاديث الدَّالة**

---

(1) أخرج الكشي عن عيسى بن أبي منصور قال: سمعت أبا عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) يقول وذكر أبا الخطاب فقال: اللهم العن أبا الخطاب فإنّه خوّفني قائمًا وقاعدًا وعلى فراشي، اللهم أذقه حرّ الحديد.

(2) (ت 208 هـ/ 823م). فقد روى الكشي في رجاله بسندٍ صحيح عن اليقطيني، عن يونُس بن عبد الرحمن أنَّ بعضَ أصحابِنا سألَهُ وأنا حاضِرٌ، فقال له: يا أبا محمَّدٍ ما أشدَّكَ في الحديثِ وأكثَرَ إنكارِكَ لما يرويهِ أصحابُنا، فما الذي يحمِلُكَ على ردِّ الاحاديث؟
فقال: حدَّثني هشامُ بن الحكم أنَّه سمِعَ أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا تقبلوا علينا حديثًا إلا ما وافَقَ القرآنَ والسُّنة، أو تجدونَ معه شاهدًا من أحاديثِنا المتقدِّمة، **فإنَّ المغيرةَ بن سعيد - لعنَهُ الله - دسَّ في كُتُبِ أصحابِ أبي أحاديثَ لم يُحدِّث بها أبي، فاتَّقوا اللهَ ولا تقبلوا علينا ما خالَفَ قولَ ربِّنا تعالى وسُنَّةَ نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، فإنَّا إذا حدَّثنا قُلنا: «قالَ اللهُ عزَّ وجل، وقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله».**
قال يونُس: وافيتُ العراقَ فوجدْتُ بها قطعةً من أصحابِ أبي جعفرٍ عليه السلام، ووجدْتُ أصحابَ أبي عبدالله عليه السلام متوافرين، فسمِعْتُ منهم، وأخذْتُ كُتُبَهُم، فعرضْتُها بعد على أبي الحسَنِ الرِّضا عليه السلام، فأنكَرَ منها أحاديثَ كثيرةً أنْ يكونَ من أحاديثِ أبي عبدالله عليه السلام، وقال لي: إنَّ أبا الخطَّاب كذَبَ على أبي عبدالله عليه السلام، **لعَنَ اللهُ أبا الخطَّاب، وكذلكَ أصحاب أبي الخطَّاب يدُسُّونَ هذه الاحاديث إلى يومِنا هذا في كُتُبِ أصحابِ أبي عبدالله عليه السلام، فلا تقبلوا علينا خلافَ القرآنِ، فإنَّا إنْ تحدَّثنا حدَّثنا بموافقةِ القرآن وموافقةِ السُّنة، إنَّا عن اللهِ وعن رسولِهِ نُحدِّث، ولا نقولُ: «قالَ فلان وفلان» فيتناقَض كلامُنا، إنَّ كلامَ آخِرِنا مثلُ كلامِ أوَّلِنا، وكلامُ أوَّلنا مُصدِّقٌ لكلامِ آخرِنا، وإذا أتاكُم من يُحدِّثكُم بخلافِ ذلكَ فرُدُّوهُ عليهِ وقولوا: «أنتَ أعلَمُ وما جئتَ به»، فإنَّ مع كلِّ قولٍ منَّا حقيقة وعليه نور، فما لا حقيقةَ معه ولا نورَ عليهِ فذلكَ قولُ الشَّيطان.**

(3) **لأن المعيار في اعتبار الرواية والقبول بها ليس هو وثاقة الراوي، بل الوثوق بصدور الرواية. وما وثاقة الراوي إلا مقدمة من مقدمات الوثوق بصدور الرواية.**

(4) **(ت 1315 هـ/ 1897م)**

على تنْقيصِ الكتاب بوقوعِ السَّقْطِ والتحريفِ فيه موجودٌ في الزَّنادقةِ واليهودِ والنَّصارى. أما الزَّنادقةُ؛ فلأنَّ فيه الوهنَ على الإسلام، وقد نُقِلَ عن بعْضِهم أنَّه قالَ عند قتلِهِ: إنِّي دسَسْتُ في كُتُبِكُم ثلاثةَ آلاف حديث، فأينَ ذهبَتْ تلكَ الأحاديث؟ **وأما اليهودُ والنَّصارى؛ فليدْفعوا به الطَّعنَ الوارد عليهم في تحريفِ كُتُبِهِم**، ولا ريبَ أنَّهم إنَّما يضعُونَ الحديث على وجهٍ يمكنُ قَبولُهُ»[1].

ويشتكي الجاحظ[2]، الذي عاصَرَ هذه المرحلة الزَّمنية، من دورِ النَّصارى أكثرَ من غيرِهِم من أهلِ الكتاب، حيثُ كَتَب: «على أنَّ الأمةَ لم تبْتلِ باليهودِ ولا المجوسِ ولا الصَّابئينَ كما ابتُليَت بالنَّصارى. وذلكَ أنَّهم يتَّبعونَ المتناقضَ من أحاديثِنا، والضَّعيفَ بالأسنادِ من رواياتِنا، والمُتشابهَ من آيِ كتابِنا، ثمَّ يخلُونَ بضعفائِنا، ويسألونَ عنها عوامَّنا، مع ما قد يعلمون من مسائل الملْحدين، والزَّنادقة الملاعين، وحتى مع ذلكَ ربَّما تبرأوا إلى علمائِنا، وأهلِ الأقدارِ منَّا، ويشغبونَ على القوي، ويلْبسونَ على الضَّعيف. ومن البلاءِ أنَّ كلَّ إنسانٍ من المسلمين يرى أنَّه مُتكلِّم، وأنَّه ليس أحدٌ أحقُّ بمحاجَّةِ الملْحدين من أحد.

وبعد، فلولا متكلمو النَّصارى وأطبَّاؤُهُم ومُنجِّموهُم ما صارَ إلى أغبيائِنا وظُرفائِنا ومُجَّانِنا وأحداثِنا شيءٌ من كُتُبِ المانية والدَّيصانية والمرقونية والفلانية، ولما عرفوا غيرَ كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّهِ ﷺ، ولكانت تلكَ الكُتُبُ مستورةً عند أهلِها، ومُخلَّاة في أيدي ورثتِها. فكلُّ سخنةِ عينٍ رأيناها في أحداثِنا وأغبيائِنا فمن قِبَلِهم كان أوَّلُها»[3].

وكتَبَ أيضًا: «ألا ترى أنَّ أكثرَ من قُتِلَ في الزَّندقة ممَّن كان ينتحل الإسلام ويُظهره، هم الذين آباؤهُم وأمَّهاتُهم نصارى؟! على أنَّكَ لو عددتَ اليومَ أهلَ الظِّنَّة ومواضع التُّهمة، لم تجد أكثرهم إلا كذلك. وممَّا عظَّمَهُم في

(1) الشَّهرستاني، **رسالة حفظ الكتاب عن شبهة القول بالتحريف**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص128.

(2) (ت 255 هـ/ 868م)

(3) الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، الرسائل الكلامية، الرد على النصارى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004، ص265.

قلوبِ العوام، وحبَّبَهم إلى الطّغام، أنَّ منهم كُتَّابَ السَّلاطين، وفرَّاشي الملوك، وأطبَّاءَ الأشراف، والعطَّارين والصَّيارفة»[1].

هل ثمة فجوة تاريخية في مسار القرآن؟

خصومُ الإسلام استهدفوا وضْعَ القرآن على مستوى واحدٍ مع التَّوراةِ والإنجيل؛ فكما أنَّ التَّوراةَ والإنجيل يُعانيانِ من فجوةٍ تاريخية، كان لا بدَّ من إطلاقِ دعوى أنَّ القرآنَ يُعاني كذلك من فجوةٍ في مسارِهِ التَّاريخي. وإليكَ تفصيلُ ذلك.

يرى النَّصارى أنَّ كُتُبَ العهدين القديم والجديد: التوراة (كلمةٌ عبرية تعني: الشَّريعة أو التعاليم) والإنجيل (كلمةٌ يونانية تعني: البشارة أو الخبر السَّار) سالمةٌ من التحريفِ والتغييرِ والتبديل، وكلُّ ما فيها مُلْزِمٌ لهم. وأما اليهود فيرَوْنَ أنَّ كُتُبَ العهد القديم هي الصَّحيحة السَّالمة من التحريف، ولا شأنَ لهم بالعهدِ الجديد.

والحقُّ أنَّ الناظرَ في التوراةِ والإنجيل وأسفار العهد القديم نظرة أولية يقطَعُ بالتحريفِ والتغييرِ فيها. وإليكَ نبذة تشْرَحُ بعضَ الأسباب المُفْضية إلى هذه القناعة:

تتضمَّنُ التوراةُ تسْعة وثلاثين سِفْرًا، خمسةٌ منها كُتُب موسى، وهي: سِفْرُ التَّكوين، وسِفْرُ الخُرُوج، وسِفْرُ التَّثْنية، وسِفْرُ اللاويِّين، وسِفْرُ العدَد. أما الأربعةُ والثلاثونَ سِفْرًا الباقية، فمنْسوبةٌ إلى أشْخاصٍ كتبوها بعد موسى، بأزمانٍ متفاوتة في الطُّولِ والقصْر.

وسندُ التوراةِ منقطعٌ قبلَ زمان يوشيا بن آمون، أحدُ ملوك اليهود الذي حَكَم من سنةِ 640 إلى سنةِ 609 قبلَ الميلاد، أي بعد موسى بستَّةِ قرون تقريبًا. والنُّسْخةُ التي وُجِدَت بعد ثماني عشْرةَ سنة من تقلُّدِهِ الحُكْم لا اعتمادَ عليها يقينًا. ورغم كونِها غير معتمدة، فإنَّ هذه النُّسْخة قد ضاعَتْ أيضًا ـ غالبًا قبل حادثة بُخثْ نُصَّر، وفي حادثَتِهِ انعدَمَت التوراة وسائر كُتُب العهد القديم

(1) الجاحظ، رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية، الرد على النصارى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004، ص262.

من صفحةِ العالَم رأسًا. ولمَّا كتَبَ عزْرا هذه الكُتُب كما يدَّعون، ضاعَت نُسَخُها وأكثر نُقُولِها في حادثةِ انتيوكس[1]، الذي حكَمَ سوريا من سنةِ 174 إلى سنةِ 164 قبلَ الميلاد، وأذلَّ خلالَ حُكْمِهِ اليهودَ إذلالًا شديدًا. على أيِّ حال، المعلومُ أنَّ التوراةَ ثلاث نُسَخ رئيسية:

1. التوراةُ العبرانية.
2. التوراةُ اليونانية.
3. التوراةُ السَّامِرية.

وهذه النُّسَخ الثلاث يُخالِفُ بعضُها بعْضًا في كثيرٍ من الأمور، وكلُّها موجودةٌ الآن، وأظنُّ أنَّ هذا الأمرَ وحدَهُ يُثبِتُ تحريفَ التوراة. فالتوراةُ كتابٌ أُنزِلَ على موسى فما الذي جعلَهُ ثلاث نُسَخ متغايرة؟ وإليكَ أمثلة من هذه الاختلافات:

الاختلافُ الأول: أنَّ الزَّمانَ من خلْقِ آدم إلى زمنِ الطُّوفان باعتبارِ العبرانية (1656) سنة، وباعتبارِ اليونانية (2262) سنة، وعلى وفْقِ السَّامرية (1307) سنة.

الاختلافُ الثاني: أنَّ الزَّمانَ من الطُّوفانِ إلى ولادةِ إبراهيم عليه السلام باعتبارِ العبرانية (292) سنة، وباعتبارِ اليونانية (1072) سنة، وباعتبارِ السَّامرية (942) سنة.

الاختلافُ الثالث: أنَّ موضِعَ بناء الهيكل باعتبارِ العبرانية جبل عيبال، وباعتبارِ السَّامرية جبل جرزيم.

الاختلافُ الرَّابع: أنَّ الزَّمانَ من خلْقِ آدم إلى ميلادِ المسيح، باعتبارِ العبرانية (4004) سنة، وباعتبارِ اليونانية (5872) سنة، وباعتبارِ السَّامرية (4700) سنة.

وممَّا يدُلُّ على تحريفِ العهدِ القديم:

---

(1) لما فتح انتيوكس ملك ملوك الإفرنج أورشليم، أحرق جميع نسخ العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان بعدما قطعها، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر، فكان يقتل كل من وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق، أو ثبت أنه أدى رسمًا من رسوم الشريعة، وتعدم تلك النسخة. وتذكر المصادر أنَّ هذه الحادثة كانت سنة 161 ق. م، وامتدت إلى ثلاث سنين ونصف.

1. نسْبَتُهُم إلى اللهِ سبحانَهُ ما لا يليقُ به: فقد نسبوا إليه الكذِب، وجعلوا الحيَّةَ أصدَقَ منه في قصَّةِ آدم[1]، وأنَّه جسْمٌ تراهُ العين، رآهُ إبراهيم[2]، وأنَّه صارَعَ يعقوبَ إلى طُلوعِ الفجر فلم يقْدِر على صرْعِهِ، وتعلَّقَ به يعقوب فلم يُطلِقهُ، ولم يتمكَّن الربُّ من الخلاصِ منه حتى بارَكَهُ[3]، وأنَّه تعَبَ من خلْقِ السَّماوات والأرض، فاحتاجَ إلى الرَّاحةِ والتنفُّس[4].
2. نسْبَتُهُم إلى الأنبياءِ ما لا يليقُ بهم: فقد نسبوا إلى داود أنَّه زنى بامرأةِ أُوريا وأنَّه أرْسَلَ زوجَها إلى الحرْبِ الشَّديدة ليموت ليستأثر بزوجتِهِ[5]، وأنَّ بنتي لوط أسكرتا أباهما واضطجعتا معه فأولدَهُما[6]، وأنَّ نبيَّ الله هارون صنَعَ عجْل الذَّهب ودعا بني إسرائيل إلى عبادَتِهِ[7]، وأنَّ سُليمانَ عصى كلامَ الله وأصبَحَ زيرَ نساء يركُضُ وراءَهُنَّ فأمَلْنَ قلبَهُ وراءَ آلهةٍ أُخرى وأصبَحَ مُشْركًا ضالًا حتى عبَدَ عشْتورت وملكوم وعمَلَ الشرَّ في عيني الرَّب[8].
3. التناقُض الموجود في كُتُبِهِم (مثال: جاء في صموئيل الثاني 24: 13 «وأتى جاد إلى داود وأخبرَهُ قائلًا: إما أنْ يكون سبْع سنين جوعًا لكَ في أرضِك...»، وفي أخبارِ الأيام الأول21: 12 «أما ثلاث سنين جوعًا» ففي الأول: سبْع سنين، وفي الثاني: ثلاث سنين، وقد أقرَّ مفسِّروهم أنَّ الأول خطأ)، وفساد الترجمة وتصرُّف المترجمين حسْبَ اجتهاداتهم أو أهوائهم (مثال: في الآية 13 من البابِ الثاني والعشرين من سِفْر التَّكوين في الترجمةِ العربيةِ المطبوعة سنة 1811: «سمَّى إبراهيمُ اسْمَ الموضِع مكان يرْحم اللهُ زائِرَهُ»، وفي الترجمةِ العربية المطبوعة سنة 1844: دعا اسْم ذلك: الربُّ يرى! فترجَمَ المترجمُ الأول الاسْمَ العبراني بمكان «يرْحم اللهُ زائِرَهُ»، والمترجم الثاني بـ «الربِّ يرى)!.

(1) سِفْرُ التكوين، الإصْحاح، 3، 2.
(2) سِفْرُ التكوين، الإصْحاح، 18.
(3) سِفْرُ التكوين، الإصْحاح، 32.
(4) سِفْرُ التكوين، الإصْحاح الثاني، 2، 3، أيضًا سِفْرُ الخُروج، 31.
(5) صموئيل الثاني، 11.
(6) سفر التكوين، 19.
(7) سفر الخروج، 32.
(8) الملوك الأول، 11.

- أما الإنجيلُ المعترفُ به عندَ المسيحيين، فيتضمَّنُ 27 سِفْرًا، أربعةَ أناجيل: متَّى ومرْقس ولوقا ويوحنَّا (بالإضافةِ إلى أعمالِ الرُّسُل وأربع عشرة رسالة لبولس، وسبْعِ رسائل لرُسُل وتلاميذ آخرين، وسِفْر الرُّؤيا ليوحنَّا).

وكانت تعاليمُ المسيح ﷺ تُتَناقَل شفهيًّا بين المؤمنين به حتى سنة 170 م، تاريخ بدْء تدوين الأناجيل، بل لا نجدُ أيَّ إشارة لإنجيلٍ مسيحي قبلَ 140م. وفي سنة 325م عُقِدَ مؤتمر نيقية (مدينة إغريقية في تركيا حاليًّا)، وتمَّ فيه اختيارُ أربعة أناجيل ممَّا يربو عدَدُهُ على الأربعين أو الخمسين من الأناجيلِ المختلفة والمتضادَّة، مع إحدى وعشرين رسالة من رسائل لا تُعدُّ ولا تُحصى. فصُودِقَ عليها.

وهكذا ثبَتَ العهدُ الجديد من قِبَلِ هيئة عدَدُها 318 شخصًا من القائلين بألوهيةِ المسيح، وهم زهاء ثُلْث أعضاء المجمَع المذْكور. **فكان العالَمُ المسيحي محرومًا من العهدِ الجديد مدة 325 سنة، أي إنَّه كان بغيرِ كتابٍ مُحدَّدٍ.**

ولكَ أنْ تُفكِّر في دينٍ بقيَ من تأريخِ نشأتِهِ إلى 325 سنة بغيرِ كتاب، كم يتأثَّر بالعقائدِ المُتولِّدة من المنابع الخارجية، وكيف يختلُّ نظامُهُ، ويكدُرُ صفاؤهُ الأصلي بالخُرافاتِ والرِّوايات الكاذبة.

وفي مؤتمر قرطاجنَّة (مدينة في إسبانيا) سنة 397م، قبلوا بسِفْر الرُّؤيا ليوحنا، ومنذُ ذلك الوقت أصبحَ العهدُ الجديد عبارةً عن 27 سِفْرًا .**أما قبل هذا التاريخ فلم تكن هناكَ أناجيل بعينِها معتمدة يُقِرُّها العالَمُ المسيحي**، ويُنكِرُ ما عداها، وإنَّما كانت أناجيل كثيرة.

ومؤتمر نيقية كان قد عُقِدَ (سنة 325م) بسببِ وقوعِ خلافٍ جوهري حول تحديد العلاقة بين المسيحِ الابن والإله الأب. فقد ذهَبَ آريوس ـ وهو أسْقُفٌ إسْكندري ـ أنَّ المنطقَ يُحَتِّمُ وجودَ الأب قبلَ الابن، ولمَّا كان المسيحُ الابنُ مخلوقًا للإلهِ الأب، فهو إذن دونَهُ. ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أنْ يُعادِلَ الابنُ الإلهَ الأبَ في المستوى والقُدْرة، وبعبارةٍ أخرى: المسيحُ مخلوقٌ لا إله.

وقال إثناسيوس ـ وهو شمَّاس إسْكندري ـ إنَّ فكرةَ الثالوث المُقدَّس تُحتِّمُ أنْ يكونَ الابنُ مساويًا للإلهِ الأبِ تمامًا في كلِّ شيء، بحُكْمِ أنَّهما من عنْصُرٍ واحدٍ بعينِهِ، وإنْ كانا شخصين متمايزين.

وحسْمًا للموقفِ دعا الإمبراطور قُسْطنطين إلى عقْدِ مجْمَع نيقية سنة 325م، وفيه صدَرَ قرارٌ بإدانةِ آريوس أسْقُف الإسكندرية، وتوالَت بعدئذٍ الدَّعوةُ إلى عقْدِ مجامع يحضُرُها أساقفةُ المعمورة، ليتدارسوا فيها شُؤونَ الكنيسة، وما يرتبط بها من نظامٍ كهنوتيٍّ وعقيدةٍ ولاهوت.

والغريبُ أنَّ المجتمعين في نيقية كانوا أكثرَ من ألفِ مبعوثٍ من عُلماءِ النَّصارى، اتَّفقَ منهم على التثليثِ 318 أُسْقُفًا فقط، وناصَرَ آريوس المُوحِّد أكثرَ من 700، ومع ذلك أُخِذَ بمبدأِ التثليث تلبيةً لرغبةِ الإمبراطور قُسْطنطين الذي كان لا يزالُ مشْركًا آنذاك، ولم يتنصَّر إلا قُبيلِ وفاتِهِ.

المسيحُ عليه السلام واليهود كانوا يتكلَّمونَ باللُّغةِ الآرامية (والعبرية في الجلَسَات والكُتُبِ الرَّسْمية). إلا أنَّ الأناجيل كانت مكتوبة باللُّغةِ اليونانية، وتمَّ ترجمة الأناجيلِ إلى اللُّغةِ اللاتينية والسِّرْيانية والقبْطية. والظاهر أنَّ أصحابَ الأناجيل لا يعلَمُ بعضُهُم بما كتَبَ الآخر، ولذلك حصَلَ كثيرٌ من التناقُض فيما بينهم.

التناقُضات بين الأناجيل، بل ومناقضةُ الإنجيلِ الواحدِ لنفْسِهِ وللعهدِ القديم، يصعُبُ حصْرُها. فمن ذلكَ على سبيلِ المثال، اختلافُ إنجيل متى وإنجيل لوقا في نسَبِ المسيح اختلافًا أعيا عُلماءَ النَّصارى، وحيَّرَهُم وعجزوا عن تفسيرِهِ، ولا تفسيرَ له سوى أنَّ أحدَهُما لا يعلَم بما يكتُب الآخر، وتصحيحُ أحدِهِما يُفضي إلى تكذيبِ الآخر. فقد جاءَ في إنجيل متى الإصْحاح الأول 1ـ7 أنَّ المسيحَ ابنَ يوسُف بنَ يعقوب بنَ منان بنَ اليعازر بنَ اليود بنَ أخيم. . . . بنَ سُليمانَ بنَ داود. في حين جاءَ في إنجيلِ لوقا الإصْحاح الثالث 23 ـ 38 أنَّ المسيحَ ابنَ يوسُف بنَ هالي بنَ منْثات بنَ لاوي بنَ ملكي بنَ ينا. . . . بنَ ناثان بنَ داود[1].

وصدَقَ اللهُ تعالى عندما قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2].

(1) راجع، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، فاضل السامرائي، ص198 ـ 235. من المفيد أيضًا مراجعة: **القرآن والتوراة والإنجيل**، موريس بوكاي، أيضًا **الرحلة المدرسية**، محمد جواد البلاغي.

(2) سورة النساء، الآية: 82.

الخلاصة أنَّ هذه الفجوة التاريخية الكبيرة بين نُزُولِ التوراة وتدوينِها وتوثيقِها، وبين نُزُولِ الإنجيل وتدوينِهِ وتوثيقِهِ، والتناقُضات الموجودة في كلٍّ منهُما، هي التي أشعَلَت قُلُوب بعض اليهودِ والنَّصارى حقدًا وحسَدًا، فحاولوا (وما زالوا) بشتَّى الطُّرُق إيهامَ المسلمين بأنَّ قُرآنَهُم يُعاني من الفجوةِ ذاتِها، والتناقُضات نفْسِها، وهو في النِّهاية مُقتبسٌ من تلكَ الكُتُب القديمة، فحالُنا واحد، ولا تميُّزَ لكم علينا.

علينا أنْ نفهَمَ هذه النُّقطة جيدًا لتنكشِف لنا الكثير من خفايا التُّراث والتاريخ، من مؤامراتٍ ليهودٍ ونصارى بالأمس، ثمَّ دُخول للملاحدةِ والزَّنادقة على الخط، وما يقتاتُ به المُسْتشرقوَن المُتعصِّبونَ من أهلِ الكتاب والملاحدة اليوم.

ويكفي أنْ نستذكِرَ أنَّ المصْحفَ الذي بأيدينا اليوم هو القرآنُ بلُغتِهِ الأصلية، لم يُترجَم عن أيِّ لُغةٍ أخرى. بخلافِ العهد الأول، الذي تُرجِمَ عن العبريةِ القديمةِ المهجورةِ الممزوجةِ بالآرامية. وبخلافِ العهد الجديد، الذي تُرجِمَ عن اليونانيةِ القديمة إلى لُغةٍ لاتينيةٍ وسريانيةٍ وقبْطية. ولا يخفى على القارئِ بأنَّ الكُتُبَ المترجمة، مهما حرصَ المترجمون على الأمانةِ والدِّقة، عُرْضة للاشتباهِ في الفهمِ أو عدم العثور على ألفاظِ مُعبِّرة عن الألفاظِ الأصلية.

وهذا يعني أنَّ بقاءَ القرآن بلُغتِهِ الأصلية هي ميزة بالغة الأهمية، تُحسَبُ لصالِحِ القرآن دون غيرِهِ من الكُتُبِ المنْسوبة إلى السَّماء.

للوهلة الأولى: الشكُّ مُبرَّر

على ضوءِ ما سبق، نعرفُ أنَّ اللهَ تعالى تكفَّلَ بحفْظِ القرآن، لا بمعجزةٍ خارقة، وإنَّما بتقديرِ أسبابٍ طبيعية تُؤدِّي إلى حفْظِهِ وبقائِهِ وصيانتِهِ من أيِّ تحريفٍ أو تزوير، كما سأُوضِّح في فُصُولِ الباب الثاني.

لكنِ الإنصافَ يقتضي القولَ أنَّ المُطَّلِع على التحدِّياتِ والأخطارِ التي واجهت القرآن، خصوصًا في القرْنين الأول والثاني الهجْريين، كانت تقضي في

الظاهر أنْ يتعرَّضَ القرآنُ إلى تحريفٍ كبيرٍ جدًّا، ولو بالتَّدريج وبنحوٍ غير مقصود. لذا يصْعُبُ على المُسْتشرقين أنْ يُصدِّقوا أنَّ القرآنَ بقيَ كما أنزَلَهُ اللهُ تعالى[1].

إلا أنَّ استذكار حقيقة أنَّ تلقِّي القرآن كان بالمشافهة، وأنَّه كان حاضرًا ومتداولًا بين عددٍ كبيرٍ من الناس، وأنَّه دُوِّنَ في زمنِ النَّبي ﷺ، ومعرفة ظروف وملابسات الأحداث المتعلِّقة بالقرآن بعد وفاةِ النَّبي ﷺ، ثمَّ التدقيق في مخطوطات القرْن الأول الهجري، مثل مُصْحف صنْعاء باليمن، ومُصْحف متحف قصْر توبكابي في تركيا، ومُصْحف المشْهد الحُسيني في مصر[2]، وما كشَفَتْ عنه جامعة توبينجن في ألمانيا مؤخرًا، ومصاحف أخرى مُتعدِّدة مكتوبة في القرْن الأول الهجري (كما أكَّدَ خبراء الفحص الكربوني)، كلُّ ذلك يدفع للإيمانِ بسلامةِ النَّص القرآني رغمَ التحدِّيات والأخطار الشَّديدة التي واجَهَها.

وكم يُذكِّرُني مسارُ حفْظِ القرآن ـ خصوصًا في القرْنينِ الأول والثاني الهجري، وهي أخطر مرحلة مرَّ بها ـ بقصَّةِ موسى عليه السلام، عندما أخبَرَ الكهنةُ فرعونَ بأنَّ نهايةَ مُلْكِهِ ستكون على يدِ صبيٍّ يُولَدُ لبني إسرائيل، فقرَّرَ فرعونُ على إثْرِ ذلكَ القضاءَ على أيِّ طفلٍ يُولَدُ لهم، فأمَرَ اللهُ سبحانَهُ أُمَّ موسى بأنْ

(1) قال السيِّد البروجردي (1380 هـ): «تحريفُ الكتاب بعيدٌ بحسَبِ الاعتبار في الغاية، لأنَّ ما نزَلَ منه بمكة كان شائعًا بين المسلمين، وكانوا يقرَؤُونَهُ ويعلمونَ مقدارَهُ، فلو كان تحريفٌ فإنَّما هو في السُّوَرِ المدنية، وهي أيضًا مضبوطةٌ عند الكُتَّاب، فإنَّ جماعةً كثيرةً من المسلمين كانوا حافظينَ للآيات، وكان أهمَّ الأمور عندَهُم حفْظُهُ والعمَلُ به. وقد رُويَ عن النبيِّ ﷺ أخبارٌ في ثوابِ تلاوةِ كلِّهِ أو تلاوةِ بعض سُورِهِ، وخواصِّها، ومع ذلكَ كيفَ يمكنُ أنْ يقَعَ فيها تحريفٌ ولم يفهَم (يلتفت) المسلمونَ والقرَّاء مع كثرَتِهِم.
نعم، لو كانَ القرآنُ مُنزلًا في أوراق، وانحصَرَت نُسْخَتُهُ في واحدٍ، ولا يعرِفُهُ المسلمون، فوقَعَ بأيدي غير أهلِهِ، لكان لدعوى وقوع التحريف فيه وجهٌ». (البروجردي، بحث الأصول، نقلًا عن الدَّارابي، النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا، ص165).

(2) هذه المصاحف الثلاثة قام بطباعتها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، منظمة التعاون الإسلامي IRCICA، بتحقيق د. طيار آلتي قولاج، بحيث يظهر كل صفحة من صفحات المخطوطة، وتحتها ما هو مكتوب وقد طبع طباعة حديثة يمكن قراءتها بسهولة.

تضَعهُ في التابوتِ وتقذِفهُ في اليَم، وأنْ لا تخافَ ولا تحزن، فهو تكفَّلَ بأنْ يَرُدَّهُ إليها ويجعلهُ من المرْسلين.

فحفْظُ موسى لم يتأتَّ بمُعجزةٍ خارقة، وإنَّما بتقديرٍ مُذْهلٍ للأحداثِ الطَّبيعية، بحيث تسلْسلَت بطريقةٍ تكاد لا تُصدَّق لصالحِ حفْظِ حياة موسى عليه السلام. إلى درجةٍ أنَّ من التقطَهُ من اليمِّ وربَّاهُ عندَهُ هو فرعونُ نفسُهُ! وحرَّمَ اللهُ تعالى على موسى المراضِعَ حتى تأتي أختُهُ وتدلُّهم على من يتكفَّلَ بإرضاعِهِ، وهكذا رجَعَ موسى إلى أُمِّهِ سالمًا من أيِّ سوء[1].

فمن يُصدِّق أنَّ طفلًا يُوضَعُ في تابوتٍ، ويُلْقى في النَّهرِ، وتتقاذَفُهُ الأمواجُ يمينًا وشمالًا، ثمَّ يبقى بعدَ ذلك حيًّا دونَ أنْ يغرق؟ ومن يُصدِّق أنَّ إنقاذَهُ قد كان على يدِ شخْصٍ من آلِ فرعون؟ ومن يُصدِّق أنْ يُقدَّر لموسى أنْ يصِلَ إلى بيتِ فرعون الذي كان يسعى للقضاءِ عليه؟ ومن يُصدِّق أنْ يُقرِّرَ فرعونُ بإرادتِهِ الكاملة أنْ يُربِّي موسى ويرعاهُ حتى يكبُر بعد أنْ ألقى اللهُ تعالى محبَّتَهُ في قُلُوبِهِم؟ ومن يُصدِّق أنْ يُقدَّرَ لموسى أنْ يعودَ لأُمِّهِ مرَّةً أخرى كي تقرَّ عينُها؟ ما قيمة احتمال وقوع كل هذه الحوادث بهذا النَّحو المُتسلْسل لتُؤدِّي إلى هذه النَّتيجة، التي سيترتَّبُ عليها حفْظ حياة موسى، ولاحقًا تشريفُهُ بالنُّبوةِ وتكليفُهُ بالذَّهابِ إلى فرعون ليضَع حدًّا لطُغيانِهِ؟

---

(1) قالَ تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿38﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿39﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾. (سورة طه، 38 ـ 40).
وقالَ تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿7﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿8﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿9﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿10﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿11﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿12﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (سورة القصص، 7 ـ 13).

هكذا الأمرُ في القرآنِ؛ فالتحدِّياتُ التي عصفَتْ به في القرْنينِ الأول والثاني الهجريين، كادَتْ أنْ تطيحَ بهِ وتجعلهُ في مهبِّ الرِّيح. لكن الله تعالى بتقديرٍ مُسْبق، رفَعَ موانِعَ حِفْظِهِ من ناحية، وأوجَدَ مقتضيات ذلك من ناحيةٍ أخرى.

عوامل الحفْظ: الموانع والمقتضيات

- من ناحية، اللهُ سبحانَهُ لم يذْكُر أسماءَ أهل البيت عليهم السلام صراحةً في القرآنِ، ولو ذكرَها لأثارَ حفيظةَ أعدائِهِم ـ كالأمويين الذين ستكونُ بيدِهِم زمامُ الأمور ـ ودفعَهُم لتزويرِهِ وتحريفِهِ وحذْفِ تلكَ الأسماء والآيات التي جاءَت بها[1].

في هذا السِّياق، كتَبَ السيِّد الخوئي[2]: «ممَّا يدُلُّ على أنَّ اسْمَ أمير المؤمنين عليه السلام لم يُذْكَر صريحًا في القرآن: حديثُ الغدير[3]، فإنَّه صريحٌ في أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله إنَّما نصَبَ عليًّا بأمرِ الله، وبعدَ أنْ ورَدَ عليهِ التأكيد في ذلك، وبعدَ أنْ وعدَهُ اللهُ بالعصْمةِ من الناس. ولو كانَ اسْمُ «عليٍّ» مذكورًا في القرآنِ لم يحتَج إلى ذلكَ النَّصْب، ولا إلى تهيئة ذلك الاجتماع الحافل بالمسلمين، ولما خشِيَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله من إظهارِ ذلك، ليحتاجَ إلى التأكيدِ في أمرِ التبليغ.

---

(1) ولعلَّ كلمةُ عمرُ بنُ الخطَّاب التي رَوَتْها الصِّحاح: «حسْبُنا كتابُ الله» عندما طلَبَ النبيُّ محمَّد صلى الله عليه وآله وهو على فراشِ الموت أنْ يأتوا إليه بكتفٍ ودواةٍ يكتُب لهم كتابًا لن يضِلُّوا بعدَهُ، دالةٌ على خلو القرآن من الأسماء. (**صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده، أيضًا باب هلُمُّوا أكتب لكم كتابًا..أيضًا كتاب الأشربة، باب قول المريض قوموا عني .**صحيح مسلم**، كتاب الوصية، باب ائتوني بالكتف والدواة).
بل إنَّ كلمةُ عمر هذه لها دلالةٌ مزدوجة؛ الأول: عدَمُ ذكر اسْم الإمام علي عليه السلام في القرآن، والثاني: أنَّ كتابَ اللهِ كان مجموعًا مُشخَّصًا في حياةِ النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله.
مضافًا لذلكَ أنَّ فاطمةَ الزَّهراء عليها السلام استدَلَّت في خُطْبتِها لإثباتِ حقِّها بقولهِ تعالى: ﴿وورِثَ سُليمانُ داودَ﴾ (النمل، 160)، وبآياتٍ أخرى، ولا تذْكُر لنا المصادر التاريخية أنَّ عليًّا عليه السلام استدَلَّ على حقِّهِ في الخلافةِ بذكْرِ اسْمِهِ في القرآن.

(2) (ت 1412 هـ/ 1992م)

(3) **سنن الترمذي**، كتاب المناقب، باب من كنت مولاه فعلي مولاه، **سنن ابن ماجة**، كتاب المقدمة، أبواب في فضائل أصحاب رسول الله...، **مسند أحمد**، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين، من كنت مولاه...

وعلى الجُملةِ؛ فصحَّةُ حديث الغدير، توجِبُ الحُكْمَ بكذِبِ هذه الرِّوايات التي تقولُ: إنَّ أسماءَ الأئمةِ مذكورةٌ في القرآن، ولا سيَّما أنَّ حديثَ الغدير كان في حجَّة الوداع، التي وقعَت في أواخرِ حياةِ النبي ﷺ، ونزول عامة القرآن، وشُيوعه بين المسلمين»[1].

كما كتَبَ الإمام الخميني[2] ردًّا على ادِّعاءات صاحب **فصْل الخطاب**: «لو كان الأمرُ كما ذكرَهُ هو وأشباهُهُ ـ من كونِ الكتاب الإلهي مشْحونًا بذكْرِ أهل البيت وفضْلِهم، وذكْرِ أمير المؤمنين وإثباتِ وَصايتِهِ وإمامتِهِ، فلمَ لمْ يحتجَّ بواحدٍ من تلكَ الآياتِ النازلةِ والبراهينِ القاطعةِ من الكتابِ الإلهي: أميرُ المؤمنين، وفاطمةُ، والحسَنُ، والحسينُ عليهم السلام، وسلمانُ، وأبو ذر، ومقدادُ، وعمَّارُ، وسائرُ الأصْحابِ الذين لا يزالونَ يحتجُّونَ على خلافتِهِ عليه السلام؟! ولَم تشبَّثَ عليه السلام بالأحاديثِ النَّبويةِ والقرآنُ بين أظهُرِهِم؟!

ولو كان القرآنُ مشْحونًا باسْمِ أمير المؤمنين وأولادهِ المعصومين وفضائلِهِم وإثباتِ خلافَتِهِم، فبأيِّ وجهٍ خافَ النبيُّ ﷺ في حجَّةِ الوداع آخر سني عُمُرهِ الشَّريف، من تبليغِ آيةٍ واحدةٍ مربوطةٍ بالتبليغ، حتى ورد أنَّ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾؟![3] ولَمَ احتاجَ النبيُّ ﷺ إلى دواةٍ وقلَمٍ حين موتِهِ للتَّصريحِ باسْمِ علي عليه السلام؟! فهل رأى أنَّ لكلامِهِ أثرًا فوق أثَر الوحْيِ الإلهي؟!

وبالجُملةِ: ففسادُ هذا القول الفظيع والرأيِّ الشَّنيع أوضح من أنْ يخفى على ذي مسْكةٍ»[4].

بل الأمرُ الملْفتُ جدًّا، أنَّ الآياتَ التي تُشيرُ ـ بنحوٍ أو آخر ـ لمقاماتِ أهل البيت عليهم السلام، قد جاءَت في سياقٍ غريب، لا يُثيرُ استفزازَ خُصُومِهِم، ولا يضغط

(1) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص277.

(2) (ت 1409 هـ/ 1989م).

(3) سورة المائدة، الآية: 67.

(4) الإمام الخميني، **شرح كفاية الأصول**، ج1، ص243. مع تصرُّف طفيف ببعضِ الضمائر وحذف بعض الكلمات حتى يصبحُ المعنى أكثر وضوحًا.

عليهم لتحريفِهِ وإسقاطِ تلكَ الآيات. فمثلًا وُضِعَت الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [1]، التي تتحدَّث عن أصحابِ الكساء خاصَّة[2]، في سياقِ خطابٍ مُوجَّهٍ لنساءِ النَّبي ﷺ، مع اختلافِ الضَّمائر من تذكيرٍ وتأنيث! ووُضِعَت الآيةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3]، التي نزَلَت في حادثةِ غديرِ خم خاصَّة[4]، في سياقِ الكلام عن أهلِ الكتاب! ووُضِعَت الآيةُ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[5] التي نزلَت بعدَ حادثةِ غدير خم[6]، في سياقِ بيان المُحرَّمات من الأطعمة!

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 33.

(2) لمعرفة أن «أهل البيت» هم أصحاب الكساء خاصة، وليس من ضمنهم نساء النبي، راجع رواية زيد بن أرقم في **صحيح مسلم**، باب فضائل علي، حيث يقول بعدما سئل عن المراد بأهل البيت هل هم النساء؟: لا وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. وأيضًا رواية أم سلمة عندما أرادت الدخول تحت الكساء مع الخمسة (النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين)، وسألت: ألست من أهل البيت؟ فقال لها النبي ﷺ: «إنك إلى خير إنك من أزواج النبي ﷺ». راجع **الدر المنثور**، ج5، ص198.
مضافًا إلى ما رواه الترمذي وصححه، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

(3) سورة المائدة، الآية: 67.

(4) روى الواحدي في أسباب النزول: عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر الواحدي، **أسباب النزول**، سورة المائدة، ص107.

(5) سورة المائدة، الآية: 3.

(6) ذكر ابن جرير الطبري في كتاب الولاية عن زيد بن أرقم أن هذه الآية نزلت في يوم غدير خم في علي بن أبي طالب، كما نقل الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتاب «ما نزل من القرآن بحق علي» عن أبي سعيد الخدري أن الناس لم يكادوا ليتفرقوا (يوم غدير خم) حتى نزلت آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. كما روى الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي هريرة أن الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت بعد حادثة غدير خم، حيث قال عمر لعلي: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. للتعرف على مصادر أخرى، راجع كتاب الغدير للعلامة الأميني، الجزء الأول، ص230 ـ 232. أيضًا في كتاب **إحقاق الحق** للمرعشي، ج6، ص353.

- من ناحيةٍ أخرى، فإنَّ اللهَ سبحانه لم يذْكُر أسماءَ المُنافقين صراحةً في القرآنِ، ولو ذكرَها لأثارَ شهيَّةَ أعدائِهِ ـ كالأمويين الذين ستكونُ بيدِهِم زمامُ الأمور ـ لتزويرِهِ وتحريفِهِ وحذْفِ تلكَ الأسماء والآيات التي جاءت بها.

ولم يذكُر القرآنُ من أسماءِ الكُفَّار إلا عمّ النبيِّ محمَّد ﷺ: «أبا لهب» في سُورةِ المسَد، وفي ذِكْرِهِ غايةٌ بل غايات. منْها أنْ يعرِفَ الناسُ أنَّ الرِّسالةَ لا تُحابي أشدَّ الناس قرابةً للنبيِّ ﷺ. ومنْها أنَّها أخبَرَت خبرًا قاطعًا بعاقبتِهِ الأخروية؛ ولو قُدِّرَ له أنْ يُؤمِنَ باللهِ قبلَ موتِهِ، أو على الأقل شَهَدَ الشَّهادتين ولو ظاهرًا، كما فعَلَ غيرُهُ كأبي سفيان، لكانَ فعلُهُ هذا تكذيبًا للقرآنِ أو تشكيكًا بإخباراتِهِ، ولسَقَطَ القرآنُ عن الاعتبارِ رأسًا. لكن هذا لم يحُدث، فكانَ إخبارُ القرآن بذلكَ من الآياتِ على حقَّانيَّتِهِ.

عمومًا، عدَمُ ذِكْر أسماء الكُفَّار والمنافقين، بل عدَمُ ذِكْر حتى أسماء المؤمنين، يستهدِفُ عدَم شخْصنة الرِّسالة؛ فرسالةُ الإسلام تريدُ أنْ ترسِمَ معالِمَ الهداية، وتُحدِّد صفات الكُفَّار والمنافقين، وصفات المؤمنين، على مرِّ التاريخ، حتى تكونَ قابلة للتطبيقِ في كلِّ زمانٍ ومكان، في صراعِ الحقِّ والباطل الممتدّ على مرِّ الزَّمن.

في مقابلِ ذلك، زَعَمَ بعضُ الإخباريين أنَّ أسماءَ المنافقين موجودةٌ في مصْحَفِ الإمام علي عليه السلام، وهي ساقطة من المصْحف الذي بأيدينا.

إلا أنَّ السيِّد الخوئي[1] أجابَ عن ذلك: «سيرةُ النبيِّ ﷺ مع المنافقين تأبى ذلك، فإنَّ دأبَهُ تأليفُ قلوبِهِم، والإسرارُ بما يعلَمُهُ من نفاقِهِم. وهذا واضحٌ لمن له أدنى اطّلاع على سيرةِ النبيِّ ﷺ وحُسْنِ أخلاقِهِ، فكيفَ يمكنُ أنْ يذكُرَ أسماءَهُم في القرآن، ويأمُرَهُم بلعْنِ أنفُسِهِم، ويأمُرَ سائر المسلمين بذلكَ ويحُثّهم عليه ليلًا ونهارًا؟ وهل يُحتمَلُ ذلكَ حتى يُنظَر في صحَّتِهِ وفسادِهِ، أو يُتمسَّك في إثباتِهِ بما في بعضِ الرِّوايات من وجودِ أسماء جُملة من

(1) (ت 1412 هـ/ 1992م).

المنافقين في مُصْحفِ عليّ عليه السلام؟ وهل يُقاسُ ذلكَ بذكْرِ أبي لهب المُعلِن بشِرْكِهِ، ومعاداتِهِ للنبيِّ ﷺ، مع عِلْمِ النبيّ بأنَّهُ يموتُ على شِرْكِهِ؟»[1].

أقول: ولا يمكن الاعتداد بما رواهُ الطبرسي[2] في **الاحتجاج** عن أبي ذر الغفاري أنَّه قال: لمَّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ، جمَعَ عليٌّ عليه السلام القرآنَ، وجاءَ بِهِ إلى المهاجرينَ والأنصار، وعرَضَهُ عليهم لما قد أوصاهُ بذلك رسولُ الله ﷺ، فلمَّا فتَحَهُ أبو بكر، خرَجَ في أوَّلِ صفحةٍ فتَحَها فضائحَ القوم، فوثَبَ عمرُ وقال: يا علي، أرْدُدْهُ، فلا حاجةَ لنا فيه، فأخذَهُ عليه السلام وانصَرَف. ثمَّ أحضروا زيدَ بنَ ثابت ـ وكان قارئًا للقرآن ـ فقالَ له عمرُ: إنَّ عليًّا عليه السلام جاءَنا بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أنْ نُؤلِّفَ القرآن، ونُسْقِطَ منه ما كان فضيحةً وهتْكًا للمهاجرينَ والأنصار، فأجابَهُ زيدٌ إلى ذلك، ثمَّ قالَ لهم: فإنْ أنا فرَغْتُ من القرآنِ على ما سألْتُم، وأظهَرَ عليٌّ القرآنَ الذي ألَّفَهُ، أليسَ قد بطَلَ كلّ ما عملْتُم؟ ثمَّ قالَ عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتُم أعلَمُ بالحيلة، فقالَ عمر: ما حيلةٌ دونَ أنْ نقتُلَهُ ونستريحَ منه. فدبَّرَ في قتْلِهِ على يدِ خالد بن الوليد، فلم يقْدِر على ذلكَ.... إلخ[3].

لا يمكن الاعتداد بهذه الرِّواية، لأنَّا لو دقَّقنا في العبارةِ التالية التي ورَدَتْ في الرِّواية على لسانِ عمر: «وقد رأينا أنْ نُؤلِّفَ القرآن، ونُسْقِطَ منه ما كان فضيحةً وهتْكًا للمهاجرينَ والأنصار، فأجابَهُ زيدٌ إلى ذلك»!![4] لوجدناها غير قابلة للتَّصديق.

كتَبَ الشَّيخ حسن زادة الآملي نقلًا عن أُستاذِهِ العلامة الشَّعراني[5] تعليقًا على هذه الرِّواية: «هذا أيضًا مُرْسَلٌ ضعيف، ويشبه أنْ يكون منقولًا من كتابِ

---

(1) الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص273.

(2) (ت 520 هـ/ 1126م).

(3) الطبرسي، **الاحتجاج**، ج1، ص360.

(4) أقول: يمكن القبول بهذه الرواية لو كان المقصود بالقرآن إقراء النبي ﷺ للنص الأصلي للقرآن مع تفسيره وتأويله، فيكون مقصود الرواية حينئذ فصل التفسير والتأويل عن النص الأصلي للقرآن، لأن بقاءهما معًا لا يصب في مصلحة البعض. لا أن المقصود حذف آيات أو كلمات من النص الأصلي للقرآن.

(5) (ت 1393 هـ/ 1973م)

سُلَيم لمشابهةِ عباراته عبارته». وعلَّقَ قبلَ ذلكَ على كتابِ سُلَيم بن قيس الهلالي قائلًا: «كتابُ سُلَيم بن قيس موضوعٌ، وما تفرَّدَ به ضعيفٌ جدًّا»[1].

أقول: لم يتفوَّه عمر في محضَرِ النبيِّ محمَّد ﷺ بـ: «حسْبُنا كتابُ الله»[2]، إلا وهو يعلَم أنَّ القرآنَ لا يتضمَّنُ ما يفضَحُ أحدًا بنحوٍ صريح[3]... نعم في بعضِ آياتهِ تعريضٌ ببعضِ أصحاب النَّبي، بأوصافٍ عامة، وإشاراتٍ تقبَلُ أكثرَ من تأويل. وبقاءُ هذا التَّعريض بهم، لمواقِفِهم في معركة أُحُد (في سورة آل عمران) ومعركة الأحزاب (في سورة الأحزاب) ومعركة تبوك (في سورة التوبة)، أكبرُ شاهدٍ على أمانةِ السَّلَف بما نقَلَ إلى الخَلَف، وحرْصِهِم على عدَمِ المسِّ بحرْفٍ واحدٍ من حُرُوفِهِ.

- ومن ناحية ثالثة، ترَكَ اللهُ تعالى كتابَهُ ليبدو حمَّالًا ذا أوجُه، حتى لا يسْتَشْعِر أعداؤُهُ الخطَرَ منه.

بل فتحَ اللهُ تعالى شهيَّةَ أعدائِهِ ليُوظِّفوا القرآنَ لأهدافِهِم الخاصة، فاهتمُّوا لاحقًا بكتابتِهِ وسلامةِ نصِّهِ[4]، كما اهتمُّوا بتزْيينِهِ وتذْهيبِهِ[5]، لكي يظهَرُوا أمامَ

---

(1) حسن زادة آملي، هشْت رسالة عربي، **فصْلُ الخطاب في عدَمِ تحريف كتاب ربِّ الأرباب**، ص287.

(2) **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده، أيضًا باب هلُمُّوا أكتب لكم كتابًا...أيضًا كتاب الأشربة، باب قول المريض قوموا عني .**صحيح مسلم**، كتاب الوصية، باب ائتوني بالكتف والدواة.

(3) وقد يقال إن عمر قال: «حسبنا كتاب الله»، ولم يقل «حسبنا القرآن»، على أساس أن لفظ «القرآن» كان يعني ما يقرؤه النبي ﷺ للناس، وكان إقراء النبي ﷺ يشتمل على النص الأصلي للقرآن بالإضافة إلى التفسير والتأويل. وما يريد عمر الاكتفاء به هو النص الأصلي للقرآن، دون تفسيره وتأويله.

(4) ذكر ابن قتيبة أن الحجاج بن يوسف الثقفي (ت 95 هـ) كلف هيئة بتدقيق المصاحف، تضم: عاصم الجحدري وناجية بن رُمح وعليًا بن أصمع. وكانت التعليمات الصادرة إليهم هي أن يدققوا المصاحف التي يعثرون عليها، فيقومون بإمحاء المصحف الذي لا يوافق المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار. والمصاحف التي يتقرر إمحاؤها يصرف لأصحابها ستون درهمًا. انظر: ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص37.

(5) انظر: محمود عباد محمد، **خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتى عصر ابن البواب**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1991.

الناس بمظْهرِ الحريصِ على الدِّين. وأشْغَلُوا الناسَ عن الانْخراطِ في العالَمِ السِّياسي، بالانشغالِ بقراءتِهِ وحفْظِهِ وتجويدِهِ وتفسيرِهِ، وإقامةِ الحلَقاتِ المُتكفِّلة بذلكَ في المدينةِ ومكة والشَّام والبصْرة والكوفة، وإثارةِ الجدَلِ الكلامي حولَ قِدَمِهِ أو خلْقِهِ، واستحضار الإسْرائيليات التي تملأ ما يتوهَّمونَ أنَّها فراغات في قصَصِ القرآن. . . . وبذا حققُّوا هُم أغراضَهُم السِّياسية، وأشبَعَ المُنْشغلُون بذلك نهَمَهُم العِلْمي، لكن الله تعالى حقَّقَ أيضًا غرَضَهُ بأنْ حفَظَ القرآنَ بيدِ أوليائِهِ وأعدائِهِ معًا، كما حفَظَ موسى بيدِ أُمِّهِ وأُختِهِ وفرعون وآلِهِ في وقتٍ واحد!

في البابِ الثاني سأبدأُ بسرْدِ قصَّةَ القرآن، والمحطَّات الحرجة التي مرَّ بها في تاريخِهِ، خصوصًا في القرْنِ الأول الهجري، وكيف استطاعَ اجتيازَهَا بنجاحٍ مذهل.

الباب الثاني:

محطّات في تاريخ القرآن

يمكنُ تقسيمُ التاريخ الذي مرَّ به القرآن إلى محطّات رئيسيَّة، نتعرَّفُ من خلالِها على مسألة جمْعِ القرآنِ وتدوينِهِ، ودعوى تحريفِهِ، وتعدُّدِ قراءاتِه، وتطوُّر رسْمِهِ وتنقيطِهِ وغيرِها من المسائل المهمَّة.

فصول هذا الباب سيغلِبُ عليها طابع التَّسلْسُل الزَّمني. فإنْ كان الفصْلُ الأول يتناولُ المحطَّةَ الأولى وهي إنزالُ القرآن دفعةً واحدةً من أُمِّ الكتاب إلى البيتِ المعمور أو قلْبِ النَّبي ﷺ، فإنَّ الفصْلَ الثاني يتناول تنزيلَ القرآن التَّدريجي على قلْبِ النَّبي ﷺ في المرحلةِ الممتدَّة من بعثتِهِ إلى وفاتِهِ، وهي تُقدَّر عادةً بثلاثٍ وعشرين سنة، وأدْرُسُ فيه بالتَّفصيل ما قيلَ عن خطأِ النَّبي أو نسيانِهِ.

في الفصْلِ الثالث أتحدَّثُ عن بدْءِ سريان القرآن في أوصالِ الأمة، بعدما بلَّغَهُ النبيُّ ﷺ، وتلقَّفتْهُ أسماع معاصريه من أصحابِهِ وخصومِهِ على السَّواء، وأدرُسُ دواعي اهتمام معاصريه بالقرآن، وإلى أيِّ مدى يمكنُ التَّعويل على ذاكرَتِهِم وحفْظِهِم للقرآن.

وبعد أنْ أنتهي من محطَّةِ التلقِّي بالمشافهة والحفْظ في زمنِ النَّبي ﷺ، أنتقلُ في الفصْلِ الرَّابع إلى محطَّةِ تدوين القرآن في صُحُفٍ متفرِّقة في زمنِ النَّبي ﷺ أيضًا، فأستعرِضُ أدواتَ الكتابة المتوفرة آنذاك، وظاهرةَ كُتَّاب الوحي، وأقفُ مليًّا مع قصَّةِ عبد الله بن سعد بن أبي سرْح.

في الفصْلِ الخامس أستعرضُ بالتَّفصيل الشَّواهدَ العقلية والنَّقلية على أنَّ القرآنَ كان قد دُوِّنَ كاملًا في زمنِ النَّبي ﷺ، وتمَّ جمْعُ صُحُفِهِ في مكانٍ واحد. بل أستعرضُ شواهدَ نقلية على وجودِ نُسَخٍ متعدِّدة متداولة من القرآنِ بين يدي النَّبي ﷺ وأصحابِهِ. وبذا ينتهي الكلام عن تاريخِ القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ.

في الفصْلِ السَّادس أستعرضُ دورَ الإمام علي عليه السلام فورَ وفاة النَّبي صلى الله عليه وآله، كأوَّلِ مُحوِّلٍ للقرآن من صُحُفٍ إلى مُصْحف، أي كأوَّلِ جامعٍ للقرآنِ بين دفَّتين، وأتساءَلُ عن أسبابِ غياب أو تغييب اسْم الإمام عليّ عليه السلام، كما أستعرضُ الشَّواهدَ على أنَّ بعضَ نُسَخ القرآن على الأقل كانت مُدوَّنة على أفضَلِ أنواع الجُلُود.

في الفصْلِ السَّابع أتحدَّثُ عن دورِ أبي بكرٍ وعمر في التقاطِ القرآن من صُدُورِ الناس، ومحاولة تدوين نُسْخة احتياطية بعدَ معركةِ اليمامة، التي قيلَ إنَّ عددًا كبيرًا من قُرَّاءِ القرآن قد استُشْهِدَ فيها. كما أتحدَّثُ عن الآليَّة التي اتُّبِعَت، الأمر الذي فسَحَ المجالَ لكثيرٍ من القيلِ والقال المنْسوب لأصحابِ النَّبي وأزواجِهِ والتَّابعين. لذا هذا الفصْل (والفصْل السَّابق)، يُغطِّي المرحلة الزَّمنية الممتدَّة من وفاةِ النَّبي صلى الله عليه وآله إلى نهايةِ خلافة عمر.

في الفصْلِ الثَّامن أنتقلُ إلى مرحلةِ خلافة عثمان، والمضاعفات الخطيرة التي ظهَرَت في عصْرِهِ أثناءَ الفتوح، الأمر الذي دفعَهُ لاتِّخاذِ خطوة تاريخية تقضي بضرورةِ تدوين نُسْخة إمام، تكونُ مرجعيةً لكُلِّ نُسَخ القرآن بعدَ ذلك، ثمَّ استنساخ عدد محدود من النُّسَخ المطابقة للأصل، وإرسالِها إلى الأمصارِ الرَّئيسية، وإرسال قارئ بصُحْبةِ كلِّ نُسْخة مطابقة للنُّسْخةِ الإمام. وفي هذا الفصْل أناقشُ ما قيلَ عن وجودِ أخطاء إملائية ونحويَّة في المُصْحَف العثماني. كما أستعرِضُ موقفَ الإمام علي عليه السلام من تلكَ الخطوة التي قامَ بها عثمان. ولذا هذا الفصْلُ يُغطِّي مرحلة خلافة عثمان، ودور الإمام علي عليه السلام في هذه المرحلة على مستوى تدوين القرآن.

في الفصْلِ التاسع أتحدَّث عن دورِ الإمام علي عليه السلام التاريخي في ترسيخِ قراءةٍ واحدة، من خلالِ تأهيل عددٍ من القُرَّاء الذي صاروا فيما بعد مراجع في مجالِ قراءة وتطوير رسْم المصْحف من خلالِ نقْطِهِ وشَكْلِهِ. لذا هذا الفصْلُ يُغطِّي دورَ الإمام علي عليه السلام الخفي في زمنِ خلافة عثمان على مستوى قراءة القرآن والتَّمهيد لتطويرِ تدوينِهِ.

في الفصْلِ العاشر أتحدَّث عن محطَّةٍ بالغةِ الأهمية، تتعلَّقُ بتطويرِ تدوين

القرآن، من خلالِ الاهتمام بتدوينِهِ على نطاقٍ واسع، ثمَّ نقْطِهِ على مستويين: نقْطُ إعجام ونقْطُ شَكْل. من ثمَّ هذا الفصْل يُغطِّي دورَ الإمام علي عليه السلام في تأسيسِ علْم النَّحو، كبناءٍ تحتي لنقْط القرآن على مستوى الشَّكْل، ودورَ تلميذِهِ أبي الأسود الدُّؤلي، ودورَ تلامذة الدُّؤلي. وأُبيِّن في نهايةِ هذا الفصْل أنَّ القرآنَ المُدوَّن الموجود بين أيدينا اليوم يرتكزُ أساسًا على الجهودِ التي بُذِلَت في المحطَّات السَّابقة إلى هذه المحطَّة. لذا يُغطِّي هذا الفصْل المرحلة التاريخية الممتدَّة من خلافةِ الإمام علي عليه السلام إلى أواخرِ القرْن الأوَّل الهجري، وهي تستغرقُ ستَّة عقود تقريبًا.

في الفصْلِ الحادي عشر أتحدَّثُ عن محاولاتِ تطويق القراءات المتكاثرة، التي انتشَرَت انتشارًا كبيرًا وكادَت تخرُج عن السَّيطرة. فأتحدَّث عن حصْرِ ابنِ مجاهد القراءات بسَبْع، ثمَّ التوسُّع إلى عشْر، وأتحدَّث عن أصحابِ تلكَ القراءات، ومعايير القراءة المقبولة، وظُرُوف فرْض القراءة المتواترة (التي سارَ عليها حفْص تبعًا لعاصم) نفْسَها على بقيَّةِ القراءات. لذا يُغطِّي هذا الفصْل القرْنَ الثاني والثالث الهجريين، الذي استقرَّ فيه القرآنُ استقرارًا نهائيًّا على مستوى التَّدوين والقراءة معًا.

في الفصْلِ الثاني عشر أتحدَّثُ عن أيادي الغُلاة، والبصمات التي تركوها في كُتُبِ الحديث عند الشَّيعة، الأمر الذي دفَعَ بعض الإخباريين لاحقًا لادِّعاءِ وقوع نقْص في القرآن. لكن كلُّ هذه المحاولات لم يُكتَب لها النَّجاح، وجاءَت في الوقتِ الضَّائع بعدما كان القرآنُ قد وصَلَ إلى برِّ الأمان. لذا هذا الفصْل يُغطِّي بعض تلك المحاولات التي جرَت في القرْنين الثالث والرابع الهجريين، وامتدَّت بعضُ آثارِها الباهتة إلى ما قبل قرْن من الزَّمان.

وستلمَسُ جليًّا مع قصَّةِ القرآن الطَّويلة، الزَّاخرة بالتحدِّياتِ الخطيرة، والأمواج المتلاطمة، قولَهُ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

---

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

الفصل الأول:

إنزالُ القرآن من أُمِّ الكتاب

«أمُّ الكتاب»: هو كتابٌ معنوي ينطوي على علْمِ اللهِ المكنون، وهو مكتومٌ عن جميعِ خلْقِهِ، من جميعِ مُقدَّراتِ الموجودات. و«اللَّوحُ المحفوظ»: أيضًا كذلك، هو لوحٌ معنوي مصونٌ ومحفوظ.

والظَّاهرُ أنَّ هذين الاسمين «أُمُّ الكتاب» و«اللَّوح المحفوظ» هما لمُسمَّى واحد. وإنَّما عُبِّر بـ «أُمِّ الكتاب» لأنَّه أصْل كتاب الله: القرآن، بل أصْل جميع الكُتُب السَّماوية. وعُبِّر بـ «اللَّوحِ المحفوظ» لأنَّ ما ثبَتَ فيه من مُقدَّرات عالَم الوجود وعلْم الله المكنون مصونٌ ومحفوظٌ عن أيِّ تبديلٍ وتغيير.

المحطَّةُ الأولى من تاريخِ القرآن تتمثَّل في «إنْزالِهِ» من أمِّ الكتاب أو اللَّوحِ المحفوظ إلى البيتِ المعمور أو على قلْبِ النَّبي ﷺ. ويدُلُّ على ذلك من القرآن قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[1]، وقولُهُ تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[2].

هذا الأمرُ ـ لمن يُؤمن بنُبوَّةِ النَّبي ﷺ ـ لا شكَّ فيه. فالقرآنُ مجموعٌ في اللَّوحِ المحفوظ وفي أمِّ الكتاب قبلَ إنزالِهِ وبعدَ نُزُولِهِ.

لتوضيحِ الأمر، أستعينُ بما ذكرَهُ السيِّد الطَّباطبائي[3].

---

(1) سورة الزُّخرف، الآية: 4.

(2) سورة البروج، الآيتان: 21 ـ 22.

(3) ميَّز العلامة الطباطبائي (ت 1402 هـ/ 1981م) بين «الإنزال» الدفعي للقرآن، و«التنزيل» التدريجي على مدى سنوات ما بعد البعثة. وفي هذا الفصل والذي يليه، سرت على ضوء هذا التقسيم، وهذا الاستعمال لهذين اللفظين. فرغم وجود مناقشات هامة، واعتراضات على هذا التقسيم (انظر: حيدر حب الله، **الوحي والظاهرة القرآنية**، دار الانتشار العربي، بيروت، =

فهو يرى أنَّ كلَّ الأشياء في عالَمِنا المشْهود لها نحوُ وجودٍ عينيٍّ خاصٍّ بها في الخزائنِ الإلهية، لقولِهِ تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(1)، ويُلاحَظُ في هذه الآية النقاط التالية:

1. شُمُولُها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾. على ضوءِ ذلك، لا يخرُجُ من ذلكَ شيءٌ، إلا ما يُخرِجُهُ سياقُ الآية نفسُهُ.

2. عندَ اللهِ «خزائن» ذلك الشَّيء؛ هذا يعني أنْ ما من شيءٍ في عالَمِنا إلا ويُعبِّرُ عن وجودٍ خاصٍّ في هذه المرتبة من الوجود، له فوقها خزائن، وهذه الخزائن بعضُها فوقَ بعض، وكلُّ ما هو عالٍ منها غيرُ محدودٍ بحدِّ ما هو دان، وهي متميِّزة بعضُها عن بعض، وإلا لو لم تكُن كذلك لكانت واحدة.

3. تلكَ الخزائن هل هي في عالمِنا المادِّي المشْهود وليسَت هي فوق هذا العالَم؟ الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾، أضافت الخزائن إلى اللهِ سبحانَهُ بقرينةِ «عنْدَنا». عندَ العودةِ إلى القرآن، نراهُ يميِّز بين «ما عنْدَكُم» و«ما عنْدَ الله»، ويُعطي حُكْمينِ مُختلفينِ للموجوداتِ والأشياء التي تدْخُل في دائرةِ «ما عنْدَكُم» عن تلكَ الموجودات التي تدْخُل في دائرةِ «ما عنْدَ الله»، يقولُ تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾(2). وبربْطِ هذه الآية مع ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا﴾ يتَّضِح أنَّ تلكَ الخزائن أمورٌ ثابتةٌ غيرُ زائلة ولا متغيِّرة لأنَّها عندَ الله، وما عندَ اللهِ باق، فإذن هي فوق عالَمنا المشْهود، لأنَّ الأشياءَ في هذه النشأةِ المادِّية متغيِّرة فانية لا تتَّسِم بالثَّباتِ ولا بالبقاء.

4. هناكَ نحوانِ من النُّزُول، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يستدعي عُلُوًّا وسُفْلًا ورِفْعةً وخِفْضةً وسماءً وأرضًا، فكيفَ يُفهَمُ هذا

= 2012، خصوصًا مقالة الشيخ نعمة الله صالحي نجف آبادي، ود. محمد علي مهدوي راد، ص477 ـ 532)، إلا أني في النهاية أميل لما ذكره العلامة الطباطبائي، لأسباب لا يسع المقام ذكرها. ويبدو أن لفظ «الإنزال» وإن كان دفعيًّا إلا أنه لوحظ فيه المُنزِل العالي، ولفظ «التنزيل» وإن كان تدريجيًّا إلا أنه لوحظ فيه العملية ذاتها. فتأمل.

(1) سورة الحجر، الآية: 21.

(2) سورة النحل، الآية: 96.

الإنزال؟ لا بدَّ أنْ نُميِّزَ بين ضرْبينِ من النُّزول: النُّزول على نحوِ التَّجافي، كما لو كانَ الكتابُ في الأعلى، ثمَّ أنزَلْتُهُ إلى الأسفل. طالما أنزَلْتَهُ إلى الأسفل، لم يعُد في الأعلى، وعندما كان في الأعلى لم يكُن في الأسفل. وهناك نُزولٌ على نحوِ التجلّي، تنزُّل الشَّيء إنْ كانَ على هذا النحو لا يفْقِدُ مرتبَتَهُ العالية، فإنْ صارَ في الأسفلِ يظلُّ عاليًا. فمثلًا لو كانت في ذهنِكَ فكرة، ثمَّ كتَبْتَها على الورق، فهذه الفكرةُ تنزَّلت من مرتبةِ العقل إلى مرتبةِ الورق (من الوجودِ الذِّهني إلى الوجودِ الكَتْبي)، لكن نزُولُها لا يعني أنَّ الإنسانَ فقَدَ علْمَهُ بها، بل ما تزال تُحافظ على وُجودِها في الذِّهن، غاية ما هناكَ أنَّها ظهَرَت في مرتبةٍ أُخرى من مراتِبِ الوجود، دونَ أنْ تفْقِد مرتبَتَها السَّابقة. وللفكرةِ في كلِّ مرتبةٍ من مراتبِ وجودِها أحكامٌ خاصة؛ فالفكرةُ في الذِّهنِ غيرُ قابلة للنقْلِ والسَّرقة، لكن الورقة يمكن أنْ تُنقَل وتُسْرق. الفكرةُ في الذِّهنِ ليست مادَّة قابلة للاحتراق بالنار، بخلافِ الفكرة في الورقة. هكذا الإنسانُ عندما يعرُجُ في صلاتِهِ إلى الله، فهذا لا يعني أنَّه لم يعُد موجودًا في الدُّنيا. وعندما يُنزِلُ اللهُ الحديدَ ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾[1] لا يعني الإنزال المادِّي، بل هو عندَ اللهِ بنحوٍ من الوجود، وعلى الأرضِ بنحوٍ آخر، تلكَ حقيقة، وهذه حقيقةٌ أخرى للشَّيءِ ذاتِهِ. إذن إنزالُ الأشياء من الخزائن على نحوِ التجلِّي، لا التَّجافي.

5. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، فكلَّما تنزَّلَ الشَّيءُ من مراتِبِهِ الوجودية، من الأعلى إلى الأسفل، تزدادُ قيودُهُ، وتكثُرُ حدودُهُ، وتزدادُ نقائِصُهُ، وتقلُّ كمالاتُهُ.

6. القرآنُ هو نموذجٌ بارزٌ جدًّا لما مرَّ. يقولُ تعالى: ﴿حمٓ ① وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ③ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[2]. هذا يدُلُّ على أنَّ القرآنَ النازل كان عندَ اللهِ أمرًا أعلى وأحكم من أنْ تنالَهُ العقول، أو يعرِضَهُ التقطيعُ والتفصيل، لكنَّه تعالى عنايةً

---

(1) سورة الحديد، الآية: 25.

(2) سورة الزخرف، الآيات: 1 ـ 4.

بعبادِهِ جعلَهُ كتابًا مقروءًا، وألبسَهُ لباسَ العربية، لعلَّهم يعقلونَ ما لا سبيلَ لهم إلى عقْلِهِ ومعرفَتِهِ ما دامَ في أُمِّ الكتاب. ولعلَّ قولَهُ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]، يشيرُ إلى هذا المضمون؛ فالإحكامُ كونُهُ عنْدِ الله، والتفصيلُ هو جعْلُهُ فصْلًا فصلًا، وآيةً آية. الكتابُ العالي أمرٌ حقيقيٌّ عيني، والنازِلُ منهُ أمرٌ اعتباريٌّ وضعي؛ إذْ دلالةُ اللَّفظِ على المعنى وضعية، والمفهومُ المستفادُ منه أمرٌ ذهنيٌّ لا عيني.

7. من أهمِّ الفوارق بين هاتينِ المرتبتينِ للقرآن، أنَّ المرتبةَ العاليةَ منه لا يمكنُ نيلُها من خلالِ العقل وأدواتِهِ ومناهجِهِ، ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾، فالكتابُ في موطِنِهِ الأصْلي وراءَ تعقُّل العقول، والمرادُ بـ ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: «اللَّوح المحفوظ» كما قالَ تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[2]. وتسميَتُهُ بـ «أُمِّ الكتاب» لكونِهِ أصْل الكُتُب السَّماوية، يُسْتَنْسَخُ منه غيرُهُ، والتقييد للتوضيح، أي حالَ كونه في أُمِّ الكتاب يكونُ عليًّا حكيمًا، رفيعُ المنزلة والقدْر من أنْ تنالهُ العقول، مُحكَمٌ غيرُ مُفصَّل ولا مُجزَّئ إلى سُورٍ وآياتٍ وجُمَلٍ وكلماتٍ وحروف.

8. هذان النعتان: كونُهُ عليًّا حكيمًا، هما الموجبان لكونِ القرآن في مرتبتِهِ العالية وراءَ العُقول البشرية؛ فإنَّ العقلَ لا ينالُ إلا ما كانَ من قبيلِ المفاهيم والألفاظ، وكان مُؤلَّفًا من مقدِّمات ونتائج تصديقية يترتَّبُ بعضُها على بعض، كما في الآياتِ والجُمَل القرآنية. أما إذا كانَ الأمرُ وراءَ المفاهيم والألفاظ ـ كما هو الحال في تأويلِ القرآن ـ وكان غير مُتجزِّئ إلى أجزاء، فلا طريقَ للعقلِ إلى نيلِهِ.

9. إنْ قيل: ظاهرُ قولِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إمكان تعقُّل الناس هذا القرآن تعقُّلًا تامًّا، فهذا الذي نقرَؤُهُ ونعقِلُهُ إنْ كان مطابقًا لما في أُمِّ الكتاب، فهذا يعني أنَّا تعقَّلنا ما في أُمِّ الكتاب، وإنْ لم يكُن مطابقًا له، فهذا يعني أنَّا عقلْنا شيئًا غيرَهُ. قُلنا: الكتابُ الذي جُعِلَ بلسانٍ عربيٍّ مُبين، مُتَّحِدٌ مع ما

---

(1) سورة هود، الآية: 1.

(2) سورة البرُوج، الآيتان: 21 ـ 22.

في اللَّوحِ المحفوظ اتِّحاد الرَّقيقة والحقيقة، والثابتُ في البحثِ الفلْسفي أنَّ الرَّقيقَةَ هي الحقيقة بوجودٍ أضعف، والحقيقةُ هي الرَّقيقة بوجودٍ أعلى وأشرف. فهي هي من زاوية، وهي غيرها من زاويةٍ أخرى[1].

على أساسِ ما تقدَّم، فإنَّ نسبةَ التأويل إلى المعارفِ والمقاصدِ المُبيّنة هي نسبةُ المُمثَّل إلى المثال؛ فجميعُ المعارف القرآنية أمثالٌ مضروبةٌ للتأويلِ عند الله. فالآياتُ تدُلُّ على أنَّ تأويلَ الآية أمرٌ خارجي، وأنَّ نسْبَتَهُ إلى مدلولِ الآية هي نسْبةُ المُمثَّل إلى المَثل، فهو وإنْ لم يكن مدلولًا للآيةِ بما لها من الدَّلالة، لكنَّه محكيٌّ لها محفوظٌ فيها نوعًا من الحفْظ. نظيرُ تشخيص الطَّبيب لمرَضِكَ ثمَّ قوله لك «خُذْ هذا الدَّواء»؛ فإنَّ تشخيصَهُ (لو كان صائبًا) يحكي عن حقيقةٍ خارجية تتمثَّلُ في المرضِ ذاتِهِ، وقولَهُ يحكي كذلكَ عن حقيقةٍ خارجيةٍ مفادُها أنَّ هذا الدَّواء سيتفاعل بطريقةٍ معيَّنةٍ مع مرضِكَ بحيث يُؤدِّي إلى النَّتيجةِ المرغوبةِ في العلاجِ والشِّفاء. كقولِكَ «في الصَّيفِ ضيَّعت اللَّبن»، لمن أرادَ أمرًا قد فوَّتَ أسبابَهُ من قبْلُ. أو كلفظةِ السيِّد لخادمِهِ «اسْقِني»، الحاكية عن حقيقةٍ خارجيةٍ تقتضي حفْظ الوجود والبقاء. فالأمرُ ـ سواءٌ كان حكمًا أو قصَّةً أو حادثةً ـ يتغيَّرُ بتغيُّر التأويل لا محالة. لذا نجد أنَّ أهلَ الزَّيغ يتَّبعونَ ما تشابَهَ ابتغاءَ الفتنةَ وابتغاءَ تأويلِهِ الذي ليس بتأويلٍ له فعلًا. وإلا لو كان التأويلُ الذي يأخُذونَ به هو التأويلُ الحقيقي، لكان اتِّباعُهُم للمُتشابه اتِّباعًا غير مذْموم. فقد تبيَّنَ أنَّ تأويلَ القرآن حقائقُ خارجية، تستنِدُ إليه آياتُ القرآن، في معارفِها وشرائِعِها وسائرِ ما بيَّنَتْهُ، بحيث لو فُرِضَ تغيُّر شيء من تلكَ الحقائق انقلَبَ ما في الآياتِ من مضامين[2].

كتَبَ السيِّد الطَّباطبائي: «إنَّ الحقَّ في تفسيرِ «التأويل» أنَّه الحقيقةُ الواقعيةُ التي تستنِدُ إليها البياناتُ القرآنية من حِكَم أو موعظةٍ أو حِكْمةٍ، وأنَّه موجودٌ لجميعِ الآيات القرآنية، مُحْكَمِها ومُتشابِهِها، وأنَّه ليسَ من قبيلِ المفاهيم المدلولُ

(1) السيد محمد حسين الطَّباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج18، ص84.
(2) السيد محمد حسين الطباطبائي، المصدر السابق نفسه، ج3، ص52. راجع أيضًا: السيد كمال الحيدري، **تأويلُ القرآن**، ص43 ـ 59.

عليها بالألفاظ، بل هي من الأمورِ الغيبيةِ المتعاليةِ من أنْ يُحيطَ بها شبكات الألفاظ، وإنَّما قيَّدَها اللهُ سبحانَهُ بقيدِ الألفاظ لتقريبِها من أذْهانِنا بعضَ التقريب، فهي كالأمثالِ تُضْرَبُ ليُقرَّب بها المقاصِد، وتُوضَّح بحسَبِ ما يُناسِبُ فهْمَ السَّامِع. . .فالقرآنُ لم يستعمِل لفظَ «التأويل» في المواردِ التي استعمَلَها ـ وهي ستة عشَر موردًا. . .ـ إلا في المعنى الذي ذكرناهُ»[1].

كيفية نزول القرآن:

المعنى المتقدِّم من «الإنزال» مرتبطٌ تمامَ الارتباط بـ «شهرِ رمضان»، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[2]، ومرتبطٌ بالتَّحديد بـ «ليلةِ القدْر»، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[3]، ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾[4].

فنُزُولُ القرآن تمَّ على نحوين: إنْزالٌ وتنزيل، الإنزالُ دفعيٌّ، والتَّنزيلُ تدريجيٌّ. يقولُ الزَّرْكشي[5]: في كيفيةِ نزول القرآن ثلاثةُ أقوال:

القولُ الأول: أنَّه أُنزِلَ إلى سماءِ الدُّنيا ليلة القدْرِ جُمْلةً واحدةً، ثمَّ تنزَّلَ بعدَ ذلكَ مُنجَّمًا على مدى سنواتٍ تالية[6].

القولُ الثاني: أنَّه أُنْزِلَ إلى سماءِ الدُّنيا في ليالي قدْرٍ من سنواتٍ مُتتالية[7]، وفي كلِّ ليلة قدْر من كلِّ سنة يُنْزِل اللهُ ما قدَّرَ إنزالَهُ فيها، ثمَّ يتنزَّل بعدَ ذلكَ مُنجَّمًا في جميعِ السَّنة على النبيِّ ﷺ.

---

(1) السيد محمد حسين الطَّباطبائي، **الميزانُ في تفسير القرآن**، ج3، ص49.

(2) سورة البقرة، الآية: 185.

(3) سورة القدر، الآية: 1.

(4) سورة الدخان، الآيات: 1 ـ 4.

(5) (ت 794 هـ/ 1391م).

(6) في عشرين سنة، أو في ثلاث وعشرين سنة، أو خمس وعشرين سنة، على حسبِ الاختلاف في مدَّةِ إقامتِهِ بمكة بعدَ النُّبوة.

(7) في عشرين ليلة قدْر من عشرين سنة، وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدْر من ثلاثٍ وعشرين سنة، وقيل في خمسٍ وعشرين ليلة قدْر في خمسٍ وعشرين سنة. لذا يتمّ إنزال الحصة المقررة من القرآن لكل سنة دفعة واحدة في ليلة قدرها، ثم يتم تنزيل القرآن تدريجيًا خلال أيام تلك السنة... هكذا من البعثة وحتى وفاة النبي ﷺ.

القولُ الثالث: أنّه ابتدئ إنزالُهُ في ليلةِ القدْر، ثمَّ تنزَّلَ بعدَ ذلكَ مُنجمًا في أوقاتٍ مختلفةٍ من سائرِ الأوقات[1].

والقولُ الأول أشهر، وإليه ذهبَ الأكثرون، ويُؤيِّدُهُ ما رواهُ الحاكم في مُسْتدركِهِ عن ابنِ عباس قال: أُنْزِلَ القرآنُ جُمْلةً واحدةً إلى سماءِ الدُّنيا في ليلةِ القدْر، ثمَّ نزَلَ بعدَ ذلك في عشرين سنة[2].

ويُؤيِّدُهُ ما رُويَ في تفسيرِ عليٍّ بن إبراهيم عن أئمةِ أهل البيت عليهم السلام - الباقر والصَّادق والكاظم عليهم السلام - أنَّهم قالوا في تفسيرِ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: «هي ليلةُ القدر، أنزَلَ اللهُ عزَّ وجل القرآنَ فيها إلى البيتِ المعمورِ جُمْلةً واحدةً، ثمَّ نزَلَ من البيتِ المعمورِ على رسولِ الله في طولِ عشرين سنة[3].

كما يُؤيِّدُهُ ما رواهُ الكليني عن حفْصِ بن غِياث عن أبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام) قال: سألتُهُ عن قولِ اللهِ عزَّ وجلّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[4] وإنَّما أُنزِلَ في عشرينَ سنةً بين أوَّلِهِ وآخرِهِ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: نزَلَ القرآنُ جُمْلةً واحدةً في شهْرِ رمضان إلى البيتِ المعمور، ثمَّ نزَلَ في طولِ عشرينَ سنةً...[5].

والبيتُ المعمور، الذي ذُكِرَ في سورةِ طه آية 4، وأشارَتْ إليه رواياتٌ عديدة: بيتٌ في السَّماواتِ بمُحاذاةِ الكعبة، وهو محلُّ عبادةِ الملائكة، ويحجُّ إليه كلَّ يوم سبعونَ ألف ملَك، لا يعودونَ إليه إلى يومِ القيامة. ويبدو أنَّ البيتَ المعمور بالنِّسبةِ للملائكة، بمثابةِ الكعبة بالنسبةِ للناس.

والنُّزُولِ إلى البيتِ المعمور هو أيضًا نزولٌ على قلْبِ النَّبي صلى الله عليه وآله، لكن نزُولٌ دفعيٌّ إجمالي (إنزال)، لذا يُستفادُ من آياتٍ عديدةٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان

---

(1) ومشكلة هذا القول أنه يتعارض مع الرأي المشهور (عند الشيعة على الأقل) القائل إن بدء نزول الوحي كان في ليلة 27 من رجب.

(2) الزَّركشي، **البرهان في علوم القرآن**، النوع الثاني عشر، ص160.

(3) **تفسير نور الثقلين**، ج4، ص620.

(4) سورة البقرة، الآية: 185.

(5) الكليني، **أصول الكافي**، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح6.

عالِمًا بالقُرآنِ قبلُ نزولُهُ التدريجي (قبلَ تنزيلِهِ)، كقولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[1].

هذا الإنزالُ ثمَّ التنزيلُ على نحوِ التجلّي، ربَّما اتَّضَحَ شيئًا ما بعدَ تطوُّر التكنولوجيا، فعندما تكونُ المعلوماتُ محفوظةً في الذّاكراتِ الضَّخمة المرجعية للشَّبكةِ العنكبوتية في الـ (Data Center) أو (Main Frame)، يتمُّ «إنزالُ» ملْفٍ منها جُمْلةً واحدةً إلى الكمبيوترِ الشَّخصي (Hard Disk). ثمَّ بعد إنزالِه يتمُّ حفْظُهُ في الكمبيوترِ الشَّخصي، ثمَّ يتمُّ «تنزيلُهُ» واستدعاؤهُ إلى الشّاشة (Screen)، ثمَّ بإمكانِكَ تنزيل المعلومات من الشَّاشةِ إلى الطَّابعة (Printer)، ثمَّ تنزيل المعلومات من الطَّابعة إلى الأوراق (Papers). عندما ينْظُرُ الناظِرُ إلى المعلوماتِ الظاهرة على الشَّاشة، قد يغفَلُ عن كونِها تجلِّيًا لمعلوماتٍ تمَّ تنزيلُها واستدعاؤُها من الكمبيوترِ الشَّخصي نفْسِهِ، وربَّما يغفل أنَّ تلكَ المعلومات التي تمَّ تنزيلُها واستدعاؤُها من الكمبيوترِ الشَّخصي تمَّ إنزالُها من تلكَ الذّاكرات الضَّخمة للشَّبكةِ العنكبوتية. كذلك ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[2]؛ من يقرأ القرآن من المُصْحَفِ المكتوب أو يستَمِع للقرآنِ المقروء، قد يغفَل عن الخزائنِ التي تُشكِّلُ رصيدًا حاضرًا على الدَّوام لهذا القرآن. هذا التَّمييز بين الإنزالِ والتنزيل في القرآن، بما يشيرُ إلى أنَّ نزولَ الوحي يكونُ من قبيلِ التجلِّي، هو من الأمورِ المُحيرِّة والمُذْهلة في هذا الكتابِ العظيم.

وفي هذا السِّياق، كتَبَ الإمامُ الخميني[3] في تفسيرِ سورة القدْر عدَّة مطالب مهمَّة نوجز بعضَها (مع بعض التصرُّف) فيما يلي:

المطلبُ الأول: يتعلَّق بالإنزالِ والتَّنزيل. فعلماءُ الظَّاهرِ يقولونَ في هذه المقامات: هذا مجازٌ من قبيلِ ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾[4]، فنِسْبَةُ الإنزالِ والتنزيل إلى الحقِّ تعالى مثلًا من بابِ أنَّ الذَّاتَ المُقدَّسة سببٌ للنُّزُولِ وآمرٌ به، أو أنَّ الإنزالَ والتنزيل بالنِّسبةِ إلى الحقِّ تعالى حقيقة ويُنْسَبُ إلى الرُّوحِ

(1) سورة طه، الآية: 114.
(2) سورة النحل، الآية: 60.
(3) (1409 هـ/ 1989م).
(4) سورة غافر، الآية: 36.

الأمين مجازًا لأنَّه واسطتُهُ، وهذا من جهةِ أنَّهم يحسبونَ أنَّ نسْبةَ فعل الحقِّ إلى الخلْقِ كنسْبةِ فعل الخلْقِ إلى الخلْق، فيرونَ أنَّ مأمورية جبرائيل وعزرائيل عن الحقِّ كمأمورية هامان عن فرعون والبنَّائين والمعماريِّين عن هامان. وهذا قياسٌ باطلٌ كثيرًا، وقياسٌ مع الفارق، وإنَّ فهمَ نسْبة الخلْق إلى الحقِّ، وفعل الخلْق والخالق، من مُهمّات المعارف الإلهية وأُمَّهات المسائل الفلْسفية، تنحَلُّ به كثيرٌ من المُهمّات، ومن جُمْلَتِها مسألةُ الجبر والتفويض، ومطلبُنا هذا من شُعَبِها.

المطلبُ الثاني: في الإشارةِ إلى نُكْتةِ أنَّه تعالى قالَ «إنَّا» بصيغةِ الجَمْع، وأنزلناهُ بصيغةِ الجمْع. اعلَمْ أنَّ نُكتةَ ذلك هي تفخيمُ مقام الحقِّ تعالى بمبدئيَّتِهِ لإنزالِ وتنزيلِ هذا الكتابِ الشَّريف، ولعلَّ هذه الجمْعية باعتبارِ الجمْعية الأسمائية، والإشارة إلى أنَّ الحقَّ تعالى مبدأٌ لهذا الكتابِ الشَّريف، بجميعِ الشُّؤون الأسمائية والصِّفاتية.

المطلبُ الثالث: في إجمالِ كيفية نُزُول القرآن. وهذا من لطائفِ المعارف الإلهية، ومن أسرارِ الحقائق الدِّينية، التي قلَّما يوجد من يطَّلِع على نُبذةٍ منها. فمن له قابليةُ الرُّجوع بعدَ السَّيرِ إلى اللهِ تعالى وفي الله، وتحصّل لهم حالةَ الصَّحو بعدَ المحو، يُخْلَعُونَ بخلْعةِ النُّبوة، وهذا الكشْفُ وحيٌّ إلهيٌّ قبلَ النُّزُول إلى عالَم الوحي الجبرائيلي، وبعدما توجَّهوا إلى هذا العالَم من العوالِم النازلة يكتشفونَ ما في الأقلامِ العالية والألواحِ القُدْسية بقدْرِ إحاطَتِهم العلْميةَ ونشأتِهم الكمالية المختصَّة بهم التابعة للحضراتِ الأسمائية، واختلافُ الشَّرائع والنُّبوَّات، بل جميعُ الاختلافات من هنا.

المطلبُ الرابع: في سرِّ «هاء» في ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾. قد عُلِمَ أنَّ للقرآنِ قبلَ نُزُولِهِ إلى هذه النشأة مقاماتٌ وكينونات. فمقامُهُ الأول: كينونَتُهُ العِلْمية في الحضرةِ الغيبية، بالتكلُّم الذَّاتي والمقارعةِ الذَّاتية، بطريقةِ أحدية الجمْع. ولعلَّ ضميرُ الغائبِ يكونُ إشارةً إلى ذاكَ المقام. وقد ذكرَهُ تعالى بضميرِ الغيبة لإفادةِ هذا المعنى، فكأنَّه يقول: هذا القرآنُ النازِلُ في ليلةِ القدر هو ذاكَ القرآنُ العِلْميُّ في السرِّ المكنون. . .وهذا الكتابُ الذي ظهَرَ في كسْوةِ العبارات

والألفاظ، هو صورةُ التجلّيات الذّاتية في مرتبةِ الذّات، وعينُ التجلّي الفعلي في مرتبةِ الفعل، كما قالَ أميرُ المؤمنين عليه السلام: إنَّما كلامُهُ فعْلُهُ[1].

على ضوء ما مرَّ، حاولَ بعضُ عُلماء المسلمين تأويل بعض الأخبار التي تتحدَّث عن وقوعِ نقْص في القرآن، فقال: «تُأوَّل بوجوهٍ:

أحدُها: أنَّ النقصَ إنَّما هو في أصْلِ نُزُول القرآن؛ بمعنى أنَّ اللهَ عزَّ وجل أظهَرَ في لوحِ المحو والإثبات إنزال ما هو أزيد ممَّا تحقَّق نُزُولُهُ. ثمَّ إنَّه تعالى أنزَلَ ما هو أنقص من ذلكَ لمصلحةٍ اقتضَت جميعَ ذلك (= ما في اللّوحِ المحفوظ أكثر ممَّا أُنزِلَ إلى البيتِ المعمور).

ثانيهما: أنَّ ما نزَلَ إلى البيتِ المعمور قد كان يزيدُ على ما نزَلَ إلى الأرض، فيكونُ الحُكْم بالنقصِ بهذا الاعتبار (= ما في البيتِ المعمور أكثر ممَّا تنزَّلَ على قلْبِ النَّبي).

ثالثُها: أنْ يُقال إنَّ بعضَ المحذوفات كان من قبيلِ التفسير والتأويل، ولم يكُن من أجزاءِ القرآن[2].

ورغمَ معقولية هذه الوجوه من التأويل، إلا أنَّها تبقى في إطارِ الاحتمالات التي يعوزُها الدَّليل.

الآن، بعدما تمَّ «إنزالُ» القرآن من أُمِّ الكتاب أو اللَّوح المحفوظ، «تنزَّلَت» بعدَ ذلكَ آياتُهُ على قلْبِ النَّبي محمَّد صلى الله عليه وآله. لكن ما هي مُبرِّرات «تنزُّل» الآيات؟ وما هي صور الوحي؟ هذا ما أدْرُسُهُ في المحطَّةِ التالية.

---

(1) الإمام الخميني، **الآداب المعنوية للصلاة**، ص488 - 493.

(2) الكوه كَمري، انظر: الدّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص123.

الفصل الثاني:

تنزيل القرآن على قلْب النَّبي ﷺ

عرفنا أنَّ القرآنَ قبلَ أنْ يتنزَّل تدريجيًّا على قلْبِ النَّبي محمَّد ﷺ، كان قد أُنْزِلَ دفعةً واحدةً على البيتِ المعمور أو على قلْبِهِ ﷺ. المحطةُ الثانيةُ التي سارَ فيها القرآنُ في تاريخِهِ، تتمثَّلُ في «تنزيلِهِ» التدريجي على قلْبِ النَّبي ﷺ وجمْعُهُ فيه. هذا ما أدْرُسُهُ في هذا الفصْل. وأبدأُ بالبحثِ في مُبرِّرات هذا التنزيل التَّدريجي.

مبرِّرات التنزيل التدريجي:

كتَبَ الزَّرْكشي[1]: «فإنْ قُلْتَ: ما السرُّ في نُزُولِهِ إلى الأرضِ مُنجَّمًا؟ وهلَّا نزَلَ جُمْلةً كسائِرِ الكُتُب؟

قُلْتُ: هذا سُؤالٌ قد تولَّى اللهُ سبحانَهُ جوابَهُ، فقالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾[2]، يعْنُونَ كما أُنْزِلَ على من قبْله من الرُّسُل. فأجابَهُم اللهُ بقولِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أنْزَلْناهُ مُفرَّقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[3]، أي لنُقويِّ به قلبَكَ؛ فإنَّ الوحيَ إذا كان يتجدَّد في كلِّ حادثةٍ كان أقوى للقلْبِ، وأشدَّ عنايةً بالمُرْسَلِ إليه...

وقيل: معنى ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ لتَحْفَظْهُ، فإنَّه ﷺ كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتُب، ففُرِّقَ عليه ليُيَسِّرَ عليه حفْظَهُ، بخلافِ غيرِهِ من الأنبياء، فإنَّه كان كاتبًا قارئًا، فيُمكِنُهُ حفْظ الجميع إذا نزَلَ جُمْلةً»[4]. لكن هذا القولُ الأخير ضعيف.

(1) (794 هـ/ 1391م)

(2) سورة الفرقان، الآية: 32.

(3) سورة الفرقان، الآية: 32.

(4) الزَّركشي، **البرهان في علوم القرآن**، النوع الثاني عشر، ص162.

ويتحدَّث السُّيوطي[1] عن حكمةٍ أخرى في ذلك، فيقول: «حكمةٌ أُخرى لإنزالِ القرآن مُفرَّقًا، فإنَّه أدْعى إلى قبولِهِ إذا نزَلَ على التدريج، بخلافِ ما لو نزَلَ جُمْلةً واحدة، فإنَّه كان ينْفُرُ من قَبولِهِ كثيرٌ من الناس، لكثرةِ ما فيه من الفرائض والمناهي»[2].

وكتَبَ الشَّيخُ مكارم الشِّيرازي مُوضِّحًا مُبرِّرات تنزيل القرآن التدريجي في النِّقاطِ التَّالية:

1. «لا شكَّ أنَّ التَّشريعات إذا كانت تتنزَّل بشكلٍ تدريجي تبعًا للحاجات، ويكونُ لكُلِّ مسألةٍ شاهدٌ ومصْداقٌ عيني، فستكونُ مُؤثِّرةً جدًّا من ناحيةِ «تلقِّي الوحي»، وكذلك «إبلاغ الناس». مبادئُ التَّربية تُؤكِّدُ أنَّ الشَّخْصَ أو الأشخاص المرادُ تربيَتُهُم ينبغي أنْ يُؤخَذ بأيديهم خُطوةً خُطوة، فيُنظَّم لهم لكلِّ يومٍ برنامج، ويسْلُكوا من المرحلةِ الأدْنى التي شرعوا منها إلى المراحلِ الأعلى، والبرامجُ التي تتدرَّج بهذه الكيفية تكونُ أكثر مقبولية وأعمق أثرًا.

2. إنَّ هؤلاءِ المعترضين غافلونَ أساسًا عن أنَّ القرآنَ ليس كتابًا عاديًّا يبحَثُ في موضوعٍ أو علْمٍ مُعيَّن، بل هو منهجٌ حياتيٌّ للأمةِ التي تغيَّرت به، واستَلْهَمَت منه في جميعِ أبعاد الحياة ولا تزال. كثيرٌ من آياتِ القرآن نزَلَت في مُناسباتٍ تاريخية، مثل معركة بدر وأُحُد والأحزاب وحُنين، وبذلك سُنَّت التَّشريعات والاستنتاجات من هذه الحوادث، ترى هل يصحُّ أنْ تُكتَب هذه مرَّةً واحدةً وتُعرَض على الناس؟! بعبارةٍ أخرى: القرآنُ مجموعةٌ من أوامِرَ ونواه، أحكام وقوانين، تاريخ وموعظة، ومجموعة من الخُطَط ذات المدى الطَّويل أو القصير في مواجهةِ الأحداث التي كانت تبرُز أمامَ مسير الأمة الإسلامية، كتابٌ كهذا يُبيِّن ويُنفِّذ جميعَ مناهجِهِ حتى قوانينَهُ الكُلِّية عن طريقِ الحضور في ميادينِ حياة الأمة، لا يمكن أنْ يُنْظَم ويدوَّن دفعةً واحدة. وهذا من قبيل أنْ يقومَ قائدٌ عظيم بكتابةِ ونشْرِ جميعِ

(1) (911 هـ/ 1505م).

(2) السُّيوطي، **الإتقان**، النوع السادس عشر، ج1، ص123.

بياناتِهِ وإعلاناتِهِ وأوامرِهِ ونواهيهِ ـ التي يُصْدِرُها في المناسباتِ المختلفة ـ دفعةً واحدةً من أجلِ تسيير الثورة، تُرى هل يُعتبر هذا العملُ عُقلائيًا؟!

3. النُّزُول التَّدريجي للقرآن كان سببُ ارتباطِ النَّبي ﷺ الدَّائم والمستمر بمبدأِ الوحي، ممَّا يجعل قلبَهُ الشَّريف أقوى وإرادتَهُ أشد. . . (﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾).

4. من جهةٍ أخرى، فإنَّ استمرارَ الوحي دليلٌ على استمرارِ رسالةِ وسفارةِ النَّبي ﷺ، وسوف لن يترُك مجالًا لوسوسةِ الأعداء لكي يقولوا: لقد بُعِثَ هذا النبيُّ ليوم واحد، ثمَّ ترَكَهُ ربُّهُ (كما يشيرُ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1]، عندما انقطعَ الوحي أيامًا، فقالَ كُفَّار قريش: إنَّ محمَّدًا قد ودَّعَهُ ربُّهُ وقلاه).

5. لا شكَّ أنَّه إذا كانَ مُقرَّرًا لمناهجِ الإسلام أنْ تنْزل جميعًا دُفعةً واحدة، فقد كان من اللازم أنْ تُطبَّق دُفعةً واحدةً أيضًا؛ لأنَّ النُّزُول بدون تطبيق يُفقِد النُّزُول قيمتَهُ. ومن المعلوم أنَّ تطبيقَ جميع المناهج. . . دُفعةً واحدةً، عملٌ ثقيلٌ جدًّا، ويُؤدِّي إلى فرارِ فئة كبيرة من الإسلام. . .

6. وفائدةٌ أخرى من فوائدِ النُّزُول التدريجي هو اتِّضاح عظمة وإعجاز القرآن، ذلكَ لأنَّ في كلِّ واقعةٍ تنزِلُ عدَّة آيات كريمة تكونُ لوحدِها دليلُ العظمةِ والإعجاز، وكلَّما يتكرَّر تتجلَّى أكثر هذه العظمة وهذا الإعجاز، فينفُذُ في أعماقِ قُلُوب الناس»[2].

أقول: قد يشيرُ لبعضِ ما ذُكِرَ من فوائد تربوية للناس، قولُهُ تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[3].

وقد يشيرُ لمسايرةِ الحوادث والطوارئ في تجدُّدِها وتفرُّقِها، قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾[4].

---

(1) سورة الضُّحى، الآيات: 1 ـ 3.
(2) ناصر مكارم الشِّيرازي، **تفسير الأمثل**، ج11، ص181 ـ 182.
(3) سورة الإسراء، الآية: 106.
(4) سورة الفرقان، الآية: 33.

وقد يشيرُ لخوفِ المنافقين من الفضيحةِ بسببِ نُزُول القرآن التدريجي، قولُهُ تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[1].

وقد يشيرُ لخوفِ من في قُلُوبهم مرضٌ بسبب النُّزُول التدريجي، قولُهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[2].

وكلُّ ما مضى قد يكونُ من مُبرِّرات التَّنزيل التَّدريجي للقرآن.

صور الوحي:

1. قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[3].
2. وقالَ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[4].
3. وقالَ تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿16﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿17﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿18﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[5].

الآيةُ الأولى تُؤكِّد أنَّ القرآنَ أُنزِلَ من اللهِ تعالى بالحقِّ، ونزَلَ على قلْبِ النَّبي محمَّدٍ ﷺ بالحقِّ، إذن ليس ثمَّة ثغرة لكي يأتيهِ الباطلُ من بين يديهِ أو من خلْفِهِ.

والآيةُ الثانيةُ تتحدَّث عن الرُّوحِ الأمين: جبريل، فهو الذي نزَلَ بالقرآنِ على قلْبِ النَّبي محمَّد ﷺ، حتى يكونَ ﷺ من المُنْذرين بلسانٍ عربيٍّ واضح.

والآيةُ الثالثةُ تنهى النَّبي محمَّد ﷺ عن العجلةِ في قراءةِ القرآن، وتُخبرُهُ أنَّ اللهَ تعالى قد تكفَّلَ بجمْعِهِ وقراءتِهِ بالتدريج، فإذا أتمَّ جبريلُ قراءَتَهُ فعلى النَّبي محمَّد ﷺ أنْ يتَّبع قراءَتَهُ، ثمَّ تكفَّلَ تعالى بشرْحِهِ وتوضيحِهِ.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 64.
(2) سورة محمد، الآية: 20.
(3) سورة الإسراء، الآية: 105.
(4) سورة الشعراء، الآيات: 193 ـ 195.
(5) سورة القيامة، الآيات: 16 ـ 19.

إذن هذه الآيات الثلاث تتحدَّث عن أجواءِ إنزال القرآن وتنزيلِهِ. أما الآية التي تتحدَّث صراحةً عن صورِ الوحي المختلفة، فهي التالية:

4. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

مفادُ هذه الآية أنَّ صور كلام الله مع البشَر محصورة بثلاثة: إما أنْ يُكلِّمَهُ وحيًا مباشرةً بدون واسطة، بأنْ يُلقي في قلْبِهِ ما يشاء[2]. أو يُكلِّمَهُ من وراءِ حجاب، كما كلَّمَ موسى من شجرةِ طور سيناء[3]، أو كما أوحى لإبراهيم في منامِهِ[4]. أو يُرسِلَ رسولًا كجبريل[5]، فيوحي بإذنِ اللهِ ما يشاءُ سبحانَهُ. فاللهُ عليٌّ عن صفاتِ المخلوقين، فلا يُدرَك بالأبصار، ولا يُكلِّمُهُم كما يُكلِّمُ بعضُهُم بعضًا. واللهُ حكيمٌ يفعَلُ ما يريدُ بأفضلِ الأساليب.

ويمكن أنْ نُقسِّم صور الوحي على هذا النَّحو: الوحي إما مباشر (بالإلقاءِ في القلْبِ والنفْثِ في الرَّوع) أو غير مباشر. والوحي غير المباشر إما أنْ يكونَ من وراءِ حجاب (كما كلَّمَ الله موسى من شجرةِ طور سيناء، أو في المنام كرُؤيةِ النَّبي محمَّد دخول المسلمين المسجد الحرام[6] أو رُؤيتِهِ للقُرود التي تنزو على منْبرِهِ[7] أو من خلال إرسال رسول. والرَّسولُ إما أنْ يكون

(1) سورة الشورى، الآية: 51.

(2) قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النجم، 8 ـ 10].

(3) قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[القصص، 30]. وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء، 164]. وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[الأعراف، 144].

(4) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[الصافات، 102].

(5) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[الحج، 75]. وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[النحل، 2]. وعن جبريل بالتحديد قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة، 97].

(6) قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[الفتح، 27].

(7) قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[الإسراء، 60].

جبريل (يُلقي عادةً الشَّرائع والكُتُب المقدَّسة) أو غيره من الملائكة (كتلك التي بشَّرت إبراهيم بإسحاق ويعقوب، أو مريم بعيسى، أو زكريا بحيى، أو التي أمرَت لوط بالخروج الفوري ليلًا).

وقد ورَدَت روايات تشرَحُ صُوَر الوحي المختلفة(1).

- ففي التَّمييز بين الوحي المباشر من ناحية، والوحي بواسطةِ جبريل من ناحيةٍ أخرى، روى هشامُ بن سالِم عن أبي عبد الله جعفر الصَّادق عليه السلام قال: قال بعضُ أصحابِنا: أصلَحَكَ الله، أكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يقول: قالَ جبرائيل، وهذا جبرائيل يأمُرُني، ثمَّ يكونُ في حالٍ أخرى يُغمى عليه؟ قال: فقالَ أبو عبد الله عليه السلام: إنَّه إذا كان الوحيُ من اللهِ إليه، ليسَ بينَهُما جبرائيل، أصابَهُ ذلك، لثِقْلِ الوحي من الله، وإذا كانَ بينَهُما جبرائيل، لم يُصِبْهُ ذلك، فقال: قالَ: لي جبرائيل، وهذا جبرائيل(2).

- وفيما يتعلَّق بصُوَرِ الوحي المباشر وغير المباشر، روى ابن شهرآشوب في المناقبِ أنَّ الحارثَ بن هشام سألَهُ: كيفَ يأتيكَ الوحي؟ فقال النبيُّ محمَّد صلى الله عليه وآله: أحيانًا يأتيني مثل صلْصلة الجَرَس (= صوت الحديد إذا حُرِّك)، وهو أشدُّهُ عليَّ فيفْصِم (= يقلع) عنِّي وقد وعَيْتُ ما قال، وأحيانًا يتمثَّلُ لي الملَكُ رجُلًا فيُكلِّمُني فأعي ما يقول(3).

- وفيما يتعلَّق بالوحي المباشر ـ دون وساطة جبرائيل ـ رُويَ أنَّه كان إذا نزَلَ عليه الوحيُ، يسْمَعُ عند وجْهِهِ دويٌّ كدويِّ النَّحْل(4).

---

(1) بعض هذه الرِّوايات قابل للمناقشة، وبالتحديد تلك التي تتحدث عن صلصلة الجرس ودوي النحل، ففي النَّفْسِ شيء تجاه الوثوق بصدورها، خصوصًا أنَّ للزُّبيريين بصمة واضحة عليها، وبعضُهُم ذُكِرَ صريحًا في أسانيدِها.

(2) محمد باقر الصدر، راجع محمد باقر الحكيم، **علوم القرآن**، ص26. الرِّواية تجدها في المجلسي، **بحار الأنوار**، ج18، ص260، ح12 منقولة عن **كمال الدِّين وتمام النِّعمة** للصَّدوق.

(3) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج18، ص260 ـ 261، أيضًا في: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله.

(4) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج18، ص261.

وُرويَ أنَّه كان ينزِل عليه الوحيُ في اليومِ الشَّديد البرد، فيَفْصِم عنه وإنَّ جبينَهُ لينْفَصِدُ (= يسيل) عرَقًا[1].

وُرويَ أنَّه كان إذا نزَلَ عليه كُرِبَ لذلِكَ (= أصابه الكرب) ويرْبدُ وجهُهُ (= يتغير إلى الغبرة)، ونكَسَ رأسَهُ ونكَسَ أصحابُهُ رُؤوسَهم منه، ومنه يُقال: «بُرَحاء الوحي»[2].

ورَوى الصَّدوق عن زُرارة قال: قُلْتُ لأبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام): جُعِلْتُ فداكَ، الغَشْية التي كانت تُصيبُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله إذا نزَلَ عليه الوحيُ؟ فقال عليه السلام: ذاكَ إذا لم يكُن بينَهُ وبينَ اللهِ أحدٌ، ذاك إذا تجلَّى اللهُ له، قال: ثمَّ قال: تلكَ النُّبوَّةُ يا زُرارة. وأقبَلَ يتخشَّع[3]!

بل رُويَ عن الإمام علي عليه السلام: نزَلَتْ (سورةُ المائدة) عليه وهو على بغْلَتِهِ الشَّهباء، وثقَلَ عليها الوحيُ، حتى وقَفَ، وتدلَّى بطْنُها، حتى رُئِيَت سرَّتها تكادُ تمسّ الأرض، وأُغميَ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله حتى وضَعَ يدَهُ على ذُؤابةِ منبِّه ابن وهب الجُمَحي، ثمَّ رُفِعَ ذلكَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله، فقرأَ علينا سورة المائدة، فعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وعمَلْنا[4].

وحولَ الوحي المباشر في المعراج، دون وساطة جبرائيل، روى عليُّ بن إبراهيم - في روايةٍ معتبرة - حدَّثني أبي عن ابنِ أبي عُمير عن هشام عن أبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام): إنَّ هذه الآية مُشافهة الله تعالى لنبيِّهِ ليلةَ أسرى بهِ إلى السَّماء، قالَ النبيُّ صلى الله عليه وآله: «انتهيتُ إلى محلِّ سدْرَةِ المُنتهى.. فكُنْتُ من ربِّي كقابَ قوسينِ أو أدْنى، كما حكى اللهُ عزَّ وجل، فناداني ربِّي تباركَ وتعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾، فقُلْتُ: أنا مُجيبٌ عنِّي وعن أمَّتي»[5].

---

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج18، ص261. أيضًا صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، الرِّواية مروية عن عائشة.

(2) البرح: الشدة، ومنه الحديث فأخذه البرحاء أي شدة الكرب من ثقل الوحي. المجلسي، **بحار الأنوار**، ج18، ص261.

(3) الصدوق، التوحيد، باب ما جاء في الرؤية، ص115، ح15.

(4) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج18، ص271، نقلًا عن تفسير العياشي.

(5) **تفسير القمي**، ج1، ص95.

هل كان محمَّد يشُكُّ بالوحي؟

لم يكُن الوحيُ موضِعَ شكِّ النَّبي محمَّد ﷺ مطلقًا (كما تزعم بعض الرِّوايات)، لذا رَوى زُرارة قال: قُلْتُ لأبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام): كيفَ لم يخَف رسولُ الله ﷺ فيما يأتيهِ من قِبَلِ الله أنْ يكونَ ذلكَ ممَّا ينزَغ به الشَّيطان؟ قال: فقال: إنَّ اللهَ إذا اتَّخذَ عبدًا رسُولًا أنزلَ عليه السَّكينةَ والوَقار، **فكانَ يأتيهِ من قِبَلِ اللهِ عزَّ وجل مثل الذي يراهُ بعينِهِ**[1].

على ضوءِ ذلك، يمكن أنْ نفهَمَ قولَهُ تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[2]، فحاشا النَّبي محمَّد ﷺ أنْ يشُكَّ فيما أُنْزِلَ إليه، أو أنْ يُطلَبَ منه أنْ يتأكَّد من نُبوَّتِهِ من أهلِ الكتاب، وهو الذي جاءَ لتصحيح اعتقاداتِهِم. إنَّما هو خطابٌ للشَّاكِّينَ في نُبوَّةِ النَّبي محمَّد ﷺ، وإنْ كان ظاهرُ الخطاب موجَّهًا له ﷺ، على قاعدةِ «إيَّاكَ أعني واسْمعي يا جارة». فمن يشُكُّ في نُبوَّةِ النَّبي ﷺ، عليه أنْ يسْأَلَ أهلَ الكتاب، لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[3].

بالإضافةِ لذلك، الآيةُ جاءَت على هيئةِ جملة شرطية، والجملةُ الشرطية لا تدُلُّ على تحقُّق الشَّرط أصلًا، بل هو للتأكيد على مسألةٍ ما أحيانًا، أو لبيانِ قانون عام، فمثلًا يقولُ تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[4]، فالظاهرُ أنَّ المخاطَب في هذه الآية هو النَّبي ﷺ، مع أنَّه ﷺ فقَدَ أباهُ قبلَ ولادتِهِ، وفقَدَ أمَّهُ في طفولتِهِ، ومن الواضح أنَّ الإحسانَ للوالدين طُرِحَ كقانونٍ عام، بالرَّغم من أنَّ ظاهِرَ الخطاب مُوجَّه للنَّبي ﷺ. وكذا قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[5]، فهو لا يدُلُّ على أنَّه ﷺ طلَّقَ زوجًا في حياتِهِ، بل هو بيان قانون عام[6].

---

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج18، ص262.

(2) سورة يونس، الآية: 94.

(3) سورة البقرة، الآية: 146.

(4) سورة الإسراء، الآية: 23.

(5) سورة الطلاق، الآية: 1.

(6) مكارم الشيرازي، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، ج6، ص296 ـ 297.

أما الرِّواياتُ التي تُصوِّر النبيَّ محمَّدًا ﷺ على أنَّه كان مذعورًا مُرْتابًا في نُبوَّتِهِ، ولم يُهدِّئ من روعِهِ إلا زوجتُهُ خديجة التي أقنَعَتْهُ أنَّ ما يأتيهِ ليسَ بشيطان، واستعانت بدورِها بابنِ عمِّها النَّصراني ورقة بن نوفل، الذي طمأنَ النبيَّ محمَّد ﷺ بأنَّ ما يراهُ هو النَّاموسُ (= الوحي) الذي أُنْزِلَ على موسى عليه السلام، وأنَّه ظنَّ نفسَهُ مجنونًا إلى درجةِ أنْ فكَّرَ مرارًا بالانتحار[1]، فلا أراها إلا مكذوبةٌ ومدْسوسةٌ من أيادٍ أرادَت الإساءة لشخْصِهِ والتَّشكيك بوحيِهِ.

ونلحَظ في هذه الرِّوايات بصفةٍ عامة، وجود الزُّبيريِّين ومن دارَ في فلَكِهِم، فشخصان من موالي آل الزُّبير، مضافًا إلى عبدِ الله بنِ الزُّبير وأخيه عروة، وعائشة خالتهُما، لهم حضورٌ في مُعظَمِها. يُضافُ إلى ذلكَ أنَّ عائشةَ وابنَ عبَّاس لا يتسنَّى لهُما أنْ يكونا راويين مُسْتقلَّين للحادثة، بسببِ صِغْرِ سنِّهِما. والإشكالُ في وجودِ آل الزبير يرتبطُ إلى حدٍّ ما بورقةِ بنِ نوفل وخديجة، وهؤلاء بأسْرِهِم من بني أسَد، ومن قريش.

بل سنَلْحَظ ذلكَ في رواياتٍ أُخرى عن الزُّبيريين، كما يأتي في أسطورة سِحْر النَّبي بواسطة اليهودي لُبيد بن الأعْصَم، ونسيانِهِ لآياتٍ من القرآن، برواياتٍ يرويها هشام بن عروة بن الزُّبير.

ويبدو أنَّ الزُّبيريين قاموا بدورٍ مشْبوهٍ ومريب بعدَ انكسارِ طموحاتِهِم السِّياسية (بعد حرْبِ الجمل، بل أصيبوا بانتكاسةٍ كبيرةٍ بعدَ التسبُّب بمحاصرةِ مكة ورمي الكعبة بالمنْجنيق، الأمر الذي انتهى بصلْبِ إمامِهِم عبد الله بن الزُّبير)، فبدؤوا بعد ذلك بنْسبةِ روايات مشْبوهة عن النَّبي محمَّد ﷺ ووحيِهِ، ورُبَّما تعلَّقَ الأمرُ بفُقدانِ حالة التَّوازُن الفكري والنَّفْسي، وربما صعوباتٍ نفسيَّة عانوا منها. . .والأمرُ بحاجةٍ لمزيدِ بحث.

على أيِّ حال، هذه الرِّوايات المكذوبة مهَّدَت الأرضية منْذُ القِدَم

(1) في الرواية: «حُزْنًا غدا منه مرارًا كي يتردَّى من رُؤُوسِ شواهقِ الجبال، فكلَّما أوفى بذرْوةِ الجبل لكي يُلقي منه نفسَهُ، تبدَّى له جبريل فقالَ: يا محمَّد، إنَّكَ رسولُ الله». انظر **صحيح البخاري**، كتاب الحيل، كتاب التعبير، باب أو ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ح 6982 مروي عن عُرْوة عن عائشة.

لخُصُومِ الإسلام، فقد ادَّعى بعضُهُم أنَّ محمَّدًا اقتبسَ قرآنَهُ من ورقةِ بنِ نوفل النَّصْراني، وأنَّ هذا الأخير قامَ بترجمةِ الإنجيل المُحرَّف إلى العربية، وأنَّ قِسًّا نُسْطُوريًّا ترجمَ بعضَ الأناجيل إلى العربية، دون أنْ يدْعَم زعمَهُ هذا بأيِّ دليل.

هل النبيُّ معصومٌ في تلقِّي القرآن وتبليغِهِ؟

قالَ تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[1].

هذه الآياتُ تدلُّ دلالةً قاطعة على أنَّ الله تعالى يُدْخِل ما بين جبريل والرَّسول أولًا، وما بين الرَّسول والناس ثانيًا، حَرَسًا من الملائكة، مراقبينَ لحفْظِ الوحي، وحمايتِهِ من كلِّ تحريفٍ وتغيير، بالزِّيادةِ والنُّقصان، سواءٌ أثناء استقبال الرَّسول للوحي من الله، أو أثناء تبليغ الرَّسول الوحيَ للناس... لماذا؟ ليتحقَّق وليظْهَر علْمُ اللهِ أنَّ الرُّسُلَ قد أبلَغُوا رسالاتَ ربِّهم إلى الناسِ من غير تغييرٍ وتبديل، وأنَّه قد أحاطَ علْمًا بكلِّ ما لديهم وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا.

على ضوءِ ذلك أقول: لتذهب أوهامُ المُشكِّكين ـ الزَّاعمينَ أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ فاعِلٌ وقابِلٌ ـ أدراجَ الرِّياح، وأنَّ جبريل عليه السلام ألقى إلى محمَّدٍ ﷺ المعنى فقط، وأنَّه ﷺ عبَّرَ بهذه الألفاظ بلُغةِ العرب[2]. فهذه الآيات وغيرها، تدلُّ بنحوٍ قاطعٍ على أنْ لا دورَ للنَّبي محمَّدٍ ﷺ في صياغةِ ألفاظ القرآن، وإنَّما هو مستقبِلٌ للوحي، فبالحقِّ أنزَلَهُ اللهُ من أُمِّ الكتاب، وبالحقِّ نزَلَ على قلْبِهِ بلسانٍ عربيٍّ مبين.

بعبارةٍ أخرى، النبيُّ محمَّد ﷺ كشَفَ القرآنَ ولم يُنْشِئْهُ، وبين الأمرين بونٌ واسع. اللهُ سبحانَهُ هو المُنْشِئُ لألفاظِ القرآن بصريحِ قولِهِ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾، والنبيُّ محمَّد ﷺ هو الكاشِفُ لذلك بواسطةِ جبريل عليه السلام. فتأمَّل.

هنا من المناسب أنْ أعرض لبحثٍ موجزٍ أناقشُ فيه ما وردَ في كُتُبِ

---

(1) سورة الجن، الآيات: 26 ـ 28.

(2) انظر مثلًا: السُّيوطي، **الإتقان**، النوع السادس عشر، ج1، ص125.

التُّراث من أحاديثٍ وتفاسير دالَّة وقوع النَّبي محمَّد ﷺ في خطإٍ أو نسيان في تبليغِ الوحي[1].

أوهام حولَ خطإِ النبيِّ ونِسْيانِهِ:

لقد تشبَّثَ بعضُ خصوم النَّبي محمَّد ﷺ بآياتٍ قرآنية، وروايات ورَدَت في التَّفاسير وكُتُبِ الحديثِ والتاريخ، استدلُّوا بها على إمكانيةِ خطأ النَّبي محمَّد ﷺ ونسيانِهِ شيئًا من الوحي. سنَدْرُسُ ذلك ـ بنحوِ موجز ـ في النِّقاط التالية:

أولًا: الإلقاء في الأُمْنيةِ وأُسْطورةُ الغرانيق

- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

في البدء دعونا نتعرَّف على معنى الآية، لنتناول بعدَ ذلك ما قيلَ بشأْنِها.

الآيةُ تقول: ما أرْسَلْنا من قبْلِكَ ـ يا محمَّد ـ من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنَّى (وخطَّطَ وكان له برنامجٌ إصْلاحيٌّ ورغبة وحرْص على إصلاح الناس)، ألقي الشَّيطانُ في أُمْنيَّتِهِ (وخُطَّتِهِ وبرنامَجِهِ ورغبتِهِ، بأنْ يُساوِمَهُ ويضْغط عليهِ نفسيًّا وعلى أتباعِهِ، ويُوسْوِسَ للناسِ، ويُهيِّجَ الظَّالمين ويُغري المفسدين، محاولًا الإرْباكَ والتَّشويش، وإعاقة التَّنفيذ وإفساد الأمر على الرَّسول أو النَّبي)، فيَنْسَخ اللهُ ما يُلْقي الشَّيطانُ ويُزيلُهُ، ثمَّ يُحكِمُ اللهُ آياتِهِ (بإنجاحِ سعي الرَّسول أو النَّبي وإظهار الحق)، لأنَّ اللهَ عليْم حكيم.

المعنى يتَّضِح تمامًا عندما نُكْمِل قراءة الآيات، حيثُ يُعلِّل اللهُ ذلكَ بقولِهِ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ

---

(1) موضوعُ خطإِ النَّبي ونسيانِهِ يُبحَثُ عادةً ـ في علْم الكلام ـ تحتَ عنوان «العصْمة»، ويُدْرَس في هذا البحثِ موضوعُ إمكانية ارْتكاب النَّبي للذَّنْبِ والمعْصية. هنا، أريدُ التركيز على إمكانيةِ وقوع النَّبي في خطإٍ واشتباه، كأنْ يتدخَّل الشَّيطانُ في الوحيِ وإبلاغِهِ، وإمكانية نِسْيان النَّبي لشيءٍ من الوحي فعلًا، ولا أريدُ بحث إمكانية ارْتكاب النَّبي للذَّنْبِ والمعْصية.

(2) سورة الحج، الآية: 52.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

على هذا الأساس، تكونُ محاولة إثارة الإرْباك والتَّشويش وإفساد الأمر من الشَّيطانِ من قبيلِ قولِهِ تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[2]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[3]، وتكونُ النَّتيجةُ من قبيلِ قولِهِ تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[4]، وتكونُ الصُّورةُ العامةُ من قبيلِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[5].

إذا عرَفْتَ ذلك، أنْظر الآن كيفَ يُزيِّفُ الدجَّالُونَ معاني الآيات. لقد زعموا في رواياتٍ مُتعدِّدة أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ لمَّا رأى من قومِهِ ما شقَّ عليه من مُباعدةِ ما جاءَهُم به من الله، تمنَّى في نفْسِهِ أنْ يأتيهِ من اللهِ ما يُقارِبُ بينَهُ وبينَ قومِهِ، وكان يُسِرُّهُ، مع حُبِّهِ قومَهُ وحرْصِهِ عليهم، أنْ يَلينَ له بعضُ ما قد غلُظَ عليهِ من أمْرِهِم، حتى حدَّثَتَ بذلكَ نفْسُهُ وتمنَّاهُ وأحبَّهُ، فأنْزَلَ اللهُ عليهِ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾[6]، حتى وصَلَ إلى قولِهِ تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[7].

عند هذه اللَّحظة، «ألقى الشَّيطانُ على لسانِهِ»، ما كان تُحدِّث بِهِ نفْسُهُ، ويتمنَّى أنْ يأتي به قومَهُ: «تلْكَ الغرانيقُ العُلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ تُرْتَضى (أو تُرْتُجى»)!! (الغرانيق هي طيورُ الماء، والمعتقدونَ بالأصْنامِ شبَّهوها عندَ شفاعتِها لهم بتلك الطُّيور حيث تعلو في السَّماءِ وترتفع).

---

(1) سورة الحج، الآيتان: 53 ـ 54.
(2) سورة الإسراء، الآية: 64.
(3) سورة فصلت، الآية: 26.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 18.
(5) سورة الروم، الآية: 47.
(6) سورة النجم، الآيتان: 1 ـ 2.
(7) سورة النجم، الآيتان: 19 ـ 20.

فلمَّا سمِعَتْ ذلكَ قُريش، فَرِحوا وسرَّهُم وأعجَبَهُم ما ذَكَرَ به آلِهَتَهُم، فأصاخوا له، والمؤمنونَ مُصدِّقونَ نبيَّهُم فيما جاءَهُم به عن ربِّهم، ولا يتَّهِمُونَهُ على خطأٍ ولا وَهْم ولا زَلَل، فلمَّا انتهى إلى السَّجدةِ فيها وخَتَمَ السُّورةَ، سجَدَ فيها، فسَجَدَ المُسْلمونَ بسُجُودِ نبيِّهِم تصديقًا لما جاءَ به، واتِّباعًا لأمرِهِ، وسَجَدَ من في المسْجدِ من المشْركين من قُريش وغيرِهِم لما سمعوا من ذِكْرِ آلِهَتِهِم، فلمْ يبْقَ في المسْجدِ من مؤمنٍ ولا كافرٍ إلا سَجَد، سوى الوليدُ بنُ المغيرة، فإنَّهُ كان شيخًا كبيرًا فلمْ يستطِعِ السُّجود، فأخَذَ بيدِهِ من البطحاء فسَجَدَ عليها، ثمَّ تفرَّقَ الناسُ من المسْجد.

وخرَجَت قريشُ وقد سرَّهُم ما سمِعُوا من ذِكْرِ آلِهَتِهِم، يقولون: قد ذَكَرَ محمَّدٌ آلِهَتَنا بأحسَنِ الذِّكر، قد زَعَم فيما يتلو: «تِلْكَ الغرانيقُ العُلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ تُرْتَضى (أو تُرْتُجى)».

وبلَغَ خبَرُ السَّجدةِ مَنْ بأرضِ الحبَشَة من أصحابِ النَّبي، وقيلَ لهم: أسْلَمَت قريش. فنَهَضَ منها رِجالٌ وتخلَّفَ آخرون، وعادوا إلى مكة، حتى إذا دنوا من مكة، بلَغَهُم أنَّ الذي كان تحدَّثوا به من إسلامِ أهل مكة كان باطلًا، فبقيَ بعضُهُم بجوارِ مكة أو مُسْتخفيًا، ورجَعَ منهم من رَجَع.

هذه خُلاصةُ ما أوردَهُ في تفاسيرِهِم وكُتُبِهم كلٌّ من الطَّبري والواقدي والزمُخْشري والبيضاوي والسُّيوطي وغيرهم[1].

الآن، إذا درَسْنا أسانيد هذه الرِّوايات، نجد أنَّها مُرْسلة[2]. والرِّواية منْسوبة لابنِ عباس، وهو كان طفلًا صغيرًا لا يُدْرِك الأحداث حتى ينقُلَها لنا[3].

---

(1) انظر على سبيل المثال: **تفسير الطبري**، ج17، في تفسير الآية 52 من سورة الحج، ص186 ـ 190.

(2) من أبرز رواة بعض طرقها التابعي المعروف: محمد بن كعب القرظي... كان أبوه من سبي بني قريظة، ولم يكن قد بلغ الحلم بعد، فأطلق سراحه، ثم أظهر إسلامه. ومن يدري؟ لعل دافع روايته الانتقام والتشفي لقومه من النبي محمد ﷺ بالكذب والافتراء عليه.

(3) كتب الشيخ محمد ناصر الألباني كتابًا أسماه **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**، جمع فيه كل الأحاديث والروايات الواردة حول هذه الأسطورة، ودرس أسانيدها، ومن جملة كلامه: «فحذاري أيها المسلم أن تغتر بشيء منها، فتكون من الهالكين، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، كما قال نبيك ﷺ»، ص4.

وإذا درَسْنا مُتون هذه الرِّوايات، نجد أنَّها تتحدَّث عن آياتٍ من سُورةِ النَّجم وآياتٍ في سُورةِ الحج:

أ ـ آياتُ سُورةِ النَّجم: هذه السُّورة تستعرضُ عقائدَ المشْركين حولَ بعض أصْنامهم وترُدُّها، وخاصَّة عقيدَتهم حول الأصْنام الثلاثة: اللَّات والعُزّى ومناة، حيثُ كانوا يزْعُمون أنَّها تُمثِّل بعضَ الملائكة «بنات الله». فيدْحَض الله تعالى ذلكَ بقولِهِ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[1].

ولو فرَضْنا أنَّ قارئًا أقحَمَ الجُمَل المزعومة، فهذا يعني أنَّ سِياقَ الآيات سيكون هكذا: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى. تلْكَ الغرانيقُ العُلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ تُرْتُجى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى».

لسْتُ أدري كيفَ لم ينْتَبِه مختلقو هذه الأسطورة حين قالوا: إنَّ «الشَّيطان ألقى على لسانِ النَّبي» بعدَ ذكرِهِ اللات والعُزّى ومناة الثالثة الأخرى، أنْ يقول: «تلْكَ الغرانيقُ العُلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ تُرْتُجى»؟! كيف لم ينْتبهوا أنَّ بعدَ الآية ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ مباشرةً انكارٌ لهذه العقيدة بقولِهِ تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾. ثمَّ أعقبَهُ إنكارُ شفاعة الملائكة بدون إذن الله، فكيفَ بتماثيلِهِم من الأصْنام؟! وأكَّد في الإنْكارِ عليهم مرَّةً أُخرى في تسْميَتِهِم الملائكة تسْميةَ الأنثى، وأنَّ المشْركينَ لا عِلْمَ لهم بذلك، ثمَّ أمرَ النبيَّ ﷺ بالإعراضِ عنهم، وأنْ يدْمغهم بقولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ﴾ الآيات. بعبارةٍ أخرى، سياقُ الآيات هو ذمُّ آلهة المشركين، فكيف يمكن دسُّ مقْطعٍ فيه مدْحٌ؟ هل يُعقَل أنْ يكونَ السِّياقُ ذمًّا، فيتحوَّل إلى مدْحٍ، ثمَّ يعودُ لذمِّ آلهة المشركين؟!

(1) سورة النجم، الآيات: 21 ـ 23.

لسْتُ أدري كيف غابَ عن ناسبي هذه الأُسطورة ومُصدِّقيها، من أعلام مُفسِّري أهل السُّنة، أنَّ المشركينَ الجاهليِّين بمكة لم يكونوا عَجَمًا لا يفْهمونَ هذه المعركة الصَّاخبة من الذمِّ والتقريعِ والإنكار؟ بل كانوا عربًا أقْحاحًا، جُلُّ ثقافتِهم نظْمُ القصائد في المدْحِ والهجاء، وهم مُرْهفو الإحساس فيما يجري في معاريضِ الكلام، يُطرِبُهم المدْح، ويُثيرُهُم الهجاء إلى حدِّ إقامةِ الحُرُوب وإراقةِ الدِّماء في سبيلِ المفاخرة والمناظرة![1]

بل كيف غفَلُوا عن مطْلَع سورة النجم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ④﴾؟![2] وكيف نسَبوا للنبيِّ ﷺ العجزَ عن تمييزِ صوت المَلَك عن صوتِ الشَّيطان؟ وكيف نسَبوا إليه ﷺ الجهْلَ بأنَّ صوتَ الشيطان يتضمَّنُ مدحًا لآلهةِ المشركين في حين أنَّ نُبوَّتَهُ قامت على مناهضتِها ومحاربة الوثنيَّة؟

ب ـ آيات سورة الحج: افْتَرى مختلقو الأُسْطورة على الوحي وعلى النبيِّ ﷺ، وقالوا: إنَّ جبريلَ جاءَ بعدَ ذلكَ إلى النبيِّ، أي بعدَ أنْ ألقى الشَّيطانُ على لسانِهِ: «تلْكَ الغرانيقُ العُلى، وإنَّ شفاعتَهُنَّ تُرْتَجى»، وأخبرَهُ بأنَّ الجُمْلَتين لم يُنْزِلهُما اللهُ عليه، وإنَّما هُما من الشَّيطان! فحزَنَ لذلكَ النبيُّ، فأنزَلَ اللهُ عليه هذه الآية من سُورةِ الحج: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3]!!

ولا أدري أين هو جبرائيل عليه السلام أثناء وقوع الحادثة؟ لماذا لم يُنبِّه النبيَّ ﷺ على الفور؟ وأين قولُهُ تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ㉖ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ㉗ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾؟[4] فتأمَّلَ كيف يتلاعب المُتلاعبون بالدِّينِ والوحي.

---

(1) للتفاصيل راجع: مرتضى العسكري، **أحاديث أم المؤمنين عائشة**، ج2.
(2) سورة النجم، الآيتان: 3 ـ 4.
(3) سورة الحج، الآية: 52.
(4) سورة الجن، الآيات: 26 ـ 28.

من المؤسف أنْ تجدَ لهذه الأُسْطورة جُذُورًا في صحيحِ البخاري، حيثُ روى في كتابِ سُجُود القرآن، بابِ سُجُود المُسْلمين مع المُشْركين: عن ابنِ عباس أنَّ النبيَّ ﷺ سجَدَ بالنَّجْمِ، وسجَدَ معهُ المُسْلمونَ والمُشْركونَ من الجنِّ والإنْس!

ذكَرَ الحافِظُ هذه الرِّوايةَ المُفصَّلةَ في **فتْحِ الباري شرْحِ صحيح البخاري** (كتابِ تفسير القرآن، سُورةِ الحج، باب وترى الناسَ سُكارى)، وتحدَّثَ عن حيرةِ العُلماء وأقوالِهم في تأويلِ ذلك، فكتَبَ: «وقد سلَكَ العُلماءُ في ذلكَ مسالِكَ؛ فقيل: جرى ذلكَ على لسانِهِ حين أصابَتْهُ سِنَةٌ وهو لا يشْعُر، فلمَّا علِمَ ذلكَ أحكَمَ اللهُ آياتِهِ. وردَّ عياض بأنَّه لا يصُحُّ، لكونِ لا يجوز على النبيِّ ﷺ ذلك، ولا ولاية للشَّيطانِ عليه في النوم. وقيل: إنَّ الشَّيطانَ ألجأَهُ إلى أنْ قالَ ذلك بغيرِ اختيارِهِ. وردَّهُ ابنُ العربي بقولِهِ تعالى حكايةً عن الشَّيطان ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَنٍ﴾ الآية، قال: فلو كان للشَّيطانِ قوةٌ على ذلك، لما بقِيَ لأحدٍ قوة في طاعة».

وهكذا ذكَرَ الحافظُ تأويلات أُخَر، وردَّ عليها، ثمَّ قال: «وقيل: كان ﷺ يُرتِّلُ القرآنَ، فارتصَدَهُ الشَّيطانُ في سكتةٍ من السَّكتات، ونطَقَ بتلكَ الكلمات محاكيًا نغمتَهُ، بحيث سمِعَهُ من دنا إليه، فظنَّها من قولِهِ وأشاعَها». قال: «وهذا أحسَنُ الوجوه»!

أقول: لو افترضنا جدلًا صحَّةَ هذا الوجه الذي اعتبرَهُ أحسَنَ الوجوه، كيفَ نعالجُ الرِّوايات المُسيئة التي تقول بكلِّ وضوح «ألقى الشَّيطانُ على لِسانِهِ»؟!

في المقابل، لم يرتضِ الإمامُ الشَّوكاني تلكَ التأويلات، وقال: «ولم يصحُّ شيءٌ من هذا، ولا يثبُتُ بوجهٍ من الوجوه، ومع عدَمِ صحَّتِهِ، بل بطلانِهِ، قد دفعَهُ المُحقِّقونَ بكتابِ اللهِ سبحانه»[1]. وتابعَهُ الآلوسي في إنكارِ الأسطورة[2]، وكذا الشَّيخ محمد عبده، وغيرهما[3].

---

(1) الإمام الشوكاني، **فتح القدير**، ج3، ص249.

(2) الآلوسي، **روح المعاني**، ج17، ص178 ـ 179.

(3) محمد عبده، **مشكلات القرآن الكريم**، ص87 ـ 88. أيضًا محمد عبده، **دروس من القرآن**، ص129.

ثانيًا: هل يشاءُ اللهُ إنْساءَ النَّبي ﷺ؟

■ قالَ تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾[1].

قد يُقالُ: إنَّ الآيةَ صريحةٌ، فهي تريدُ أنْ تقول: سنُقْرِؤُكَ القرآنَ بحيث لا تنْساهُ أبدًا، إلا ما شاءَ اللهُ أنْ تنْسى شيئًا ممَّا نُقْرِئُك. والنَّتيجةُ أنَّ محمَّدًا ﷺ قد ينْسى شيئًا من القُرآنِ الموحى إليه!

بل «قالوا: ذلكَ هو ما نسَخَهُ اللهُ من القرآن، فرَفَعَ حُكْمَهُ وتلاوَتَهُ». ويقولُ الطَّبري: «والقولُ الذي هو أولى بالصَّوابِ عندي قولُ من قال: معنى ذلك: فلا تنْسى إلا أنْ نشاء نحنُ أنْ نُنْسيكَهُ بنَسْخِهِ ورفْعِهِ»[2]!

الجواب: هذا التُّراث سمَحَ للمستشرق فريدريش شِفالي[3] أنْ يزعُم أنَّ «الذَّاكرةَ كانت تخونُ النبيَّ في بعضِ الأحيان»[4]!

معنى الآية ليس هكذا، لأنَّها جاءَت في مقام الامتنان على محمَّدٍ ﷺ، فلا يُعقَلُ أنْ تقولَ: سنُقْرِئُكَ القرآنَ بحيث لا تنْساهُ، إلا ما تَنْساهُ أو ما نُنْسيكَ إيَّاهُ!! لأنَّ كلَّ إنسانٍ متلقٍّ قد يفقِدُ بالنِّسيانِ شيئًا ممَّا يتلقَّاهُ، فلا مزيَّةَ حينئذٍ ولا امتنان.

فاللهُ سبحانه يعرِفُ شدَّة حرْصِ محمَّد ﷺ على الوحي مخافةَ أنْ ينْسى شيئًا منه، فقد قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[5]، وقالَ تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[6]، أي لا تُحرِّكْ يا محمَّد لسانَكَ بتلاوةِ القرآن قبلَ إتمام الوحي، من أجلِ أنْ تحفَظَهُ ولا تنْساه، إذ إنَّ علينا جمْعَ الوحي في صدْرِكَ حتى تحفَظَهُ، وإنَّ علينا إجراءَ قراءتِهِ على لسانِكَ بحيث لا تنْسى منه شيئًا، فإذا أتمَمْنا قراءَتَهُ فاقرأ بعدَ قراءتِنا، ثمَّ إنَّ علينا بيانَ تفاصيلِهِ وتوضيحَها لك.

---

(1) سورة الأعلى، الآيتان: 6 ـ 7.
(2) **تفسير الطبري**، ج30، ص154.
(3) (ت 1337 هـ/ 1919م).
(4) نولدكه/ شفالي، **تاريخ القرآن**، ص239.
(5) سورة طه، الآية: 114.
(6) سورة القيامة، الآيات: 16 ـ 19.

وهنا، في قولِهِ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، يريدُ أنْ يمتنّ عليه بالوعدِ والبشارةِ بعدَمِ النِّسيان. على ضوءِ ذلك، يُحتمَلُ في معنى الآية الوجوهُ التالية:

الوجهُ الأول: سنُقرِئُكَ من القرآن ما يحمِل كلَّ شيء، إلا ما شاءَ اللهُ اختصاصَهُ بذاتِهِ المُقدَّسة من عُلُومِ الغُيوب. ومن ثَمَّ المعنى: سنُقْرِئُكَ ما شاءَ اللهُ إنزالَهُ من القرآن، ونعِدُكُ ونُبشِّرُكَ بأنَّ ما سنُقْرِئُكَ إيَّاه لن تنْساهُ أبدًا.

الوجهُ الثاني: سنُقْرِئُكَ القرآنَ فلا تنْسى شيئًا منه أبدًا، فعواملُ النِّسيان لن تُؤثِّر فتُنْسيكَ شيئًا منه. . .هذه هي حدودُ مشيئة الله، لأنَّ دورَكَ كنبيٍّ يقتضي هذا القدْر من المشيئةِ والحصانة، أما أكثر ممَّا يقتضيه الوحي وتبليغُهُ، فلا ضمانَ بأنْ تمتد يدُ المشيئة لإبطالِ فاعليَّة عوامل النِّسيان. بالتالي المعنى: سنُقْرِئُكَ القرآن، فأبشِر، لقد شاءَ اللهُ أنْ لا تنْسى منه شيئًا أبدًا، فهذا القدْر هو المضمونُ من السَّماء عدَمُ نسيانِهِ[1].

الوجهُ الثالث: سنُقْرِئُكَ القرآنَ فلا تنْسى شيئًا منه أبدًا، إلا ما شاء الله. وهذا الاستثناءُ في المشيئةِ يتحدَّث عن «إمكانية»، لإظهارِ الامتنان، ولا يعني المشيئة الفعليَّة. فيكونُ المعنى من قبيلِ قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[2].

وإلى هذا الوجه أميل.

ثالثًا: إمكانية تلاشي الوحي

قالَ تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾[3].

قد يُقالُ: إنَّ الآيةَ صريحةٌ بإمكانيةِ إنْساء الله تعالى نبيَّهُ ﷺ ما أوحاهُ إليهِ من القرآن، وإنْساء الناسَ ذلك أيضًا، فيذْهب ما أنزَلَهُ الوحيُ أدْراجَ الرِّياح.

---

(1) الصَّادقي، تفسير الفرقان، ج30، ص135.
(2) سورة فاطِر، الآيات: 15 ـ 17.
(3) سورة الإسراء، الآية: 86.

الجواب: حتى نفهم هذه الآية علينا أنْ لا نَنْزَعَها من سياقِها، فالآيةُ التي تسْبقُها مباشرةً تقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]، والآيةُ التي تليها مباشرةً تقول: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾[2].

ومعنى هذه الآيات: ويسْأَلُونَكَ يا محمَّد عن «الرُّوح» (الوارد في كلام الله، وهو مخْلُوقٌ مُقدَّسٌ أعظَمُ من الملائكة): ما هو هذا الرُّوح؟ قُل: الرُّوحُ من أمْرِ ربِّي (الذي هو كلمةُ الإيجاد السَّماوية «كن»، والذي هو فعْلُ اللهِ المختصّ به الذي لا تتوسَّط فيه الأسباب، ولا تتقدَّر بزمانٍ أو مكانٍ أو غير ذلك)، وما عندكُم من العِلْم بالرُّوح إلا قليلًا (فإنَّ له موقعًا من الوجودِ وخواصّ وآثارًا في الكونِ عجيبَة أنْتُم محجوبونَ عنها).

ثمَّ يقولُ تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ (بواسطةِ الرُّوح النَّازِل المُلْقي عليكَ القرآنَ من أمْرِنا، غير خارج عن قُدْرَتِنا)، ثمَّ لا تجِدُ من يكونُ وكيلًا لك به علينا، يُطالِبُنا ويجْبُرُنا على ردِّ ما أذْهبناهُ عنك. ولكن أبقيناهُ عليكَ رحْمةً من ربِّكَ (أو ما أُعطيتَ من نُزُول الرُّوح وملازمتهُ إيَّاك إلا رحْمةً من ربِّك)، لأنَّ فضْلَهُ كانَ عليكَ كبيرًا.

على ضوءِ ذلك، يبدو جليًّا أنَّ الحديثَ عن المشيئةِ في مثلِ هذه الحالات يستهدِفُ إبرازَ القُدرة وإظهارَ الامتنان، ولا يستهدِفُ الإخبارَ عن مشيئةٍ فعليَّةِ التحقُّق.

رابعًا: نسْبةُ النَّسْخُ والإنْساء للهِ تعالى

- قالَ تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

الكلامُ هنا حول كلمة ﴿نُنسِهَا﴾. فقد يُقال: الآيةُ صريحةٌ في أنَّها تعِدُ

(1) سورة الإسراء، الآية: 85.
(2) سورة الإسراء، الآية: 87.
(3) سورة البقرة، الآية: 106.

محمَّدًا بأنَّ اللهَ تعالى لو نسَخَ آيةً أو أنساهُ إيَّاها، آتاهُ خيرًا منها أو مثلَها. فهل ثمَّةَ آيات نزَلَت في القُرآنِ أنساها اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ، ثمَّ جاءَ بمثْلِها أو خيرٍ منها؟

بل في تفسيرِ الدُّر المنْثور عن ابنِ عباس أنَّه قال: كان ممَّا ينْزِلُ على النبيِّ ﷺ الوحيَ باللَّيلِ وينساهُ بالنَّهار، فأنزَلَ اللهُ ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾[1]! والطَّبري في تفسيرِهِ بعدما ذكَرَ بعضَ الشَّواهد على آياتٍ قيلَ إنَّها رُفِعَت، قال: «وغيرُ مستحيلٍ - في فطْرةِ ذي عقلٍ صحيحٍ ولا بحُجَّةِ خبَرٍ - أنْ يُنْسي اللهُ نبيَّهُ ﷺ بعضَ ما قد كان أنزلَهُ إليه. فإذا كانَ ذلكَ غير مستحيلٍ من أحدِ هذين الوجهين، فغيرُ جائزٍ لقائلٍ أنْ يقول: ذلكَ غيرُ جائز»[2]!

كتَبَ المسْتشرق جولدْتسيهر: «إنَّ الرَّسولَ نفسَهُ قد اضطرَّ، بسببِ تطوُّرِهِ الدَّاخلي الخاص، وبحُكْمِ الظُّروف التي أحاطَت به، إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديدٍ في الحقيقة، وإلى أنْ يعترف أنَّه ينْسَخ بأمرِ الله ما سَبَقَ أنْ أوحاهُ اللهُ إليه»[3].

الجواب: الإشكالُ كلُّهُ مُبْتَنٍ على كونِ كلمة «آية» بمعنى الآية التشريعية، وكلمة «نُنْسِها» من «نَسِي» بمعنى المحو من الأذهان.

في حين أنَّ الأرجح أنَّ كلمة «آية» هنا بمعنى الآية التَّكوينية، وكلمة «نُنْسِها» من «نَسِي» لكن لا بمعنى المحو من الأذهان، بل بمعنى «التَّرْك». فكثيرًا ما تُستخدَمُ كلمةُ «نسيان» بمعنى التَّرْك، كقولِهِ تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ﴾[4]. أو أنَّها من «نَسَأ» أي أخَّرَ وأرْجَأ، بل قراءة ابن كثير وأبو عمر هي «نَنْسأُها».

---

(1) السيوطي، **الدر المنثور**، ج1، ص104.

(2) **تفسير الطبري**، ج1، ص479.

(3) إيجناس جولدتسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، المركز القومي للترجمة، 2013، القاهرة، ص41.

(4) سورة التوبة، الآية: 67. أي تركوا الله فتركهم. وإلا لا يمكن عقلًا نسبة النسيان إلى الله تعالى، خصوصًا مع قوله تعالى صراحة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾[مريم، 64].

فهل المقصود هنا بـ «الآية»: الآية التَّشريعية كما توهَّمَ كثيرون؟ أم إنَّ المقصود الآية التَّكوينية؟ وهل المقصود هنا بـ «نُنْسِها»: المحو من الأذهان كما ذهبَ كثيرون؟ أم إنَّ المقصود هو التَّرْك أو التأخير؟

لنستعرض أهم التفاسير المحتملة للآية:

الاحتمال الأول: ما نُزيلُ حُكْمَ آيةٍ تشريعيةٍ، أو نمحو حِفْظَها من ذاكِرَتِك، إلا ونأتي بخيرٍ منها أو بمثْلِها في الصَّلاح. ألم تعلم أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير؟!

ومعنى ذلك: لو نُسِخَ حكْمٌ دينيٌّ بحُكْم دينيٍّ آخر، وفقًا لما تقتضيهِ مصالح العباد المُتغيِّرة زمانًا، فالحُكْمُ الجديد إمّا أنْ يكونَ أصْلَح من السَّابق، أو يكون بدرجتِهِ في الصَّلاح.

الاحتمال الثاني: ما نُزيلُ أحكامَ شريعةٍ، أو نُهمِلُ ونترُك الإلفاتَ إليها، إلا ونأتي بخيرٍ منها أو بمثْلِها في الصَّلاح. ألم تعلم أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير؟!

ومعنى ذلك: لو جاءَ نبيٌّ بشريعةٍ، ثمَّ بُعِثَ نبيٌّ آخر، فهذا الآخر إما أنْ تكون تعاليمُهُ أصلَح من تعاليم السَّابق، أو تكون بدرجتِهِ في الصَّلاح.

الاحتمال الثالث: ما نُزيلُ أثرَ آيةٍ تكوينيةٍ، أو نمحو حِفْظَها، إلا ونأتي بخيرٍ منها أو بمثْلِها في الكمال. ألم تعلم أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير؟!

ومعنى ذلك: لو جاءَ نبيٌّ بآيةٍ تكوينية (= معجزة)، ثمَّ تلاشى تأثير هذه الآية مع مرورِ الزَّمن أو مُحيت من الأذهان، وبُعِثَ نبيٌّ آخر، فهذا النَّبيُ الآخر إما أنْ تكون آيتُهُ أوضَحَ في دلالتِها (على اللهِ وصدْقِ النبوَّة) من آيةِ النبيِّ السَّابق، أو تكون بدرجتِها في الدَّلالة.

الاحتمال الرابع: ما نُزيلُ أثرَ آيةٍ تكوينيةٍ، أو نُهمِلُ ونترُك الإلفات إليها أو نُؤخِّر ظُهورَها، إلا ونأتي بخيرٍ منها أو بمثْلِها في الكمال. ألم تعلم أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير؟!

ومعنى ذلك: أنَّ الآياتِ التَّكوينيةَ الدَّالةَ على اللهِ تعالى مستمرَّة ومتلاحقة. فلو ظهرَت آيةٌ تكوينية، ثمَّ ظهرَت آيةٌ تكوينيةٌ أخرى، فالآيةُ السَّابقة إذا أزَلْنا أثَرَها بآيةٍ لاحقة (لمُضيِّ الزَّمان مثلًا أو عدم اطِّلاع أحد عليها)، أو

جعلناها في طيِّ النِّسيان (لأنَّ قدرة الناس على ضبْطِ الحوادث محدودة) أو أخَّرْنا ظهورَها لسببٍ تكويني، فإما أنْ تكون دلالة الآية اللاحقة (على الله) أوضَح من السَّابقة، أو تكون بدرجتِها في الدَّلالة.

وهذا الاحتمالُ يستبطنُ الاحتمالَ الثالث، لأنَّ معجزات الأنبياء ما هي إلا جزءٌ يسيرٌ من آياتِ الله التَّكوينية.

الآن، الإشكالُ يرِدُ لو أخذْنا بالتَّفسيرِ الأول، وهو أضعَفُها. وسياقُ الآية يُرجِّحُ التفسيرَ الرَّابع، ثمَّ الثالث.

إذن الأرجح أنَّ الآيةَ تتحدَّث عن نَسْخِ الآيات التكوينية أو إنْسائِها، فتكونُ الآية من قبيلِ قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]. لذا الأظهر أنَّ الآيةَ تتحدَّث عن تتابُع الآيات (كالمعجزات مثلًا) على مرِّ الزَّمن، وأنَّه ما من آيةٍ تظْهَر لاحقًا، أو يتطاول بها العهد فتُنْسى أو يتأخَّر ظُهورُها لسببٍ تكويني، إلا هي أعظَم وأكمَل من السَّابقة، أو مثْلُها على أقلِّ تقدير.

على ضوء ذلك، الإنْساءُ في الآيةِ ليس للنبيِّ أصلًا، بل إما إنْساءٌ للبشَر لاضمحلال أثَر الآية التكوينية (لانمحائِها من أذهانِهم أو لتركِها وإهمالِها من الله تعالى)، أو إنْساء وتأخير ظهور الآية التكوينية في عالَمِ الوجود[2].

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 48.

(2) من الروايات المؤيدة لتفسير النسخ بـ «النسخ التكويني»، ما رواه الكليني عن عيسى بن عبد الله أنه قال لأبي عبد الله (جعفر الصادق ﷺ): جعلت فداك، ما العبادة؟ قال: حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها، أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمنًا حتى تعرف الناسخ من المنسوخ. قال قلت: جعلت فداك، وما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ قال فقال: أليس تكون مع الإمام موطنًا نفسك على حسن النية في طاعته، فيمضي ذلك الإمام ويأتي إمامٌ آخر فتوطن نفسك على حسن النية في طاعته؟ قال قلت: نعم. قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ. انظر: البروجردي، **جامع أحاديث الشيعة**، أبواب المقدمات، باب وجوب النية في العبادات الواجبة وأنه لا عمل إلا بها، ح16، ج1، ص487.
أيضًا روى الكليني في باب الإشارة والنص على أبي محمد (الإمام الحسن العسكري ﷺ) عن شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: كتَبَ إليَّ أبو الحسن (الإمام علي الهادي ﷺ) في كتابٍ: أردْتَ أنْ تسألَ عن الخلَفِ بعد أبي جعفر، وقلقت لذلك، فلا تغتمَّ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ «لا يُضلُّ قومًا بعد إذْ هداهم حتى يُبيِّنَ لهم ما يتَّقون»، وصاحبُكَ بعدي أبو محمد ابني وعندَهُ =

والقرينةُ المُتَّصلةُ الدَّالةُ على ذلكَ قولُهُ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فقُدرةُ اللهِ تظهَرُ في الآياتِ التكوينية، أما في الآياتِ التَّشريعية فلا تظهَر قُدْرَةُ الله بقدْرِ ما يظْهَر عِلْمُ اللهِ وحكمتُهُ. فلو قالَ تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أو ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، لاعتبَرْنا ذلكَ قرينة متَّصلة دالَّة على أنَّ المقصودَ هو الآيات التَّشريعية والأحكام.

ويبدو أنَّ شيوعَ تفسير «الآية» في هذا المورد، بالآيةِ التَّشريعية، وشيوع استخدام كلمة «النَّسْخ» بمعناها التَّشريعي (أي برفْع تشريع سابق بتشريعٍ لاحق)، ثمَّ استناد أجيال متلاحقة من العُلماء عليها في مقامِ الاستدلال على إمكانِ النَّسْخ في التَّشريع، صرَفَ الأذهان بعيدًا عن التَّفسيرِ الأقرب لسياقِ الآية.

بل عند استقراءِ موارد استخدام كلمة «آية» في القرآن، نجد أنَّها غالبًا تأتي بمعنى الآية التكوينية. كقولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]. وقولِهِ تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2]. وقولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]. وقولِهِ تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

أما ظروف وملابسات شيوع استخدام كلمة «النَّسْخ» بالمعنى التَّشريعي، فيأتي في البحثِ التالي.

= ما تحتاجونَ إليه، يُقدِّمُ اللهُ ويؤخِّرُ ما يشاءُ الله ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾، قد كتبتُ بما فيه بيانٌ وقناعٌ لذي عقلٍ يقظان. (الكليني، **أصول الكافي**، كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد عليه السلام، ح12، ج1، ص367)

(1) سورة البقرة، الآية: 118.

(2) سورة المائدة، الآية: 114.

(3) سورة الأنعام، الآية: 37.

(4) سورة الأعراف، الآية: 73.

بحث استطرادي هام حول النَّسْخ:

على ضوءِ ما مضى، نصلُ إلى نتيجةٍ مُؤدَّاها أنَّ ما أثارَهُ كثيرٌ من المُفسِّرين حولَ الآية، ومحاولتَهُم توظيفُها للتوسُّع في بحثِ النَّسْخِ في الآياتِ والأحكام، وشُمُولُهُ لنَسْخِ التلاوة وإنْساء النَّبي ﷺ لبعضِ الآيات ونَسْخ القرآن بالسُّنةِ، بل حتى قيلَ بنَسْخِ أخبار القرآن. . .كلُّ ذلكَ خروجٌ عن الظاهر من معنى الآية.

لقد استندوا في بعضِ ذلكَ إلى رواياتٍ لا يمكنُ القَبولُ بها كتلكَ المرويَّة عن قتادة قال: «كانت الآيةُ تنْسَخُ الآية، وكان نبيُّ اللهِ يقرأُ الآيةَ والسُّورةَ وما شاءَ اللهُ من السُّورةِ، ثمَّ تُرْفَع، فيُنْسِها اللهُ نبيَّهُ. . .»[1]!!

بل حتى قولَهُ تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، التي استندوا إليها للتوسُّع في بحثِ النَّسْخ، لا دليلَ على أنَّ المقصودَ بـ «الآيةِ» فيها الآيةَ القُرآنية، أو حتى أيَّ حُكْمٍ تشريعي. بل الأرجح أنَّ المقصود هو الآية التكوينية، وبالتَّحديد الآية البيِّنة (المعجزة) التي يأتي بها النَّبي؛ فلكونِ الناس قد اعتادوا في السَّابق على الآياتِ البصَرية، فاجأتْهُم آيةُ القرآن، فزعموا أنَّه ليس آيةً معجزة[3].

لقد استبْدَلَ اللهُ تعالى آيةَ موسى (العصا واليد)، وآيةَ عيسى (إبراء الأكمَه والأبرص وإحياء الموتى)، وهي آيات بصَرية، بآيةِ محمَّد (القرآن)، وهي آية تُخاطِبُ العقْلَ والقلْب. هذا الاستبدال هو الذي دفَعَ الجاحدينَ إلى اتِّهامِ النبيِّ محمَّد ﷺ بأنَّه مُفْتَرٍ.

لُغويًّا، يأتي «النَّسْخُ» بمعنى النَّقْل، ومنه «تناسُخ المواريث والدُّهور والأنفُس». كما يأتي بمعنى الإزالة، ومنه «نسَخَتِ الشَّمْسُ الظلَّ» و«نسَخَ الشَّيْبُ الشَّبابَ». على هذا الأساس، إذا رجعنا إلى الجذْرِ اللُّغوي للكلمة، نجد أنَّ استخداماتها عادةً تكون بمعنى النَّسْخ التكويني. بل حتى في القرآن،

---

(1) السُّيوطي، الدر المنثور، ج1، 104.
(2) سورة النحل، الآية: 101.
(3) الصَّادقي، تفسير الفرقان، ج16، ص328.

عندما قالَ تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[1]، جاءَت الكلمة بمعنى النَّسْخ التكويني.

لكن اصطلاحًا، في كُتُبِ الحديث والتَّفسير وأصول الفقه، «النَّسْخُ» يعني رفْعَ حُكْمٍ ثابتٍ في الشَّريعةِ بارتفاعِ أمدِهِ وزمانِهِ، أو رفْعُ تشريعٍ سابقٍ - كان يقتضي حَسَبَ ظاهرِهِ الدَّوام - بتشريعٍ لاحقٍ، بحيثُ لا يمكن اجتماعُهُما معًا (إما ذاتًا إذا كان التَّنافي بينهما بيِّنًا، أو بدليلٍ خاصٍّ من إجماعٍ أو نصٍّ صريح). فالنَّسْخ في حقيقتِهِ ليس سوى تأخيرُ بيان الأمد المضْروب منَ الأول، ولعلَّ في تأخيرِ هذا البيان مصلحة للأمة.

ولا شكَّ في وجودِ النَّسْخ في تشريعاتِ الإسلام؛ فحُكْمُ التوجُّهِ إلى بيتِ المقْدِسِ في الصلاةِ كقِبْلَةٍ، نسَخَهُ القرآنُ عندما وجَّهَ المسلمينَ نحو الكعبةِ كقِبْلَةٍ جديدةٍ[2]. فالقرآنُ قد يُخبِرُ النبيَّ ﷺ بحُكْمٍ جديدٍ ينْسَخُ حُكْمًا سابقًا (لم يرِدْ في القرآن). كما أنَّ النبيّ ﷺ قد يُخبرُ المسلمينَ بحكمٍ جديدٍ (لم يرِدْ في القرآن) ينْسَخُ الحُكْمَ السابق (لم يرِدْ في القرآنِ أيضًا).

لكن المشكلة بدأت عندما ادَّعى البعضُ أنَّ القرآنَ ينْسَخُ بعضَهُ بعضًا! هكذا بلا ضوابط أو بضوابط ساذجة، أو قُل عندما اختلَفَ معنى «النَّسْخ» بين المُتقدِّمين والمتأخِّرين اختلافًا بيِّنًا.

كتَبَ الجابري[3]: «وقد تتبَّعَ السُّيوطي ما قالوا عنه إنَّه منْسوخٌ، وهو أكثر من 500 آية، وانتهى إلى أنَّ عدَدَ المنْسوخ هو 21 آية فقط. وجاءَ بعدُ، من المُحدِّثين والمعاصرين، من راجَعَ لائحةَ السُّيوطي، فبعضُهُم حصَرَ النَّسْخَ في خمْسِ آياتٍ فقط، بينما أثبَتَ آخرون أنَّ تلكَ الآيات الخمْس نفسَها لا نسْخَ فيها»[4]!

السيِّد الخوئي[5] من جهتِهِ، بعد أنْ رفَضَ ما يُعرَف بـ «نسْخ التلاوة دون

---

(1) سورة الحج، الآية: 52.
(2) راجع آيات سورة البقرة، من آية 142 إلى آية 150.
(3) (ت 1431 هـ/ 2010م).
(4) د. محمد عابد الجابري، **فهم القرآن الكريم**، القسم الثالث، ص99.
(5) (ت 1412 هـ/ 1992م).

الحُكْم» (كآيةِ الرَّجْم المنْسوبة لعُمَر)، و«نسْخ التلاوة والحُكْم» (كآيةِ الرَّضَعات العشْر المنْسوبة لعائشة)، ذكَرَ بأنَّ المشْهور وقوعه هو «نسْخ الحُكْم دون التلاوة». كتَبَ: «لتوضيحِ ما هو الصَّحيح في هذا المقام، نقول: إنَّ نسْخَ الحُكْمِ الثابت في القرآنِ يُمكِنُ أنْ يكونَ على أقسامٍ ثلاثة:

1. إنَّ الحُكْمَ الثابت بالقرآن يُنْسَخُ بالسُّنةِ المتواترة، أو بالإجماعِ القطْعي الكاشف عن صُدُورِ النَّسْخِ عن المعصوم ﷺ. وهذا القسْمُ من النَّسْخِ لا إشكالَ فيه عقلًا ونقلًا. فإنْ ثبَتَ في موردٍ فهو المُتَّبَع، وإلا فلا يُلتَزَمُ بالنَّسْخِ، وقد عرَفْتَ أنَّ النَّسْخَ لا يثْبُتُ بخبَرِ الواحد.
2. إنَّ الحُكْمَ الثابت بالقرآنِ يُنْسَخُ بآيةٍ أخرى منه، ناظرة إلى الحُكْمِ المنْسوخ، ومبيِّنة لرفْعِهِ. وهذا القسْمُ أيضًا لا إشكالَ فيه. وقد مثَّلُوا لذلكَ بآيةِ النَّجوى...[1]
3. إنَّ الحُكْمَ الثابت بالقرآنِ يُنْسَخُ بآيةٍ أخرى غيرُ ناظرةٍ إلى الحُكْمِ السَّابق، ولا مُبيِّنة لرفْعِهِ، وإنَّما يُلتزَمُ بالنَّسْخِ لمجرَّدِ التَّنافي بينهما، فيُلتزَمُ بأنَّ الآيةَ المُتأخِّرةَ ناسِخةٌ لحُكْمِ الآية المُتقدِّمة.

والتحقيقُ: أنَّ هذا القِسْمَ من النَّسْخِ غيرُ واقعٍ في القرآن، كيف وقد قالَ اللهُ عزَّ وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2].

ولكن كثيرًا من المُفسِّرين وغيرِهِم لم يتأمَّلُوا حقَّ التأمُّلِ في معاني الآيات الكريمة، فتوهَّمُوا وقوعَ التَّنافي بين كثيرٍ من الآيات، والتزموا لأجلِهِ بأنَّ الآيةَ المُتأخِّرةَ ناسِخةٌ لحُكْمِ الآية المُتقدِّمة. وحتى إنَّ جُمْلةً منهم جعلوا من التَّنافي ما إذا كانت إحدى الآيتين قرينة عُرْفية على بيانِ المراد من الآيةِ الأخرى، كالخاصِّ بالنِّسبةِ إلى العام، وكالمُقيَّدِ بالإضافةِ إلى المطلق، والتزموا بالنَّسْخِ في هذه الموارد وما يشْبَهُها.

---

(1) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المجادلة، 12 ـ 13]. فالآية التالية ناظرة إلى الآية السابقة، وجاءت مباشرة لرفع الحكم السابق ومبينة له.

(2) سورة النساء، الآية: 82.

ومنشأُ هذا قلّةَ التدبُّر، أو التَّسامُح في إطلاقِ لفْظ «النَّسْخ» بمناسبةِ معناهُ اللُّغوي. واستعمالُهُ في ذلك، وإنْ كان شائعًا قبلَ تحقُّق المعنى المُصْطلَح عليه، ولكن إطلاقَهُ ـ بعدَ ذلك ـ مبنيٌّ على التَّسامُحِ لا محالة»[1].

ثمَّ سرَدَ السيِّد الخوئي سلْسلةً من الآيات التي ادُّعيَ أنَّها منْسوخة وناسِخة، وبيَّنَ ـ بنحوٍ بديع ـ أنْ لا منْسوخَ ولا ناسِخَ بينها أصلًا.

ويبدو أنَّ منْشأَ التوسُّع في دعاوى النَّسْخ في القرآن، ليس قلَّة التدبُّر أو التَّسامُح فحسْب، بل رُّبما تبرير سلوكيات بعض السَّلاطين والحُكَّام. فلو دقَّقْنا في السِّيرةِ الذَّاتيةِ لأغلَبِ من عبَّدَ طريق بحث النَّاسخ والمنْسوخ، وتوسَّعَ في معناهُ وتطبيقاتِهِ، لوجدناهم مرْتبطين بالسَّلاطين والحُكَّام.

■ فهل يُعقَل أنْ تكون الآيات التالية:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[3].

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[4].

وأمثالُها، كلُّها منْسوخةٌ بآيةِ السَّيف. وهي ـ على ما قيل ـ قولُهُ تعالى:

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[5].

أو قولُهُ تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[6].

---

(1) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص286 ـ 287.

(2) سورة البقرة، الآية: 109.

(3) سورة الأنفال، الآية: 61.

(4) سورة الحجر، الآية: 85.

(5) سورة التوبة، الآية: 29.

(6) سورة التوبة، الآية: 36.

والأرجح أنّها قولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

- وهل يُعقل أنْ تكون الآية: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، منسوخةٌ بقولِهِ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، **ومن ثمّ يحِلُّ قتالُهُم في المسْجِدِ الحرام وإنْ لم يُقاتِلُوا المسلمينَ فيه؟!**

- وهل يُعقل أنْ تكون الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[3]، منسوخةٌ بآيةِ السَّيف: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ﴾[4]؟ ومن ثمّ يحِلُّ قتالَ المشْركين ابتداءً حتى في الأشْهُرِ الحُرُم!! أو منْسوخةٌ بقولِهِ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، رغْمَ أنَّ سياقَ الآية هكذا: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[5]، وهذا يعني أنَّ الحُكْمَ مشروطٌ بانْسلاخِ الأشْهُر الحُرُم؟!

- وهل يُعقل أنْ تكون الآية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[6]، منسوخةً بقولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[7]؟!

- وهل يُعقل أنْ تكون الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[8]، منْسوخةٌ بالأمرِ بنبْذِ ميثاق المشْركين، وبالأمرِ

---

(1) سورة التوبة، الآية: 5.
(2) سورة البقرة، الآية: 191.
(3) سورة البقرة، الآية: 217.
(4) سورة التوبة، الآية: 36.
(5) سورة التوبة، الآية: 5.
(6) سورة البقرة، الآية: 256.
(7) سورة التوبة، الآية: 72.
(8) سورة النساء، الآية: 90.

بقتالِهِم، سواء أكانوا اعتزلوا المسلمين أم لم يعتزلوهم، فيكون في الآية موردانِ للنَّسْخ[1]؟!

- وهل يعقل ما أخرَجَ ابنُ سلام[2] ـ وهو من أوائلِ من صنَّفَ في النَّاسخ والمنْسوخ ـ عن ابنِ عباس في قولِهِ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[3]، وقولُهُ عزَّ وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[4]، وقولُهُ عزَّ وجل: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾[5]، وقولُهُ عزَّ وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[6]. قال: نسَخَ هذا كلَّهُ قولُهُ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[7]، وقولُهُ عزَّ وجل: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلى قولِهِ ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[8]؟!

- وهل يُعقَل قولُ ابن سلامة[9] في الكُلّيات التي ختَمَ بها كتابه: «**كلُّ ما في القرآنِ من مثل**: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، و﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، و﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، **وما شاكَلَ ذلك، فناسِخُهُ آيَةُ السَّيف**»! بل ادَّعى أنَّ آيةَ السَّيف ناسخةٌ حتى لقولِهِ تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[10]!! مع أنَّها حكاية لما أُخِذَ على بني إسرائيل من الميثاق!

- وهل يُعقَل قول ابن العربي[11] إنَّ الآيةَ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[12] ناسِخةٌ لمئة وأربع عشَرة آية!! ثمَّ صارَ آخِرُها ناسِخًا لأوَّلِها، وهي قولُهُ تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟

(1) راجع، أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص287 ـ 381.
(2) (ت 224 هـ/ 839م).
(3) سورة الغاشية، الآية: 22.
(4) سورة ق، الآية: 45.
(5) سورة آل عمران، الآية: 159.
(6) سورة الجاثية، الآية: 14.
(7) سورة التوبة، الآية: 5.
(8) سورة التوبة، الآية: 29. أبو عبيد بن سلام، **الناسخ والمنسوخ**، ص156.
(9) (ت 410 هـ/ 1019م).
(10) سورة البقرة، الآية: 83.
(11) (ت 543 هـ/ 1148م).
(12) سورة التوبة، الآية: 5.

ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾[1]؟!.... هكذا باجتهادٍ مُتسرِّع يشْطُبُ حُكْم مئة وأربع عشرة آية؟!

هكذا زعموا أنَّ الآيات التي تدعو إلى الصَّبرِ على أذى المشْركين والصَّفْح عنهم والنَّهي عن سبِّ آلهتِهِم، كلُّها منْسوخةٌ بآيةِ السَّيف... وبناءً على ذلك، لا ضوابط أخلاقية في التَّعاطي مع المشْركين. طالما لنا القدرة، فنحنُ مأمورون بقتالِهِم فقط، دون مراعاة لزمانٍ أو مكانٍ أو ظروف!! وأسندوا هذه المزاعم إلى ابنِ عباس وقُتادة ومُقاتل بن سُليمان ومجاهد وعكرمة والسُّدِّي وأمثالهم!!

أليسَ هذا تلاعُبًا واستهتارًا بالدِّينِ والقرآن؟! ألا ينطبق على أمثالِ هذه الاجتهادات قوله تعالى: ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[2]؟! وقد رُويَ عن أبي عبد الله جعفر الصَّادق عليه السلام قال: قال أبي (الباقر عليه السلام): ما ضرَبَ رجُلٌ القُرآنَ بعضَهُ ببعضٍ إلا كَفَر[3].

إنْ دقَّقْتَ في الأمثلةِ السَّابقة، التي ادُّعيَ فيها النَّسْخ، فسترى أنَّ هناكَ اتِّجاهًا لشَطْبِ أيّ آية تدعو للعفوِ والصَّفْح وعدم الإكراه واحترام الأشْهُرُ الحُرُم وتقديس حُرْمة المسْجد الحرام، لصالِحِ ما يدعو للقتْلِ والغِلْظة مع المشْركين في أيِّ زمانٍ ومكانٍ، دون ضوابط واضحة.

في المقابل، من أوائلِ المنكرين للنَّسْخ الدَّاخلي في القرآن: أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي[4]، وقد أورَدَ الفخْر الرَّازي[5] حُجَجَهُ في تفسيرِهِ الكبير. وسارَ على دربِهِ من أهلِ السُّنة: محمد عبده[6]، ومحمد الغزالي[7]،

---

(1) سورة التوبة، الآية: 5. الزَّركشي، **البرهان في علوم القرآن**، النوع الرابع والثلاثون، ص354.
(2) سورة الحجر، الآيتان: 90 ـ 91.
(3) الكليني، **أصول الكافي**، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح17.
(4) (ت 322 هـ/ 934م).
(5) (ت 606 هـ/ 1209م).
(6) (ت 1323 هـ/ 1905م).
(7) (ت 1416 هـ/ 1995م).

وآخرين. وعرفْتَ من الشِّيعة: السيِّد أبو القاسم الخوئي[1]، ومنهم أيضًا السيِّد مرتضى العسكري[2].

أطَلْنا الاستطرادَ في مسألةِ النَّسْخ، لكن كان استطرادًا ضروريًّا، لمعرفةِ أنَّ البعض وظَّف الآيات القرآنية التي تتحدَّث عن نسْخٍ لآياتٍ تكوينية، لتوسعةِ مفهوم النَّسْخ ليشْمَل ما يروقُ لهم من أحكامٍ قرآنيةٍ تشريعية، يُرادُ شَطْبُها، وهوَّلوا الأمرَ حتى تحدَّثوا عن علْمٍ سمَّوهُ علْمَ «النَّاسخ والمنْسوخ». وانطلَت المسألة على كثيرٍ من المُتأخِّرين.

الخلاصة أنَّ القبولَ بوقوعِ النَّسْخ في القرآن، بمعنى أنَّ الحُكْمَ الثابت بالقرآنِ يُنْسَخُ بآيةٍ أخرى غير ناظرةٍ إلى الحُكْم السَّابق، ولا مُبيِّنة لرفْعِهِ، وإنَّما يُلتزَمُ بالنَّسْخِ لمجرَّدِ التَّنافي بينهما، فيُلتزَمُ بأنَّ الآيةَ المُتأخِّرةَ ناسِخةٌ لحُكْمِ الآية المُتقدِّمة، يعني ـ كما أفهم ـ وقوع تعارُض مستقر في القرآن، أي تناقُض داخلي.

ولو كان ثمَّةَ تعارُض مستقر من هذا القبيل، أو تناقُض داخلي، لما بقيَ القرآنُ مُعجِزًا، ولارتفعت أصواتُ خصومُ النَّبي محمد ﷺ بتهافُتِ القرآن، واللهُ تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[3].

خامسًا: إمكانية إنْساء الشَّيطان للنَّبي

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[4].

هذه الآية تنْهى عن مُجالسةِ الذينَ يسْتهزئونَ بآياتِ الله، وتأمُر بالإعراضِ عنْهم حتى ينتقلوا إلى حديثٍ آخر، وتُوجِّهُ خطابًا للنَّبي محمَّد ﷺ بأنْ لو أنْساكَ الشَّيطانُ الإعراضَ عنْهم، ففي لحظةِ تذكُّر ذلك، قُمْ ولا تقْعُد مع القومِ الظَّالمين.

---

(1) (ت 1412 هـ/ 1992م).

(2) (ت 1428 هـ/ 2007م). راجع: مرتضى العسكري، **القرآن الكريم وروايات المدرستين**، الكتاب الثاني، البحث السابع، ص266 ـ 353.

(3) سورة النساء، الآية: 82.

(4) سورة الأنعام، الآية: 68.

قد يُقال: هل يمكنُ للشّيطانِ أنْ يتسلّط على النَّبي محمَّدٍ ﷺ ويُسبِّب له النِّسيان؟ هل يمكنُ للنَّبي ﷺ مع عصْمَتِهِ أنْ يُخطئ وينْسى بسبَبِ الشَّيطان؟

الجواب: لا سُلْطانَ للشَّيطانِ على النَّبي محمَّد ﷺ. والخطابُ وإنْ كان مُوجَّهًا بظاهرِهِ له ﷺ، إلا أنَّه في الحقيقةِ مُوجَّهٌ إلى أتْباعِهِ، على قاعدةِ «إيَّاكِ أعني واسْمعي يا جارة». وتوجيهُ الخطابِ للنَّبي محمَّد ﷺ يُقصَدُ منه التَّشديد على أهميَّةِ هذا الحُكْم، مُبالغةً في الحذَرِ من المُخالفة. وإليكَ الشَّواهدُ الدَّالة على ذلكَ:

الأول: وهو الأهم. ما ورَدَ في آيةِ النِّساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[1]، والمرادُ بـ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ آية سُورة الأنعام، ولا آية غيرَها. وعليه يكونُ المقصودُ من الخطابِ في كلا الخطابين: الأمة، وإنْ كان ظاهرًا مُوجَّهًا إليهِ ﷺ، فيكونُ من قبيلِ «إيَّاك أعني» المُنْزَل عليه في أكثَرِ الخطابات القرآنية.

الثاني: سياقُ الآية يدُلُّ على أنَّ أصْلَ الخطاب مُتوجِّه إلى الأمةِ؛ فالله تعالى يقول في الآيةِ التالية: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2]، فالمضطَّرونَ للبقاءِ في مثلِ هذه المجالس لاقتضاءِ التَّقية ذلك، هُمْ معذورون، ولكن هذا التَّعليم القرآني ذكرى لعلَّهم يتَّقون الله فلا يبقون في مثلِ هذه المجالس لحظة واحدة بمجرَّد أنْ تسْمَح ظُرُوفِهم بترْكِهِ. على هذا الأساس يكونُ السِّياقُ دليلًا على أنَّ المرادَ في هذهِ الآيةُ همُ الأمة دونَ النَّبي محمَّد ﷺ.

الثالث: أنَّ مقامَ النَّبي محمَّد ﷺ يجلُّ عن ارتكابِ مثل هذا النَّهي، مع ما للمنْهي عنه من عظيمِ الأثر على الدِّينِ الحق... فلا يُعقَل أنْ يجلِس ﷺ مع

---

(1) سورة النساء، الآية: 140.

(2) سورة الأنعام، الآية: 69.

الذينَ يسْتهزئونَ بآياتِ الله، ويغْفَل عن الحُكْمِ الإلهي، وينْسى آثارَهُ الوخيمة، فإنَّ فيه إخلالًا بالدِّينِ، كما هو معلوم.

الرَّابع: قد ثبَتَت عصْمةُ الأنبياء عليهم السلام، وهي تنْفي وقوع مثل هذا النِّسيان على النَّبي محمَّد صلى الله عليه وآله.

الخامس: على فرْضِ توجُّه الخطاب إليه صلى الله عليه وآله، فإنَّه محْضُ احتمال، كما تدُلُّ عليهِ كلمة «إنْ» (أصْل «إمَّا» الشَّرطية المخالفة للبتِّ) ـ فلا يلزَم وقوعهُ ـ وأنَّى يكونُ للشَّيطانِ سبيلٌ إلى محمَّد صلى الله عليه وآله وهو الذي نزَّلَ عليهِ ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[1]، وقد بلَغَ مقامَ جمْع الجمْع، فهو دائمُ الحُضُور في جميعِ حالاتِهِ وفي كلِّ أوقاتِهِ.

ولعلَّ مقصود من قالَ بأنَّ الخطابَ مُوجَّهٌ إلى النَّبي محمَّد صلى الله عليه وآله ما ذكرناهُ من مُبالغةٍ في الزَّجْر. وإلا فالدَّليلُ العقْلي والنقْلي يُبطلانِ وقوع المخالفة منه مُطْلقًا، ولو نِسْيانًا... ومن ذلكَ يظهَرُ أنَّ ما ذكرَهُ بعضُ المُفسِّرين في تفسيرِ الآيةِ الكريمة، لم يكن مبْنيًّا على حُجَّةٍ، وإنَّما هو ضرْبٌ من التَّفسيرِ بالرَّأي[2].

سادسًا: إطلاقُ إمكانية النِّسيان:

- قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾[3].

قد يُقال: إنَّ قولَهُ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، يعني إمكانية نسْيان النَّبي صلى الله عليه وآله، والنِّسيانُ هنا مطلقٌ، يشْمَلُ نِسْيانَ الوحي والقرآن.

الجواب: القيْدُ موجودٌ في الآيةِ السَّابقة. فالآيةُ تريدُ أنْ تقول: إذا اعتزَمْتَ ـ يا محمَّد ـ فعلَ شيءٍ قائلًا: «إنِّي فاعلٌ ذلكَ غدًا»، فاذْكُر ربَّكَ إذا

(1) سورة الأعلى، الآية: 6.
(2) السيد عبد الأعلى السّبْزواري، **مواهب الرحمن**، ج13، ص473 ـ 475.
(3) سورة الكهف، الآيتان: 23 ـ 24.

نسيت وتذكّر مشيئتَهُ تعالى، وقُلْ «إنْ شاءَ الله». ولا يُقصَد بالآيةِ، اذْكُر ربَّكَ إذا نسيتَ شيئًا من الوحي والقرآن!

سابعًا: تأثيرُ الحسَد والسِّحْر

- قالَ تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿51﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

قد يُقالُ: الآيةُ تقول: وإنْ يكادُ الذين كفروا أنْ يصْرَعُوك بأبْصارِهِم ويُصيبُوكَ بالعينِ حَسَدًا لمَّا سمِعُوا القرآن... إلى آخرِ الآية. وهذا يُثْبِتُ أنَّ الحسَدَ يُؤثِّرُ على النبيِّ ﷺ، ومن ثمَّ قد يُؤثِّرُ على وحْيِهِ ودقَّةِ إبلاغِهِ للوحي.

الجواب: معنى الآية هو التالي: وإنْ يكاد الذين كفروا أنْ يقْتُلُوكَ بنَظَرِهِم الحادّ، المملوء حِقْدًا وعداوةً، لمَّا سمِعُوا القرآن....إلى آخرِ الآية. وهذا يعني أنَّ الآيةَ أجْنبيةٌ عن إثْباتِ أنَّ للحسَدِ بحدِّ ذاتِهِ تأثيرًا في المحْسود مطلقًا، فضْلًا عن تأثيرِهِ في محمَّد ﷺ.

- أيضًا قالَ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿4﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2].

قد يُقال: إنَّ الآيةَ تتحدَّث عن شرِّ السَّاحرات اللاتي يعْقِدْنَ العُقَد وينْفَخْنَ عليها من ريقهِنَّ لينعَقِدَ السِّحْرُ، ومن شرِّ الحاسِدِ وتأثيرِهِ إذا حسَدَ الآخر. وممَّن قد يقع ضحيَّةَ السِّحْرِ والحَسَد النبيُّ ﷺ، بدليلِ كثرة قراءتِهِ للمعوذتين.

الجواب: الآية لا تتحدَّث عن شرِّ السَّاحرات (كما هو رائجٌ في كُتُب التَّفسير)، بل عن شرِّ نفوسٍ تنفُثُ وتوسوسُ في نفوسٍ أخرى، لتتراخى عن أداءِ تكليفِها أو فعْلِ الخيرات، كما لو اتَّخذَ المرءُ قرارات مصيرية في طاعةِ الله (كالجهاد بالنَّفْسِ في سبيلِ الله)، أو عقَدَ العزْمَ على القيامِ بأعمالٍ صالحة

---

(1) سورة القلم، الآيتان: 51 ـ 52.
(2) سورة الفلق، الآيتان: 4 ـ 5.

(كالإنفاق في سبيلِ الله)، فتأتي تلكَ النفثات والوساوس لتُثنيهِ عن عزْمِهِ وتوهن إرادَتِهِ، فيتراخى عن أداءِ التَّكليف أو فعلِ الخير.

كما تتحدَّث الآيةُ عن شرِّ الحاسِدِ إذا غلَى الحسَدُ في صدْرِهِ كالمِرْجَل، وصارَ الحاسِدُ ينْبوعًا للشُّرور، وتجسَّدَ حسَدُهُ في الخارجِ على هيئةِ أفعال؛ كما لو قامَ من شدَّةِ حَسَدِهِ بقتْلِ الآخر (كما فعَلَ قابيل مع هابيل)، أو محاولة قتْلِهِ (كما فعَلَ أُخوة يوسف معه وكفَّار قريش مع النبيِّ محمَّد)، أو اغتيالَهُ اجتماعيًّا وكسْرَهُ معنويًّا (كما يفْعَل الكثير من الحاسدين مع المحسودين).

على هذا الأساس، ما ذُكِرَ في سُورةِ الفَلَق، لا يُثْبِتُ تأثيرَ السِّحْرِ أو الحَسَدِ في المسْحُورِ أو المحْسُود، فضلًا عن تأثيرِهِ في النَّبي محمَّد ﷺ.

- قد يُقال: ثمَّة روايات صريحة تُؤكِّد أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ قد وقَعَ تحت تأثير السِّحْر. فقد روى البخاري عن هشام عن أبيهِ عُروةِ بن الزُّبيرِ عن عائشة: سُحِرَ النبيُّ ﷺ، حتى كانَ يُخيَّلُ إليهِ أنَّهُ يفعَلُ الشَّيءَ وما يفْعَلُهُ! حتى كان ذاتَ يوم دعا ودعا، ثمَّ قال: «أشَعَرْتِ أنَّ اللهَ أفتاني فما فيهِ شِفائي؟ أتاني رجُلان، فقعَدَ أحدُهُما عندَ رأسي، والآخر عندَ رِجْلَيَّ، فقالَ أحدُهُما للآخرِ: ما وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قال: مطْبُوب (= مسحور)، قال: ومن طَبَّهُ، قال: لُبيدُ بنُ الأعْصَم (في روايةٍ: اليهودي من بني زُرَيق)، قال: فيما ذا؟ قال: في مُشْطٍ (= آلة تسْريح الشَّعَر) ومُشاقةٍ وجُفِّ طلْعةِ (= الغشاءُ الذي يكونُ على الطَّلْع، ويُطلقُ على الذَّكرِ والأُنثى) ذكَر، قال: فأينَ هو؟ قال: في بئرِ ذَرْوانَ، فخرَجَ إليها النبيُّ ﷺ، ثمَّ رَجَعَ، فقالَ لعائشةَ حينَ رَجَع: (في روايةٍ: كأنَّ ماؤُها نُقاعةُ الحنَّاء) نخْلُها كأنَّهُ رُؤوسُ الشَّياطين، فقُلْتُ: استخْرَجْتَهُ؟ فقال: لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيتُ أنْ يُثيرَ ذلكَ على الناسِ شرًّا، ثمَّ دُفِنَتِ البئْرُ»[1].

الجواب: روايةُ هشام عن أبيهِ عُرْوة بنِ الزُّبير عن عائشة، لا يمكنُ القَبولُ بها مُطْلقًا. فكما أشرْتُ سابقًا، إذا استقرأنا الرِّوايات التي تخدِشُ

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلْق، باب صفة إبليس وجنوده، أيضًا كتاب **الطّب**، باب السِّحر. **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب السحر.

بالوحي والنُّبوة، نجد أنَّ أغلَبَها مرويَّة عن هشام عن أبيهِ عُرْوة بن الزُّبير. مضافًا إلى كونها أحاديثُ آحاد، لا يمكنُ الاكتفاء بها في الأمورِ العَقَدية. فالقولُ المنْسوب لعائشة: «حتى كان يُخيَّلُ إليهِ أنَّهُ يفعَلُ الشَّيءَ وما يفْعَلُهُ» يتنافى تمامًا مع كونِهِ مُسدَّدًا من الله تعالى، خصوصًا إذا انعكَسَ هذا الأمرُ على الوحي وتبليغِهِ.

وقد كتبَ الجصَّاص[1] عند تفسيرِهِ لقولِهِ تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[2]: «وقد أجازُوا من فِعْلِ السَّاحِر ما هو أطمُّ من هذا وأفْظَع، وذلكَ أنَّهُم زعَمُوا أنَّ النبيَّ ﷺ سُحِر، وأنَّ السِّحْرَ عمَلَ فيه، حتى قالَ فيه: «إنَّه يُتخيَّل لي أنِّي أقولُ الشَّيء وأفعلُهُ، ولم أقله ولم أفعلْهُ. . . . **ومثلُ هذه الأخبار من وضْعِ المُلْحِدين...**»[3].

إلا أنَّ البعض يُصِرُّ على تصحيحِ هذه الأحاديث حتى لا يُوهن كُتُب الحديث كالصَّحيحين، ولا يهُمُّهُ بعدَ ذلكَ أنْ يوهن مقامَ النَّبي محمَّد ﷺ!

ثامنًا: نسيانُ النَّبي ﷺ للقرآنِ في الحديث!

- روى البخاري عن هشام بن عُروة عن عائشة قالت: «سَمِعَ النبيُّ ﷺ رجُلًا يقرأُ في المسْجدِ (أو من اللَّيلِ)، فقال: يرْحَمُهُ الله، لقد أذْكَرَني كذا وكذا آية من سورةِ كذا»، زادَ في روايةٍ أُخرى: «وقال: أسْقَطْتُهُنَّ من سُورةِ كذا وكذا»[4]!

وقد حاوَلَ البعضُ توجيه مثل هذه الأحاديث بأنَّ هذا النوع من النِّسيان لا يُزْعزِع الثِّقة بالرَّسول، ولا يُشكِّك في دقَّةِ جمْع القرآن ونَسْخِهِ، فإنَّ الرَّسولَ ﷺ كان قد حفِظَ هذه الآيات من قبْلِ أنْ يحفَظَها ذلكَ الرَّجُل... إنَّما

---

(1) (ت 370 هـ/ 980م).

(2) سورة البقرة، الآية: 102.

(3) الجصاص، **أحكام القرآن**، ج1، ص60.

(4) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن.. إلخ، رقم 4750، 4751. أيضًا **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم 4755. أيضًا **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، اللهم أكثر ماله وولده... إلخ، رقم 5976. **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، رقم 788.

قُصارى هذا الخبر أنَّه يدُلُّ على أنَّ قراءةَ ذلكَ الرَّجُل ذكَّرَتْ النبيَّ ﷺ إيَّاها، وكان قد أُنْسيها أو أسْقَطَها نسيانًا[1]!

بل نُسِبَ إلى عبدِ اللهِ بنِ مسعود شيءٌ من هذا القبيل، فقد ذكَرَ الطَّبري: «وكان عبدُ اللهِ بنُ مسعود يتأوَّل معنى ذهاب الله عزَّ وجل به رفعهُ من صُدُورِ قارئيهِ. . . . عن معقل قال: قُلْتُ لعبدِ الله وذَكَرَ أنَّه يُسْرى على القرآن: كيفَ وقد أثْبَتْناهُ في صُدُورِنا ومصاحِفِنا؟ قال: يُسْرى عليه ليلًا فلا يبْقى منه في مصْدَرٍ ولا في صدْرِ رَجُل! ثمَّ قرأ عبدُ الله ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[2].

لكن قد يُقال: لو صحَّ ذلك، فما أدرانا كم نسيَ النَّبي محمَّد ﷺ أو أسْقَطَ نسيانًا، ولم يُقيَّض له من يُذكِّرهُ ما نسيَهُ؟! هذا يُزْعزِع الثِّقة بالرَّسول لا محالة. ألا يتنافى هذا تمامًا مع وعدِ الله تعالى له: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[3]؟!

مضافًا إلى ذلك، نلاحظ مرَّةً أخرى أنَّ راويَ الحديث هو هشامُ بنُ عروة بنُ الزُّبير! وفي أمرٍ يتعلَّق بالتَّشكيكِ في الوحي!

المكِّي والمدَني:

هذه المحطَّةُ (الثانية) المُتمثِّلة بتنزُّل القرآن التَّدريجي على قلْبِ النَّبي محمَّد ﷺ، يمكنُ تقسيمُها إلى مرحلتين: مكِّيَّة ومدَنيَّة. لكُلٍّ مرحلة ظروفُها وملابساتُها، والآياتُ كانت في كثيرٍ من الأحيان تُعالِجُ تلك الظُّروف والملابسات الخاصة. وطالما أنَّا نتحدَّث عن محطَّات مرَّ بها القرآن في تاريخِهِ، إذن من المناسب أنْ نعرف الاصطلاحات المختلفة في معنى المكي والمدني، والخصائص العامة لكُلٍّ منهما.

■ الاصطلاحات في معنى المكي والمدني:

للعُلماءِ في معنى المكي والمدني ثلاثةُ اصطلاحات:

الأول: يعتمدُ على المُخاطَبين. فالمكي ما وقَعَ خطابًا لأهلِ مكة،

(1) الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج1، ص224.
(2) سورة الإسراء، الآية 86. **تفسير الطبري**، ج15، ص157 ـ 158.
(3) سورة الأعلى، الآية: 6.

والمدني ما وقَعَ خطابًا لأهلِ المدينة. وعليه يُحمَل قولُ من قال: إنَّ ما صدَرَ في القرآن بلفْظِ «يا أيُّها الناسُ» فهو مكي، لأنَّ الكُفْرَ كان غالبًا على أهلِ مكة. وما صدَرَ فيه بلفْظِ «يا أيُّها الذين آمنوا» فهو مدني، لأنَّ الإيمانَ كان غالبًا على أهلِ المدينة.

ويرِدُ عليه أنَّ هذا التقسيمَ غيرُ مُطَّرِد، فأولُ سورة النِّساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾[1] وهي مدنية، كذلك في سورةِ البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[2] وهي مدنية. أيضًا نجدُ في سورةِ الحُجُرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[3] وهي مدنية. مضافًا لذلكَ، في القرآنِ ما نزَلَ ولم يكن خطابُهُ لأهلِ مكة أو أهلِ المدينة، نحو قوله تعالى في سورةِ الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[4].

الثاني: يعتمدُ على المكان. فالمكيُّ ما نزَلَ بمكة ولو بعدَ الهجرة، والمدنيُّ ما نزَلَ بالمدينة. ويدْخُلُ في مكة ضواحيها، كالمُنْزَل على النبيِّ ﷺ بمنى وعرفات والحُديبية. ويدْخُلُ في المدينةِ ضواحيها أيضًا، كالمُنْزَل عليه في بدْرٍ وأُحُد.

لكن يرِدُ على هذا التقسيم أنَّه غيرُ ضابِطٍ ولا حاصر، لأنَّه لا يشمل ما نزَلَ بغيرِ مكة والمدينة وضواحيها، كقولِهِ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾[5]، فإنَّها نزَلَت في تبوك في طريقِ العودةِ منها.

الثالث: يعتمدُ على الزَّمان. وهو المشهور. فالمكيُّ ما نزَلَ قبلَ هجرتِهِ ﷺ إلى المدينة وإنْ كانَ نُزُولُهُ بغيرِ مكة. والمدنيُّ ما نزَلَ بعدَ هذه الهجرةِ وإنْ كان نُزُولُهُ بمكة.

هذا التقسيمُ لُوحِظَ فيه زمنُ النُّزُول، وهو تقسيمٌ صحيحٌ سليم، ولذلكَ

(1) سورة النساء، الآية: 1.
(2) سورة البقرة، الآية: 21.
(3) سورة الحجرات، الآية: 13.
(4) سورة الأحزاب، الآية: 1.
(5) سورة التوبة، الآية: 42.

اعتمدَهُ العُلماءُ واشتُهِرَ بينهم. وعليه فآيةُ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1] مدنية مع أنَّها نزلَت في طريقِ عودتِهِ ﷺ من حجَّةِ الوداع. وكذلك آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2]، فإنَّها مدينة مع أنَّها نزلَت ـ على ما قيل ـ بمكة في جوفِ الكعبة عام الفتح.

«والواقعُ أنَّ لفْظَ «المكي» و«المدني» ليس لفْظًا شرْعيًّا حدَّدَ النبيُّ مفهومَهُ لكي نُحاول اكتشافَ ذلكَ المفهوم، وإنَّما هو مجرَّدُ اصطلاح تواضَعَ عليه عُلماءُ التفسير. وما من ريب في أنَّ كلَّ أحدٍ له الحقُّ في أنْ يصطلح كما يشاء. . . لكنَّا نرى أنَّ وضْعَ مصطلح «المكي» و«المدني» على أساسِ التَّرتيب الزَّمني. . . أنفَع وأفيَد للدِّراساتِ القرآنية، لأنَّ التَّمييزَ من ناحيةٍ زمنيةٍ بين ما أُنْزِلَ من القرآنِ قبلَ الهجرة، وما أُنْزِلَ بعدَها، أكثر أهمية للبُحوثِ القرآنية، من التَّمييز على أساسِ المكان بين ما أُنْزِلَ على النبيِّ في مكة وما أُنْزِلَ عليه في المدينة. فكان جعْلُ الزَّمن أساسًا للتَّمييز بين المكيِّ والمدنيِّ واستخدام هذا المصطلح لتحديدِ الناحية الزَّمنية أوفَق بالهدف»[3].

■ فوائد العلْم بالمكي والمدني:

من فوائدِ العلْم بالمكيِّ والمدني التعرُّف على مراحلِ الدَّعوة التي مرَّ بها الإسلامُ على يدِ النبيِّ ﷺ؛ فإنَّ الهجرةَ ليست مجرَّد حادثٍ عابرٍ في حياةِ الدَّعوة، وإنَّما هي حدٌّ فاصلٌ بين مرحلتين من عمرِ الدَّعوة. . . فإذا ميَّزْنا بين الآياتِ النازلة قبلَ الهجرة، وما نزَلَ منها بعدَ الهجرة، استطعنا أنْ نُواكب تطوُّرات الدَّعوة، والخصائص العامة التي تجلَّت فيها خلال كلٍّ من المرحلتين.

وأما مجرَّد أخذ مكان النُّزُول بعينِ الاعتبار، وإهمال عامل الزمن، فهو لا يمُدُّنا بفكرةٍ مفصَّلةٍ عن هاتينِ المرحلتين، ويجعلُنا نخلط بينهما.

ومن فوائدِهِ أيضًا معرفةُ تاريخ التَّشريع وتدرُّجِهِ بوجهٍ عام.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 3.

(2) سورة النساء، الآية: 58.

(3) محمد باقر الصدر، راجع محمد باقر الحكيم، **علوم القرآن**، ص74 ـ 75.

ومن فوائدِهِ أيضًا الثقةُ بهذا القرآن وبوصولِهِ إلينا سالمًا من التغييرِ والتَّحريف، ويدُلُّ على ذلك اهتمامُ المسلمين به كلَّ هذا الاهتمام، ليعرفوا ويتناقلوا ما نزَلَ منه قبلَ الهجرة وما نزَلَ بعدَها، وما نزَلَ بالحضَرِ وما نزَلَ بالسَّفَر، وما نزَلَ بالنَّهارِ وما نزَلَ باللَّيل، وما نزَلَ بالشِّتاءِ وما نزَلَ بالصَّيف، وما نزَلَ بالأرضِ وما نزَلَ بالسَّماء.

■ **الخصائص العامة للمكي والمدني:**

عندَ محاولةِ التَّمييز بين المكيِّ والمدني، بدأ المُفسِّرُون بالاعتمادِ على الرِّواياتِ والنُّصوصِ التاريخية، التي تُؤرِّخُ السورةَ أو الآيةَ وتُشيرُ إلى نُزُولِها قبلَ الهجرة أو بعدَها. وعن طريقِ تلكَ الرِّوايات والنُّصوص التي تتبَّعَها المُفسِّرون واستوعبوها، استطاعوا أنْ يعْرِفُوا عددًا كبيرًا من السُّورِ والآياتِ المكية والمدنية ويُميِّزوا بينها.

ولوحظ أنَّ لكُلٍّ من المكيِّ والمدني خصائصَ عامة أسْلُوبية وموضوعية مختلفة، يغْلُبُ وجودُها، يمكن تلخيصُها فيما يأتي:

خصائص السُّور المكية:

1. قِصَرُ الآيات والسُّور وإيجازُها وتجانُسها الصَّوتي.
2. الدَّعوةُ إلى أصولِ الإيمان بالله والوحي وعالَم الغيب واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار.
3. الدَّعوةُ للتمسُّك بالأخلاقِ الكريمة والاستقامة على الخير.
4. مجادلَةُ المشْركين وتسفيهُ أحلامِهِم.
5. شيوع استعمال النداء «يا أيُّها الناس»، وعدم شيوع استعمال النداء «يا أيُّها الذين آمنوا».

خصائص السُّور المدنية:

1. طولُ السُّورة والآية وإطنابُها.
2. تفضيلُ البراهين والأدلَّة على الحقائقِ الدينية .
3. مجادلةُ أهل الكتاب ودعوتُهُم إلى عدمِ الغُلُو في دينِهم.
4. التحدُّث عن المنافقين ومشاكِلِهم.

5. التفصيلُ لأحكامِ الحُدُود والفرائض والحقوق والقوانين السِّياسية والاجتماعية والدَّولِيَة.

وما من ريبٍ في أنَّ هذه المقاييس المُستمدَّة من تلكَ الخصائص العامة تُلْقي ضوءًا على الموضوع، وقد تُؤدِّي إلى ترجيحِ لأحدِ الاحتمالين على الآخر في السُّوَر التي لم يرِد نصٌّ بأنَّها مكية أو مدنيةً. فإذا كانت إحدى هذه السُّوَر تتَّفق مثلًا مع السُّوَر المكية في أسلوبِها وإيجازِها وتجانُسِها الصَّوتي، وتنديدِها بالمشْركين وتسفيهِ أحلامِهِم، فالأرجحُ أنْ تكون سورة مكية، لاشتمالِها على هذه الخصائص العامة للسُّورةِ المكية.

ولكن الاعتمادَ على تلك المقاييس إنَّما يجوزُ إذا أدَّت إلى العِلْم. ولا يجوزُ الأخذُ بها لمجرَّد الظَّن؛ ففي المثالِ المُتقدِّم حين نجدُ سورةً تتَّفق مع السُّورِ المكية في أسْلُوبِها وإيجازِها لا نستطيعُ أنْ نقول بأنَّها مكية لأجلِ ذلك. إذْ من الممكن أنْ تنْزل سورة مدنية وهي تحمل بعض خصائص الأسلوب الشَّائع في القسْم المكي، كما في سورةِ النَّصْر وغيرها. صحيحٌ أنَّه يغلِب على الظَّنِّ حينذاك أنَّ السُّورة مكية، لقِصَرِها وإيجازِها، ولكن الأخذَ بالظَّنِّ لا يجوز لأنَّه قولٌ من دونِ عِلْم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1].

وإذا ما أدَّت تلكَ المقاييس إلى الاطمئنان والتأكُّد من تاريخِ السُّورة وأنَّها مكية أو مدنية، فلا بأسَ بالاعتمادِ عليها عندَ ذاك. ومثالُهُ النُّصوص القرآنية التي تشتملُ على تشريعاتٍ للحرْبِ والدَّولة مثلًا؛ فإنَّ هذه الخصيصة الموضوعية تدُلُّ على أنَّ النصَّ مدنيٌّ، لأنَّ طبيعةَ الدَّعوة في المرحلةِ الأولى التي عاشَتْها قبلَ الهجرة، لا تنْسَجِمُ إطلاقًا مع التَّشريعاتِ الدَّولية. فنعرفُ من أجلِ هذا أنَّ النصَّ مدني، نزَلَ في المرحلةِ الثانية من الدَّعوة، أي في عصْرِ الدَّولة[2].

■ **أي من السور مكي أو مدني؟**

كتَبَ السُّيوطي في **الاتقان** نقلًا عن الحصَّار: «المدنيُّ باتِّفاقٍ عشْرُونَ سورة، والمختلفُ فيه اثنتا عشْرةَ سورة، وما عدا ذلك مكيٌّ باتِّفاق».

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 36.

(2) محمد باقر الصدر، راجع محمد باقر الحكيم، **علوم القرآن**، ص77 ـ 79.

وهو يريدُ بالسُّور العشْرين المدنية بالاتِّفاق: سورة البقرة، آل عمران، النِّساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحُجُرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطَّلاق، التَّحريم، النَّصْر.

ويريدُ بالسُّورِ الاثنتي عشْرةَ المُختلفِ فيها: سورة الفاتحة، الرَّعد، الرَّحمن، الصَّف، التَّغابن، التَّطفيف، القدْر، ولم يكن، وإذا زُلْزلت، والإخلاص، والمعوذتين.

ويريدُ بالسُّورِ المكية باتِّفاق: ما عدا ذلك، وهي اثنتان وثمانون سورة.

فإذا عرَفْنا أنَّ عددَ سُوَر القرآن 114 سورة، وأنَّ المُختلَف فيها 12 سورة، فهذا يعني أنَّ نسبةَ السُّور المختلف فيها في حدود 10% فقط.

وقيلَ إنَّ السُّورةَ قد تكونُ مكية ما عدا آيات منها، وإنَّ السُّورةَ قد تكونُ مدنية ما عدا آيات منها.

الخلاصة: بعد أنْ عرفنا في هذه المحطَّة ـ التي درَسَنا فيها تنزيل القرآن على قلْبِ النَّبي محمَّد ﷺ ـ سلامةَ الوحي حالَ التلقِّي والتَّبليغ على السَّواء، وعرفنا الخصائص العامة للسُّورِ المكية، والخصائص العامة للسُّورِ المدنية... يمكنُنا الانتقال إلى الناس، لندْرُسَ حالَ القرآن معهم، كيف تلقَّوهُ شفاهًا وحفِظُوهُ في صُدُورِهِم.

الفصل الثالث:

القرآن في صدور الناس

بعدَ أنْ أُنْزِلَ القرآنُ من أُمِّ الكتاب، وبعدَ أنْ تنزَّلَ على قلْبِ النَّبي محمَّد ﷺ تدريجيًّا، ابتداءً في مكة ثمَّ في المدينة، كان من الطَّبيعي أنْ يُبلِّغ النبيُّ محمَّد ﷺ القرآنَ للناس، وكان من الطَّبيعي أنْ يحتفظَ بعضُهُم بكُلِّ أو بعضِ القرآن في صدْرِهِ، ويحفظهُ في ذاكرتِهِ. في هذه المحطةِ، سوف أدْرُسُ مرحلةَ تلقِّي الناس للقرآنِ شِفاهًا وحفْظِهِ في صُدُورِهِم، دواعيه، مستوى الحفْظ، حدود انتشارِهِ واتِّساعِهِ.

إذن المحطةُ الثالثةُ التي مرَّ بها القرآنُ في تاريخِهِ، محطّة تلقِّيهِ وحفْظهِ في صُدُورِ الناس. قد يُستفادُ ذلكَ من قولِهِ تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[1]، على الأقل في صدورِ الذين أوتوا العِلْم دون غيرهم.

لكن على أيِّ حال، فإنَّ حفْظَ الناسِ لكُلِّ القرآن أو لسُورٍ كاملةٍ منه ـ ابتداءً من حياةِ محمَّد ﷺ ـ كان أمرًا رائجًا جدًّا، لا شكَّ فيه من الناحيةِ التاريخية.

رُويَ عن عمرَ بنِ الخطاب أنَّه قال: من يدُلُّني على رُجُلٍ؟ قالَ له رُجُلٌ: هل لكَ في رجُلٍ يقرأُ القرآنَ عن ظهْرِ قلْبِهِ؟ قال: فتطاوَلَ عمرُ، وقال: من هو؟ قال: ابنُ أُمّ عبْد (= عبد الله بن مسعود). فتقاصَرَ عمرُ، وقال: إنَّه لأحْراهُم بذلِكَ. قال أبو بكر (ابن أبي داود): قيلَ في هذا الحديث: يُملي القرآنَ عن ظهرِ قلبِهِ[2].

هذه الرواية تدُلُّ على أنَّ عبد الله بن مسعود كان يحفَظُ القرآنَ في صدْرِهِ. وسنرى فيما بعد أنَّه كان يتلوهُ على الناسِ في مسْجدِ الكوفة، فيحفظُوهُ ويُدوِّنوهُ.

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: 49.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص546 ـ 547.

وكتَبَ ابن الجزَري[1]: «لمَّا خصَّ اللهُ تعالى بحفْظِهِ من شاءَ من أهلِهِ، أقامَ له أئمةً ثقاتٍ تجرَّدوا لتصحيحِهِ، وبذلوا أنفُسَهُم في إتقانِهِ، وتلقَّوهُ من النبيِّ ﷺ حرْفًا حرْفًا، لم يُهمِلُوا منهُ حركةً ولا سُكونًا ولا إثْباتًا ولا حذْفًا، ولا دخَلَ عليهم في شيءٍ منه شكٌّ ولا وهم، **وكان منْهم من حفظَهُ كلَّه، ومنهم من حفَظَ أكثرَهُ، ومنهم من حفظَ بعضَهُ، كلُّ ذلكَ في زمنِ النبيِّ ﷺ**»[2].

التَّوزيع الطَّبيعي لبرنولي[3]:

في علْمِ الإحصاء، يتحدَّثون عمَّا يُسمَّى بـ «التَّوزيع الطَّبيعي»[4] لـ «برنولي». ومفادُهُ أنَّ التَّوزيع الطَّبيعي بين الأفراد يكونُ عادةً معتدلًا، ويقتضي أنْ يكون من يتَّصف بأقصى درجات صفة ما، هم قلَّة، وأنْ يكون من يتَّصف بأقصى درجات فقدان صفة ما، هم قلَّة أيضًا، وأغلَبُ الناس يكونون في حالةِ الوسط. فمثلًا أكثر الناسِ طولًا هم قلَّة، وأقصَر الناس هم قلَّة أيضًا، وأغلَبُ الناسِ متوسِّطي الطُّول. كذلك، أشدُّ الناسِ ذكاءً هم قلَّة، وأقلُّهم ذكاءً هم قلَّة أيضًا، وأغلَبُ الناسِ متوسِّطي الذَّكاء. وأكثرُ الناسِ جمالًا هم قلَّة، وأشدُّهُم قُبْحًا هم قلَّة أيضًا، وأغلَبُ الناسِ متوسِّطي الجمال... وهكذا.

على ضوءِ ذلك، من المعقولِ جدًّا أنْ نفترض أنَّ من كان يحفَظُ كلَّ القرآن في زمنِ النبيِّ محمَّد ﷺ هم قلَّة، ومن كان لا يحفظ منه شيئًا هم قلَّة أيضًا، وأغلَبُ الناس ـ ممَّن بلَغَهُم القرآن واهتمُّوا ببلاغتِهِ أو مضمونِهِ ـ كانوا يحفظون قسْمًا معتدًّا به من القرآن. وسنرى أنَّ الشَّواهدَ التاريخية المؤكِّدة لهذا الافتراض يصْعُبُ حصْرُها. خصوصًا إذا لاحظنا أنَّ الحفْظَ كان أقوى في ذلك الزَّمن، وخاصَّة حفْظ الشِّعْر.

---

(1) (ت 833 هـ/ 1430م).

(2) ابن الجزَري، **النَّشْر في القراءاتِ العشْر**، ص9.

(3) Jacob Bernoulli عالم رياضيات سويسري (ت 1705م).

(4) Normal Distribution.

هل يمكن التعويل على الذّاكرة[1]؟

في كتابِها الهام **فن التذكُّر**[2]، بيَّنَت المُؤرِّخة الانجليزية فرانسيس ياتز[3] أنَّ الذَّاكرة بالنِّسبةِ للأُمم القديمة ـ التي لم تنْتشر بين عوامِّها الكتابة (كالرُّومان مثلًا) ـ هي بمثابةِ الكتابةَ الدَّاخلية في الذِّهن. لذا تجدُ أنَّ تلكَ الأمم قد طوَّرت أساليبَ تُساعِدُها على استرجاع ما حفِظَتْهُ من نصوصٍ بنحوٍ دقيق[4]. فكما أنَّ

---

(1) للتعرف على جانب من المشكلات المتعلقة بالمعارف المستقاة من الذاكرة، راجع: دنكان بريتشارد، **ما المعرفة؟** الفصل الثامن: الشهادة والذاكرة، **سلسلة عالم المعرفة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد رقم 404، سبتمبر/أيلول 2012، ص135 ـ 150.

(2) ***The Art of Memory.***

(3) Frances Yates (1899 ـ 1980).

(4) لقد استخدم خطباء الإغريق والرومان القدماء أسلوبًا أسموه «طريقة تحديد الموضع Method of Loci». وكلمة Loci جمع لكلمة Locus وتعني: موضع أو محل أو مكان. ومن هنا جاءت تسمية هذا الأسلوب في تحسين الذاكرة بأنه يعتمد على تحديد الأماكن أو المواضع لتسهيل عملية التذكر، ويطلق عليه أحيانًا «أسلوب التجول العقلي». ويصف شيشرون Cicero هذه الطريقة في كتابه **الخطابة**، وذلك في إطار عرضه لقصة عن الشاعر الإغريقي سيموندس. فقد كلف سيموندس بكتابة قصيدة شعر غنائية لمدح عدد من نبلاء الرومان، على أن يلقي هذه القصيدة في مأدبة طعام يحضرها جمع من الناس. وبعد أن انتهى سيموندس من إلقاء قصيدته، استدعي إلى خارج القاعة ـ كما تحكي القصة ـ وبينما هو خارج المكان، انهار المبنى، وقتل المشاركون في الحفل. وقد كانت هذه المأساة كبيرة ومدمرة لدرجة أن أقارب الناس لم يستطيعوا تمييز الجثث المشوهة بعضها من الآخر. ومع ذلك، فإن سيموندس قد دخل المكان المخرب، قام بتعيين المكان الصحيح لكل شخص من الموتى، على أساس المكان الذي كان فيه داخل صالة المأدبة. وبالطبع، فإنه من الصعب أن يوثق في هذه القصة. ولكنها على كل حال، تمدنا بمعلومات مؤكدة عن مدى اعتماد نظم تحسين الذاكرة على العامل المكاني. لقد كان سيموندس قادرًا على استدعاء أسماء الناس، لأنه ثبَّت هذه الأسماء في ذاكرته في علاقتها بالأماكن التي كان يجلس فيها كل منهم. لمزيد من التفصيل انظر: سولسو، **علم النفس المعرفي**، ص371 ـ 373.
وتتطلب هذه الطريقة اتباع الخطوات التالية:
1. حفظ سلسلة من المواقع أو الأماكن على نحو متسلسل، ويفضل أن تكون مثل هذه المواقع مألوفة بالنسبة للفرد بحيث يمكن تذكرها بسهولة، مثل: الشارع الذي يسكن فيه الفرد، أو مكونات منزله، أو حديقة المنزل أو مكان العمل.
2. تجزئة المادة المراد حفظها إلى وحدات أو أفكار، والعمل على ربطها ذهنيًا حسب تسلسل معين بتلك المواقع.
3. عند الحاجة إلى استدعاء تلك المعلومات، فكل المطلوب هو الطواف أو التجول الذهني على الأماكن أو المواقع والتقاط المعلومات المخزنة أو المرتبطة بها.
تكمن أهمية هذه الطريقة في كونها سهلة الاستخدام وفعالة بالوقت نفسه؛ إذ يمكن من خلالها =

الذين يعرفونَ الأحرُف الأبجدية بإمكانِهِم كتابة ما يُملى عليهم، كذلك الذين تمرَّسُوا على الحفْظِ من القدماء بإمكانِهِم حفْظ ما سمعوهُ من خلالِ ربط المسموع بصُور ذهنية (كالأماكنِ والمواضع والشَّخصيات والظُّروف والملابسات التي تلازمت مع المسموع)، بحيث كلَّما استرجعوا تلك الصُّور الذِّهنية المتلاحقة، تلوا ما حفِظُوهُ من نصوصٍ بنحوٍ دقيق. فيكونُ استرجاع تلك الصُّور المتلاحقة بمثابةِ القراءة بالنِّسبةِ لقارئ الكتاب.

طبعًا ما ذكرَتْهُ ياتز ليس مبرِّرًا كافيًا للإيمانِ بسلامةِ النصِّ القرآني، خصوصًا إنْ أخذنا بعين الاعتبار الدِّراسات المعاصرة في حقْلِ علم الإدراك[1]، التي تُؤكِّد على محدودية قدرة الإنسان على استرجاعِ المعلومات المُخزَّنة في ذاكرتِهِ، وأنَّ الاسترجاعَ يأتي مُشوَّهًا[2]. لكن ما شرحَتْهُ ياتز يُبيِّن أنَّ مثل تلكَ الأساليب التي مارسَها الناس من أجلِ حفْظ النُّصوص في ذاكرَتِهِم، لا بدَّ أنْ تُؤخَذ بنحوٍ جدِّي، خصوصًا إذا كانت تلكَ النُّصوص المرادُ حفْظُها مهمَّة.

بل إنَّ الدِّراسات المعاصرة في حقلِ علْم الإدراك، التي كشفَت عن نسيانٍ وأخطاءٍ تقع عند استرجاع ما تمَّ تخزينُهُ في الذَّاكرة، كشَفَت أيضًا عن وسائل وأساليب مُتعدِّدة يمارِسُها الناس لتحسينِ ذاكرتِهِم. هذه الوسائل والأساليب تعتمدُ على تنظيمِ المعلومات وتقديمِ روابط وسيطة بين الوحدات المطلوب تذكُّرها.

كما كشفَت الدِّراسات أيضًا عن ظاهرةٍ استثنائيةٍ أطلقوا عليها اسم «الذَّاكرة فوق العادية»[3]. فالأفرادُ الذين يتميَّزونَ بذاكرةٍ فوق عادية يمكنُ تصنيفُهُم إلى فئتين:

= حفظ العديد من أنواع المعارف، مثل المفردات والجمل والأشعار وخطوات عمل الأشياء وخطوات حل المسائل، وغير ذلك من المعلومات. د. رافع النصير الزغلول، د. عماد عبد الرحيم الزغلول، **علم النفس المعرفي**، دار الشروق، الأردن، ط1، 2003، ص192.

(1) Cognitive Science.

(2) فقد أشار بترسون وزوجته في دراستهما (1959م) إلى أن قدرتنا على تخزين المعلومات في الذاكرة محدودة جدًا، وعرضة للنسيان إذا لم تكن لدينا فرصة لتسميع هذه المعلومات.

(3) Extraordinay Memory.

الأولى تتمثَّل في أولئكَ المحترفين في مجالِ تحسين الذَّاكرة الذين يُطبِّقُونَ بوعي أسلوبًا من أساليبِ تحسين الذاكرة.

والفئةُ الثانية تشمل ذوي الذَّاكرة القوية بشكلٍ تلقائي ممَّن يبدو أنَّ قدراتهم ترتقي بدرجةٍ أكثر أو أقل بشكلٍ طبيعي دون مجهود شعوري ودون استخدام أسلوب أو حيلة معينة.

تُؤكِّد الدِّراسات التي تناولت أفرادًا يمتلكونَ أنواعًا من الذَّاكرةِ غير العادية أو الاستثنائية أنَّ هؤلاء الأفراد تُؤهِّلُهُم قدراتُهم على المزْجِ بين مختلف أساليب تقوية الذاكرة: فمنهم من يستخدمُ طريقةَ تحديد الأماكن والتخيُّل[1]، ونظام الكلمة الوتدية المُعدَّل[2]. ومنهم من يستخدم طريقةَ الكلمة المفتاح[3]. ومنهم من يستخدم طريقةَ تحديد الأماكن مع التصوُّر والتَّزامُن الحسِّي[4].

كما أوضَحَت الدِّراسات التي أُجريت على الخُبراء[5] أنَّهم يتميَّزونَ ببعضِ الخصال منها: أنَّهم يتفوَّقونَ في مجالاتِ تخصُّصِهم، وأنَّهم يُدْركونَ

---

(1) Method of Loci

(2) Peg Word System. هذه الطريقة تتخذ أشكالًا عديدة، إلا أن الفكرة الأساسية لهذا الأسلوب تتمثل في أن الشخص يتعلم مجموعة ما من الكلمات التي تكون بمثابة «أوتاد» تتعلق بها الفقرات التي يراد تذكرها، مثلما تكون الشماعة ذات أوتاد تعلق عليها المعاطف والقبعات والثياب.

(3) Key Word Method.

(4) وهناك أساليب أخرى كثيرة لتحسين الذاكرة مثل:
- الربط بين الوجه والاسم.
- التسميع الذاتي الذهني.
- إعادة التتبع الذهني.
- الصور الضوئية.
- وضع شيء ما في مكان معين.
- المفكرات.
- الإيقاعات (التناغمات).
- الكلام بصوت عال.
- طريقة القصة.
- الربط بأحداث حياتية أخرى.
- الكتابة على اليد. انظر: سولسو، **علم النفس المعرفي**.

(5) Experts.

أنماطًا ذات معنى، ويتميَّزون بالسُّرعة، وباستخدامِ الذَّاكرة طويلة وقصيرة المدى بشكلٍ جيد، كما أنَّهم يتمثَّلونَ مشكلة ما على مستوى أعمق، ويقومونَ بتحليلِ المشكلة بطريقةٍ كيفية، كما أنَّهم يمتلكونَ مهارات المراقبة الذَّاتية[1].

على ضوءِ ذلك، دراستي هذه لا تدَّعي أنَّ كلَّ من تلقَّى القرآنَ بالمشافهةِ في صدْرِ الإسلام، كان قادرًا على تخزينِ كلّ ما تلقَّاهُ. بل تدَّعي أنَّ الناسَ الذين لم يمتلكوا مهارةَ الكتابة آنذاك، وهم الأغلبية، كانوا قد طوَّروا أساليب معيَّنة لتحسينِ ذاكرَتِهِم، وكانوا قادرين على حفْظِ قسْمٍ معتدٌّ من القرآن. بالإضافةِ إلى ذلك، هناك عددٌ محدودٌ من الناس (كالإمام علي وأُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود) كانوا يمتلكون ذاكرةً غير عادية في حفْظِ القرآن، أو على الأقل كانوا من الخُبراءِ في مجالِ حفْظ وتلاوة القرآن، بحيث صاروا مراجع للناسِ في هذا المجال، والشَّواهدُ على ذلكَ في كُتُبِ الحديث وعلوم القرآن والتاريخ يصْعُبُ حصْرُها.

وإذا عرفنا بعد ذلك أنَّ التَّعويلَ لم يكن على الذَّاكرةِ فحسب، بل بادرَ النبيُّ ﷺ إلى تدوينِ القرآن على أوسع نطاقٍ ممكنٍ آنذاك، عندئذٍ سنجدُ أنفُسَنا أمام مُبرِّرات موضوعية تُؤكِّد سلامة النَّص القرآني[2].

لقد كان للقُرآنِ مكانٌ عظيمٌ في قُلُوبِ الرَّاسخينَ في العِلْم، يقرَؤُونَهُ آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهار بحماسٍ مُنْقَطِع النَّظير، يقولُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ

---

(1) للتفصيل انظر: سولسو، **علم النفس المعرفي**، ترجمة د. محمد نجيب الصبوة، شركة دار الفكر الحديث، الكويت، 1996، ص369 ـ 414.

(2) قد تعترض وتقول بأنَّ: الأذانَ يَسْمُعُهُ الرِّجالُ والنِّساءُ والصِّبيان أكثرَ من مرَّةٍ يوميًا، ومع ذلكَ أسقطوا منه «حيَّ على خيرِ العمَل»، والصَّحابة كانوا يُشاهدونَ وضوءَ النبيِّ محمَّدٍ ﷺ بنحوٍ مُتكرِّر، ومع ذلكَ وقَعَ الخلافُ بين المسلمين في بعضِ تفاصيلِهِ

الجواب: القرآنُ أمرُهُ مختلف، لأنَّ شأنَهُ بالنِّسبةِ للنبيِّ محمَّد ﷺ كان شأنًا عظيمًا، فهو بيِّنَتُهُ على النُّبوة، وهو كلامُ الله الذي تحدَّى به الناس. فكانَ ﷺ يهتمُّ بإقراءِ وتحفيظِ المسلمين إيَّاهُ على مرِّ الأيام، وكان يحُثُّهم على قراءتِهِ وختْمِهِ، ويُؤكِّد على إكرامِهِ وإعظامِهِ والتدبُّر في معانيهِ، ويحُثُّهم على التمسُّكِ به، ويدعو إلى عرْضِ الأخبار المنْسوبة إليهِ عليه (فإنْ عارضَتْه رُميَ بها عرْضَ الجدار). بل كان يحُثُّهم على كتابَتِهِ فورَ نُزُولِهِ بواسطةِ كُتَّاب الوحي الذين يُقدَّر عددُهُم بالعشرات (قد يربو على الأربعين كاتبًا). فلا يُقاسُ بعدَ ذلك ببعضِ العبادات أو مُقدِّماتِها.

أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [1].

كتب العلامة الشَّعْراني[2]: **كان عدَدُ حُفَّاظ القرآن في عهدِ النبيِّ ﷺ يفوقُ التواتُرَ، ورغمَ أنَّهم جميعًا لم يحفَظُوا كلَّ السُّور، إلا أنَّه كانَ لكُلِّ سُورةٍ جمٌّ غفيرٌ من الحُفَّاظ»**[3].

في المقابل، من الرِّوايات التي تدعو للدَّهشةِ ما نُسبَ للإمام علي عليه السلام بشأنِ الآية الثالثة من سورةِ النِّساء ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ﴾، بأنَّه قد سقَطَ بين شرْطِها وجزائِها ثُلْث القرآن[4]! رغمَ الارتباط التَّام بين الشَّرْطِ والجزاء؛ فالآية تريدُ أنْ تقول: إنْ خِفْتُم ألا تعدِلُوا بعدَ الزَّواج من اليتيمات، فتزوَّجوا من غيرِهِنَّ، مثْنى وثلاثَ ورُباع. مضافًا إلى أنَّ ثُلْث القرآن يُعادِلُ عشرة أجزاء، فكيفَ يدَّعي هذا المُدَّعي ذلك مع ما للقرآنِ من كُتَّابٍ للوحي وحُفَّاظٍ وقُرَّاءٍ منذُ زمن النبيِّ محمَّد ﷺ؟ وهل اختفت عشرة أجزاء من القرآن من ذاكرةِ الناس هكذا فجأة؟ وهل يُعقَل أنْ يحصل ذلكَ دونَ أنْ يلتفِت أحد؟! وكأنَّ القرآنَ لم يكن يُتلى آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهار في البيوتِ والمساجد، فكيف يجرُؤ هذا الرَّاوي على تمريرِ هذا الزَّعْم المفضوح: سقوط ثُلْث القرآن؟

دواعي الاهتمام بالقرآن:

حفْظُ القرآن في صُدُورِ الناس سيُشكِّلُ رصيدًا مهمًّا، وشرْطًا ضروريًّا (وإنْ لم يكن كافيًا) لحفْظِ القرآن وصيانتِهِ فيما بعد عن التَّحريفِ والتَّزوير. فهناكَ جهاتٌ مُتعدِّدة جعلَت القرآنَ موضِعًا لعنايةِ المسلمين، منها:

---

(1) سورة المزمل، الآية: 20.

(2) (ت 1393 هـ/ 1973م).

(3) العلامة الشَّعْراني، مقدمة **منهج الصَّادقين**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص189.

(4) نقل الرِّواية الطبرسي في **الاحتجاج** ج1، ص598، والفيض في **تفسير الصَّافي** ج1، ص388 ـ 389.

1. **بلاغةُ القرآن**: فقد كانت العربُ تهتمُّ بحفْظِ الكلام البليغ، ولذلك فهُم يحفَظُونَ أشعار الجاهلية وخُطَبِها، فكيفَ بالقرآنِ الذي تحدَّى ببلاغتِهِ كلَّ بليغ، وأخرَسَ بفصاحتِهِ كلَّ خطيبٍ لَسِن، وقد كانت العربُ بأسْرِها مُتوجِّهةً له، سواءٌ في ذلكَ مؤمنُهُم وكافرُهُم، فالمؤمنُ يحفَظُهُ لإيمانِهِ، والكافرُ يتحفَّظُ به لأنَّه يتمنَّى مُعارضَتَهُ وإبطالَ حُجَّتِهِ، أو لانشدادِهِ لعُذُوبَتِهِ. وإليك نموذجًا لذلك:

- روى أبو داود في سُنَنِهِ وأحمد في مُسْنَدِهِ وابنُ سعد في طبقاتِهِ وغيرهم، واللَّفظُ لابنِ سعد قال: قالَ عمرو بن سلَمة بن قيس الجَرْمي: كُنَّا بحضرةِ ماء، ممرّ الناس عليه، وكُنَّا نسْأَلُهُم ما هذا الأمر؟ (يقْصد أنَّهم كانوا يسألونَ عن خبرِ بعثة النبيِّ) فيقولونَ: رجُلٌ زعَمَ أنَّه نبيٌّ، وأنَّ اللهَ أرسَلَهُ، وأنَّ اللهَ أوحى إليهِ كذا وكذا (يقْصد أنَّهم كانوا يقرؤونَ عليهم بعضَ ما سمِعُوهُ من القرآن) قال: كنْتُ أتلقَّى الرُّكبانَ، فيُقرِئُوني الآيةَ، قال: فجعَلْتُ لا أسْمَعُ شيئًا من ذلكَ إلا حفظْتُهُ، كأنَّما يُغرى في صدْري بغِراء، حتى جمَعْتُ فيه قُرآنًا كثيرًا.

أقول: هناك أدلَّةٌ كثيرةٌ من القرآن ـ حتى لو نظَرْنا إليه كوثيقة تاريخية فقط ـ تُشيرُ إلى أنَّ القرآنَ شكَّلَ صدْمةً عنيفةً لكُفَّارِ العرب قبلَ مؤمنيهِم. ومن ثَمَّ أستقْطَبَ اهتمامَ الكثيرين. خُذْ الأمثلة التالية:

1. اتِّهامُ الكفَّار النبيَّ محمَّدًا ﷺ بأنَّه ساحرٌ وشاعرٌ وكاهن: فاتِّهامُهُ بأنَّه ساحرٌ يدُلُّ ضمْنًا على تأثير القرآن الشَّديد على نفوسِ الناس، واتِّهامُهُ بأنَّه شاعرٌ يدُلُّ ضمْنًا على بلاغتِهِ وفصاحتِهِ، واتِّهامُهُ بأنَّه كاهنٌ يدُلُّ ضمْنًا على إخبارِهِ عن مُغيَّباتٍ مستقبلية بكُلِّ ثقةٍ وجزْم. يقولُ تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2].
2. محاولاتُهُم صَرْف الناس عن الاستماعِ إليه: هذا يدُلُّ على خوفِهِم من تأثُّر

(1) سورة ص، الآية: 4.
(2) سورة الحاقة، الآيات: 40 ـ 42.

الناس بالقرآن، يقولُ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[1].

3. التهرُّب المستمر من المواجهة: هذا يدُلُّ على شُعُورِهِم بالضَّعفِ الشَّديد أمامَ هذا التحدِّي الجديد، إلى درجةٍ أنَّ الموقف صارَ يشبهُ الفِرارَ الجماعي لحُمُرٍ وحشية اخترَقَها وفرَّقَ جُمُوعُها أَسَدٌ غضنْفر، يقولُ تعالى: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ۝٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾[2].

4. حيرَةُ الكفَّار والتخبُّط في تفسيرِ هذه الظاهرة الجديدة: فتارةً يُفسِّرونَ ظاهرة القرآن على أنَّه سحْرٌ يُؤثَر من قولِ ساحر، وتارةً يُفسِّرونَ هذه الظاهرة على أنَّ بشرًا يُعينُوهُ على نظْمِهِ وأنَّه يُملى عليهِ لكن دون تقديم اسْم أيّ شخْص يُؤكِّد ما يقولون، يقولُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[3]، وقالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾[5].

2. **إظهارُ النبيِّ ﷺ رغبَتَهُ بحفْظِ القرآن والاحتفاظِ به**: وكانت السَّيطرةُ والسُّلْطةُ له خاصة، والعادةُ تقضي بأنَّ الزَّعيمَ إذا أظهَرَ رغبَتَهُ بحفْظِ كتابٍ أو بقراءَتِهِ، فإنَّ ذلكَ الكتابَ يكونُ رائجًا بين جميعِ الرَّعية، الذين يطلُبونَ رضاهُ لدينٍ أو دُنيا. وشذَّ أنْ يخلو رجُل أو امرأة من المسلمين من حفْظِ القرآن أو بعضِ سُورِهِ. وإليكَ بعضُ الشَّواهد على التفاعُلِ المتبادل بين اهتمامِ النبيِّ ﷺ بالقرآن، واستجابة المسلمين لهذا الاهتمام:

---

(1) سورة فصلت، الآية: 26.
(2) سورة المدثر، الآيات: 49 ـ 51.
(3) سورة المدثر، الآيات: 18 ـ 25.
(4) سورة الفرقان، الآيتان: 4 ـ 5.
(5) سورة النحل، الآية: 103.

- في صحيح البُخاري عن النبيِّ ﷺ: «خيرُكُم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ».
- في سيرةِ ابنِ هشام وطبقات ابن سعد وغيرهما ما موجزه: لمَّا اشتدَّ أذى قريش للمؤمنين الذين أظهروا إسلامَهُم، أمرَهُم النبيُّ ﷺ بالهجرةِ إلى الحبشة، فهاجَرَ زهاء ثمانين رجُلًا وامرأة من المسلمين، فأجارَهُم النَّجاشي مَلِكُ الحبشة، فبعثَتْ قريش بهدايا إليه مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وطلبَتْ منه أنْ يُعيدَهُم إلى مكة، فجمَعَ النَّجاشي بين المسلمين وعمرو وعمارة، فقرأ جعفرُ بن أبي طالب عليه صدْرَ سورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، فبكى النَّجاشي حتى اخضلَّت لحيتُهُ، وأبى أنْ يُعيدَ المسلمينَ إلى قومِهِم من قريش.
- روى ابنُ هشام وغيرُهُ أنَّ النبيَّ ﷺ بعَثَ مع الأنصارِ بعدَ بيعتِهِم الأولى على الإسلام مصعبَ بنَ عمير، وأمرَهُ أنْ يُقرِئَهُم القرآن، ويُعلِّمَهم الإسلام، ويُفقِّهَهُم في الدِّين، فكان يُسمَّى «المقرئ» بالمدينة.
- وفي صحيحِ البُخاري عن البراءِ بن عازب قال: أوَّلُ من قَدِمَ علينا مصعبُ بنُ عمير وابنُ أُمِّ مكتوم، وكانا يُقرئانِ الناس.

بعدَ الهجرة، كان في مسْجدِ النبي ﷺ، صُفَّة لإيواءِ الفقراء من المسلمين، وكان عبادةُ بنُ الصَّامت يُعلِّمُ أهلَ الصُّفة القرآن (ملاحظة: الصُّفَّة مكانٌ في مُؤخَّر المسجد النَّبوي مُظلَّل أُعِدَّ لنُزُولِ الغرباءِ فيه ممَّن لا مأوى له ولا أهل. عددُ أهلِها كان يتزايد ويتناقص حسب الظُّروف، لكن كانوا عادةً بالعشرات، ولا يتجاوزون المئة على ما يظهَر من بعضِ الرِّوايات).

- روى عبادةُ بنُ الصَّامت قال: «كان رسولُ الله ﷺ يشْغَل، فإذا قَدِمَ رجُلٌ مهاجرٌ على رسولِ الله ﷺ، دفعَهُ إلى رجُلٍ منَّا يُعلِّمُهُ القرآن».
- وعن عبادةِ بن الصَّامت أيضًا: «كان الرَّجُلُ إذا هاجَرَ دفعَهُ النبيُّ ﷺ إلى رجُلٍ منَّا يُعلِّمُهُ القرآن، وكان يُسْمَع لمسْجدِ رسولِ الله ﷺ ضجَّة بتلاوةِ القرآن، حتى أمرَهُم رسولُ اللهِ أنْ يُخفِضُوا أصواتَهُم لئلا يتغالطوا».
- وروى كُليب قال: «كُنْتُ مع عليٍّ عليه السلام، فسَمَعَ ضجَّتَهُم في المسْجدِ يقرؤونَ القرآن، فقال: طوبى لهؤلاء...».

- وفي مُسْنَدِ أحمد وغيرهِ عن أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي قال: حدَّثني الذين كانوا يُقْرِئُوننا: عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُقرِئُهُم العشْر، فلا يُجاوزُونَها إلى عشْرٍ أُخَر حتى يعلَموا ما فيها من العَمل، فتعلَّمْنا القرآنَ والعمَلَ جميعًا.

- روى عُقبة بن عامر الجُهني قال: «خرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ونحنُ نتدارَسُ القرآن، قال: تعلَّموا القرآنَ، فإنَّه أشدُّ تفلُّتًا من المخاضِ في عُقُلِها». أي أشدُّ تفلُّتًا من الناقةِ المشدودةِ بالعِقال ساعةَ الولادة[1].

- روى الكليني في أصولِ الكافي عن النبيِّ ﷺ: يا معاشِرَ قُرَّاءِ القرآن، اتَّقوا اللهَ عزَّ وجل فيما حمَّلَكُم من كتابِهِ، فإنِّي مسؤولٌ وإنَّكم مسْؤولون، إنِّي مسْؤولٌ عن تبليغِ الرِّسالةِ، وأما أنتُم فتُسْألونَ عمَّا حُمِّلْتُم من كتابِ اللهِ وسُنَّتي.

3. **إنَّ حفْظَ القرآن سببٌ لارتفاعِ شأن الحافظ بين الناس وتعظيمِهِ عندَهُم:** فقد عَلِمَ كلُّ مُطَّلِعٍ على التاريخ ما للقرَّاءِ والحفَّاظِ من المنزلةِ الكبيرة، والمقامِ الرَّفيع بينَ الناس، وهذا أقوى سبب لاهتمام الناس بحفْظِ القرآن جُملةً، أو بحفْظِ القدْر الميسور منه. وإليك نماذج لذلك:

- روى الترمذي في سُنَنِهِ عن أبي هريرة أنَّه قال: بعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ بعثًا، وهم ذو عدَدٍ، فاستقرأَهُم فاستقرأَ كلَّ رجُلٍ منهم ما معَهُ من القرآن، فأتى على رجُلٍ منهم من أحدَثِهِم سِنًّا، فقال: ما معكَ يا فلان، قال: معي كذا وكذا وسورةُ البقرة، قال: أمعَكَ سورةُ البقرة؟ فقال: نعم، قال: فاذْهَب فأنتَ أميرُهُم، فقال رجُلٌ من أشرافِهِم: واللهِ يا رسولَ الله ما منعني أنْ أتعلَّم سورة البقرة إلا خشْية ألا أقومَ بها، فقالَ رسولُ الله ﷺ: تعلَّموا القرآنَ فاقرؤوهُ وأقرِئُوهُ، فإنَّ مثَل القرآن لمن تعلَّمَهُ فقرأَهُ وقامَ به كمثَلِ جراب محشوٍّ مِسْكًا يفوحُ بريحِهِ كلَّ مكان، ومثَلُ من تعلَّمَهُ فيرْقُد وهو في جوفِهِ كمثلِ جراب وُكِيء على مِسْك.

- وفي تفسيرِ السُّيوطي عن الدَّلائلِ للبيهقي: عن عثمان بن أبي العاص قال:

---

(1) وقريبٌ منه في صحيح البخاري، باب استذكارِ القرآن وتعاهُدِهِ.

استعمَلَني رسولُ الله ﷺ وأنا أصغر السِّتَّة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أنِّي كنْتُ قرأتُ سُورةَ البقرة.

- وفي مُسْنَد أحمد: لمَّا كانَ يومُ أُحُد، وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بدفْنِ الشُّهداء في أُحُد قال ﷺ: انْظُروا أكثر هؤلاءِ جمْعًا للقرآنِ، فاجعلوهُ أمامَ أصحابِهِ في القبر، وكانوا يدْفُنونَ الاثنين والثلاثة في القبرِ الواحد.
- روى الكليني في أصول الكافي عن النبي ﷺ: إنَّ أهلَ القرآن في أعلى درجةٍ من الآدميِّين، ما خلا النبيِّين والمُرْسلين، فلا تسْتضعِفُوا أهلَ القرآنِ حُقُوقَهُم، فإنَّ لهم من اللهِ العزيزِ الجبَّارِ لمكانًا عليًّا.

4. **الأجرُ والثواب الذي يستحِقُّهُ القارئُ والحافظُ بقراءتِهِ القرآنَ وحفْظِهِ:**

وإليك نماذج لذلك:

- عن رسولِ الله ﷺ: اقرؤوا القرآنَ، فإنَّه يأتي يومَ القيامة شفيعًا لأصحابِهِ.
- وفي مُسْند أحمد والتِّرمذي: يُقالُ لصاحبِ القرآن: إقرأْ وارتَقِ ورتِّل كما كنْتَ تُرتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ منزلتَكَ عند آخرِ آية، أي يُقالُ ذلكَ لصاحبِ القرآن في الجنَّة.
- وروى الكليني في أصولِ الكافي عن النبيِّ ﷺ: .... من ختَمَ القرآنَ فكأنَّما أُدْرِجتِ النُّبوةُ بين جنْبَيهِ، ولكنَّه لا يُوحى إليه.

هذه أهمُّ العوامل التي تبعَث على حفْظِ القرآن والاحتفاظِ به، وقد كان المسلمونَ يهتمُّونَ بشأنِ القرآن ويحتفظونَ به أكثرَ من اهتمامِهم بأنفُسِهِم، وبما يهُمُّهُم من مالٍ وأولاد.

بل ورَدَ أنَّ بعضَ النِّساء جمَعَت القرآنَ كلَّهُ. فقد أخرَجَ ابنُ سعد في الطَّبقات: «أنبأَنا الفضْلُ بنُ دكين، حدَّثنا الوليدُ بنُ عبد الله بن جميع، قال: حدَّثتني جدَّتي، عن أُمِّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث، وكان رسولُ الله ﷺ يزورُها، ويُسمِّيها «الشَّهيدة»، وكانت قد جمَعَت القرآنَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ حين غزا بدْرًا، قالت له: أتأذَن لي فأخرُج معكَ أُداوي جَرْحاكم، وأُمرِّض مرضاكم، لعلَّ الله يهدي لي شهادة؟ قال: إنَّ اللهَ مُهدٍ لكِ شهادة.

وإذا كان هذا حالُ النِّساء في جمْعِ القرآن، فكيف يكونُ حال الرِّجال؟

وقد عدَّ من حُفَّاظِ القرآن على عهدِ رسولِ الله ﷺ جمٌّ غفير. قال القُرْطُبي: «وقد قُتِلَ يومُ اليمامة سبعونَ من القرَّاء، وقُتِلَ في عهدِ النَّبي ﷺ ببئرِ معونة مثلُ هذا العدَد».

والرُّوايات الحاكية عن مقتلِ أربع مئة رجُل من القُرَّاء يومَ اليمامة، وإنْ أغرقت في المبالغة، إلا أنَّها تدُلُّ على شدَّةِ اهتمام النَّبي ﷺ وأصحابه بالقرآن.

5. **إنَّ حفْظَ القرآن، أو بعضَهُ، كان رائجًا بين الرِّجالِ والنِّساءِ من المسلمين، حتى أنَّ المسْلمةَ قد تجعَلُ مهرها تعليم سورة من القرآن أو أكثر**: وإليكَ نموذجًا من ذلك:

روى البخاري قال: أتَت النبيَّ ﷺ امرأةٌ فقالت إنَّها وهبَتْ نفْسَها للهِ ولرسولِ الله ﷺ. فقال ﷺ: ما لي في النِّساءِ من حاجة. فقالَ رجُلٌ: زوِّجْنيها. قال ﷺ: أعطِها ثوبًا. قال: لا أجد. قال ﷺ: أعطِها ولو خاتِمًا من حديد. فاعتلَّ له. فقال ﷺ: ما معَكَ من القرآنِ؟ قال: كذا وكذا. قال ﷺ: فقد زوَّجتُكَها بما معكَ من القرآن[1].

والحقيقة أنَّك عندما تحفَظُ بذاكرتِكَ جُملةً مهمَّة، أو مقطعًا مهمًّا بالنِّسبةِ لك، وتريدُ أنْ لا يتلاشى من ذاكرتِكَ، نظرًا لشعورِكَ بأهميَّتِهِ سيكونُ ذلك من أهمِّ الدَّوافع لتوثيقِهِ، لأنَّ كلَّ إنسانٍ يُدرِكُ أنَّ ذاكرتَهُ قد تخونُهُ وقد تضعُف مع مُرورِ الأيام. خصوصًا مع التَّذكيرِ والحثِّ المستمرّ من النبيِّ ﷺ. فقد روى البخاري في صحيحِهِ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: تعاهدوا القرآنَ، فوالذي نفْسي بيدِهِ **لهو أشدُّ تفصِّيًا من الإبلِ في عُقُلِها**[2]. هذه النُّقطة بالتَّحديد هي التي دفعَت النبيَّ محمَّد ﷺ وبعض أصحابِهِ للمسارعةِ إلى تدوينِ القرآن في مرحلةٍ مبكِّرةٍ من تاريخ الإسلام. وهذا ما أدْرُسُهُ في الفصْلِ التالي.

---

(1) راجع: أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص253 ـ 255.
(2) **صحيح البخاري**، باب استذكار القرآن وتعاهُدِهِ.

الفصْل الرابع:

تدوينُ القرآن في صُحُفٍ متفرِّقة

القرآنُ ـ كما قُلتُ ـ نزَلَ بصيغةٍ صوتية، ولم ينْزل مكتوبًا. ولو نزَلَ مكتوبًا، لما خدَمَ ذلكَ الرِّسالةَ بشيء. يقولُ تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1]. فتدوينُ القرآن لن يدْفع الكافرين للإيمانِ به، وإنَّما يستهدِفُ توثيقَهُ لقادِمِ الأيام وللأجيالِ اللاحقة.

في هذه المحطَّةِ الرابعة، سوف أدْرُسُ تدوينَ القرآن وكتابتَهُ في صُحُفٍ مُتفرِّقة. فبنحو موازٍ لحفْظِ القرآن في الصُّدور، جرت محاولات حثيثة لضبْطِهِ بالسُّطور، فقد اتَّخَذَ النبيُّ محمَّد ﷺ لنفْسِهِ كُتَّابًا، تخصَّصَ بعضُهُم بكتابةِ ما يتنزَّل عليه ﷺ من وحي، عُرِفُوا بـ «كُتَّابِ الوحي». حاولَ خُصُومُ الإسلام إنكار هذه المحطَّة الهامة أو التهوين من شأنِها بطُرُق مختلفة. على سبيل المثال، كتَبَ بروكلمان: «لعلَّ نُجُومًا متفرِّقة من الوحي كانت قد كُتِبَت في حياةِ الرَّسول ﷺ، ولكن أكثر الوحي كان يُروى ـ بلا ريب ـ شفاهًا من الذَّاكرةِ فحسب»[2]!

لا ندري بالضَّبْط متى بدأت كتابة القرآن. لكن تذْكُر بعضُ الرِّوايات في قصَّةِ إسلام عمر بن الخطَّاب، أنَّه وجَدَ أُختَهُ تقرأ في صحيفةٍ فيها «سورةُ طه»، عندما ذهَبَ إليها غاضبًا لمَّا سمِعَ أنَّها أسْلَمَت[3]. هذا من جهة، ومن جهةٍ

(1) سورة الأنعام، الآية: 7.

(2) كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة د. عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، 1959، ج1، ص139.

(3) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج3، ص267 ـ 268. ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1، ص344.

أخرى، تُفيدُ الرِّوايات أنَّ إسْلامَ عمر كان في السَّنةِ الخامسةِ للنُّبوة. هذه المُقدِّمات إنْ صحَّت، فهذا يعني أنَّ كتابةَ القرآن بدأت قبلَ هذا التاريخ.

كتَبَ الجابري[1]: «كان لا بدَّ من وجودِ ما يكفي من التَّنزيلِ المقروء ليُطلَق عليه اسْمَ «القرآن»، كان لا بدَّ كذلك من تراكُمِ ما كان يُكتَب منه بالقدَرِ الذي يكفي ليُسمَّى «كتابًا»[2].

وهناك مُؤشِّرات أخرى دالَّة على أنَّ كتابةَ القرآن بدأت في المرحلةِ المكية؛ فبعضُ آيات القرآن قد تدُلُّ على ذلك، وقصَّةُ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح تدُلُّ على ذلك، وهناك مُؤشِّرات أخرى ستجِدُها في ثنايا البحث.

وعلى أقلِّ تقدير، كتابةُ القرآن في بدايةِ المرحلة المدنيَّة لا شكَّ فيها من الناحيةِ التاريخية.

روى البخاري عن البَراء قال: لمَّا نزَلَت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قالَ النبيُّ ﷺ: ادْعُ لي زيدًا وليَجىء باللَّوحِ والدَّواةِ والكتِف، أو الكتِفِ والدَّواة، ثمَّ قال: اكْتُب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾...[3].

وروى زيدُ بنُ ثابت قال: «كُنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ نُؤلِّفُ القرآنَ من الرِّقاع». قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرْطِ الشَّيخينِ ولم يُخرجاه». وهو دليلٌ واضحٌ على أنَّ القرآنَ كُتِبَ على عهدِ رسول الله ﷺ. الرِّقاع: جمْعُ «رُقْعة»، وقد تكون من جلدٍ أو ورقٍ أو كاغد[4].

أدوات الكتابة في زمن النَّبي محمَّد ﷺ:

كلمةُ «الرِّقاع» تُشْعِرُنا بنوعِ أدوات الكتابة المُتيسِّرة لكُتَّاب الوحي على عهدِ النَّبي ﷺ، ويبدو (من الرِّوايات بل والآيات القرآنية) أنَّهم كانوا يكتُبُونَ الآيات على ما يلي:

---

(1) (ت 1431 هـ/ 2010م).

(2) د. محمد عابد الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، ص214.

(3) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي.

(4) راجع: السيوطي، **الإتقان**، ج1، ص167.

1. **الشّظاظ**: نوع من الخشب، عود يدخل في عروة الجولق.

2. **الرُّقاع**: جمع «رقعة»، قد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

3. **الأضلاع**: جمع «ضلع»، الصفحة العريضة من أضلاع الحيوانات.

4. **الأسيار**: جمع «سير» قدَّة من الجلد مستطيلة[1].

5. **الألواح**: جمْعُ «لوح»، وهو صفيحةٌ عريضةٌ من صفائحِ الخشَب. يقولُ تعالى بشأنِ موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2].

6. **اللِّخاف**: جمْعُ «لخفة»، وهي الحِجارة الدِّقاق أو صفائح الحجارة.

7. **العُسُب**: جْمعُ «عسيب»، وهو جريدُ النَّخْل، كانوا يكشطونَ الخوص ويكتُبُونَ في الطَّرَفِ العريض.

8. **الأكتاف**: جمْعُ «كتِف»، وهو عظْمُ البعير أو الشَّاة، يكتُبونَ عليه بعد أنْ يجِف.

9. **الأقتاب**: جمْعُ «قَتَب»، وهو الخشَبُ الذي يُوضَعُ على ظهْرِ البعير ليُرْكَبَ عليه.

10. **الأديم**: أي الجِلْد، وقيل: الجلْدُ المدْبوغ بالتحديد، وهي قِطَع جلْد شاة أو ماعز أو ضأن أو ثور أو غزال، وكانت تُجلَب عادةً من بعضِ الأسواق المنتشرة في الجزيرة، وبالخصوص سُوق عُكاظ، باعتبارِهِ السُّوق الأقرب جغرافيًّا إلى مكة.

11. **القراطيس**: تُتَّخذ من برْدِيّ يكون بمصْر. قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[3]،

---

(1) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج89، ص 40.

(2) سورة الأعراف، الآية: 145.

(3) سورة الأنعام، الآية: 7.

وقالَ تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾(1).

12. **الرَّق**: جلْدٌ رقيقٌ يُكتَبُ فيه، وضدُّ الغليظ. وربَّما يختلفُ عن الأديم في الرِّقةِ والغِلْظة، فهذا رقيقٌ، وذاكَ غليظ. قالَ تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝1 وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝2 فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾(2).

13. **الحرير**: ثيابٌ من إبْريْسَم. ويبدو من بعضِ الرِّوايات (كما في رواية القمي الآتية لاحقًا) أنّه كان يُستخدَمُ في بعضِ الأحيان للكتابةِ عليها. ويبدو أنَّه كان على هيئة قماش أو ورق أو رقوق ناعمة مسوَّاة.

14. **الصُّحُف**: جمْعُ «صحيفة»، وهي قد لا تخْرُج عمَّا مرَّ ممَّا يُكتَب عليه، غاية الأمر أنَّه عندما تُجمَع القراطيس أو الآدام يُطلَق عليها «صُحُف». في لسانِ العرب: قالَ الأزهري: «إنَّما سُمِّيَ المُصْحفُ مُصْحفًا لأنَّه أُصْحِف، أي جُعِلَ جامعًا للصُّحُفِ المكتوبة بين الدَّفتين. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝18 صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾(3).

الدَّيْنُ يُدوَّن والقرآنُ لا يُدوَّن؟!

ثمَّة نقطة مهمَّة هنا. أطولُ آيةٍ في سُورةِ البقرة تدعو المؤمنين إلى كتابةِ أيِّ دينٍ يقَع بينهم، صغيرًا كان أو كبيرًا، حتى يُحفَظ للدَّائنِ حقّهُ، وحتى لا يرتابوا ويتَّكِئُوا على ذاكرتهم التي قد تخونُهم في تذكُّر مقدارِ الدَّين أو زمن حلول أجلِهِ، رغْمَ عدم شُيوع ثقافة الكتابة وقلَّة الكُتَّاب آنذاك. فهل يُعقَل أنْ يأمر اللهُ تعالى المؤمنين بكتابةِ الدُّيون فيما بينهم، وإنْ كانت مقاديرُها صغيرة، ولا يدعو نبيَّهُ لكتابةِ كتابهِ الذي تحدَّى به الإنسُ والجن؟ لا يمكن تصوُّر ذلكَ مطلقًا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 91.
(2) سورة الطور، الآيات: 1 ـ 3.
(3) سورة الأعلى، الآيتان: 18 ـ 19.

ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

كُتَّاب الوحي:

الأدلَّةُ التَّاريخية الدَّالة على وجودِ نُسَخ كاملة وناقصة من القرآنِ بين أيدي أصحاب النَّبي كثيرة .ومن أبرزِ هذه الأدِلَّة الظَّاهرة المعروفة بـ «كُتَّاب الوحي»؛ فبعضُ المصادر تتحدَّث عن عشرينَ كاتبًا، بل بلَغَ بعضُ الباحثين بكتبةِ الوحي أربعينَ رجُلًا.

كتَبَ البلاذري[2]: «أوَّلُ من كتَبَ لرسولِ الله ﷺ مقدِمه المدينة: أُبيُّ بن كعب الأنْصاري، وهو أوَّلُ من كتَبَ في آخِرِ الكتاب «وكتَبَ فلان». فكانَ أُبيُّ إذا لم يحضَر، دعا رسولُ الله ﷺ زيدَ بنَ ثابت الأنْصاري، فكتَبَ له. فكاَن أُبيُّ وزيد يكتُبان الوحي بينَ يديه».

كان كُتَّابُ الوحي يحتفظونَ بما يكتُبون ويُراكمونَهُ، كُلًّا على حدة. و«بما أنَّ القرآنَ كان ينْزِلُ حسَب مقتضى الأحوال، في اللَّيلِ أو النَّهار، في الحضَرِ أو السَّفَر. . .إلخ، فمن الطَّبيعي أنْ لا يكونَ كُتَّابُ الوحي حاضرين جميعَهُم حينَ نُزُولِهِ، وفي هذه الحالةِ يأخُذُ الغائبونَ عن الحاضرينَ ما جدَّ من القرآن، وقد لا يفعَل بعضُهُم ذلكَ بسببِ مرَضٍ أو سفَر. وإذا اصْطَلَحْنا على إطلاقِ اسْم «صُحُف» ـ وهذا ما حصلَ بالفعل ـ على مجموعِ ما تجمَّعَ من القرآنِ عند كلِّ واحدٍ من كُتَّاب الوحي، فإنَّنا سنكونُ إزاءَ مجموعاتٍ من الصُّحُف، بعدَدِ

(1) سورة البقرة، الآية: 282.
(2) (297 هـ/ 910م).

كُتَّاب الوحي، كلُّ مجموعةٍ تحمِلُ اسْمَ صاحِبِها. ومن المنتظر والحالةُ هذه أنْ يختلِفَ حجْمُ وترتيبُ كلّ واحدةٍ عن الأخرى، اختلافًا كبيرًا أو صغيرًا»[1].

سأتعرَّضَ لظاهرةِ كُتَّاب الوحي بتفصيلٍ أكبر فيما يأتي إنْ شاءَ الله.

بمناسبةِ الكلام عن كُتَّاب الوحي، أثارَ بعضُ المُسْتشرقين الكثيرَ من الشُّكوكِ حولَ نُبوَّةِ النبيِّ محمَّد ﷺ وسلامةِ النصِّ القرآني، عندما سلَّطوا الضَّوءَ على قصَّةِ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح. .إليكَ موجزًا عن قصَّتِهِ، والروايات الواردة بشأْنِهِ.

وقفة مع عبدِ الله بنِ أبي سَرْح:

قصَّةُ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ـ باختصار ـ أنَّه أسْلَمَ، فاختارَهُ النبيُّ محمَّد ﷺ لكتابةِ شيءٍ من الوحي لحُسْنِ خطِّهِ على ما يبدو. ثمَّ فجأة ترَكَ كتابةَ الوحي وارتدَّ إلى قومِهِ من كُفَّارِ قريش. أما أسبابُ ارتدادِهِ المفاجئ فهي غامضة. لكن بعضُ الرِّوايات تُؤكِّد ارتكابَهُ خيانة عُظْمى بحقِّ الوحي من خلالِ تعمُّد التَّزوير في الكتابة، وخيانة عُظْمى أخرى بحقِّ المُسْلمين من خلالِ تحريض الكُفَّار على تعذيبِهِم. نزَلَت في سُورةِ الأنعام وسُورةِ النَّحل آياتٌ عنيفةٌ بحقِّهِ. بعدَ فتْح مكة، وقد أمَرَ النبيُّ محمَّد ﷺ بقتْلِهِ ولو كان مُتعلِّقًا بأستارِ الكعبة. فاستجارَ بأخيهِ من الرَّضاعة عثمانَ بنَ عفَّان، فأجارَهُ، وألحَّ الأخيرُ على النبيِّ محمَّد ﷺ بأنْ يعفو عنه، فعفا عنه. ودارَت الأيام والسُّنون، فلمَّا صارَ عثمانُ بنُ عفَّان خليفةً على المُسْلمين، نصَبَهُ واليًا على مصْر. كان هذا الموقف من أشدِّ المؤاخذات على عثمان، ومن أكثرِ الأمور المُهيِّجة للثُوَّار القادمينَ من العراقِ ومصْر، الأمر الذي تسبَّبَ بمقتْلِ عثمان في نهايةِ المطاف.

هذه القصَّةُ التقَطَها بعضُ المُسْتشرقين، ليُشكِّكوا بنُبوَّةِ النبيِّ محمَّد ﷺ، على أساسِ أنَّ أحد مُقرَّبيه من كُتَّاب الوحي، اكتشفَ الأمرَ، فافْتُضِحَ أمرُ محمَّد ﷺ!

دعونا ندْرُس ما جاءَ حول هذا الرَّجُل.

---

(1) د. محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ص215.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

- كتَبَ الواحدي في **أسبابِ النُّزُول**: «نزلَت في عبدِ الله بنِ سعد بنِ أبي سَرْح، كان قد تكلَّمَ بالإسلام، فدعاهُ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ يكتُبُ له شيئًا، فلمَّا نزلَت الآيةُ التي في المؤمنين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ﴾ أملاها عليهِ، فلمَّا انتهى إلى قولِهِ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، عجَبَ عبدُ الله في تفصيلِ خَلْقِ الإنسان، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: هكذا أُنْزِلَت عليَّ، فشَكَّ عبدُ اللهِ حينئذٍ وقال: لئن كان محمَّدٌ صادقًا لقد أُوحيَ إليَّ كما أُوحيَ إليهِ، ولئن كان كاذبًا لقدْ قُلْتُ كما قال، وذلكَ قولُهُ «ومن قالَ سأُنزِلُ مثْلَ ما أنزَلَ اللهُ»، وارتدَّ عن الإسلام. وهذا قولُ ابن عبَّاس في روايةِ الكلْبي»[2].

ملاحظات:

1. سورةُ الأنعام ـ التي نزَلَت فيها الآية بحقِّ عبد الله بن سعد بن أبي سرَحْ ـ مكِّية. وهذه النُّقطة لصالحِ الفرضيَّة القائلة أنَّ الحادثةَ وقعَت بمكة.
2. يُفهَمُ ضِمْنًا من الرِّواية السَّابقة أنَّ الحادثةَ وقعَت في مكة، لأنَّ سُورةَ «المؤمنون» نزَلَت في مكة.
3. إنْ صحَّت النُّقطةُ السَّابقة، يُفهَمُ أيضًا من هذه الرِّواية أنَّ تدوينَ القرآن بدأَ في المرحلةِ المكِّية.
4. إنْ صحَّ أنَّ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾، فقد يكونُ ما جرى على لسانِهِ مجرَّد اتِّفاق وصُدْفة. أو قُل: فتنة واختبار من اللهِ تعالى. وهو سقَطَ في هذا الاختبار، فتوهَّمَ أنَّ بإمكانِهِ أنْ يفْعَلَ ما يفْعَلُ النبيُّ محمَّد ﷺ.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 93.

(2) الواحدي، **أسبابُ النُّزول**، ص116.

5. الرِّواية السَّابقة لا تتحدَّث عن خيانةٍ قامَ بها؛ بل تتحدَّث عن شُكُوكٍ راوَدَتْهُ نتيجةَ اتِّفاق جرى بين سَبْقِ لسانِهِ ونُزُولِ الوحي، ثمَّ أطلَقَ مُغالطةً نتيجةً لتلكَ الشُّكُوك.

- روى الطَّبري في تفسيرِهِ عن السُّدِّي قال: «نزَلَت في عبدِ الله بنِ سعد بنِ أبي سَرْح، أسْلَم وكان يكتُبُ للنبيِّ ﷺ، فكانَ إذا أمْلَى عليه «سميعًا عليمًا، كتَبَ هو «عليمًا حكيمًا»، وإذا قالَ «عليمًا حكيمًا» كتَبَ «سميعًا عليمًا». فشكَّ وكَفَر، وقالَ: إنْ كان محمَّدٌ يُوحى إليهِ، فقد أُوحيَ إليَّ، وإنْ كان اللهُ يُنْزِلُهُ، فقد أنزَلْتَ مثْلَ ما أنزَلَ الله، قالَ محمَّد «سميعًا عليمًا»، فقُلْتُ أنا «عليمًا حكيمًا». فلحَقَ بالمُشْركين، ووشى بعمَّار وجُبير عندَ ابنِ الحضْرمي أو لبني عبد الدَّار، فأخذُوهم فعُذِّبوا حتى كَفَروا، وجُدِعَ أُذُنُ عمَّار يومئذٍ. فانطَلَق عمَّارُ إلى النبيِّ ﷺ فأخبرَهُ بما لقي، والذي أعطاهُم من الكُفْر، فأبى النبيُّ ﷺ أنْ يتولَّاه، فأنزَلَ اللهُ في شأنِ ابنِ أبي سَرْح وعمَّار وأصحابه ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾[1]، فالذي أُكْرِهَ: عمَّار وأصحابُهُ، والذي شرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا فهو: ابنُ أبي سَرْح»[2].

ملاحظات:

1. مرَّة أخرى، سورةُ الأنعام التي نزَلَت فيها الآية بحقِّ عبد الله بن سعد بن أبي سرْحْ مكِّية. وهذه النُّقطة لصالِحِ الفرضيَّة القائلة أنَّ الحادثةَ وقعَت بمكة.
2. يُفهَمُ ضمْنًا من الرِّواية السَّابقة أنَّ الحادثةَ وقعَت في مكة، لأنَّ تعذيبَ عمَّار وأصحابه كان في المرحلةِ المكِّية.
3. إنْ صحَّتْ النُّقطة السَّابقة، يُفهَمُ أيضًا من هذه الرِّواية أنَّ تدْوينَ القرآن بدأ في المرحلةِ المكِّية.
4. سورةُ النَّحل التي تتحدَّث عمَّن «شَرَح بالكُفْرِ صَدْرًا» مكِّية. بالتالي هي لصالحِ فرضيَّة أنَّ الحادثةَ وقعَت بمكة.

(1) سورة النَّحل، الآية: 106.
(2) **تفسير الطبري**، ج7، ص273.

5. الرِّواية السَّابقة تتحدَّث عن خيانةٍ قامَ بها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح؛ حيثُ لم يكتَفِ بخيانةِ النَّبي ﷺ بكتابةِ الوحي، بل شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا، وتسبَّبَ بإفشاءِ أسرار المؤمنين وتحريضِ الكُفَّار عليهم، الأمر الذي أدَّى لمُعاناةٍ شديدة لهم، تجسَّدَت بتعذيبِ وجدْع آذان، الأمر الذي اضطرَّهُم لإظهارِ الكُفْر كُرْهًا.
6. لا يوجدُ في القرآنِ «سميعًا عليمًا» إلا في سُورةِ النِّساء، آية 148، وهي مدنية، وهذا يوجِبُ الاضطِّرابَ في الرِّواية. كما لا يوجدُ في القرآنِ «عليمًا حكيمًا إلا في السُّور التالية: سُورةُ النِّساء، في الآياتِ 11، 17، 92، 104، 111، 170، وسورةُ الأحزاب، آية 1، وسورةُ الفتْح، آية 4، وسورةُ الإنسان، آية 30. وكلُّها سُوَر مدنيَّة. وهذا يُؤكِّدُ الاضطِّرابَ في الرِّواية.
7. أميلُ إلى سلامةِ الرِّواية السَّابقة عمومًا. وربَّما اشتبه الأمرُ على الرَّاوي في «سميعًا عليمًا» و«عليمًا حكيمًا».

- روى الطَّبري في تفسيرِهِ عن عِكْرِمة: «نزَلَت في عبدِ اللهِ بنِ سعدِ بنِ أبي سَرْح، أخي بني عامر بن لؤي، كان يكتُبُ للنبيِّ ﷺ، وكان فيما يُملى «عزيزٌ حكيم»، فيكتُبُ «غفورٌ رحيم»، فيُغيِّرُهُ. ثمَّ يقرأُ عليهِ كذا وكذا لمَّا حوَّل، فيقولُ: نعم سواء! فرجَعَ عنِ الإسلامِ، ولحَقَ بقُريش، وقالَ لهم: لقد كانَ ينزِلُ عليه «عزيزٌ حكيم»، فأُحوِّلُهُ ثمَّ أقولُ لمَّا أكتُب، فيقولُ: نعم سواء. ثمَّ رجَعَ إلى الإسلامِ قبلَ فتْح مكة، إذ نزَلَ النبيُّ ﷺ بمرّ»[1].

ملاحظات:

1. من جديد، سورةُ الأنعام التي نزَلَت فيها الآيةُ بحقِّ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مكِّية. وهذه النُّقطة لصالحِ الفرضيَّة القائلة أنَّ الحادثةَ وقعَت بمكة.
2. لكن يُفهَم من الرِّوايةِ السَّابقة أنَّ الحادثةَ وقعَت في المدينة، فـ «لحَقَ بقريش»، يُفهَمُ منها ترْكه المدينة، وعودَته إلى مكة.
3. الرِّوايةُ السَّابقةُ تتضمَّنُ أمرًا غريبًا، وهو موافقةُ النَّبي محمَّد ﷺ على

(1) تفسير الطبري، ج7، ص273.

إجراءِ تلك التَّغييرات، وأنَّه كان يقولُ: نعم سواء! وهذا يُؤكِّد ـ بالنِّسبةِ لنا ـ التَّلاعُب في القصَّة، لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ بشكلٍ صريح ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

4. لا يوجَدُ في القُرآنِ «عزيزٌ حكيم» إلا في السُّورِ التالية: سُورةِ البقرة، الآيات: 209، 220، 228، 260، وسُورةِ المائدة، آية 38، وسُورةِ الأنفال، الآيات: 10، 49، 63، وسُورةِ التوبة، الآيات: 40، 71، وسُورةِ لُقمان، آية 27. كما يوجَدُ «عزيزًا حكيمًا» في سُورةِ الفتْح، الآيات: 7، 19. وكلُّها سُوَرٌ مدنيَّة، باستثناء سُورة لُقمان فإنَّها مكِّية. ومعنى هذا أنَّ قيامَهُ بهذا التَّغيير والتَّبديل في المدينةِ ينْسَجِمُ مع نُزُولِ سُوَر مدنيَّة مُتعدِّدة، لكن لا ينْسَجِم مع نُزُولِ الآية بحقِّهِ في سُورةِ الأنعام لأنَّها مكِّية.

5. الرِّوايةُ السَّابقةُ تُؤكِّد تغييرَهُ وتبديلَهُ لكلماتِ الوحي، دونَ خيانةٍ واضحة، لكونِهِ يُعلِمُ النبيَّ محمَّد ﷺ بما أجراهُ من تغييرٍ وتبديل.

6. هذه الرِّوايةُ تتضمَّنُ في ذيلها أمرًا متَّفقًا على عدَمِ صحَّتِهِ؛ وهو رجوعهُ إلى الإسلام قبلَ فتْح مكة. فكُتُبُ التاريخ والسِّيرة والحديث متضافرة على أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ أهدَرَ دمَهُ عندَ فتْحِ مكة. على ضوءِ ذلك، لا يمكن تصديق رجوعه إلى الإسلامِ قبلَ فتْح مكة. وإليك بعض ما رُوِيَ في شأن ظروف عودَتهِ بعدَ ارتدادِهِ:

- روى أبو داود عن عِكْرمة عن ابنِ عباس، قال: كان عبدُ اللهِ بنُ سعدُ بن أبى سَرْح يكتُبُ لرسولِ الله ﷺ فأزلَّهُ الشَّيطانُ، فلحَقَ بالكُفَّار، فأمَرَ به رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُقتَلَ يومَ الفتْح، فاستجارَ له عثمانُ بنُ عفان، فأجارَهُ رسولُ الله ﷺ[2].

- روى الحاكم عن سعد قال: لمَّا كانَ يومُ فتْح مكة، اختبأ عبدُ الله بنُ

(1) سورة يونس، الآية: 15.
(2) سنن أبي داود، الحدود، الحكم فيمن ارتد.

سعدُ بن أبي سَرْح عندَ عثمانِ بنِ عفَّان، فجاءَ به حتى أوقفَهُ على النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله بايع عبد الله، فرفَعَ رأسَهُ فنظَرَ إليه ثلاثًا، ثمَّ أقبَلَ على أصحابِهِ فقال: أما كان فيكُم رجُلٌ رشيدٌ يقومُ إلى هذا حين رآني كفَفْتُ يدي عن بيعتِهِ فيقتُلهُ؟! فقالوا: ما ندْري يا رسولَ الله ما في نفْسِكَ إلّا أومأْتَ إلينا بعينِك، فقال: إنَّه لا ينبغي لنبيٍّ أنْ تكونَ له خائنةَ الأعين[1]. هذا حديثٌ صحيحٌ على شرْطِ مسلم ولم يخرجاه[2].

- روى الحاكم عن شُرَحبيل بنِ سعد: قال: نزَلَت في عبدِ الله بنِ أبي سَرْح ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، فلمَّا دخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مكةَ، فرَّ إلى عثمانِ بنِ عفَّان، وكان أخاهُ من الرَّضاعةِ، فغيَّبَهُ عندَهُ حتى اطمأنَّ أهلُ مكة، ثمَّ أتى بهِ رسولَ الله ﷺ، فاستأمَنَ.

قال الحاكم[3]: «قد صحَّت الرِّواية في الكتابينِ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ قبلَ دخولِهِ مكة بقتْلِ عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل، فمن نظَرَ في مقتَلِ أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان وجنايات عبد الله بن سعد عليه بمصْر إلى أنْ كان أمرُهُ ما كان، علِمَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان أعرَف به»[4].

وهناك رواياتٌ أخرى وردَت من طُرُقِ الشِّيعة، لا تخرُج عن سياقِ ما مرَّ، رواها الكليني في روضةِ الكافي، والقُمِّي في تفسيرِهِ، والعياشي في تفسيرِهِ، والطَّبرسي في مجْمَعِ البيان، وتفسير نور الثَّقَلين.

الخلاصة: ننتهي ممَّا مرَّ إلى أنَّ الرِّوايات التي جاءَت حول عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح مضْطَّربة ومتعارضة، فالحادِثَةُ نفْسُها من غير المُحدَّد أنَّها وقعَت في مكة أو في المدينة؟ وتفاصيلُ الحادثة غير مُحدَّدة، هل المشكلةُ

---

(1) أي لا يليق بالنبي أن يغدر بالآخرين من خلال إشارة بعينه لأصحابه. هذا هو المعنى الظاهر. وقد يكون المعنى: لا يليق بالنبي أن يتخذ كاتبًا للوحي يتصف بصفة الخيانة.

(2) الحاكم، المستدرك، كتاب المغازي والسرايا.

(3) (ت 405 هـ/ 1014م).

(4) الحاكم، المستدرك، كتاب المغازي والسرايا.

نشأت من سَبْقِ لسانِهِ للوحي أو بتورُّطِهِ بعملية تزوير ثمَّ تحريض؟ ومُؤشِّرات الوضْع في بعضِها واضحة، خصوصًا عندما تتحدَّث بعضُ الرِّوايات عن إقرارِ النَّبي محمَّد ﷺ بالتَّغييرِ والتَّبديلِ الذي أجراهُ ابنُ أبي سَرْح على القرآن!

مع ذلك، أميلُ إلى وقوعِ الحادثة فعلًا في مكة، وتورُّط الرَّجُل بالخيانةِ والتَّزوير في كتابتِهِ الوحي، ثمَّ التسبُّب بإفشاءِ أسرار المسلمين، الأمر الذي أدَّى إلى تعذيبِ بعضهم.

هذه القصَّةُ لا تنْهَض بالشكِّ في نُبوَّةِ النبيِّ محمَّد ﷺ، أو الشكِّ في سلامةِ النَّصِّ القرآني. غايةُ الأمر ـ إنْ صحَّت ـ تدُلُّ على خيانةِ عبد الله بن سعد ابن أبي سَرْح. وكما أنَّ خيانةَ السَّامري لا تدُلُّ على كذْبِ نُبوَّة موسى عليه السلام، وخيانة يهودا الأسخريوطي لا تدُلُّ على كذْبِ نُبوَّة عيسى عليه السلام، كذلك خيانة هذا الرَّجُل لا تدُلُّ على كذْبِ نُبوَّة محمَّد ﷺ.

الخلاصة: عرفنا ممَّا مرَّ أنَّ تدوينَ القرآن بدأَ في زمنِ النبيِّ محمَّد ﷺ، حيثُ قامَ بالتَّدوين عددٌ معتدٌّ به من كُتَّاب الوحي. وهناكَ شواهد عديدة على أنَّ التَّدوينَ بدأَ في مكة. إلا أنَّ القدر المُتيقَّن أنَّ القرآنَ كان يُدوَّن مع بدايةِ قُدُوم النبيِّ محمَّد ﷺ إلى المدينة. لكن هل كان القرآنُ يُدوَّنُ بطريقةٍ مُنظَّمة، بحيث تتوافر على الدَّوام، نُسْخة أو نُسَخ مكتملة تُحدَّث أولًا بأول تبعًا لنُزُول الوحي المستمر؟ أم كان التدوينُ عشوائيًّا؟

الفصل الخامس:

جمْع القرآن في مكانٍ واحد

لم يُدوَّن القرآن في صُحُفٍ مُتفرِّقة... هكذا... بل كانت تُجْمَع تلكَ الصُّحُف، كُلُّها أو بعضُها، في مكانٍ واحد، بحيث يُشكِّل مجموع تلكَ الصُّحُف أكثر من نُسْخةٍ كاملة.

إذن المحطةُ الخامسةُ التي أريدُ دراسَتَها في هذا الفصْل، تتعلَّقُ بجمْع القرآن بعد كتابتِهِ في صُحُفٍ مُتفرِّقة متراكمة في مكانٍ واحد. وهذا يعني أنَّ النَّبيَّ محمَّدًا ﷺ كان حريصًا على أنْ يحتفظ بنُسْخةٍ كاملةٍ، واحدةٍ على أقلِّ تقدير، أولًا بأول، حسَب نُزُول القرآن التدريجي، ويُبْقيها في منزلِهِ في مكانٍ مُشخَّص. وهذا الفصْلُ يستهدفُ بيان مُبرِّرات الإيمان بصحَّةِ هذه الفرضية.

كتَبَ السيِّد المرتضى[1]: «قد بيَّنا صحَّةَ نقْل القرآن في **المسائل الطرابلسيات**، وأنَّه غير منقوص، ولا مُبدَّل، ولا مُغيَّر، وأنَّ العلْمَ بأنَّ هذا القرآنَ الذي في أيدينا هو الذي ظهَرَ على يدِ رسول الله ﷺ، كالعلْمِ بالبلدانِ، والحوادثِ الكبار، والوقائعِ العظام، والكُتُب المُصنَّفة المشهورة، والأشعار المُدوَّنة[2]. وقد ذكرنا أنَّ العناية اشتدَّت بالقرآن، والدَّواعي توفَّرت على نقلِهِ وحراستِهِ، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلُغه في نقلِ الحوادث والوقائع والكُتُب المُصنَّفة؛ لأنَّ القرآنَ مُعجزُ النُّبوة، وأصْلُ العلْمِ بالشَّريعةِ والأحكام الدِّينية، وكلُّ شيءٍ دعا إلى نقلِ جميعِ ما تقدَّم، حاصلٌ فيه، ويستبدُّ بدواعٍ إلى النقلِ ليست في الحوادثِ وما أشبهَها، وأنَّ علماءَ المتكلِّمين بلغوا في ضبْطِهِ وحمايتِهِ، وعرفوا كلَّ شيءٍ اختُلِفَ فيه، من إعرابِهِ والقراءات المختلفة في

(1) (ت 436 هـ/ 1045م).

(2) يقصد أنه بلغ أعلى درجات التواتر.

حُروفِهِ، حتى فرَّقوا بين ما رُويَ وعُرِف، وبين ما لم يُذكر ولم يُسْطَر، فكيف يجوز أنْ يكونَ مُغيَّرًا أو منقوصًا مع هذه العنايةِ الصَّادقةِ والضَّبْطِ الشَّديد؟...

وقد بيَّنا - في الموضعِ الذي أشرنا إليه - أنَّ القرآنَ كان على عهدِ النَّبي ﷺ **مجموعًا مُؤلَّفًا على ما هو عليه الآن. ودلَّلنا على صحةِ ذلك بأنَّه كان يُدرَّس ويُحفَظ جميعُهُ في ذلكَ الزَّمان، حتى عيَّن النَّبي ﷺ على جماعةٍ من الصحابةِ حفْظهم له، وأنَّه كان يُعرَض على النَّبي ﷺ، وأنَّ الجماعةَ من الصحابةِ - منهم ابن مسعود - ختَمَ القرآنَ على النَّبي ﷺ عدَّة ختمات. وكلُّ ما ذكرناهُ يقتضي عندَ أدنى تأمُّلٍ أنَّه كان مجموعًا مُرتَّبًا، غير منثور ولا مبثوث.**

وذكرنا أيضًا أنَّ من يُخالف هذا الباب، من الإماميةِ والحشوية، لا يُعتدُّ بخلافِهِم، وأنَّه مُضافٌ إلى قوم من أصحابِ الحديث، نقلوا أخبارًا ضعيفة، ظنُّوا صحَّتها، لا يُرجَع إلى مثلِها عن المعلومِ المقطوع عليه»[1].

كتَبَ السيِّد شَرَف الدِّين[2]: من عرَفَ النبيَّ ﷺ في حكْمَتِهِ البالغة، ونُبوَّتِهِ الخاتمة، ونُصْحِهِ للهِ ولكتابِهِ ولعبادِهِ، وعرَفَ مبلَغَ نظرِهِ في العواقب، واحتياطَهُ على أُمَّتِهِ في مُسْتقبلِها، يرَى أنَّ من المُحالِ عليه أنْ يترُكَ القرآنَ منْثورًا مبْثوثًا. حاشا همَمَهُ وعزائمَهُ، وحِكَمَهُ المعجزة من ذلك .وقد كان القرآنُ زمنَ النبيِّ ﷺ يُطلَقُ عليه «الكتاب»، قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3]. وهذا يُشْعِرُ بأنَّه كان مجموعًا ومكتوبًا؛ فإنَّ ألفاظَ القرآن إذا كانت محفوظةً ولم تكُن مكتوبةً لا تُسمَّى «كِتابًا»، وإنَّما تُسمَّى بذلكَ بعد الكتابةِ كما لا يخفى»[4].

هذه الفرضية تبتني على مُقدِّمات عقليَّة ونقْليَّة تدفَعُ للإيمان بها. وهذا القدْر من جمْعِ القرآن في زمنِ النَّبي محمَّد ﷺ، على ضوءِ تلكَ المُقدَّمات،

---

(1) الشَّريف المرتضى، الذخيرة، ص361 - 363.

(2) (ت 1377 هـ/ 1958م).

(3) سورة البقرة، الآية: 2.

(4) السيد عبد الحسين شرفُ الدِّين، أجوبة مسائل جار الله، نقلًا عن الدّارابي، النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا، ص161.

لا يمكنُ التَّنازُل عنه مطلقًا. ولسْنا بحاجةٍ لإطلاق دعاوى تتجاوز ذلك في زمنِ النَّبي ﷺ، والدُّخول في جدلٍ حول آخر سورة أو آية نزلت عليه[1].

شواهد عقلية على جمْع القرآن في زمن النَّبي ﷺ:

بمعزَلٍ عن الشَّواهدِ والقرائنِ التاريخية المباشرة الدَّالة على تدوينِ القرآن في زمنِ النبيِّ محمَّد ﷺ، فإنَّ طبيعةَ سير الأحداث، من دواعٍ للتَّدوينِ وعدم وجود موانع من ذلك، تدْفَعُ الباحِثَ المُطَّلِع إلى الإيمانِ بأنَّ القرآنَ قد جُمِعَ قبلَ وفاة النبيِّ محمَّد ﷺ. بعبارةٍ أخرى، إنَّ «طبيعةَ الأشياء» تدُلُّ دلالةً واضحة على أنَّ القرآنَ قد تمَّ جمْعُهُ في زمنِ النبيِّ ﷺ قبلَ وفاتِهِ. والمقصودُ بـ «طبيعةِ الأشياء»: مجموع الظُّروف والملابسات الموضوعية والذَّاتية التي عاشَها النبيُّ محمَّد ﷺ والمسْلمون والقرآن أو اختُصُّوا بها. وهذه الظُّروف والملابسات، أشارَ إليها إجمالًا السيِّدان المرتضى وشرف الدِّين، وهي تفصيلًا ما يلي:

أولًا: أهميَّة القرآن

فالقرآنُ يعتبرُ الدُّستور الأساس للمسْلمين، وهو يعتبرُ المنْبع الرَّئيسي

---

(1) كتَبَ الشَّيخ الآملي: «نقَلَ أمينُ الإسْلام في تفسيرِهِ **مجْمع البيان**، والزُّمُخشري في **الكشَّاف**، والسُّيوطي في **الإتقان**، وغيرُهُم من أجلاءِ العُلماء عن ابنِ عباس والسدِّي أنَّ قولَهُ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة، 281]، آخر سورة نزَلَت من الفُرقانِ على رسولِ الله ﷺ، وأنَّ جبرائيلَ عليه السلام قالَ له ﷺ: ضعْها في رأسِ الثمانين والمئتين من سُورةِ البقرة. وهذا القولُ كأنَّه إجماعيٌّ، وإنَّما الاختلافُ في مدَّةِ حياة رسول الله ﷺ بعدَ نُزُولِها؛ فعن ابنِ عباس أنَّه ﷺ عاشَ بعدَها أحدًا وعشرينَ يومًا، وقالَ ابن جُريج: تسْعُ ليال، وقالَ سعيد بنُ جُبير ومُقاتل: سبْعُ ليال، وفي الكشَّاف: قيلَ: ثلاثُ ساعات». (حسن زادة آملي، **هشت رسالة عربي، فصل الخطاب في عدم تحريف كتاب رب الأرباب**، ص241).

أقول: يبدو أنَّه غيرُ إجماعي، فقد قيلَ أيضًا إنَّ آخرَ آية نزلَت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من سورةِ التوبة، وقيل ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، وقيل آية الربا ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾، وقيل ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في شأنِ الفرائض... لكن هذا كلُّه لا ينْسِجم مع قولِهِ تعالى بعد حجَّة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فنُزُول آية الرِّبا والكلالة، يعني نُزُول حلالٍ وحرامٍ بعدَ إكمالِ الدِّين! (للتفاصيل ومعرفة الأقوال المختلفة في المسألة راجع: الزَّركشي، **البرهان في علوم القرآن**، النوع العاشر، ص144 ـ 147. أيضًا السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع الثامن، ص78 ـ 82).

الذي يُزوِّدُ الأمةَ برؤيةٍ كونيةٍ خاصة، ويُشكِّلُ الرُّكنَ الأساس الذي يقومُ عليه كيانُ الأمة العقَدي والتَّشريعي والأخلاقي. كما أنَّه يُعتبرُ أتقن الوثائق التاريخية لديها، وأروع النُّصوص الأدبية. ولم يكن المسْلمون في صدْرِ حياتِهم الاجتماعية يملِكُونَ شيئًا من القدراتِ الفكرية والثقافية في مختلفِ الميادين التي يخوضُها الفكرُ الإنساني غير القرآن. فالقرآنُ بالنِّسبةِ لهم ـ بصفَتِهم أمة حديثة ـ يُمثِّلُ المحتوى الرُّوحي والفكري والاجتماعي لهم.

فالأمةُ الإسلامية لم تكن حينذاك تملِكُ من الثقافةِ العقَدية ما تبني عليها إيمانَها الرَّاسخ بوحدانيةِ الله سبحانَهُ، أو بانحرافِ أصحاب الدِّيانات الأخرى في نظرَتِهم إلى المبدأِ والمعاد غير الأدلَّة القرآنية. والكلامُ ذاتُهُ يمكن أنْ يُقال بالنِّسبةِ إلى المجالات الأخرى، فكرية كانت أم روحية أم ثقافية. كلُّ هذا يؤكد الأهمية الذَّاتية التي يتمتَّع بها القرآنُ بالنِّسبةِ لحياةِ المسْلمين، ويُحدِّد النظرةَ التي يحمِلُها المسْلمون ـ باعتبارِهم أمة ـ إلى القرآنِ.

ثانيًا: المخاطر المُترقَّبة

لقد عكَفَ المسْلمونَ ـ منذُ البدء ـ على حفْظِ القرآن واستظهارِهِ، انطلاقًا من نظرَتِهم إلى القرآنِ، واستشعارًا للأهميةِ البالغة التي يحتلُّها في حياتِهم الاجتماعية، ودورِهِ المركزي فيما ينتظِرُهُم في الحياةِ الإنسانية. وقد تكوَّنَت نتيجةَ هذا الإقبال المتزايد منهم على حفظِهِ واستظهارِهِ جماعةٌ كبيرة من القُرَّاء، عُرِفَت بحفْظِها القرآن واستظهارِها لنصِّهِ بشكلٍ دقيق. ولكن السُّؤال عن كفايةِ هذه الوسيلة في جعْلِ القرآن بمأمنٍ عن التحريفِ والتزويرِ نتيجةً للخطأِ والاشتباه، أو تعرُّضِهِم لظُروفٍ وعوامل أخرى تمنَعُهُم عن القيامِ بدورِهِم في حفظِ النصِّ القرآني من هذه الأخطار.

إنَّ أصحابَ النبيِّ الذين عُرِفُوا بحفْظِ القرآن، مهما بلغوا من الورعِ والتقوى والأمانةِ والإخلاص، فهم لا يخرجونَ عن كونِهم أشخاصًا عاديِّين، يعتورُهُم الخطأُ والنِّسيان. كما أنَّ ظرفَهُم التاريخي وطبيعة المسؤولية المُلْقاة على عاتِقِهم كانت تُعرِّضُهُم للاستشهادِ والقتل، والانتشار في الأقطارِ بُغية الدَّعوة للهِ سبحانه، وكلُّ هذه الأمور التي كانت مُتوقَّعة تُصبحُ خطرًا على النصِّ القرآني، إذا تُرِكَ مرتبطًا في حفْظِهِ بهذه الوسيلة، ومرْتهنًا بهذا الأسْلوب فقط.

ويكفينا في تحقُّق هذا الخطر على النصِّ القرآني أنْ يقع بعض أصحاب النَّبي البعيدين عن المدينة في اشتباهٍ مُعيَّنٍ في النصِّ القرآني، ليقَع الاختلاف بعدَ ذلكَ حينما يفقد المسْلمون المرْجع الأصيل لضبْطِ النَّص.

وأنا لا أريدُ أنْ أقول إنَّ هذا الشَّيء قد تحقَّقَ فعلًا بطريقةٍ خرجَت عن السَّيطرة، وإنَّ المسْلمينَ قد وقعوا في هذا الاختلاف العميق، ولكن أريد أنْ أُؤكِّد أنَّ هذا الأمر كان خطرًا ماثلًا يمكن أنْ يقَع فيه المسْلمون في بعض الظُّروف.

ثالثًا: وعيُ النَّبي محمَّد ﷺ بالمخاطر

كان النبيُّ محمَّد ﷺ يعيشُ مع الأمةِ في آمالِها وآلامِها، مُدْركًا لحاجاتِها وواعيًا للمسؤوليةِ الثقيلة التي تفرِضُها طبيعة الظُّروف المحيطة بتكوينِها والأخطار التي تُهدِّدُها. وهذا الإدراكُ والوعي يكشِفُ عنه الدَّور العظيم الذي قامَ به النبيُّ منذُ البعثة حتى وفاتهِ ﷺ؛ فقد عاشَ حياةَ الاضِّطهاد والمعاناة اللَّذينِ كانا وليدَي قيامِهِ بالدَّعوةِ إلى اللهِ سبحانه وعملِهِ على تغيير الأمة، وقلْب واقعها الفكري والسِّياسي والاجتماعي؛ ومثلُ هذا الدَّور يحتاجُ إلى مهارةٍ عظيمةٍ وإدراكٍ دقيقٍ لواقعِ المجتمع، وتقديرٍ للآثارِ والنتائج، مع فهمٍ للنفْسِ البشرية، وما تنطوي عليه من خيرٍ وشرٍّ، وقصُورٍ غير مقصود، ومصالح خاصة مقصودة.

ثمَّ عاشَ حياةَ القيادة وسياسة الأمة وإدارة شؤونها في أصعبِ الظُّروف التاريخية، حيثُ إنشاء الدَّولة وتوطيد التَّشريع والنِّظام في مجتمعٍ كان بعيدًا في حياتهِ عن المجتمعاتِ البشرية المنظَّمة، كما كان يؤمنُ بمفاهيمٍ وأفكار بعيدة عن المفاهيم والأفكار الجديدة التي جاءَ بها الإسلام، فخاضَ الحربَ والجهاد، وواجَهَ المكرَ والخداعَ والنفاقَ والارتداد، إلى غيرِ ذلكَ من الأساليبِ والظُّروفِ المختلفة في أبعادِها وآثارِها.

وكان النبيُّ ﷺ أيضًا على معرفةٍ بتأريخ الرِّسالات الإلهية ونهايتِها على يدِ المُزوِّرين والمُحرِّفين وتُجّار الدِّين، بل القرآنُ نفسُهُ صرَّحَ بذلكَ وندَّدَ بهذا التَّحريف والتزوير.

فالإنسانُ الذي خَبُرَ الحياةَ الإنسانية على هذا النحو، وحمَلَ أعباءَ الرِّسالة

والدَّعوة، وقادَ الإنسانَ في مجاهلِ الظَّلام حتى أوردَهُ مناهلَ النورِ والحقِّ، لا يمكن أنْ نشُك أبدًا في إدراكِهِ لمدى ما يمكن أنْ يتعرَّض له النصُّ القرآني من خطَر، حينما يربط مصيرَهُ بمجرَّد الحفْظ والاستظهار في صُدُورِ الرِّجال.

رابعًا: توفر إمكانات التدوين

إنَّ إمكانات التدوين والكتابة كانت متوفِّرة لدى النَّبي محمَّد ﷺ، حيثُ لا تعني هذه الإمكانات إلا وجود أشْخاص قادرين على الكتابة يتوفَّر فيهم الإخلاصُ في العمَل، إلى جانبِ توفُّر أدوات الكتابة. ولا شكَّ تاريخيًّا في تمكُّن المسلمين من كلٍّ ذلك.

خامسًا: الحرْصُ على القرآن

لا بدَّ أنْ نعترف بوجودِ عنْصُر الإخلاص للقرآنِ وأهدافِهِ، إذ لا شكَّ في توفُّر ذلكَ لدى النَّبي ﷺ ولو افترضنا الشَّك في نُبوَّتهِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ حتى على أسوأ التقادير والفُرُوض التي يفرِضُها الجاحدونَ بنُبوَّتهِ، لا يمكن إلا أنْ يكونَ مُخلصًا للقرآنِ، لأنَّه يُؤمنُ بأنَّ القرآنَ آيتُهُ (مُعجِزَتُهُ) وبرهانُ دعوتِهِ الذي به تحدَّى المشْركين. وهو على هذا الإيمان بالقرآن لا بدَّ أنْ يحرِصَ على حفْظِهِ وصيانتِهِ، ويكونَ مُخلِصًا في ذلكَ أبعدَ الإخلاص.

وهذه العناصرُ الخمسة: أهميَّةُ القرآن، المخاطر المُترقَّبة في تعرُّضِهِ للتَّحريفِ بدون تدوين، وعيُ النبيِّ ﷺ وإدراكُهُ لتلكَ المخاطر، توفُّر إمكانات التدوين والكتابة، وحرْصُ النَّبي ﷺ على القرآنِ والإخلاص له.... هي التي تدْفَعُ الباحثَ المُطَّلِع للإيمانِ بأنَّ القرآنَ قد تمَّ جمْعُهُ وتدوينُهُ في زمنِ النَّبي ﷺ، لأنَّ أهميةَ القرآن الذَّاتية، مع وجودِ الخطر عليه، والشُّعور بهذا الخطر، وتوفُّر أدوات التدوين والكتابة، ثمَّ الإخلاص للقرآن، حين تجتمع، بوصْفِها دواعي تدْفع للتدوين وموانع غير مُتوفِّرة في المقام، لا تُبْقي مجالًا للشكِّ بتدوينِ القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ[1].

---

(1) محمَّد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص101 ـ 104.

شواهد نقلية على جمْع القرآن في زمن النَّبي ﷺ:

توجدُ قرائن وشواهد تاريخية، يصْعُبُ حصْرُها، من القرآنِ والتأريخِ والسِّيرةِ والحديث، قد يُستدَلُّ بها على أنَّ القرآنَ كان يتمّ تدوينُهُ بنحوٍ مُنظَّم أولًا بأوّل في زمنِ النَّبي ﷺ.

أولًا: قرائن وشواهد من القرآن

1. قولُهُ تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾[1].

فالآيات تتحدَّث عن قُرآنٍ موجود في صُحُفٍ مُكرَّمة، وهذا يدُلُّ على وجودِ ماديٍّ ملموس.

لكن قد يُقال إنَّ سِياقَ الآيات لا يدُلُّ على ذلك، لأنَّه يتحَّدث عن وجودٍ معنوي متعالٍ للصُّحُف: «مرفوعة» بأيدي الملائكة: «سَفَرة».

وقد يجابُ عن ذلكَ بأنَّ الظَّاهر هو أنَّ الآيات تتحدَّث عن وجودٍ ماديٍّ ملموس للقرآن في صُحُف، وهذه الصُّحُف لها رصيدٌ مُتعال، لأنَّها مُنزَّلةٌ من خزائنِ اللَّوح المحفوظ.

لكن قد يُقال إنَّ كلمةَ «لَوح» في مصطلح «اللَّوح المحفوظ» بنفْسِهِ دالٌّ على وجودٍ ماديٍّ ملموس، ونحنُ نعلَم أنَّ وجودَ اللَّوح المحفوظ ليس بماديّ. على هذا، فلتكن «صُحُف» هنا غير مادِّية.

2. قولُهُ تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[2].

ظاهرُ هذه الآية دالٌّ على وجودِ «صُحُف» قد كُتِبَ القرآنُ عليها، فالنبيُّ

= أقول: هذا الكتاب يتضمَّن بحوثًا كتبَها السيِّد محمد باقر الصَّدْر، والمؤلفُ يشيرُ عادةً في كتابِهِ إلى تلكَ المواضع، وهو لم يُشِر في هذا الموضع أنَّه من بحوث السيِّد الصَّدْر، فيُفهَم ضمْنًا أنَّ الكاتب هو المؤلِّف السيِّد الحكيم، إلا أنَّ لُغةَ البحث والاستدلال أقرَب ما تكون إلى لُغةِ السيِّد الصَّدْر. هذا ما أميلُ إليه.

(1) سورة عبس، الآيات: 11 ـ 16.

(2) سورة البيّنة، الآيتان: 2 ـ 3.

محمَّد ﷺ كان يتلو على الناسِ ما يُصبحُ لاحقًا «صُحُفًا» مُطهَّرة، أو أنَّها بعدما كُتِبَت كان يتلو وكُتَّاب الوحي يُراجعونَ على تلاوتِهِ ما كتَبوهُ.

3. ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾[1].

ظاهرُ الآيةِ أنَّه تعالى يُقسِمُ بالقرآنِ بوصفِهِ مسطورًا في جلْدٍ رقيقٍ مبسوط ليس فيه خفاء.

قد تقولُ: أنَّ الآيةَ تتحدَّث عن التوراةِ، بقرينةِ القسَم بـ «الطُّور».

الجواب: التوراةُ لم تكن مكتوبةً في رق، بل في ألواح، قالَ تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾[2]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾[3]، أيضًا: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[4]. مضافًا إلى أنَّ «الطُّور» في اللُّغة يعني الجبل، ولعلَّه قصَدَ جبل النور، وفيه غارُ حِراء.

أيضًا توجدُ قرينةٌ في الآياتِ بأنَّ المقصودَ هو القرآن، وهي القسَمُ بـ «البيتِ المعمور» الذي هو ـ على ما رُويَ ـ مُحاذٍ للكعبةِ في السَّماءِ معمورٌ بالملائكة.

ولعلَّ المقصود المعنى الأعم؛ أعني الكُتُب السَّماوية، كالتوراةِ والإنجيل والقرآن، فيكونُ المقصود بـ ﴿الطُّورِ﴾ (الذي يعني لغويًّا «الجبل»): جبلِ الطُّور (في سيناء) وساعير (الناصرة في فلسطين) وفاران (النُّور في مكة)، و﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ هو اللَّوحُ المحفوظ، وهو أُمّ الكتاب للكُتُبِ السَّماوية، و﴿رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ هو تعبيرٌ عن تلكَ الكُتُب بعد إنزالِها وتجلِّيها في نُسَخٍ مكتوبة متداولة.

4. ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5].

هذه الآيةُ حاكيةٌ عن اتِّهامِ الكُفَّار للنبيِّ محمَّد ﷺ بأنَّه جاءَ بأساطير

(1) سورة الطور، الآيات: 1 ـ 4.
(2) سورة الأعراف، الآية: 145.
(3) سورة الأعراف، الآية: 150.
(4) سورة الأعراف، الآية: 154.
(5) سورة الفرقان، الآية: 5.

الأوّلين، ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾. ويُعلّق القرآن على هذا الاتّهام: ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾[1].

ورغْمَ أنَّ القرآنَ يُؤكِّدُ على أنَّ هذا الاتّهامَ ظالمٌ وكاذب، إلا أنَّه ينطوي كما يبدو على شيءٍ من الحق، وهو أنَّ ما يُسمُّونَهُ «أساطير الأوَّلين» كانت «مكتوبة»... فسواءٌ اتَّهموا النبيَّ ﷺ بأنَّه هو من اكتَتَبها (= طلَبَ من كُتَّاب الوحي كتابَتَها) بعدما استقى محتواها من غيرِهِ، أو أنَّ غيرَهُ أملى عليه محتواها وكتَبَها له (= طلَبَ من غيرِهِ كتابة محتواها) وهو بدورِهِ أخذَها جاهزة....فهُم في النِّهاية، لا يُريدونَ نِسْبَةَ هذا الكلام إلى اللهِ تعالى، ولا يُريدونُ الإقرار بأنَّه ﷺ موحى إليه. لكن كلامَهُم يستبطنُ إقرارًا بأنَّ ما جاءَ به صارَ متداولًا على هيئةِ كلام مكتوب. وطالما أنَّ سورةَ الفرقان مكية، فهذا شاهدٌ على أنَّ كتابةَ الوحي كانت قد بدأت في مكة.

5. أُطْلِقَ لفْظُ «الكتاب» على القرآنِ أو بعضِهِ، كقولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾[2]، أو ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[3]، أو ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[4]. وهذا اللَّفْظُ دالٌّ ـ على أقلِّ تقدير ـ على استكمالِ كلّ العناصر والشُّروط الموضوعية لخُروجِهِ من الصُّدور ليُدوَّن ككتابٍ ملموسٍ في الخارج.

لكن هذا اللَّفْظُ بحدِّ ذاتِهِ لا يدُلُّ على كتابتِهِ بنحوِ ملموس في الخارج وإنْ كان مُشْعرًا بذلك، لأنَّه تعالى يقول: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[5]، ويقول: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾[6]، ومن الواضحِ أنَّ الله تعالى ما أنزَلَ الكتابَ بوصفِهِ كتابًا ملموسًا ناجزًا. بخلافِ توراة موسى عليه السلام التي نزَلَت ـ كما يبدو ـ جُمْلةً واحدةً مكتوبة، يقولُ تعالى عنها: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[7].

(1) سورة الفرقان، الآية: 4.
(2) سورة البقرة، الآية: 2.
(3) سورة هود، الآية: 1.
(4) سورة الزُّمر، الآية: 23.
(5) سورة الأنعام، الآية: 92.
(6) سورة السجدة، الآيتان: 1 ـ 2.
(7) سورة الأعراف، الآية: 145.

6. الكثيرُ من آياتِ القرآن تدُلُّ على أنَّ سُوَر القرآن كانت مُتميِّزة في الخارجِ بعضُها عن بعض، وأنَّ السُّور كانت منتشرةً بين الناس، حتى المشْركين وأهل الكتاب. فالنبيُّ محمَّد ﷺ تحدَّى الكفَّارَ والمشْركين على الإتيانِ بمثْلِ القرآن[1]، وبعشْرِ سُوَرٍ مثلِهِ مُفتريات[2]، وبسُورةٍ من مثلِهِ[3]. يقولُ تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾[4]، أي سُورةٌ تتضمَّن ما يفضَحُهُم. معنى هذا: أنَّ سُوَر القرآن كانت في متناولِ أيديهم، وكانت متميِّزة بعضُها عن بعض.

أقول: هذا قد يدُلُّ على أنَّ سُوَر القرآن كانت مُتميِّزة عن بعضِها ومتداولة، لكن لا يدُلُّ بالضَّرورةِ على أنَّها كانت مكتوبة.

7. قولُهُ تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[5].

هذه الآية تدُلُّ على أهميةِ الكتابة، وخطورة ما يسْطُرُهُ الإنسانُ بقلَمِهِ في تغييرِ مصير الأفراد والأمم. ولا يُعقَل من قُرآنٍ أقَسَم بالقلَمِ وما يسْطُرُون أنْ يكونَ بعيدًا عن الكتابةِ والتدوين .

أقول: لكن لا يدُلُّ هذا على كتابةِ القرآن وتدوينِهِ.

8. قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾[6].

وقد أشَرْتُ فيما مضى أنَّا لا نتعقَّل أنْ يحُثَّ القرآنُ بشدَّةٍ على كتابةِ الدَّين وإنْ كان صغيرًا، ثمَّ لا يتداعى المسلمونَ لكتابتِهِ فورَ نُزُولِهِ.

9. قولُهُ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

(1) سورة الإسراء، الآية: 88.
(2) سورة هود، الآية: 13.
(3) سورة البقرة، الآية: 23، سورة يونس، الآية: 38.
(4) سورة التوبة، الآية: 64.
(5) سورة القلم، الآية: 1.
(6) سورة البقرة، الآية: 282.

لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

ولا نتعقَّل وعيدَ الله بالويلِ المتكرِّر لمن يكتُب الكتابَ من اليهودِ وغيرِهم ثمَّ ينْسِبُهُ إلى الله افتراءً عليه، ثمَّ لا يتحرَّك نبيُّهُ ﷺ والمسلمونَ لكتابةِ القرآن بنحوٍ مُنظَّم حتى يقْطَع الطَّريق أمامَ أيِّ محاولة للتَّلاعُبِ به.

10. قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[2].

ولا نتعقَّل أنْ يرى النبيُّ محمَّد ﷺ اليهودَ يُخفُونَ كثيرًا ممَّا هو منْسوبٌ لموسى عليه السلام من التوراةِ المكتوبة، ممَّا لا ينْسَجِم مع مصالِحِهم، ثمَّ لا يتحرَّك لكتابةِ قُرآنِهِ ونشْرِهِ على أوسَعِ نطاقٍ ممكنٍ آنذاك، حتى لا يُعطي أيَّ فُرْصةً لخُصُومِهِ أو المدَّعين من أتباعِهِ، لإخفاءِ أيِّ شيءٍ منه في المستقبل.

والخلاصةُ أنَّ النِّقاط الماضية هي قرائن وشواهد من القرآن، تنطوي على دلالةٍ ما بأنَّ القرآنَ كان يُدوَّن أولًا بأول في زمنِ النَّبي ﷺ.

ثانيًا: مراجعة سنوية من السَّماء

مراجعة السَّماء الدَّورية للقرآنِ مع النبيِّ محمَّد ﷺ، تُؤكِّد أنَّ اللهَ تعالى كان يُدبِّرَ الأمر حتى تتهيأ كلُّ الظُّروف الموضوعية لحفْظِ القرآنِ وبقائِهِ، بحيث يمكن تصحيح وتعديل ما تمَّ كتابَتُهُ، على ضوءِ مراجعة منظَّمة من السَّماء لما حُفِظَ في الصُّدُور، ودُوِّنَ في السُّطُور. وإليكَ الشَّواهد على ذلك:

1. روى البُخاري ومسْلم في صحيحهما بسندِهِما عن فاطمة (واللَّفظُ للأول) إنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لها في مرَضِ وفاتِهِ: إنَّ جبريلَ كان يُعارِضُني بالقرآنِ كلَّ سنة، وإنَّه عارَضَني العامَ مرَّتين، ولا أراهُ إلا حضَرَ أجلي، وإنَّكِ أوَّلُ أهلِ بيتي لحاقًا بي. فبكَيْتُ، فقالَ: أما ترضَيْنَ أنْ تكوني سيدةَ نساءِ أهلِ الجنَّة أو نساءِ المؤمنين؟ فضحِكْتُ لذلكَ[3].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 79.

(2) سورة الأنعام، الآية: 91.

(3) **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

2. وروى البُخاري في صحيحِهِ عن أبي هريرة قال: كان يَعرِضُ على النبيِّ ﷺ القرآنَ كلَّ عام مرَّة، فعرَضَ عليهِ مرَّتين في العامِ الذي قُبِضَ فيه، وكان يعتكفُ في كلِّ عامٍ عشْرًا، فاعتكفَ عشرينَ في العامِ الذي قُبِضَ فيه(1).

3. وعن ابنِ عباس: كان القرآنُ يُعرَضُ على رسولِ الله ﷺ في كلِّ رمضان مرَّة، إلا العام الذي قُبِضَ فيه، فإنَّه عُرِضَ عليه مرَّتين(2).

هذه الرِّوايات تدُلُّ على أنَّ المراجعةَ السَّنوية التي كانت تجري مرَّة في كلِّ سنة لما تراكَمَ نُزُولُهُ، جرَتْ مرَّتان في السَّنةِ الأخيرة، كمراجعةٍ أخيرةٍ لنصٍّ قد اكتمل في صورتهِ النِّهائية.

ثانيًا: اهتمامُهُ ﷺ بالكتابة

اهتمامُ النبيِّ محمَّد ﷺ بالكتابةِ عمومًا، دالٌّ على تدوينِ القرآن بنحوٍ كاملٍ ودقيقٍ في زمنِهِ، فهو آيتُهُ البيِّنة، وأهمُّ ما يُقدِّمُهُ للبشَر. وإليكَ الشَّواهد الدَّالة على هذا الاهتمام.

1. روى أحمد في مُسْندِهِ: حدَّثنا عكرمة عن ابنِ عباس قال: كان ناسٌ من الأسرى يومَ بدْر لم يكُن لهم فِداءً، فجعَلَ رسولُ الله ﷺ فداءَهُم، أنْ يُعلِّموا أولادَ الأنْصار الكتابة، قال: فجاءَ يومًا غلامٌ يبكي إلى أبيهِ، فقال: ما شأنُك؟ قال: ضرَبَني مُعلِّمي، قال: الخبيث يطلُبُ بذَحْلِ (= ثأر) بدْر، واللهِ لا تأتيهِ أبدًا(3).

وهذا يدُلُّ على حرْصِ النَّبي ﷺ على محو أمية القراءة والكتابة، وإشاعة هذه المهارة بين أصحابِهِ.

2. روى مسْلم في صحيحهِ عن أبي سعيد الخدري أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تكتُبوا شيئًا عنِّي إلا القرآن، ومن كتَبَ عنِّي شيئًا فليمْحُهُ»(4).

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.
(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص342.
(3) مسند أحمد بن حنبل، مسند بني هاشم، رقم 2217.
(4) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، 7510، 3004.

فالنبيُّ محمَّد ﷺ نهى - كما يبدو - عن إدراج ما يُذْكَر من تأويلٍ وتفسيرٍ وشرْحٍ للآية ضمْنَ القرآن، فقد أرادَ أنْ يُكتَبَ القرآنُ مجرَّدًا. وهذا النَّهي مختصٌّ بالقرآنِ دون الحديث، فالنبيُّ ﷺ لم يمنع من تدوينِ الحديث. ويدُلُّ على ذلك الرِّواية التالية.

3. عن عبدِ الله بنِ عمرو (بن العاص) أنَّه قال: كُنْتُ أكتُبُ كلَّ شيءٍ أسمَعهُ من رسولِ الله ﷺ أريدُ حفْظَهُ، فنهَتْني قريش، فقالوا: إنَّكَ تكتُب كلَّ شيءٍ تسْمَعهُ من رسولِ الله ﷺ، ورسولُ اللهِ بشَرٌ، يتكلَّمُ في الغضَبِ والرِّضا، فأمسَكْتُ عن الكتابة، فذكَرْتَ ذلكَ لرسولِ الله ﷺ فقال: «اكتُب، فوالذي نفْسي بيدِهِ ما خرَجَ منِّي إلا حقٌّ»[1].

وهذه الرِّواية بالغةُ الأهمية، لأنَّها تدُلُّ على أنَّ قُريشًا كانت قلقةً وممتعضةً من تدوينِ كلّ شيء عن النبيِّ ﷺ، ولو كان زمامُ الأمور بيدِها - كما سيقَع لاحقًا - لما أخرَجَت من الحديثِ إلا ما يروقُ لها ويتَّفقُ مع مصالِحِها. فضلًا عن خشيتِها من إدراجِ بعض التَّفسير والتأويل للآيات، وذكرِ بعض أسباب النُّزُول، التي تفضَح دورَ بعض شخصيَّاتها في الوقوف كعقبةٍ كؤود أمام انطلاق الرِّسالة.

4. روى البخاري بسنده عن همام بن منبه قال سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحابِ رسول الله ﷺ أحدٌ أكثَر حديثًا منِّي، إلا ما كان من حديثِ عبدِ الله بنِ عمرو (بن العاص)، فإنَّه كان يكتُب وأنا لا أكتُب.

5. عن أبي هريرة: كان رجُلٌ من الأنصار يجلسُ إلى رسولِ الله ﷺ، فيسْمَع منه الحديث، فيُعجِبُهُ ولا يحفظُهُ، فشكا ذلك إلى الرَّسولِ ﷺ فقال: «استَعِن بيمينِكَ»، وأومأَ بيدِهِ إلى الخطِّ[2].

---

(1) **سنن أبي داود**، باب كتاب العلم، رقم 3646. **سنن الدارمي**، المقدمة، رقم 484. **مسند أحمد بن حنبل**، مسند المكثرين من الصحابة، رقم 6474، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب العلم، الأمر بكتابة الحديث، رقم 364.

(2) **سنن الترمذي**، كتاب العلم، باب ما جاء في الرخصة فيه، رقم 2666.

6. روى أبو عبيد عن النَّبي ﷺ أنه قال: «لا تكتُبُوا القرآنَ إلا في شيءٍ طاهر»[1].

7. وفي خُطبةِ الوداع، أنَّ أبا شاة اليَمَني قال: اكتُبُوا لي يا رسولَ الله. فقال ﷺ: «اكتُبُوا لأبي شاة»[2].

8. وروت الصِّحاح عن النبيِّ ﷺ وهو على فراشِ الموت: «ائتوني بكتِفٍ ودواةٍ لأكتُب لكُم كتابًا لا تضِلُّوا بعده أبدًا»، فقال رجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ ليهجُر، أو قال عمر: إنَّ الرَّجُلَ غلبَهُ الوجع حسْبُنا كتابُ الله[3].

9. رواياتٌ كثيرة تتحدَّث عن نهي النبيِّ ﷺ عن السَّفَرِ بالمصاحِفِ إلى أرضِ الكُفْر. فمثلًا عن عبدِ الله بنِ عمر قال: نهى رسولُ الله ﷺ أنْ يُسافَرَ بالقرآنِ إلى أرضِ العدو، وقال: «إنِّي أخافُ أنْ ينالَهُ العدو»[4].

ثالثًا: كُتَّابُ الوحي

لمَّا بعَثَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ بالرِّسالةِ، وشرَّفَهُ بالقرآن، احتاجَ إلى كاتبٍ يكتُبُ له الوحي وغيره من الرَّسائلِ والحوائج، وهو إذْ كان بمكة ليس له كثيرُ حاجةٍ إلى الكتابة إلا الوحي، فيكتُبُهُ الإمامُ علي عليه السلام أو هو مع غيرِهِ من المسْلمين ممَّن يعرفُ الكتابة. فلمَّا هاجَرَ إلى المدينة، وكثُرَ المسْلمون، وتوفَّرت الحوائج، مسَّت الحاجةُ إلى كُتَّابٍ، يُلازمونَ الكتابةَ. فجعَلَ ﷺ لكُلِّ عمَلٍ كاتبًا، ولكلِّ كاتبٍ مُعينًا. وقد أشارَت المصادر التاريخية للأسماءِ التالية (سبعةَ عشَرَ اسْمًا) بوصْفِهِم كُتَّابَ النبيِّ ﷺ:

الإمامُ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، أُبيُّ بنُ كعب الأنصاري الخزْرجي،

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب 10 ما يستحب لحامل القرآن من إكرام القرآن وتعظيمه وتنزيهه، ح12، ص57.

(2) **سنن أبي داود**، كتاب الديات، رقم 4505.

(3) **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده، أيضًا باب هلُمُّوا أكتب لكم كتابًا... أيضًا كتاب الأشربة، باب قول المريض قوموا عني .**صحيح مسلم**، كتاب الوصية، باب ائتوني بالكتف والدواة.

(4) الرِّوايات تتجاوز ثلاثين رواية عن عبد الله بن عمر رواها ابن أبي داود في كتاب «**المصاحف**».

زيدُ بنُ ثابت الأنصاري الخزْرجي، عبدُ الله بنُ أرقم، علاءُ بنُ عُقْبة، الزُّبيرُ بن العوَّام، جهَمُ بنُ الصَّلْت، حُذيفة بنُ اليمان، مُعيقيب بنُ أبي فاطمة، خالدُ بنُ سعيد، حنْظلة بنُ ربيع، عبدُ الله بنُ سعد بنُ أبي سرْح القرَشي العامري، أبو بكر بنُ أبي قحافة، عمرُ بنُ الخطَّاب، عثمانُ بنُ عفان، عامر بنُ فهيرة، ثابتُ بنُ قيس بنُ شمَّاس، معاويةُ بنُ أبي سفيان، المغيرةُ بنُ شعبة، خالدُ بنُ الوليد، العلاءُ بنُ الحضْرمي، عمرو بنُ العاص، عبدُ الله بنُ رواحة، محمَّدُ بنُ مسْلمة، شُرَحبيلُ بنُ حسَنة، معاذُ بنُ جَبَل، عبدُ الله بنُ عبدُ الله بن أُبيّ بنُ سلول، أبانُ بنُ سعيد.

«وكان كلُّ ما يُكتَب يُوضَعُ في بيتِ النبيِّ ﷺ، وينْسَخ الكُتَّاب لأنفُسِهم نُسْخةً منه»[1].

كما دوَّنَ الكُتَّابُ للنبيِّ ﷺ كُتُبًا متنوِّعة غيرَ القرآن، بعضُها للدَّعوةِ إلى الإسلام (ككتابِهِ إلى قيْصر الرُّوم وكسْرى الفُرْس ونجاشي الحبَشَة ومقوقس مصْر ومُنْذر البحرين)، وبعضُها للعُمَّالِ والأمراء، وبعضُها في العُهودِ والأمانات، وبعضُها في الإقطاعات، وبعضُها في موضوعاتٍ مختلفة. وذكَرَ د. محمد حميد الله 246 كتابًا ورسالة ترجع إلى العهدِ النَّبوي[2]. واستعرَضَ كثيرًا منها علي بن حسين الأحمدي في كتابه **مكاتيب الرَّسول**[3].

رابعًا: الرِّوايات الدَّالة على تدوينِ القرآن في زمنِهِ ﷺ

1. روى سُليمانُ بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد أنَّه قال: كُنْتُ أكتبُ الوحيَ عندَ رسولِ الله ﷺ، وهو يُملي عليَّ، فإذا فرغْتُ قال: اقرأْهُ، فأقرؤُهُ، فإنْ كان فيه سقْطٌ أقامَهُ، ثمَّ أخرُجُ بهِ إلى الناس[4].

---

(1) صبحي الصالح، **علومُ القرآن**، ص73 ـ 74.

(2) انظر محمد حميد الله الحيدر آبادي، **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1941.

(3) علي بن حسين علي الأحمدي، **مكاتيب الرسول**، ثلاثة أجزاء، دار صعب، بيروت.

(4) الطبراني، **المعجم الكبير**، ج5، ص142. البسوي، **المعرفة والتاريخ**، ج1، ص377، الصولي، **أدب الكتاب**، ص165، السمعاني، **أدب الإملاء**، ص77، الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج8، ص257.

2. قولُ النَّبي ﷺ: «إنِّي قد تركْتُ فيكم ما إنْ أخذْتُم به لن تضِلُّوا: كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي»[1].

قيل: في هذا دلالةٌ على أنَّ القرآنَ كان مكتوبًا مجْموعًا، لأنَّه لا يصِحُّ إطلاق «الكتاب» عليه وهو في الصُّدور، بل ولا على ما كُتِبَ في اللِّخاف والعُسُب والأكتاف، إلا على نحوِ المجاز والعناية، والمجازُ لا يُحمَلُ اللَّفظ عليه من غيرِ قرينة؛ فإنَّ لفْظَ «الكتاب» ظاهرٌ فيما كان له وجودٌ واحدٌ جمْعي، ولا يُطْلقُ على المكتوبِ إذا كانَ مُجزَّءًا غير مجتمع، فضْلًا عمَّا إذا لم يُكتَب، وكان محفوظًا في الصُّدورِ فقط.

لكن مرَّ التأمُّل في ذلك، فالوجود الواحد الجمعي قد لا يكونُ مادِّيًّا، لذا صحَّ إطلاقُ لفْظ «كتاب» على القُرآنِ قبلَ تدوينِهِ.

3. هناك رواياتٌ مُتعدِدة مرْويَّة في كنزِ العُمَّال عن النبيِّ ﷺ، من قبيل: «الغُرباءُ في الدُّنيا أربعة... ومصْحفٌ في بيتٍ لا يُقرأُ فيه»، «أعطوا أعيَنَكُم حظَّها من العبادة: النَّظَرُ في المصْحفِ»، «من أدامَ النَّظَرَ في المُصْحَفِ مُتِّعَ ببصَرِهِ ما دامَ في الدُّنيا»، «من سرَّهُ أنْ يُحِبَّ اللهَ ورسولَهُ فليقرأ في المُصْحف»، «لا تغُرنَّكم هذه المصاحف المُعلَّقة إنَّ اللهَ تعالى لا يُعذِّبُ قلْبًا وعى القرآنَ»[2].

4. روى البخاري في صحيحِهِ عن عبدِ الله بن عمرو قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: اقرأِ القرآنَ في شهْرٍ، قلتُ: إنِّي أجِدُ قُوَّةً، قال: فاقرأْهُ في سبْعٍ ولا تزِد على ذلك[3].

أقول: قد يقال إنَّ القراءةَ ليس من الضروري أنْ تكونَ من كتابٍ مُدوَّن، بل يقرأُ في سبعٍ ما هو محفوظٌ في صدْرِهِ.

5. أخرَجَ النِّسائي بسندٍ صحيحٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عمر قال: «جمَعْتُ القرآنَ فقرأْتُ بهِ كلَّ ليلة، فبلَغَ النبيَّ ﷺ فقال: اقرأْهُ في شهْر....».

(1) **السُّنَن** للتِّرمذي، **المُسْتدرك** للحاكم، ومسند أحمد، مع فروق محدودة.
(2) المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج1.
(3) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن؟

أقول: هذه الرِّواية ظاهرةٌ في جمْعِ القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ.

6. جاءَ في كنْزِ العُمَّال عن عبدِ الله بنِ عمر قال: جمَعْتُ القرآنَ، فقرأتُ به في ليلةٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: اقرأْهُ في شهْرٍ، قلتُ: يا رسولَ الله دعْني استمتع من قُوَّتي وشبابي، قال: اقرأْهُ في عشرين، قلتُ: يا رسولَ الله دعْني استمتع من قُوَّتي وشبابي، قال: اقرأْهُ في عشْرٍ، قلتُ: يا رسولَ الله دعْني استمتع من قُوَّتي وشبابي، قال: اقرأْهُ في سبْعِ ليالٍ، قلتُ: يا رسولَ الله دعْني استمتع من قُوَّتي وشبابي، فأبى.

أقول: هذه الرِّواية ـ كالسَّابقة ـ ظاهرةٌ في جمْعِ القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ.

7. روى البخاري في صحيحِهِ عن مسْروق: ذكَرَ عبدُ اللهِ بنُ عمر وعبدُ اللهِ بنُ مسْعود فقال: «لا أزالَ أُحِبُّهُ، سمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: خُذُوا القرآنَ من أربعةٍ: عبدِ اللهِ بنِ مسعود، وسالِمٍ، ومُعاذٍ، وأُبيِّ بن كعب»[1].

أقول: هذا الحديثُ ـ وما بعدهُ ـ يدُلُّ على أنَّ هؤلاء الأربعة إما أنْ يكونَ كلٌّ واحدٍ منهم قد جمَعَ القرآنَ عن ظهْرِ قلْب، ولاطمئنانِ النبيِّ ﷺ بذلكَ وجَّهَ المسلمين إليهم، أو أنْ يكونَ لدى كلّ واحدٍ منهم نُسْخةً كاملةً من القرآنِ.

8. روى البخاري في صحيحِهِ عن قتادة قال: «سألْتُ أنسَ بنَ مالك: من جمَعَ القرآنَ على عهدِ النبي؟ قال: أربعة كُلُّهم من الأنصار: أُبيُّ بنُ كعب، ومعاذُ بنُ جبَل، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد»[2].

أقول: هذه الرِّواية ظاهرةٌ في جمْع القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ، لكن حصْرُهُم في أربعةٍ من الأنصار يثيرُ الشكَّ، ويبدو أنَّه تحيُّزٌ من الرَّواي لصالحِ الأنصار.

9. وجاءَ في طبقاتِ ابن سعد، باب «ذكْر من جمَعَ القرآن على عهدِ رسولِ الله ﷺ»، عن محمَّد بن سيرين قال: جمَعَ القرآنَ على عهدِ النبيِّ ﷺ أُبيُّ بنُ كعب، وزيدُ بنُ ثابت، وعثمانُ بنُ عفان، وتميمُ الدَّاري.

(1) صحيح البخاري، كتاب **فضائل القرآن**، باب القرَّاء من أصحاب رسول الله ﷺ. أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، ذكر قراء القرآن ومن كانت القراءة تؤخذ عنه من الصحابة والتابعيَن، ح5، ص225.

(2) صحيح البخاري، كتاب **فضائل القرآن**، باب القرَّاء من أصحاب رسول الله ﷺ.

10. روى الطَّبراني وابن عساكر عن الشَّعبي قال: «جمَعَ القرآنَ على عهدِ رسول الله ﷺ ستَّةٌ من الأنصار: أُبيُّ بنُ كعب، وزيدُ بنُ ثابت، ومُعاذُ بنُ جبَل، وأبو الدَّرداء، وسعدُ بنُ عُبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذَهُ إلا سورتين أو ثلاث».

حصْر الحُفَّاظ في عددٍ محدود:

لعلَّ قائلًا يقول: المرادُ من الجمْعِ في هذه الرِّوايات هو الجمْعُ في الصُّدور لا التَّدوين.

الجواب: هذا القولُ دعوى لا شاهِدَ عليه. أضِف إلى ذلكَ أنَّكَ ستعرف أنَّ حُفَّاظَ القرآن على عهدِ النبي محمَّد ﷺ كانوا أكثرَ من أنْ تُحصى أسْماؤُهُم، فكيفَ يمكنُ حصْرُهُم في أربعةٍ أو ستة؟! وإنَّ المُتصفِّحَ لأحوالِ أصحابِ النَّبي وأحوالِ النَّبي ﷺ، يجْزِمُ بأنَّ القرآنَ كان مجْموعًا على عهدِ النبي ﷺ وأنَّ عدَدَ الجامعينَ ليس بقليل.

بعبارةٍ أخرى: المستقرئ للرِّواياتِ المُتعدِّدة سيميلُ إلى القولِ بأنَّ عددَ حُفَّاظ كلّ أو بعض القرآن يُقدَّر بعشراتِ الآلاف. وعدد حُفَّاظ كل القرآن يُقدَّر بالمئات أو بالعشرات على أدنى تقدير. وعدد مُدوِّني القرآن يُقدَّر بالعشراتِ.

أما ما رواهُ البخاري بإسنادِهِ عن أنس قال: ماتَ النبيُّ ﷺ ولم يجْمَعِ القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدَّرداء، ومعاذُ بنُ جَبَل، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد، فهو مردودٌ مطْروح، لأنَّه مُعارِضٌ للرِّواياتِ المُتقِّدمة، حتى لما رواهُ البخاري بنفسِهِ. ويُضافُ إلى ذلكَ أنَّه غيرُ قابلٍ للتَّصديقِ به. وكيفَ يمكنُ أنْ يُحيطَ الرَّاوي بجميعِ أفراد المسْلمين حينَ وفاة النَّبي ﷺ على كثرَتِهِم، وتفرُّقِهِم في البلاد، ويستعلِم أحوالَهُم ليُمكِنهُ أنْ يحصُرَ الجامعينَ للقرآنِ في أربعة. وهذه الدَّعوى تخرُّصٌ بالغيب، وقولٌ بغيرِ عِلْم[1].

قال المازَري[2]: لا يلْزَمُ من قولِ أنَس «لم يجْمَعهُ غيرُهُم» أنْ يكونَ

---

(1) السيد أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص251.

(2) (536 هـ/ 1142م).

الواقع في نفْسِ الأمرِ كذلك؛ لأنَّ التقدير أنَّه لا يعلَم أنَّ سواهُم جمَعَهُ، وإلا فكيفَ الإحاطةُ بذلكَ مع كثرةِ الصَّحابة وتفرُّقِهِم في البلاد؟ وهذا لا يتِمُّ إلا إنْ كان لقيَ كلَّ واحدٍ منهم على انفرادِهِ، وأخبرَهُ عن نفْسِهِ أنَّه لم يكمَل له جمْعٌ في عهدِ النَّبي ﷺ. وهذا في غايةِ البُعدِ في العادة. وإذا كان المرجِعُ إلى ما في علْمِهِ لم يلزَم أنْ يكونَ الواقعُ كذلك.

قال: **وقد تمسَّكَ بقولِ أنس هذا جماعةٌ من الملاحدة.** ولا مُتمسَّكَ لهم فيه؛ فإنَّه لا نُسلِّم حمْلَهُ على ظاهرِهِ. سلَّمْناهُ، ولكن من أينَ لهم أنَّ الواقعَ في نفْسِ الأمر كذلك. سلَّمْناهُ، لكن لا يلزَمُ من كونِ كلّ من الجمِّ الغفير لم يحفَظهُ كلَّهُ أنْ لا يكونَ حفَظَ مجموعَهُ الجمُّ الغفير، وليسَ من شرْطِ التواتُر أنْ يحفَظَ كلُّ فرْدٍ جميعَهُ، بل إذا حفَظَ الكلُّ الكلَّ - ولو على التوزيعِ - يكفي».

قالَ القُرْطُبي[1] في تفسيرِهِ: «قالَ ابنُ الطيِّب: لا تدُلُّ هذه الآثار على أنَّ القرآنَ لم يحفظهُ في حياةِ النبيِّ ﷺ ولم يجْمَعهُ غيرُ أربعةٍ من الأنصار - كما قالَ أنَسُ بنُ مالك - فقد ثبَتَ بالطُّرقِ المتواترة أنَّه جمَعَ القرآنَ عثمانُ وعليٌّ وتميمُ الدَّاري وعبادةُ بنُ الصَّامت وعبدُ الله بنُ عمرو بن العاص، فقولُ أنَسْ: «لم يجْمَع القرآنَ غيرُ أربعة»، يُحتَمَل أنَّه لم يجْمَع القرآنَ وأخذَهُ تلقينًا من في رسولِ الله ﷺ غيرُ تلكَ الجماعة، فإنَّ أكثرَهُم أخَذَ بعضَهُ عنه وبعضَهُ عن غيرِهِ».

وقال الحنفي بدر الدين العيني[2] في **عُمْدةِ القاري في شرْحِ صحيح البخاري**: «إنَّ قُصارى الأمر أنَّ أنَسًا قال: «جمَعَ القرآنَ على عهدِهِ ﷺ أربعة»، قد يكونُ المرادُ أنِّي لا أعلَمُ سوى هؤلاء، ولا يلزَمُهُ أن يَّعلَمَ كلَّ الحافظين لكتابِ اللهِ تعالى».

وقال السُّيوطي[3]: «وقد استنْكَرَ جماعةٌ من الأئمةِ الحصْرَ في الأربعة[4].

(1) (ت 671 هـ/ 1273م).
(2) (ت 855هـ/ 1451م).
(3) (911 هـ/ 1505م).
(4) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، ص199.

أقول: من الواضِحِ أنَّ حديثَ أَنَس بن مالك سبَّبَ صُداعًا مزمنًا لعُلماءِ المسلمين، فقد تشبَّثَ به الملاحدةُ للتَّشكيكِ في تواتُرِ القرآن. ولا أستبعِدُ أنْ يكونَ أوَّلُ من أثارَ هذه المسألة: ابنُ الرَّاوندي، بدْعم ومُساندةِ بعض أهل الكتاب من يهودٍ ونصارى. . . حتى يُقالُ للمسلمين: إنَّ حالَكُم مع القرآنِ هو حالُ اليهود مع التوارةِ وحالُ النَّصارى مع الإنجيل، فكما أنَّهم يُعانونَ من فجوةٍ تاريخيةٍ خطيرةٍ بين نزولِهما وتوثيقِهما بفترةٍ طويلةٍ جدًّا، كذلك أنتُم أيُّها المسْلمون تُعانونَ من فجوةٍ، لأنَّ القرآنَ ليسَ متواترًا كما تظُنُّون.

نسخ كثيرة منتشرة:

روى أحمد في مُسْندِهِ عن أبي أُمامة الباهلي قال: لمَّا كان في حِجَّةِ الوداع، قامَ رسولُ الله ﷺ. . . فقال: يا أيُّها الناسُ خُذُوا من العِلْم قبلَ أنْ يُقبَضَ العِلْمُ، وقبلَ أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ. وقد كانَ أنزَلَ اللهُ عزَّ وجلّ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾[1]. قال: وكُنَّا قد كرِهْنا كثيرًا من مسألتِهِ واتَّقينا ذلكَ حين أنزَلَ اللهُ عزَّ وجل ذلك. . .فأتَيْنا أعرابيًّا فرَشوْناهُ برداءٍ فاعتمَّ بهِ. . . ثمَّ قُلْنا له: سَلْ النبيَّ ﷺ، قال فقالَ له: يا نبيَّ الله كيفَ يُرْفَعُ العِلْمُ منَّا وبين أظهُرِنا المصاحِفَ، وقد تعلَّمْنا ما فيها، وعلَّمْناها نساءَنا وذرارينا وخدَمَنا؟ قال: فرَفَعَ النبيُّ ﷺ رأسَهُ، وقد علَت وجهَهُ حُمْرةُ الغضَب، قال فقال: أي ثكلتْكَ أمُّك، وهذه اليهودُ والنَّصارى بين أظهُرِهِم المصاحف، لم يصبحوا يتعلَّقوا منْها بحرْفٍ ممَّا جاءَتْهُم به أنبياؤُهم، ألا وإنَّ ذهابَ العِلْمِ أنْ يذْهبَ حمَلَتُهُ، ثلاث مرار[2].

أقول: هذه الرِّواية ظاهرةٌ جدًّا في جمْعِ القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ، بل ظاهرةٌ في انتشارِ المصاحف في بُيوتِ بعض الأعراب، فضلًا عن أصحابِ النَّبي.

أكثر من نسخة عند النَّبي ﷺ:

روى الطَّبراني عن أبي محْرز أنَّ عثمانَ بن أبي العاص وفَدَ إلى

---

(1) سورة المائدة، الآية: 101.

(2) مسند أحمد بن حنبل، ج5، ص266.

رسولِ الله ﷺ مع ناسٍ من ثقيف، فدَخَلُوا على النبيِّ ﷺ، فقالوا له: احفَظ علينا متاعَنا أو رِكابنا، فقال: على أنَّكُم إذا خرَجْتُم انتظرْتُموني حتى أخرُجَ من عندِ رسولِ الله ﷺ، قال: فدخَلْتُ على رسولِ الله ﷺ، فسألتُهُ مُصْحفًا كان عندَهُ، فأعطانيه، واستعمَلَني عليهم، وجعلني إمامَهُم، وأنا أصْغَرُهُم[1].

أقول: كنتُ قد ذكرْتُ أنَّ السُّيوطي روى عن الدَّلائلِ للبيهقي: عن عثمان بن أبي العاص قال: استعمَلَني رسولُ الله ﷺ وأنا أصغر الستَّة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أنِّي كنْتُ قرأتُ سُورةَ البقرة. ويبدو أنَّ النبيَّ ﷺ بعدما جاءَهُ وفدُ ثقيف في عام الوفود سنة 9 هـ (قبل وفاة النبي بسنةٍ وأشهر)، ووجدَ عثمان حافظًا لسُورةِ البقرة، ومُهتمًّا بالقرآن، رأى أنَّ من المناسب أنْ يُقدِّم له نُسْخة بعدما طلبَها منه، وأنْ يستعملهُ على قومِهِ. ولا نتعقَّل أنْ يُقدِّم النبيُّ ﷺ لعثمان بن أبي العاص نسُخْةً إلا إذا كان قد احتفَظَ لنفسِهِ بغيرِها.

قصَّة الأسطوانة:

روى البخاري في صحيحهِ عن يزيدِ بن أبي عُبيد قال: كُنْتُ آتي مع سلَمَة ابنِ الأكوع (من أصحابِ بيعة الشّجرة)، فيُصلِّي عندَ الأسْطُوانةِ التي عندَ المُصْحَف، فقُلْتُ: يا أبا مسْلم! أراكَ تتحرَّى الصَّلاةَ عند هذه الأسْطُوانة؟ قال: فإنِّي رأيتُ النبيَّ ﷺ يتحرَّى الصَّلاةَ عندَها[2].

أيضًا روى الشَّوكاني عن سلَمَة بن الأكوع أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ: «كان يتحرَّى الصَّلاةَ عندَ الأسْطوانةِ التي عندَ المُصْحف، وقال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يتحرَّى الصَّلاةَ عندها». ثمَّ شرحَهُ هكذا: «قولُهُ: «عندَ الأسْطُوانة» هي بضمِّ الهمزة وسُكون السين المُهملة وضمِّ الطَّاء وهي السَّارية قوله: «التي عندَ المُصْحف» هذا دالٌّ على أنَّه كان للمُصْحَفِ موضِعٌ خاصٌّ به. ووقَعَ عندَ مسْلم بلفْظِ «يُصلِّي وراءَ الصُّنْدوق»، وكأنَّه كان للمُصْحَفِ صُنْدوقٌ يُوضَعُ فيه»[3].

---

(1) الطبراني، **المعجم الكبير**، ج9، ص61، ح8393.

(2) **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأسطوانة.

(3) الشوكاني، **نيل الأوطار**، ج3، أبواب موقف الإمام والمأموم وأحكام الصُّفوف، باب ما جاء فيمن يُلازم بقعة معيَّنة من المسْجد.

وروايةُ سلَمة بن الأكوعِ تجِدُها في مُسْند أحمد وفيه: «كانَ ﷺ يتحرَّى موضِعَ المصْحَف»، وذكَرَ أنَّ رسولَ الله ﷺ يتحرَّى ذلكَ المكان، وكان بين المنْبرِ والقِبْلة ممرُّ شاةٍ»[1].

وروى ابنُ حِبَّان في صحيحِهِ حدَّثني يزيدُ بن أبي عُبيد: أنَّه كان يأتي مع سلَمةِ ابنِ الأكوع إلى سبْحة الضُّحى، فيعمَدُ إلى الأسْطوانةِ دونَ المُصْحف، فيُصلِّي قريبًا منها، فأقول له: ألا تُصلِّي ها هنا؟ وأشيرُ له إلى بعضِ نواحي المسجد فيقول: إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يتحرَّى هذا المقام. قال الألباني: صحيحٌ.

وتجدُ روايات بألفاظٍ مُتقاربة تتحدَّث عن تحرِّيه ﷺ الصَّلاةَ في هذا الموضع، في بعضِ المصادر دون ذكر «المُصْحف»، في صحيح مسْلم، وسُنن ابن ماجة، والسُّنن الكبرى للبيهقي، والمعجم الكبير للطَّبراني.

وروى الكليني عن روحِ بن عبد الرحيم عن أبي عبد الله جعفر الصَّادق عليه السلام قال: سألتُهُ عن شِراءِ المصاحف وبيعِها، فقال: إنَّما كانَ تُوضَع الورقُ عندَ المنْبر، وكان ما بين المنْبرِ والحائط قدْرُ ما تمرُّ الشَّاة أو رجُلٌ مُنْحرف، قال: فكانَ الرَّجُلُ يأتي ويكتُبُ من ذلكَ، ثمَّ إنَّهم اشْتَروا بعدَ ذلك. قلتُ: فما ترى في ذلك؟ قال لي: أشْتري أحبُّ إليَّ من أنْ أبيعَهُ، قلت: فما ترى أنْ أعطي على كتابَتِهِ أجْرًا؟ قال: لا بأس، ولكن هكذا كانوا يصْنعون[2].

ممَّا مرَّ نعرفُ أنَّ ثمة نُسْخة أصليَّة من المصْحف محفوظةٌ في صندوق، كانت متوفرة في المسْجدِ النَّبوي، لكُلِّ مسْلم، يستَنْسِخُ منْها من يُريد، وظلَّت هذه النُّسخة فترةً من الزَّمن، إلى أنْ انتشَرَت كتابةُ المصاحفِ بعد ذلك، فبدؤوا ببيعِهِ وشرائِهِ وأخذ الأجرة على كتابتِهِ في زمن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام. ومن الواضحِ أنَّ هذا الأمر كان واقعًا في صدْر الإسلام. لكن يبقى السُّؤال: أنَّ هذه العادةَ الحميدةَ والرَّائعة هل بدأت في حياةِ النَّبي ﷺ، ولذا كان ﷺ يتحرَّى الصَّلاةَ في هذا الموضِع؟ أم إنَّ هذه

(1) مسند أحمد بن حنبل، أول مسند المدنيين، رقم 16107، ج4، ص54.

(2) الكليني، الكافي، كتاب المعيشة، باب بيع المصاحف.

العادةَ بدأت بعدَ وفاةِ النَّبي ﷺ ووُضِعَت النُّسْخة الأصلية (في عهدِ عثمان مثلًا) في هذا المكان تبرُّكًا بالمكانِ الذي كان ﷺ يتحرَّى الصَّلاةَ عندَهُ؟

لا يمكن الجزْمُ وفقًا لما تقدَّم من روايات. شخصيًّا أميلُ إلى القولِ الثاني لقرائن متعدِّدة. ويبدو أنَّ هذه العادة ظلَّت إلى لحظةِ استباحة المدينة في واقعة الحرَّة المشهورة. بعبارةٍ أخرى هذه العادة كانت موجودة على الأرجح بعد سنة 25 هـ (في السَّنواتِ الأولى من خلافةِ عثمان) إلى سنة 63 هـ (حدوث واقعة الحرَّة).

لكن توجد رواية تُرجِّح القولَ الأول، فقد روى البيهقي في سُنَنِهِ عن جعفرِ بنِ محمَّد بنِ علي، عن أبيهِ، عن عليِّ بنِ الحسين عليه السلام عن ابنِ عباس قال: «كانت المصاحف لا تُباع، كان الرَّجُلُ يأتي بورقةٍ عندَ النبيِّ ﷺ، فيقومُ الرَّجُلُ فيحتسِب (= يطلب الأجر) فيكتُب، ثمَّ يقومُ آخر فيكتُب، حتى يُفرَغُ من المُصْحَف»[1].

وهذه الرِّواية تدُلُّ أيضًا على توفُّر ورَق للكتابة، وليس فقط العُسُب واللِّخاف، بل كانت الأوراق والجلود متوفِّرة في الجزيرة العربية حتى كان يُكتَب به أشْعار الجاهلية وتُعلَّق على الكعبة، حتى سُمِّيت بـ «المُعلَّقات»... فهل يُعقَل أنْ تتوفَّر الأوراق والجلود لكتابةِ الأشْعار الجاهلية أو الجفْر أو الجامعة ـ كما سنرى ـ ولا تتوفَّر لكتابةِ القرآن؟

هذا يدْفَعُنا للشكِّ في الرِّواياتِ المنْسوبة لزيدِ بنِ ثابت. أو على الأقل يمكن أنْ يُقال إنَّ كُتَّاب الوحي كانوا يتفاوتونَ في أدواتِ كتابَتِهم، فبعضُهُم كان يكتُبُ على الجُلُودِ والأوراقِ مثلًا، وبعضُهُم كان يكتُبُ على العُسُبِ واللِّخاف.

على ضوءِ ما تقدَّم، تعرِفُ ضعْفَ زعم المسْتشرق فريدريش شِفالي[2] الذي تحدَّث عن حفْظِ أصحاب النَّبي لقسْمٍ فقط من القرآن، فقال: «كان

---

(1) البيهقي، السُّنن الكبرى، ج6، ص16.
(2) (1337 هـ/ 1919م).

هناك أفراد استطاعوا أنْ يشحنوا ذاكرتَهُم بمقاطع أطول ويتلوها بأمانة، وبهذا استطاعوا أنْ يحفَظُوا جُزْءًا من الوحي، لم يُدوَّن نصُّهُ أبدًا أو ضاعَ في ظُرُوفٍ معيَّنةٍ، من الفُقْدانِ التام»[1]!

الخلاصة: عرفنا في هذا الفصْل أنَّ القرآنَ لم يُدوَّن في زمنِ النبيِّ محمَّد ﷺ فحسْب، بل دُوِّنَت نُسَخٌ مُتعدِّدة. كما عرفنا أنَّ النبَّي ﷺ حرَصَ على جمْع بعضها عندَهُ. في الفصْلِ التالي أتقدَّمُ خطوةً إلى الإمام، لأدْرُسَ مسارَ القرآن بعدَ وفاةِ النَّبي ﷺ.

(1) نولدكه/ شفالي، تاريخ القرآن، ص239.

الفصل السَّادس:

القرآن من صُحُف إلى مُصْحَف

على ضوءِ ما سبق، عرفنا أنَّ القرآنَ لم يُجمَع في زمنِ النبيِّ محمَّد ﷺ في صُحُفٍ متفرِّقة، بل طبيعةُ الأشياء تقضي بافتراضِ جمْعَها في مكانٍ واحد. أنتقلُ الآن إلى ما جرى فورَ وفاة النبيِّ ﷺ، والاجراءات التي اتُّخِذَت لحفْظِ وحمايةِ القرآن من أيِّ زيادةٍ أو نُقْصان، من خلالِ ترتيبِ القرآن بين دفَّتين. إذن في المحطَّة السَّادسة هذه أدْرُسُ ترتيبَ القرآن بين دفَّتين.

أوَّلُ جامعٍ للقرآنِ بين دفَّتين هو الإمامُ علي بن أبي طالب عليه السلام. فالنبيُّ ﷺ إنْ كانَ قد جمَعَ القرآنَ في صُحُفٍ، فإنَّ عليًّا عليه السلام جمَعَهُ في مُصْحَفٍ. والفرْقُ بين «الصُّحُفِ» و«المُصْحف» في الأصْل، أنَّ «الصُّحُفَ» جمْعُ «صحيفة»، وهي القطعةُ من الجلْدِ أو الورَقِ يُكْتَبُ فيها. أما «المُصْحَف» فهو بزنَةِ اسم المفعول «أصْحَفَهُ»، أي جمَعَ فيه الصُّحُف. فكأنَّ «المُصْحَفَ» ملحوظٌ في معناهُ اللُّغوي دفَّتاهُ، وهما جانباهُ أو جلْداهُ اللَّذانِ يُتَّخذانِ جامعًا لأوراقِهِ، ضابطًا لصُحُفِهِ، حافظًا لها. ولا يُلحظ هذا في معنى «الصُّحُف»، وإنْ كان يصُحُّ استعمالُ كلا اللَّفظين في كلا المعنيين استعمالًا مُتوسَّعًا فيه.

قد يتساءَلُ الباحث: لو كانت هناكَ نُسْخةٌ أصليةٌ تركَها النبيُّ محمَّد ﷺ في موضعٍ خاصٍّ في مسجدهِ عندَ المكان الذي كان يتحرَّى الصَّلاةَ عندَهُ (كما تُشيرُ روايةُ البيهقي التي مرَّت علينا)، فلماذا جمَعَ الإمامُ علي عليه السلام القرآنَ بعدَ ذلك؟ أو لماذا جمَعَ أبو بكر وعمر ثمَّ عثمان القرآنَ؟

الجواب: هناكَ احتمالان على ما يبدو:

الأول: أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ سحَبَ هذه النُّسْخة ـ التي افترضنا أنَّها

كانت تُحدَّث أولًا بأول ـ من مسجدِهِ إلى بيتِهِ قبل وفاتِهِ بأسابيع أو أيام. وهذا الاحتمال ينْسَجمُ مع رواية البيهقي المتقدِّمة[1].

الثاني: أنَّه ﷺ لم يترُك أصْلًا نُسْخةً أصليةً في مسْجدِهِ، بل تركَها في بيتِهِ. وهذا الاحتمال ينسجمُ مع الافتراضِ بأنَّ النُّسْخةَ المتاحةَ في المسجدِ وُضِعَت بعد وفاةِ النَّبي في الموضعِ الذي كان يتحرَّى الصَّلاةَ عندَهُ.

الاحتمالُ الثاني هو ما أميلُ إليه. فيبدو أنَّ الرِّواياتُ التي تتحدَّث عن مكانٍ في مسجدِ النَّبي كان المصْحفُ يُوضَعُ فيه، إنَّما تتحدَّثُ عن مصْحفٍ وُضِعَ في زمنِ خلافة عثمان (سنة 25 هـ تقريبًا)، تبرُّكًا بالموضِعِ الذي كانَ النبيُّ ﷺ يتحرَّى الصَّلاةَ عندَهُ، وبقيَ المُصْحفُ في موضِعِهِ حتى واقعة الحرة (63 هـ)، أي بقيَ هذا المُصْحَفُ مُتاحًا للناسِ لمدَّةِ أربعة عقود تقريبًا.

وزبدة القول أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ لم يرْحل عن الدُّنيا إلا مع وجودِ عشرات النُّسَخ من القرآنِ بين أيدي أصحابِهِ، بعضُها مكتملٌ بكلِّ سُوَرِهِ وآياتِهِ، وبعضُها يتفاوت في درجةِ اكتمالِهِ. وهذه النُّسَخ لم تكن مُرتَّبة بشكلٍ نهائي في «مصاحف» مربوطة بخيطٍ مثلًا بين دفَّتين. كما احتفظ النبيُّ ﷺ لنفْسِهِ بنُسْخةٍ مكتملةٍ واحدةٍ على الأقل، غير مُرتَّبة بشكلٍ نهائي في «مصْحف»، بل تركَها على هيئةِ صُحُف، تنتظرُ أنْ تُرتَّبَ وتُرْبَطَ بين دفَّتين.

غياب اسم الإمام علي عليه السلام:

من ناحيةٍ أخرى، من حقِّ الباحث أنْ يتساءَل: أينَ الإمام علي عليه السلام من تلكَ الرِّوايات المتعدِّدة التي تدَّعي أنَّه لم يجْمع القرآنَ إلا فلان وفلان؟ أو جمَعَ القرآنَ فلان وفلان دونَ أنْ يُذْكر اسْمُ الإمام علي عليه السلام؟

ألا يُشيرُ ذلكَ إلى تأثيرِ الخلاف السِّياسي الذي وقَعَ بعدَ وفاةِ النَّبي ﷺ حولَ الخلافة في إخفاءِ دور الإمام علي عليه السلام في جمْعِ القرآن بين دفَّتين؟!

---

(1) روى البيهقي في سُنَنِهِ عن جعفرِ بنِ محمَّد بنِ علي، عن أبيهِ، عن عليِّ بنِ الحسين عليهما السلام عن ابنِ عباس قال: «كانت المصاحف لا تُباع، كان الرَّجُلُ يأتي بورقةٍ عندَ النبيِّ ﷺ، فيقومُ الرَّجُلُ فيحتسِب فيكتُب، ثمَّ يقومُ آخر فيكتُب، حتى يُفرَغُ من المُصْحَف». البيهقي، السُّنن الكبرى، ج6، ص16.

كتَبَ المستشرق فريدريش شِفالي[1] **في تاريخ القرآن**: «تقولُ رواياتٌ مختلفةٌ إنَّ عليًّا بنَ أبي طالب، ابنَ عمِّ محمَّد وصهرَهُ، كان وراء جمْع القرآن. وبناءً على إحدى الرِّوايات، فقد قامَ بهذا والنبيُّ كان لا يزالُ على قيدِ الحياة، وذلكَ بناءً على أمْرٍ منه. ويرِدُ أنَّه جمَعَ القرآنَ من أوراقٍ، وقِطَعِ قماشٍ حريرية، وجدَها خلْفَ وسادة النَّبي، وأنَّه أقسَمَ بألَّا يُغادِرَ المنزلَ قبلَ الانتهاءِ منه. ويضَعُ آخرونَ هذه العملية بُعَيدَ موتِ محمَّد، ويجعلونَ القَسَمَ على لسانِ عليٍّ، لكي يأخُذ الكرامةَ من أبي بكر. ويُقالُ أيضًا إنَّ عليًّا لاحظَ عدم ثبات الناس بعد موتِ محمَّد، فقرَّر أنْ يُدوِّنَ القرآنَ من الذَّاكرة، فقامَ بذلكَ في ثلاثةِ أيام. ويدَّعي مؤلف **الفهرست**[2] **أنَّه رأى مرَّةً قطْعةً من النُّسْخةِ الأصلية لعليٍّ**».

ثمَّ يُعلِّق نولدكه على هذه الأخبار فيقول: «لا شيءَ من الصِّحةِ في هذا كلِّه. فمصادرُ هذه الأخبار ـ تفاسيرُ قرآنية شيعية وكُتُب تاريخية سُنِّية ذات أثر شيعي ـ مشكوكٌ بأمرِها، ذلك أنَّ كلَّ ما يرويهِ الشِّيعة عن وليِّ شيعتِهِم الأعلى، غيرُ موضوعي ومُنحازٌ بجُمْلتِهِ. ومن حيثُ المضمون، تُناقِضُ هذه الأخبار وقائعَ التاريخ الأكيدة كلَّها، فلا التقاليد المُتعلِّقة بجمْعِ زيدٍ للقرآن، ولا تلكَ المُتعلِّقة بمحاولاتِ جمْعِهِ الأخرى في الفترةِ السَّابقةِ لعثمان، تذْكُرُ شيئًا عن عمَلٍ لعليٍّ كهذا. ولا هو يُشيرُ إلى هذا العمل، لا في فترةِ خلافتِهِ ولا قبْلَها، والأمرُ الأكيد أنَّ الشِّيعةَ لم تعرف أبدًا نُسْخةً كهذه»[3].

تعليقي على ذلكَ: ليست كلُّ المصادر هي شيعية أو ذات أثر شيعي كما سنرى. وردُّ هذه الأخبار بأسْرِها لصالحِ الرِّوايات المُتعلِّقة بجمْعِ زيد، هو الأمر غير الموضوعي. واتِّهامُ الشِّيعة بأنَّ «كلَّ» رواياتهم مُتحيِّزة، هو أيضًا غير موضوعي. فلا بدَّ من جمْعِ تلكَ الأخبار معًا والموازنة بينها مهما أمكن، لاستكشافِ الحقيقة المتوارية خلْفَها.

مشكلةُ شِفالي الرَّئيسية أنَّه ـ حتى يقفز مباشرةً إلى رواياتِ جمْعِ زيد

---

(1) (1337 هـ/ 1919م).

(2) (ابنُ النَّديم ت 385 هـ/ 995م).

(3) نولدكه/ شفالي، **تاريخ القرآن**، ص243 ـ 244.

للقرآن، ويتجاهل دور الإمام علي عليه السلام، لينْسَجِم ذلكَ مع أحكامِهِ المُسْبقة المستترة في ثنايا كلامِهِ ـ تناسى دور الخلاف السِّياسي على الخلافةِ بعدَ وفاةِ النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله في إخفاءِ دور الإمام علي عليه السلام.

الإمامُ عليّ عليه السلام كان حريصًا ـ كما سنُبيِّن ـ على أنْ يعْمَلَ على حفْظِ القرآن بهدوء وخلْفَ السِّتار، بسبب حساسية السُّلْطة الجديدة منه، بوصفِهِ المنافس الرَّئيسي لها. ولا يهمُّ الشِّيعةُ كثيرًا أنْ يظْفروا بنُسْخةِ الإمام علي عليه السلام، طالما أنَّه عليه السلام قد أقرَّ النُّسْخةَ الرَّسْميةَ التي جمَعَها عثمانُ فيما بعد. وما كان له أنْ يُقرَّها لو لم تكن تلكَ النُّسْخة مطابقة لما نزَلَ من الوحي.

يدُلُّ على دور الإمام علي عليه السلام في جمْع القرآن ما رواهُ ابنُ أبي داود في **المصاحف** عن محمَّدِ بن سيرين قال: **لمَّا تُوفِّيَ النبيُّ صلى الله عليه وآله، أقسمَ عليٌّ أنْ لا يرتدي برداءٍ ـ إلا الجمعة ـ حتى يجْمَعَ القرآنَ في مُصْحَفٍ، ففَعَل**، فأرْسَلَ إليه أبو بكر بعدَ أيام: أكرهتَ إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلا أنِّي أقسَمْتُ أنْ لا أرتدي برداءٍ إلا الجمعة، فبايعَهُ ثمَّ رجَع.

قالَ أبو بكر (أي المُصنِّف ابنُ أبي داود): لم يذْكُر المُصْحف أحدٌ إلا أشعَث (بن سوار الكندي)، وهو ليِّنُ الحديث، وإنَّما رَووا «حتى أجمَعَ القرآن»، يعني: أُتِمُّ حفْظَهُ، فإنَّه يُقالُ للذي يحفَظ القرآن: قد جمَعَ القرآن[1]!

أقول: هل يُعقل أنَّ عليًّا عليه السلام لم يحفَظ القرآنَ إلا بعدَ وفاةِ النَّبي صلى الله عليه وآله؟ أم أنَّه لمجرَّد صرْف هذا الشَّرَف عن عليٍّ عليه السلام حتى لا يُقال إنَّه «أوَّلُ من جمَعَ القرآنَ بين دفَّتين»؟! وهل يمكن لمن لم يحفَظ القرآن، أنْ يجلُسَ بمفردِهِ في دارِهِ ويحفَظَ القرآن؟ أم هو بحاجةٍ لمراجعةٍ وتصحيحٍ من آخرِ حافظٍ للقرآن؟ أو على الأقل هو بحاجة لنُسْخةٍ مرجعية يعودُ إليها على الدَّوام كلَّما توقَّفَ في التِّلاوةِ أو تردَّدَ في آيةٍ؟

كتَبَ السُّيوطي[2]: «أخرَجَ أيضًا من طريقِ ابن سيرين قال: **قال عليٌّ**:

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص160 ـ 162.
(2) (911 هـ/ 1505م).

لمّا ماتَ رسولُ الله ﷺ، آليتُ أنْ لا آخُذَ عليَّ ردائي إلا لصلاةِ جُمعة، حتى أجمَعَ القرآن، فجمَعْتُهُ.

قالَ ابنُ حجَر: «هذا الأثرُ ضعيفٌ، لانقطاعِهِ، وبتقديرِ صحَّتِهِ فمرادُهُ بـ «جمْعِهِ» حفْظَهُ في صدْرِهِ»!.

ثمَّ يُعلِّق السُّيوطي: «قلتُ: قد ورَدَ من طريقٍ آخر، أخرجَهُ ابنُ الضُّرَيس في فضائلِهِ: حدَّثنا بشْرُ بن موسى، حدَّثنا هودة بنُ خليفة، حدَّثنا عون عن محمَّدِ بن سيرين عن عكْرِمة قال: لمَّا كان بعد بيعةِ أبي بكر، قعَدَ عليٌّ بن أبي طالب في بيتِهِ، فقيلَ لأبي بكر: قد كرِهَ بيعتَكَ، فأرْسِل إليهِ، فقال: أكرِهْتَ بيعتي؟ قالَ: لا والله، قال: ما أقعدَكَ عنِّي؟ قال: رأيتُ كتابَ الله يُزادُ فيه، فحدَّثتُ نفْسي أنْ لا ألبسَ ردائي إلا لصلاةٍ حتى أجمَعُهُ، قالَ له أبو بكر: فإنَّكَ نِعْمَ ما رأيت. قال محمَّد (بن سيرين): فقلتُ لعكرمة: ألَّفوهُ كما أُنزِلَ الأوَّل فالأوَّل؟ قال (عكرمة): لو اجتمعت الإنْسُ والجنُّ على أنْ يُؤلِّفوهُ هذا التأليف ما استطاعوا. وأخرَجَ ابن أشتة في «المصاحف» من وجهٍ آخر عن ابنِ سيرين، وفيه أنَّه كتَبَ في مُصْحَفِهِ النَّاسِخَ والمنْسوخ، وأنَّ ابنَ سيرين قال: تطلَّبْتُ ذلكَ الكتاب، وكتَبْتُ فيه إلى المدينة، فلم أقدِر عليه»[1].

كما تحدَّثَ السُّيوطي عن اختلافِ مصاحف أصحاب النَّبي في ترتيبِ السُّور، فقال: «فمنْهُم من رتَّبَها على النُّزُول، وهو مصْحَفُ عليٍّ، كان أوَّلُهُ اقرأ، ثمَّ المُدَّثِر، ثمَّ نون، ثمَّ المُزَّمِل، ثمَّ تبَّت، ثمَّ التَّكوير، وهكذا إلى آخرِ المكِّي والمدَني»[2].

كتَبَ السُّيوطي: «قالَ ابنُ حجر: وقد ورَدَ عن عليٍّ أنَّه جمَعَ القرآنَ على ترتيبِ النُّزُول عقَب موتِ النَّبي ﷺ. أخرجَهُ ابنُ أبي داود»[3].

وروى ابنُ سعد في طبقاتِهِ عن محمَّدِ بن سيرين قال: «نُبِّئْتُ أنَّ عليًّا أبطأَ عن بيعةِ أبي بكر، فلقيَهُ أبو بكر فقال: أكرِهْتَ إمارتي؟ قال: لا ولكن آليتُ

---

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع الثامن عشر، ص164 ـ 165.

(2) المصدر السابق نفسه، ج1، النوع الثامن عشر، ص175.

(3) المصدر السابق نفسه، ج1، النوع السادس عشر، ص140.

بيمينٍ أنْ لا أرتدي برداءٍ إلا إلى الصَّلاةِ حتى أجمَعَ القرآن، قال: فزعموا أنَّه كتبَهُ على تنزيلٍ، قال محمَّد: فلو أصبْتُ ذلكَ الكتاب كان فيه علْمٌ، قالَ ابن عون: فسألْتُ عكرمة عن ذلكَ الكتاب فلمْ يعرِفهُ»[1].

وقالَ ابن جزِّي الكلبي الغرناطي[2] في **التَّسهيل**: «وكان القرآنُ على عهدِ رسولِ الله مُتفرِّقًا في الصُحُفِ وفي صُدُورِ الرِّجال، فلمَّا تُوفِّيَ رسولُ الله، قعَدَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنهُ في بيتِهِ، فجمعَهُ على ترتيبِ نُزُولِهِ، ولو وُجِدَ مُصْحَفُهُ لكانَ فيه علْمٌ كبير، ولكنَّهُ لم يوجد»[3].

وروى الذَّهبي عن عليٍّ عليه السلام قال: لمَّا قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ أقسَمْتُ أنْ لا أضَع ردائي على ظهْري حتى أجمَعَ ما بين اللَّوحين، فما وضعْتُهُ عن ظهْري حتى جمَعْتُ القرآنَ[4].

وروى ابنُ النَّديم في الفهرسْت بسندهِ عن السُّدِّي عن عبد خير، عن عليٍّ عليه السلام **أنَّه رأى من الناسِ طيْرةً[5] عندَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ، فأقْسَمَ أنْ لا يضَع على ظهرِهِ رداءً حتى يجْمَعَ القرآن، فجلَسَ في بيتِهِ حتى جمَعَ القرآن، فهو أوَّلُ مُصْحفٍ جُمِعَ فيه القرآنُ**، جمعَهُ من قلْبِهِ، و كان عندَ آلِ جعفر[6].

قال العلامة الشَّعراني[7]: «ما رُويَ أنَّ أميرَ المؤمنين عليه السلام أرادَ أنْ يجمَعَ القرآن، فالمرادُ جمْعُ السُّورِ في مجلَّدٍ، وليس جمْعُ الآيات المُتفرِّقة وتكوين السُّورة، كما فعَلَ زيدُ بنُ ثابت وآخرون؛ إذ كان ترتيبُ السُّور وتكوينُها في عهدِ النَّبي ﷺ، مثلُ ما ورَدَ في القرآنِ ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وقولُهُ ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾، وقولُهُ أيضًا: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾[8].

---

(1) ابن سعد، **الطَّبقات**، ج2، ق2، ص101.
(2) (ت 757 هـ/ 1356م).
(3) ابن جزِّي، **التَّسهيل**، ج1، ص6.
(4) انظر هوامش كتاب **المصاحف** لابن أبي داود، ص139.
(5) الطيرة: الخفة والطيش.
(6) ابن النديم، **الفهرست**، المقالة الأولى، الفن الثالث: نعت القرآن، ص45 ـ 46.
(7) (1393 هـ/ 1973م).
(8) العلامة الشَّعراني، مقدمة «**منهج الصَّادقين**»، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص189.

دور الإمام علي عليه السلام بالتَّحديد:

ما أفهَمُهُ من مجموعِ الرِّوايات أنَّ ما قامَ بهِ الإمامُ علي عليه السلام عقَب وفاةِ النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله مباشرة، بما يتعلَّق بجمْعِ القرآن، يتلخَّصُ في أمرين:

الأمر الأول: ترتيبُ الوثائق (= الصُّحُف) المتضمِّنة لسُورِ القرآن بين دفَّتين بشكلٍ نهائي (حيثُ إنَّ الوحيَ قد توقَّفَ بوفاةِ النَّبي). يدُلُّ على ذلكَ:

- ما رواهُ القُمِّي في تفسيرهِ بسندٍ معتبرٍ عن أبي بكر الحضْرمي عن أبي عبد الله جعفر الصَّادق عليه السلام قال: **إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: يا علي، القرآنُ خلْفَ فراشي في الصُّحُفِ والحريرِ والقراطيسِ، فخُذُوهُ واجْمَعُوهُ ولا تُضِّيعُوهُ، كما ضيَّعَت اليهودُ التوراةَ. فانْطَلَقَ عليٌّ عليه السلام فجمَعَهُ في ثوبٍ أصْفر، ثمَّ ختَمَ عليهِ في بيتِهِ وقال: لا أرْتدي حتى أجمَعَهُ.** فإنَّه كان الرَّجُلُ ليأتيهِ فيخرُجُ إليهِ بغيرِ ردائه حتى جمَعَهُ. قال: وقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: لو أنَّ الناسَ قرؤوا القرآنَ كما أنزَلَ اللهُ ما اختلَفَ اثنان[1].

دلالةُ هذه الرِّواية واضحة. وذيلُها يُشيرُ ـ كما يبدو ـ إلى أنَّ اختلافَ لهجات الناس هو من أسبابِ تكثُّر القراءات. وربَّما يُشيرُ ذيلُها أيضًا إلى أنَّ عدَم قبول السُّلْطة الجديدة بنُسْخةِ الإمام علي عليه السلام فتَحَ البابَ لتكثُّر القراءات، كما كان سببًا في اختلافِ الناس في تفسيرٍ وتأويلِ الآيات، لأنَّ نُسْخةَ الإمام علي عليه السلام كانت مكتوبة بنحوٍ دقيق، وتنطوي على تفسيرٍ وتأويلٍ وبيانٍ لأسبابِ ومناسبات النُّزُول.

- ما رواهُ الكُليني في حديثٍ لعليٍّ عليه السلام مع سُلَيم بن قيس الهلالي: **«....فما نزَلَتْ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله آيةٌ من القرآنِ إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ، فكتَبْتُها بخطِّي،** وعلَّمَني تأويلَها وتفسيرَها وناسِخَها ومنْسُوخَها ومُحْكمَها ومُتشابِهَها وخاصَّها وعامَّها، ودعا اللهَ أنْ يُعطيني فهمَها وحفْظَها، فما نسيتُ آيةً من كتابِ اللهِ تعالى، ولا عِلْمًا أملاهُ ليَّ وكتبْتُهُ منذُ دعا اللهَ لي بما دعا...»[2].

---

(1) **تفسير القُمّي**، ج2، ص451.

(2) الكليني، **أصول الكافي**، ج1، كتاب العقل والجهل، باب اختلاف الحديث، ح1.

هذه الرِّواية لا تدُلُّ فقط على تدوينِ الإمام علي عليه السلام لنُسْخةٍ دقيقةٍ من القرآنِ في زمنِ النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله، بل تدُلُّ أيضًا على حفْظِهِ التام للقرآن، ومعرفتِهِ الكاملة بتأويلِ كلّ آية وكلّ ما يتعلَّق بها. لذا كان عليه السلام هو الأكفأ والأقدر على جمْع القرآن بين دفَّتين.

- ما رواهُ الكليني عن أبي جعفر محمَّد الباقر عليه السلام: ما ادَّعى أحدٌ من الناسِ أنَّهُ جمَعَ القرآنَ كلَّهُ كما أُنزِلَ إلا كذّاب، وما جمَعَهُ وحفظَهُ كما نزَّلَهُ اللهُ تعالى إلا عليُّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمةُ من بعدِهِ عليهم السلام[1].

والمرادُ بذلك جمْعُ القرآن مع تفسيرهِ وتأويلِهِ وحسَب ترتيب نزولِهِ. وإلا فالنصُّ القرآني كان متاحًا للناسِ عمومًا، ولخواصِّ أصحاب النبيِّ خصوصًا، كأُبيِّ بن كعب وعبد الله بن مسعود وغيرهما.

الأمر الثاني: استنْساخُ نُسْخةٍ أخرى مُرتَّبة ومُنظَّمة مأخوذةٌ مباشرةً من قلبِهِ أو من النُّسْخةِ الأصليَّة المُتراكِمة عندَ النَّبي محمَّد صلى الله عليه وآله. يدُلُّ على ذلكَ:

- ما رواهُ الكُليني عن سالِمِ بنِ سلَمة قال: قرأ رجُلٌ على أبي عبد الله عليه السلام - وأنا أسْمَع - حُرُوفًا من القرآنِ ليس على ما يقرَؤُها الناس. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كُفَّ عن هذهِ القراءة، اقرأ كما يقرأ الناسُ حتى يقومَ القائم، فإذا قامَ القائمُ عليه السلام قرأ كتابَ اللهِ عزَّ وجل على حدِّهِ (= بلهجةِ قريش حسَب ترتيبِ نُزُولِهِ وبتأويلِهِ وتفسيرهِ الصَّحيح)، وأخرَجَ المُصْحفَ الذي كتبَهُ عليٌّ عليه السلام، وقال: **أخرجَهُ عليٌّ عليه السلام إلى الناسِ حين فرَغَ منه وكتَبَهُ، فقالَ لهم: هذا كتابُ اللهِ عزَّ وجل، كما أنزَلَهُ اللهُ على محمَّدٍ، وقد جمَعْتُهُ من اللَّوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مُصْحَفٌ جامعٌ فيه القرآن، لا حاجةَ لنا فيه، فقال عليه السلام: أما واللهِ ما ترَوْنَهُ بعد يومِكُم هذا أبدًا، إنَّما عليَّ أن أُخْبِرَكُم حين جمعْتُهُ لتقرَؤوهُ**[2].

في بيانِ المراد من الرِّواية، قال المجلسي[3]: «من اللَّوحين» لعلَّه عليه السلام

(1) الكليني، **أصول الكافي**، ج1، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كلّه إلا الأئمة، ح1.
(2) الكليني، **الكافي**، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح23.
(3) (1111 هـ/ 1698م).

في زمانِ الرَّسول ﷺ كتبَهُ على لوحينِ فجُمِعَ منها، أو المرادُ لوح الخاطر ولوح الدَّفاتر، أو المرادُ اللَّوحُ المحفوظ ولوحُ المحو والإثبات، أو الأرضي والسَّماوي، واللهُ يعلم[1].

وكتَبَ الشَّيخُ المفيد[2] في **المسائلِ السُّرورية**: «وقد جمَعَ أميرُ المؤمنين عليه السلام القرآنَ المُنْزل من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ، وألَّفَهُ بحسَبِ ما وجَبَ تأليفُهُ، فقدَّمَ المكّي على المدَني، والمنْسوخ على النَّاسخ، ووضَعَ كلَّ شيءٍ منه في حقِّهِ».

أقول: من الواضِحِ أنَّ مُصْحفَ الإمام علي عليه السلام لم يكن يمتاز فقط بالدِّقةِ والترتيب وفقًا لزمانِ النُّزُول، بل كان يحتوي أيضًا على شرْحٍ وتفسيرٍ وتأويل وتوضيحٍ لأسبابِ ومناسبات النُّزُول.

لكن هناكَ من يرى أنَّ سُوَر القرآن قد رُتِّبَت بصُورَتِها الحالية في حياةِ النَّبي ﷺ. وقد ذهَبَ إلى هذا الرَّأي جماعةٌ من عُلماءِ السَّلَف، كالقاضي وابن الأنباري والكرماني والطيبي[3]، ووافَقَهُم على ذلك السيِّد المرْتضى[4].

كتَبَ السُّيوطي[5]: «أما ترتيبُ السُّوَر، فهل هو توقيفيٌّ أيضًا؟ أو هو باجتهادٍ من الصَّحابة؟ خلافٌ، فجمهورُ العُلماء على الثاني، منْهم مالك والقاضي أبو بكر في أحدِ قولَيهِ»[6].

ومن ملاحظتي لعيِّنةٍ عشوائية، من مخطوطاتٍ مُتفرِّقة، دُوِّنَت في القرْنِ الأول الهجري، خالية من نقْطِ الشَّكْل والإعجام، اتَّضَحَ لي جليًّا أنَّ التَّرتيبَ الحالي لسُوَر القرآن مُطابقٌ لما وجدَتُّهُ في تلكَ المخطوطات. ومن ثمَّ يمكنُ الاستنتاج أنَّ التَّرتيبَ الحالي لسُوَر القرآن قديمٌ جدًّا، يعودُ على

(1) المجلسي، مرآة العقول، ج12، ص523.
(2) (ت 413 هـ/ 1022م)
(3) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع الثامن عشر، ص175 ـ 176.
(4) الطبرسي، مجمع البيان، ج1، ص15.
(5) (ت 911 هـ/ 1505م)
(6) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، ص175.

أقلِّ تقدير إلى النُّسْخةِ المرْجعية التي دُوِّنت في زمنِ خلافة عثمان بن عفان. هذا ما أميلُ إليه[1].

وقد يُقال: ممَّا يدُلُّ على أنَّ ترتيبَ السُّور على نحوِ ما هي عليه اليوم في المصْحفِ كان معروفًا زمن النَّبي ﷺ، ما رُوي من تسميتِهِ سورة الحمْد: «فاتحةَ الكتاب». فلولا أنَّه ﷺ أمَرَ أصحابَهُ بأنْ يُرتِّبوا سُوَر المصْحف هذا الترتيب، لما كان لتسميتِهِ هذه السُّورة فاتحة الكتاب معنى، إذْ قد ثبَتَ الإجماعُ على أنَّ هذه السُّورةَ ليست أول سور القرآن نزولًا، فثبَتَ أنَّها فاتحتهُ نظْمًا وترتيبًا وتلاوةً[2].

واستدلَّ عددٌ من العُلماءِ على أنَّ ترتيب السُّور في المصْحفِ توقيفيٌّ بالحديثِ الذي رواهُ واثلة بن الأسقع اللَّيثي عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «أُعْطيتُ مكانَ التَّوراة: السَّبْع الطُّوال، وأُعْطيتُ مكانَ الزَّبور: المئين، وأُعْطيتُ مكانَ الإنجيل: المثاني، وفُضِّلْتُ بالمُفصَّل»[3].

قال أبو جعفر النَّحاس: «وهذا الحديثُ يُبيِّنُ لكَ أنَّ تأليفَ القرآن عن رسولِ الله ﷺ، وأنَّه كان مُؤلَّفًا من ذلكَ الوقت، وإنَّما جُمِعَ في المصْحفِ على شيءٍ واحد، لأنَّه قد جاءَ هذا الحديث بلفْظِ رسول الله ﷺ على تأليفِ القرآن»[4].

---

(1) انظر الملحق 1 لنماذج من تلكَ المخطوطات. حيثُ اخترْتُ صفحات تنتهي بسورةٍ وتبدأ بأخرى حتى يتَّضح هذا الأمر للقارئ.

(2) ابن بسطام، **كتاب المباني**، ص42.

(3) رواه أحمد في **المسند** ج4، ص107، والطبري في **التفسير** ج1، ص44، والطبراني، في **المعجم الكبير**، ج22، ص62.
والسبع الطوال هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف. واختلف في السابعة، فقيل: التوبة، وقيل: يونس.
أما المئون فهي ما كان من سور القرآن عدد آياته مئة آية أو تزيد عليها شيئًا أو تنقص منها شيئًا يسيرًا.
وأما المثاني فإنها ما ثنى المئين فتلاها، وهي التي آياتها أقل من مئة.
وأما المفصل من سور القرآن فهي ما وليَ المثاني من قصار السور، وقيل إنما سميت بالمفصل لكثرة الفصول التي بين سورها، وهي تبدأ من سورة الحجرات أو سورة ق حتى خاتمة القرآن.

(4) **القطع والائتناف**، ص82.

وقال الحافظُ ابنُ حجر: «وممَّا يدُلُّ على أنَّ ترتيبَ السُّور توقيفيٌّ ما أخرجَهُ أحمد وداود عن أوس بن حُذيفة الثَّقفي قال: كُنْتُ في الوفدِ الذين أسْلموا من ثقيف... فذكَرَ الحديث، وفيه: فقالَ لنا رسولُ الله ﷺ: طرأ عليَّ حزْبي من القرآن، فأردتُّ ألَّا أخرُجَ حتى أقضيهِ. قال أوس: فسألنا أصحابَ رسول الله ﷺ: كيف تُحزِّبونَ القرآن؟ قالوا: نُحزِّبُهُ: ثلاثَ سور، وخمْسَ سور، وسبْعَ سور، وتسْعَ سور، وإحدى عشرة، وثلاثَ عشرة، وحزْبُ المُفصَّل من ق حتى نخْتم. فهذا يدُلُّ على أنَّ ترتيبَ السُّور على ما هو في المصْحفِ الآن كان على عهدِ رسول الله ﷺ»[1].

وتعليقي على ذلك: أنَّ هذا ممكن. لكن القدْر المُؤكَّد، الذي يمكن إثباتُهُ علْميًّا من خلال مخطوطات القرْن الأول الهجري، أنَّ ترتيبَ السُّور الحالي، مطابقٌ للمصاحفِ المسْتَنْسخة من المصاحفِ العثمانية.

الخلاصة: عرفنا ممَّا مضى، أنَّ أوَّلَ من جمَعَ القرآنَ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، هو الإمامُ عليّ عليه السلام. وهذا لا يعني أنَّ القرآنَ لم يكن مجموعًا في حياةِ النَّبي ﷺ، كما رُويَ عن زيدِ بن ثابت، وهي رواية لا يمكنُ تصديقُها مطلقًا حيثُ قال: قُبِضَ النبيُّ ﷺ ولم يكُن القرآنُ جُمِعَ في شيءٍ[2]! بل كان مجموعًا، آياتُ كلّ سُورة مُرتَّبة بداخِلِها ومتسلْسلة كما هو حالُها اليوم. غاية الأمر أنَّها بحاجة إلى تنظيمٍ في مُجلَّدٍ (مُصْحفٍ) واحد، واستنْساخ نُسْخة أخرى، وربَّما بحاجةٍ أيضًا لترْتيبِ السُّور فيما بينها.

نُسَخة (أو نُسَخ) أصليَّة مُدوَّنة على جلد:

مضافًا لما مرَّ، أميلُ إلى القولِ إنَّ النبيَّ محمَّد ﷺ كان ينتقي أفضَل أدوات الكتابة، ويشتريها من مظانِّها، ليُكتَبَ عليها القرآن[3].

---

(1) ابن حجر، **فتح الباري**، ج9، ص42. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص221.

(2) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع الثامن عشر، ص163.

(3) لمعرفة بعض التفاصيل حول صناعة الغزل والنسيج والحرير، والصناعات الجلدية والدباغة التي اشتهرت فيها الطائف، راجع: د. علي محمد معطي، **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2003، ص160 ـ 166.

فهناك رواياتٌ مرويَّةٌ من طرُقُ الشِّيعة تتحدَّث عن وجودِ «جامعة» و«جفْر» مكتوبةٌ على أفضَلِ أنواع الجُلُود المتوفِّرة آنذاك[1]. على هذا الأساس، لا يمكن تصوُّر أنَّ القرآنَ آنذاك قد كُتِبَت كلُّ نُسَخِهِ على مجرَّد العُسُب واللِّخاف والأكتاف، في حين أنَّ الجامعة والجفْر كُتِبَتا على أفضَلِ أنواع الجُلُود.

نحنُ مُضَّطرونَ لافتراضِ أنَّ نُسْخةَ النبيِّ ﷺ على الأقل، أو بعض النُّسَخ، قد كُتِبَت كذلكَ على الحرير وأفضَلِ أنواعِ الجُلُود، حتى تبقى وتُقاوم التَّلَف الذي قد يُصيبُها من عادياتِ الأيام.

- خُذْ على سبيل المثال، ما رُويَ عن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: عندنا الجامعة، وهي سبعونَ ذراعًا فيها كلُّ شيءٍ حتى أرْش الخَدْش، إملاءُ رسولِ الله ﷺ وخطُّ عليٍّ عليه السلام، وعندنا الجَفْر وهو **أديمٌ عُكاظي** (= جِلْدٌ مدْبوغٌ مجلوبٌ من سُوقِ عُكاظ)، قد كُتِبَ فيه، حتى مُلِئَت أكارِعُهُ (= حواشيه وأطرافه)، فيه ما كانَ وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة[2].
- أيضًا رُويَ عن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: أتدْرُونَ ما الجَفْر؟ إنَّما هو **جلْدُ شاةٍ** ليست بالصَّغيرةِ ولا بالكبيرة، فيها خطُّ عليٍّ عليه السلام وإملاءُ رسولِ الله ﷺ من فلق فيه، ما من شيءٍ يُحتاجُ إليه إلا وهو فيه حتى أرْش الخدْش[3].

وعن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام عندما ذُكِرَ له الجفْر، قال: واللهِ إنَّ عندنا **لجلْدَي ماعز وضأن** إملاءُ رسولِ الله ﷺ وخطُّ عليٍّ عليه السلام وإنَّ عندنا لصحيفةٌ طولُها سبْعونَ ذراعًا، وأملاها رسولُ الله ﷺ وخطَّها عليٌّ عليه السلام بيدِهِ، وإنَّ فيها لجميعُ ما يُحتاجُ إليه حتى أرْش الخدْش[4].

- وروي عن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام أنَّه سُئِلَ عن الجفْر، فقال: هو **جلْدُ**

(1) الرِّوايات التي تتحدَّث عن «مُصْحَفِ فاطمة» لا تُشيرُ إلى أنَّه كُتِبَ على جلْد.
(2) البروجردي، **جامع أحاديث الشِّيعة**، ج1، ح133. وسوق عكاظ يقع على أطراف الطائف القريبة جدًّا من مكة، وقد عرفت الطائف تاريخيًّا بالصناعات الجلدية والدباغة.
(3) البروجردي، **جامع أحاديث الشِّيعة**، ج1، ح139.
(4) المصدر السابق نفسه، ج1، ح141.

ثورٍ، مملوءٌ عِلْمًا. قال له: فالجامعة؟ قال: تلكَ صحيفةٌ طولُها سبْعونَ ذراعًا في عرْضِ الأديم، مثلُ فخِذ الفالِج (= الجمَل الضَّخْم ذو السِّنامين)، فيها كلُّ ما يَحتاجُ الناسُ إليه، وليس من قضيةٍ إلا وهي فيها حتى أرْش الخدْش. قال: فمُصْحَفُ فاطمة؟ قال فسَكَتَ طويلًا ثمَّ قال: إنَّكُم لتَبْحثُونَ عمَّا تُريدونَ وعمَّا لا تُريدون. إنَّ فاطمةَ عليها السلام مكثَت بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله خمْسةً وسبعينَ يومًا، وكان دخَلَها حُزْنٌ شديدٌ على أبيها، وكان جبرائيلُ عليه السلام يأتيها، فيُحسِنُ عزاءها على أبيها، ويُطيِّبُ نفْسَها، ويُخْبِرُها عن أبيها ومكانِهِ، ويُخْبِرُها بما يكونُ بعدَها في ذُرِّيتِها، وكان عليٌّ عليه السلام يكتُبُ ذلكَ، فهذا مُصْحَفُ فاطمة عليها السلام[1].

- وعن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: الجفْرُ إنَّما هو **جلْدُ ثورٍ** مدْبوغ، كالجراب (= وعاء من إهاب الشَّاة)، فيه كُتُب، وعلْم ما يَحتاجُ النَّاسُ إليه إلى يوم القيامة من حلالٍ وحرام، إملاءُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وخطُّ عليٍّ عليه السلام[2].

لماذا رُفِضَت نُسْخةُ الإمام علي عليه السلام؟

عرفنا أنَّ الإمام علي عليه السلام عكَفَ بعد وفاةِ النَّبي محمَّد صلى الله عليه وآله مباشرةً، أي في سنة 11 هـ، على إنجازِ هاتينِ المُهمَّتينِ معًا: جمْعُ القرآن بين دفَّتين، وكتابةُ نُسْخة خاصَّة لتقديمِها إلى السُّلْطةِ الجديدة. إلا أنَّ نُسْخة الإمام عليّ عليه السلام قُوبِلَت بالرَّفضِ. فلماذا يا ترى؟

في الحقيقة، لا يمكنُ فصْلُ هذا الموقف عن العلاقة المُتوتِّرة بين الإمام علي عليه السلام والسُّلْطة الجديدة، بسببِ مخرجات السَّقيفة، وإيمان الإمام علي عليه السلام بحقِّهِ في الخلافة.

على ضوءِ ذلك، يمكن القول إنَّ الرَّفْضَ ـ في أغلبُ الظَّن ـ يعود إلى سببينِ رئيسيَّين:

---

(1) البروجردي، **جامع أحاديث الشِّيعة**، ج1، ح146.
(2) المصدر السابق نفسه، ج1، ح 152.

الأول: أنَّ اعتمادَ نُسْخة الإمام علي عليه السلام كان سيُعطيهِ رصيدًا معنويًّا إضافيًّا كبيرًا.

الثاني: أنَّ نُسْخةَ الإمام علي عليه السلام كانت تحتوي على تفسيرٍ وتأويلٍ وذكْرٍ لأسبابِ النُّزُول... وهذا الأمر سيوثِّقُ أحداثًا محرجة، كان يُرادُ أنْ يطويها النِّسيان.

لكن إنْ رفضَت السُّلْطة الجديدة نُسْخة الإمام علي عليه السلام، فكيف إذن عالجَت هذا الأمر؟ وكيف ملأت هذا الفراغ الخطير؟ هذا ما أدْرُسُهُ في الفصْلِ القادم.

الفصل السَّابع:

التقاط القرآن من صُدُورِ الناس

في الفصْل السَّابق، عرفنا أنَّ النُّسْخة التي جمَعَها الإمامُ علي عليه السلام وقدَّمَها بعد وفاة النبي محمَّد ﷺ للسُّلْطةِ الجديدة، قد تمَّ رفْضُها. هذا الرَّفضُ ستكون له مضاعفات ستحاول السُّلْطة الجديدة تدارُكها. ورغمَ أنَّها حقَّقت بعضَ النَّجاحات في تدارُكِ الأمر، إلا أنَّ مضاعفات خطيرة ظهرت في خلافةِ عثمان، سيتمُّ تطويقُها بدرجةٍ ما.

في هذا الفصْل، أصِلُ إلى المحطَّةِ السَّابعة، وسوف أدْرُسُ فيها محاولات السُّلْطة الجديدة، في زمن أبي بكر وعمر، تدارُك الأمر، وسدّ الفراغ، وتدوين نُسْخة من القرآن، من خلالِ التقاطِ سُورِهِ وآياتِهِ المُتفرِّقة من صُدُورِ الناس.

جمْعُ القرآن بهذا المعنى قامَ به ـ وفقًا لما هو مشهور ـ أبو بكر وعُمَر، في الأشهرِ الأخيرة من سنةِ 11 هـ، وبالتَّحديد بعدَ معركةِ اليَمامة. حيثُ شكَّلَ أبو بكر لجْنةً، وُضِعَت بعُهدةِ الشَّاب زيد بن ثابت[1]. إليكَ ما تذكُرُهُ الرِّوايةُ الرَّسمية. وتذكَّر أنَّ خلافةَ أبي بكر امتدَّت من سنةِ 11 هـ إلى سنةِ 13 هـ. وخلافةُ عمر امتدَّت من سنةِ 13 هـ إلى سنةِ 23 هـ.

الرِّواية الرَّسْمية:

روى أبو عُبيد القاسم بن سلَّام[2] في كتابِهِ **فضائل القرآن** وابنُ أبي داود[3] في كتابِهِ **المصاحف** عن ابنِ شهاب الزُّهري[4] عن عُبيد بن السبَّاق أنَّ

(1) سأتطرَّقُ لزيدِ بن ثابت ومُبرِّراتِ اختيارِهِ، عندما أصِلُ إلى خلافةِ عثمان.
(2) (ت 224 هـ).
(3) (ت 316 هـ).
(4) (ت 124 هـ).

زيدَ بن ثابت[1] قال: أرسَلَ إليَّ أبو بكر مقتَلِ أهلِ اليمامة، وكان عندَهُ عمر، فقال (أبو بكر): إنَّ هذا (أي عمر) أتاني فقال: إنَّ القتْلَ قد استحرَّ (= اشتدَّ) بالقُرَّاء، وإنِّي أخشى أنْ يستحِرَّ القتْلُ بالقُرَّاءِ في سائِرِ المواطن، فيذْهَب القرآنُ، وقد رأيتُ أنْ تجمَعُوهُ. فقلْتُ لعُمَر ـ وما زال أبو بكر يخاطب زيد بن ثابت ـ: كيف نفعَل شيئًا لم يفعَلهُ رسولُ الله ﷺ؟ فقالَ عمر: هو واللهِ خير، فلم يزَلْ يُراجِعُني في ذلكَ حتى شرَحَ اللهُ صدْري للَّذي شرَحَ اللهُ له صدْرَهُ، ورأيتُ فيه الذي رأى.

فقال أبو بكر (لزيد بن ثابت): إنَّكَ شابٌّ ـ أو رجُلٌ ـ عاقلٌ، وقد كُنْتَ تكتُبُ الوحيَ لرسولِ الله ﷺ، لا نتَّهِمُكَ، فاكتُبْهُ. قال (زيد بن ثابت): فواللهِ لو كلَّفُوني نقْل جبَل من الجبال، ما كان بأثْقَل عليَّ منه. فقلتُ لهما: كيف تفْعلانِ شيئًا لم يفَعلهُ رسولُ الله ﷺ؟ قال أبو بكر وعمر: هو اللهِ خير. فلم يزَل أبو بكر وعمر يُراجِعاني في ذلكَ (والكلامُ ما زالَ لزيدِ بن ثابت) حتى شرَحَ اللهُ صدْري للَّذي شرَحَ له صدْرَهُما، ورأيتُ فيه الذي رأيا. فتتبَّعْتُ القرآنَ أنْسَخُهُ، من الصُّحُفِ والعُسُبِ واللّخافِ حتى فقدْتُّ آيةً كنْتُ أسْمَع رسولَ الله ﷺ يقرأُ بها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[2]، فالتَمَسْتُها، فوجدتُّها مع خُزيمةِ بنِ ثابت، فأثْبَتُّها في سُورَتِها[3].

وقد روى مثْلَهُ تقريبًا البخاري في صحيحِهِ، وزادَ في آخرِهِ: فكانت الصُّحُفُ عندَ أبي بكر حتى توفَّاهُ اللهُ، ثمَّ عندَ عمرَ حياتَهُ، ثمَّ عندَ حفْصةَ بنْتِ عمرَ[4].

تساؤلات حول الرِّواية الرَّسمية:

- الرِّوايةُ تدَّعي على لسانِ أبي بكر أنَّ **جمْعَ القرآن شيئًا لم يفْعَلهُ النبيُّ ﷺ!** وقد عرَفْتَ فيما مضى أنَّ النبيَّ ﷺ قد جمَعَ نُسَخًا مكتملة من صحفِ القرآن، وأنَّ ما لم يفْعلهُ هو ترتيبُ تلك الصُّحُف بين دفَّتين.

---

(1) (ت 45 هـ).

(2) سورة التوبة، الآية: 128.

(3) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح3، ص152 ـ 153. ابن أبي داود، **المصاحف**، ص145 ـ 146.

(4) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

والخوفُ من اشتدادِ القتل بالقُرَّاء في اليمامةِ ـ على فرْضِ صحَّة الرِّواية ـ لا مُبرِّر له، لو كان القرآنُ مجموعًا في زمنِ النَّبي ﷺ، خصوصًا مع بقاءِ ثلاثة من الأربعة الذين أمَرَ ﷺ بأخْذِ القرآن عنهم على قيدِ الحياة[1]. إلا إذا كانت السُّلْطة الجديدة قد ردَّت فعلًا النُّسْخة التي قدَّمها الإمام علي عليه السلام، فشعرَت بفراغٍ خطير، وأرادت سدَّ هذا الفراغ. خصوصًا أنَّ عمرَ كان قد قالَ عندَ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ: «حسْبُنا كتابُ الله»[2]. فإنْ تمَّ تجاوز أحد الثَّقلين: أهل البيت عليهم السلام، فها هو الثِّقْلُ الآخر الحبْلُ الممدود من السَّماءِ إلى الأرض: القرآن مُهدَّدٌ في وجودِهِ[3]، ولا بدَّ من المسارعة لفعلِ شيء.

وترتيبُ الصُّحُف بين دفَّتين لا يحتاجُ إلى تردُّدٍ وخوف من الوقوعِ في بدْعة. إلا إذا كان المقصودُ إعادةُ تدوين القرآن وجمْعِهِ من النُّسَخ غير المكتملة المتفرِّقة بين أيدي الناس وممَّا هو محفوظٌ في صُدورِهم، بعد أنْ ردَّت السُّلْطة الجديدة نُسْخة الإمام علي عليه السلام. فهذه الخطوة فعلًا خطرة، وتدفَعُ إلى التردُّدِ والخوف، لأنَّها مظنَّة الوقوع في الخطأِ والاشتباه.

على أيِّ حال، هذه الرِّواية الرَّسْمية فتحت المجالَ واسعًا للتَّشكيكِ في جمْعِ القرآن في زمنِ النَّبي ﷺ.

- البخاري روى بعدَ ذلكَ روايةً عن زيدِ بنِ ثابت يقول: فتتبَّعْتُ حتى وجدتُ آخِرَ سورةِ التوبة آيتينِ مع أبي خُزيمة الأنصاري، لم أجِدْهُما مع أحدٍ غيرِهِ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[4]. فهل الآيتان وجدَهُما زيد مع خُزيمةِ بنِ ثابت أم مع أبي خُزيمة الأنْصاري؟!

(1) أخرجَ مسلم في صحيحهِ عن رسولِ الله ﷺ: خُذُوا القرآنَ من أربعةٍ: من ابنِ أُمِّ عبْدٍ ـ فبدأ به ـ ومعاذِ بنِ جبَل، وأُبّي بنِ كعب، وسالِمٍ مولى أبي حُذيفة .**صحيح مسلم**، فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود.

(2) **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده، أيضًا باب هلُمُّوا أكتب لكم كتابًا...أيضًا كتاب الأشربة، باب قول المريض قوموا عني .**صحيح مسلم**، كتاب الوصية، باب ائتوني بالكتف والدواة.

(3) إشارة إلى حديث الثقلين: راجع **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب .**صحيح الترمذي**، كتاب المناقب، اللَّهم هؤلاء أهل بيتي... **مسند أحمد بن حنبل**، باقي مسند المكثرين، ج4، ص371، ج5، ص181.

(4) **صحيح البخاري**، كتاب **فضائل القرآن**، باب كاتب النبي.

- كما أنَّ البخاري وابن أبي داود رويا عن زيدِ بنِ ثابت قوله: ففقدتُ آيةً من الأحزابِ حين نسَخْنا المصْحف قد كنْتُ أسمَعُ رسولَ اللهِ يقرأُ بها، فالتمَسْناها فوجدْناها مع خُزيمةِ بنِ ثابت الأنْصاري ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1]. فهل ما فقدَهُ زيدُ بنُ ثابت آيتان في سورةِ التوبة أم مع سورةِ الأحزاب؟!

هذه التَّساؤلات تُلقي بظلالٍ من الشَّكِ حولَ المسألة.

السيِّد البروجردي فسَّرَ الموقف هكذا: «لمَّا أرادوا تعظيمَ الشَّيْخين، وبيان مناقبِهما، وتكثير فضائلهما، وضَعُوا من عندِهِم أنَّ عُمرَ أتى أبا بكر وقال: إنَّ سبعُ مئة نفَر من قُرَّاءِ القرآن وحُفَّاظِهِ قد قُتِلُوا في وقعةِ أهل الردَّة، وإنِّي أخافُ على القرآنِ أنْ يُرْفَعَ من بينِ المسْلمين بموتِ حُفَّاظِهِ....»[2].

- بعض الباحثين شكَّكَ في الرِّوايات المُتعلِّقة بجمْعِ أبي بكر وعمر للقرآن، وتساءلوا: منْ هُم القُرَّاء الذين قُتِلُوا في معركةِ اليمامة؟ لا نعرِفُ منهم إلا سالم مولى أبي حذيفة[3]... وما خطورة ذلك طالما أنَّ ثلاثة من الأربعة الذين أمَرَ النبيُّ محمَّد ﷺ بأخْذِ القرآن منهم هم على قيْدِ الحياة؟

وقال بعضُ الباحثين: من المحتمل أنَّ هذه الرِّوايات ليست لتعظيمِ الشَّيخين وإعطائِهِم شَرَف جمْع القرآن فقط، بل أيضًا لمصادرةِ هذا الشَّرَف من عثمان بعدَ بُرُوز الفساد بصنوفِهِ المختلفة في عهْدِهِ، وتمكينِهِ بني أمية من مفاصِلِ حياة المُسْلمين.

ويبدو أنَّ للزُّبيريِّينَ دورًا في هذا الأمر. فقد ظهَرَ بين الرُّواة ـ من غير مدرسة أهل البيت ـ اتِّجاهان: اتِّجاهٌ يعمَل لصالِحِ بني أمية، يهُمُّه تأكيد شرف

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن .ابن أبي دواد، **المصاحف**، ص149، واللَّفظ للبخاري.
(2) البروجردي، **بحث الأصول**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص166.
(3) (ت 12 هـ).

جمْع القرآن لعثمان، واتجاهٌ آخر يعمَل لصالِحِ عبد الله بن الزُّبير، يهُمُّه مصادرة هذا الشَّرف من عثمان، ونسبَتُهُ لأبي بكرٍ وعمر[1]. وكلا الاتِّجاهين يجتمعان على مصادرةِ هذا الشَّرَف من الإمامِ عليّ عليه السلام!

رواية أثارت الشُّكوك:

مرَّة أخرى، الرِّواية الرَّسمية التي ادَّعت أنَّ أبا بكر وعمر هما أوَّل من جمَعَ القرآن بعدَ معركةِ اليمامة، فسَحَت المجال لإثارةِ الشُّكوك حول القرآن من قِبَلِ خُصُوم الإسلام. فهذه الرِّواية توحي بعدَم تدوين القرآن كاملًا في حياةِ النَّبي محمَّد صلى الله عليه وآله، بل توحي بعدَمِ تواتُر القرآن أصْلًا.

تبريرًا لذلك، كتَبَ الزَّركشي[2]: «وقولُ زيد: «لم أجِدْها إلا مع خزيمة» ليسَ فيه إثباتُ القرآن بخبَرِ الواحد، لأنَّ زيدًا كان قد سمِعَها وعَلِمَ موضِعَها في سُورةِ الأحزاب بتعليم النَّبي صلى الله عليه وآله، وكذلك غيرُهُ من الصَّحابة ثمَّ نسيَها، فلمَّا سمِعَ ذكَرَهُ، وتتبُّعُهُ للرِّجالِ كان للاستظهارِ لا لاستحداثِ العِلْم. وسيأتي أنَّ الذين كانوا يحفظونَ القرآنَ من الصَّحابةِ على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة، والمرادُ أنَّ هؤلاء كانوا اشتهروا به، فقد ثبَتَ أنَّ غيرَهُم حفظَهُ، وثبَتَ أنَّ القرآن مجموعُهُ محفوظٌ كلُّهُ في صُدورِ الرِّجال أيامَ حياة النَّبي صلى الله عليه وآله مُؤلَّفًا على هذا التأليف إلا سورة براءة»[3].

من ناحيةٍ أخرى، هل يُعقل أنْ يُكتَبَ القرآنُ على «العُسُبِ واللّخافِ»، وتُكتَب رسائل النَّبي محمَّد صلى الله عليه وآله لقيصر الروم وكسرى فارس ومقوقس مصْر وغيرهم على الجُلُود والوَرَق؟ هل يُعقَل أن يُكتَبَ القرآنُ على «العُسُبِ واللّخافِ»، وتُكتَب مُعلَّقات الشُّعراء[4] ووثيقةُ الحِصار في

(1) انظر الروايات التي تصر على أن أبا بكر هو أول جامع للقرآن بين اللوحين، والطريف أن أغلبها يروونها عن الإمام علي عليه السلام! ابن أبي داود، **المصاحف**، ص139 ـ 143.

(2) (ت 794 هـ/ 1391م).

(3) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، النوع الثالث عشر، ص165.

(4) «المعلقات» أو «السبع الطوال»، المروية لامرئ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة، وكلهم =

شِعْبِ أبي طالب[1] ووثيقةُ صُلْح الحُدَيبية[2] على الجُلُودِ أو الحرير أو الوَرَق؟

أم إنَّ لأهلِ الكتاب يدًا أيضًا في هذه الرِّوايات، فأرادوا أنْ يقولوا: إن كان موسى عليه السلام قد تلقَّى التوراةَ على الألْواحِ[3]، فإن القرآنُ مكتوبًا على عُسُبٍ ولِخافٍ؟ متجاهلين تطوُّر أدوات الكتابة، وتوافُر الجُلُودَ والوَرَق.

بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ اللَّجنةَ التي شكَّلها أبو بكر وعمر اعتمدت ـ كما يبدو من الرِّوايات لو صحَّت ـ على آليَّةٍ شابَها القُصُور. فقد ورَدَ أنَّ أبا بكر قالَ لعُمَر وزيدِ بنِ ثابت: **اقْعُدا على بابِ المسْجد، فمن جاءَكُما بشاهدينِ على شيءٍ من كتابِ اللهِ فاكتُباه**[4]!!

هكذا كأنَّهما يستجديان شهيدين على شيءٍ من كتابِ الله! وهذا يُثيرُ تساؤلات كبرى حول الادِّعاء الذي طالما تشبَّثَ به المسلمون، وهو أنَّ القرآنَ وصَلَ إلينا بالتَّواتُر! فأيُّ تواتُرٍ وآليةُ جمْع القرآن ارتكزَت ـ وفقًا لتلك الرِّوايةِ ـ على شاهدين؟!

= جاهليون إلا لبيدًا، فإنه من المخضرمين. وإنما سميت «المعلقات»، لأن العرب اختارتها من بين أشعارها فكتبوها بالذهب على الحرير، وقيل بماء الذهب في القباطي (ثياب تتخذ من الكتان)، ثم علقوها على أركان الكعبة، وقيل في أستارها.
كتب مصطفى صادق الرافعي: «أما إن هذه القصائد من مختارات الشعر فأمر لا ندفعه...وأما خبر الكتابة بالذهب أو بمائه والتعليق على الكعبة، ففي روايته نظر، وعندي أنه من الأخبار الموضوعة التي خفي أصلها، حتى وثق بها المتأخرون..». انظر: الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، ج3، ص183.

(1) حيث قاطعت قريش النبي ﷺ والمسلمين في بداية الدعوة بمكة، وكتبوا كتابًا بذلك وعلقوه في جوف الكعبة. انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج1، ص208.

(2) ومن الثابت تاريخيًا أن كاتب الصلح هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أن البراء بن عازب قال: لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية، كتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه بينهم كتابًا فكتب، «محمد رسول الله»، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك، فقال لعلي: امحه. فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه. فمحاه رسول الله ﷺ بيده، وصالحهم....».

(3) يقولُ تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[الأعراف، 145].

(4) **إرشاد الساري**، ج7، ص447.

أيضًا روى ابنُ أبي داود ما يلي: أرادَ عمرُ بنُ الخطاب أنْ يجْمَعَ القرآن، فقامَ في الناسِ، فقال: من كان تلقَّى من رسولِ الله ﷺ شيئًا من القرآنِ فليأتِنا به، وكانوا كتَبُوا ذلك في الصُّحُفِ والألواحِ والعُسُب، **وكان لا يقبَل من أحدٍ شيئًا حتى يشْهَد شهيدان!** فقُتِلَ وهو يجْمَعُ ذلك. فقامَ عثمانُ بن عفَّان فقال: من كان عندَهُ من كتابِ اللهِ شيءٌ فليأتِنا به، وكان لا يقبَل من ذلكَ شيئًا حتى يشْهَد عليهِ شهيدان[1]!

تبريرًا لما يُثيرُهُ هذا الموقف من تساؤلاتٍ كثيرة، تتعلَّق بآليةٍ قاصرةٍ تكتفي بشهيدين، كتَبَ السُّيوطي[2]: «كان لا يقبَل من أحدٍ شيئًا حتى يشْهَد شهيدان، وهذا يدُلُّ على أنَّ زيدًا كان لا يكتفي بمجرَّد وجدانِهِ مكتوبًا حتى يشْهَد به من تلقَّاهُ سَماعًا مع كونِ زيد كان يحفَظ، فكان يفعَلُ ذلك مُبالغةً في الاحتياط.

وأخرَجَ ابنُ أبي داود أيضًا من طريقِ هشام بن عروة عن أبيه (عروة بن الزُّبير) أنَّ أبا بكر قالَ لعُمَر ولزيد: اقْعُدا على بابِ المسْجد، فمَنْ جاءَكُما بشاهدينِ على شيءٍ من كتابِ اللهِ فاكتُباه.

قالَ ابنُ حجر: و«كأنَّ المرادَ بالشَّاهدينِ الحفْظ والكتاب»، وقالَ السَّخاوي في **جمال القرَّاء**: «المرادُ أنَّهما يشْهدانِ على أنَّ ذلكَ المكتوب كُتِبَ بين يدَي رسولِ الله ﷺ، أو المرادُ أنَّهما يشْهدانِ على أنَّ ذلكَ من الوجوهِ التي نزَلَ بها القرآن». قال أبو شامة: «وكان غرَضُهُم أنْ لا يُكتَب إلا من عين ما كُتِبَ بين يدَي النَّبي ﷺ، لا من مجرَّد الحفْظ»، قال: «ولذلكَ قالَ في آخرِ سورةِ التوبة: «لمْ أجِدْها مع غيرِهِ، أي لم أجِدْها مكتوبةً مع غيرِهِ، لأنَّه كان لا يكتفي بالحفْظِ دونَ الكتابة».

قُلْتُ: أو المرادُ أنَّهما يشْهدانِ على أنَّ ذلكَ ممَّا عُرِضَ على النبيِّ ﷺ عامَ وفاتِهِ»[3].

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص224.
(2) (911 هـ/ 1505م).
(3) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، ص166.

وكتَبَ أبو شامة: «إنَّما كان قصْدُهُم أنْ ينقُلُوا عينَ المكتوب بين يدي النَّبي ﷺ، ولم يكتُبُوا من حفْظِهِم...»[1].

إلا أنَّ ابنَ حزْمِ الأندَلُسي[2] له رأيٌ آخر، فقد كتَبَ في المقابل: «واحتجُّوا بكتابِ أبي بكر المُصْحف، بعد أنْ لم يكون مجموعًا، وذكروا حديثًا عن زيدِ بنِ ثابت أنَّه قال: افتقدْتُ آيةً من سُورةِ براءة، وهي ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾، الآية، فلمْ أجِدْها إلا عندَ رجُلٍ واحدٍ، **وذكروا في ذلكَ تكاذيب وخرافات، أنَّهم كانوا لا يُثْبِتُونَ الآية إلا حتى يشْهَد عليها رجُلان، وهذا كلُّهُ كذبٌ بحت، من توليدِ الزَّنادقة.**

وأما جمْعُ أبي بكر المُصْحفَ فنعم، ووجهُ ذلكَ بيِّن، وهو أنَّ النبيَّ ﷺ كان ينزِلُ عليه القرآنُ مُفرَّقًا، فيأمُر بضمِّ الآية النازلة إلى آيةِ كذا من سُورةِ كذا، فلم يكن يمكن أنْ يُكَتَبَ القرآنُ في مُصْحفٍ جامعٍ لأجلِ ذلك، فلمَّا ماتَ عليه السلام، واستقرَّ الوحيُ، وعُلِمَ أنَّه لا مزيدَ فيه ولا تبديل، كَتَبَهُ أبو بكر حينئذٍ وأثْبَتَهُ.

وأما افتقادُ زيد بن ثابت الآية، فليسَ ذلكَ على ما ظنَّهُ أهلُ الجهل، وإنَّما معناهُ أنَّه لم يجِدْها مكتوبة إلا عندَ ذلكَ الرَّجُل. وهذا بيِّن في حديثِ... البخاري... أنَّ زيدَ بنَ ثابت قال: لمَّا نسَخْنا المُصْحفَ في المصاحفِ، فقدْتُ آيةً من سُورةِ الأحزاب، كُنْتُ أسمَعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقرَؤُها، لم أجِدْها مع أحدٍ إلا مع خُزيمةِ بنِ ثابت الذي جعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ شهادَتَهُ شهادةَ رجُلَين: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾...

... وروى قومٌ أنَّ الآيةَ التي افتقَدَ زيدٌ هي من سُورةِ براءة، وهي ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾، وهذا كذبٌ بحت، لكلِّ ما ذكرنا آنفًا»[3].

---

(1) أبو شامة، **المرشد الوجيز**، ص57.

(2) (ت 456 هـ/ 1064م).

(3) ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الدين**، ج6، ص110 ـ 113. وكلامُ ابنُ حزم الأندلسي يكشِفُ بوضوح أنَّه لا يعترضُ على أصْلِ الرِّواية الرَّسمية، وإنَّما اعتراضُهُ على بعضِ تفاسيرِها، وأيضًا على الادِّعاء بأنَّ اللَّجنةَ كانت تكتفي بشهيدين. وستأتي عباراتٌ أخرى لابنِ حزم تُظهِر نظرَتَهُ النَّقدية لهذه الأخبار، وتأكيدَهُ على أنَّ جمْعَ القرآن كان يحدُثُ في حياةِ النبيِّ ﷺ أوّلًا بأوَّل.

الرِّوايةُ الرَّسمية أثارَت أيضًا تساؤلات حول أسباب تجاهُل أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، وهما - كما يبدو من رواياتٍ متعدِّدة - كانا من أكفأ أصحابِ النَّبي في القرآن. . .فلماذا تمَّ استبعادَهُما؟

لا بدَّ أنْ نعرف أولًا من هما أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود.

من هو أُبيّ بن كعب؟

أخرَجَ البخاري ومسلم في صحيحَيْهِما عن أنَسٍ بن مالك أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأُبيٍّ بنِ كعب: إنَّ اللهَ أمرَني أنْ أقرأ عليكَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، قال: وسمَّاني لك؟ قال: نعم، قال: فبكى[1].

وأخرج البخاري عن أنَسٍ بنِ مالك أنَّ نبيَّ الله ﷺ قالَ لأُبيٍّ بنِ كعب: إنَّ اللهَ أمَرَني أنْ أُقرِئَكَ القرآن، قال: اللهُ سمَّاني لكَ؟ قال: نعم، قال: وقد ذُكِرْتُ عندَ ربِّ العالمين؟ قال: نعم، فذرَفَتْ عيناهُ[2].

وأخرج البخاري عن عمرِ بن الخطَّاب: أقرَؤُنا أُبيٌّ، وأقضانا عليٌّ، وإنا لندَعُ من قولِ أُبيٍّ، وذاكَ أنَّ أُبيًّا يقول: لا أدَعُ شيئًا سمِعْتُهُ من رسولِ الله ﷺ، وقد قالَ تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[3].

ورُويَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: أقْرأُ أُمَّتي أُبيٌّ[4].

وعن ابنِ عباس أنَّه قال: قالَ عمر: أقضانا عليٌّ، وأقرأنا أُبيّ[5].

كان يُلقَّب بـ «سيِّدِ القرَّاء»، وهو أحدُ الاثني عشر الذين بايعوا النبيَّ ﷺ

---

(1) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة «لم يكن»، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بن كعب. أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، عرض القراء للقرآن وما يستحب لهم من أخذه عن أهل القرآن، ح3، ص215.

(2) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة «لم يكن».

(3) **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾.

(4) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص341. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج1، ص66.

(5) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، ذكر قراء القرآن ومن كانت القراءة تؤخذ عنه من الصحابة والتابعين بعدهم، ح9، ص226.

بيعةَ العقبة الثانية. وكان أوَّل من كتَبَ لرسولِ الله ﷺ عندما قدِمَ المدينة، فإذا لم يحضَر أُبيٌّ بنُ كعب كتَبَ له زيدُ بن ثابت[1]. وكان فيمن تخلَّف عن بيعةِ أبي بكر[2].

وله دورٌ أساسٌ في إملاءِ القرآن مرَّتين، مرَّةً في عهدِ أبي بكر، ومرَّةً أخرى عندَ إملاءِ القرآن الأم في عهدِ عثمان، تُوفِّي في خلافة عثمان سنة 30هـ على أصحِّ الأقوال. من تلامذتِهِ: عبد الله بن عياش المخزومي[3].

ولأبيِّ بن كعب مواقف مشرِّفة جدًّا في الدِّفاعِ عن حياضِ القرآن.

- فمثلًا رُويَ عن عمرو بن عامر الأنصاري أنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب قرأَ «والسَّابقونَ الأوَّلونَ منَ المهاجرينَ والأنصارِ والذينَ اتَّبعوهُم بإحسانٍ»، فرفَعَ الأنصارَ، ولم يُلْحِق «الواوَ» في «الذين»، فقالَ له زيدُ بنُ ثابت: «والذينَ اتَّبعوهُم بإحسانٍ»، فقال عمر: «الذينَ اتَّبعوهُم بإحسانٍ»، فقال زيد: أميرُ المؤمنين أعلَم! فقالَ عمر: ائتوني بأُبيِّ بنِ كعب، فسألَهُ عن ذلك، فقالَ أُبيّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، فجعَلَ كلٌّ واحدٍ منهُما يشيرُ إلى أنْفِ صاحِبِهِ بإصْبَعِه، فقال أبي: واللهِ أقرأنيها رسولُ الله ﷺ وأنتَ تتَّبع الخبط، فقالَ عمر: فنعم إذن فنعم، نُتابعُ أُبيًّا[4].

---

(1) ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج1، ص50.

(2) كان أُبيّ بن كعب ممن تخلّف عن بيعة أبي بكر. فقد تحصن بدار فاطمة عليها السلام مع الإمام علي عليه السلام كلًا من: الزبير بن العوام، العباس بن عبد المطلب، عتبة بن أبي لهب، سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد بن الأسود، البراء بن عازب، أبي بن كعب، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله. وجماعة من بني هاشم وجمع المهاجرين والأنصار. صرحت بذلك المصادر الآتية: **الرياض النضرة**، ج1، ص167، **تاريخ الخميس**، ج1، ص188، ابن عبد ربه، ج3، ص64، **تاريخ أبي الفداء**، ج1، ص156، وابن شحنة بهامش **الكامل**، ج1، ص112، والجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد، ج2، ص130 ـ 134، والحلبية، ج3، ص294 ـ 397. نقلًا عن: مرتضى العسكري، **عبد الله بن سبأ**، ج1، ص131 ـ 132.

(3) (ت 64 هـ).

(4) المُتَّقي الهندي، **منتخب كنز العمال**، ج1، ص632، السُّيوطي، **تفسير الدر المنثور**، ج3، ص269.

ويبدو أنَّ الموقفَ المتوتِّر بين عمر وأُبيّ حولَ الآية نفْسَها تكرَّرَ في حادثةٍ أخرى[1].

- بل تكرَّر هذا الموقف من أُبيٍّ بن كعب مع عثمان، في خلافٍ وقَعَ بين أبي ذر الغفاري ومعاوية، حول الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

قالَ القرطبي[3] في تفسيرِ الآية: «واختلَفَ الصَّحابةُ في المرادِ بهذه الآية، فذهَبَ معاوية إلى أنَّ المرادَ بها أهلُ الكتاب، وإليهِ ذهب الأصم، لأنَّ قولَهُ ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ مذكورٌ بعدَ قولِهِ ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾. وقالَ أبو ذر وغيرُهُ: المرادُ بها أهلُ الكتاب وغيرُهُم من المسْلمين. وهو الصَّحيح؛ لأنَّه لو أرادَ أهلَ الكتابِ خاصَّة لقال: «ويكْنِزُونَ» بغيرِ «والَّذينَ»، فلمَّا قالَ «والَّذينَ» فقد استأنَفَ معنىً آخرَ يُبيِّنُ أنَّه عطْفُ جُملةٍ على جُملة».

وروى البخاري عن حُصَيْنٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْزَلَكَ مَنْزِلَكَ هَذَا؟ قَالَ: كُنْتُ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي «الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قَالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقُلْتُ: نَزَلَتْ فِينَا وَفِيهِمْ. فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَاكَ. وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ يَشْكُونِي. فَكَتَبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ أَنْ اقْدَمْ الْمَدِينَةَ، فَقَدِمْتُهَا، فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ، فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ، فَكُنْتَ قَرِيبًا، فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا الْمَنْزِلَ وَلَوْ أَمَّرُوا عَلَيَّ حَبَشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ[4].

---

(1) المُتَّقي الهندي، **منتخب كنز العمال**، ج1، ص632 ـ 624.
(2) سورة التوبة، الآية: 34.
(3) (ت 671 هـ/ 1273م).
(4) **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، ليس فيما دون خمس أواقٍ صدقة.

وقد تدخَّل أبيٌّ بن كعب لمحاولةِ إسقاط «الواو» من هذه الآية. فقد كتَبَ ابنُ عطية الأندلسي[1] في تفسيرِهِ: «أسنَدَ أبو حاتم إلى علباء بن أحمد أنَّه قال: لمَّا أمَرَ عثمانُ بكَتْبِ المُصْحَفِ، أرادَ أنْ ينْقُصَ الواو في قولِهِ ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ﴾، فأبى ذلكَ أُبيٌّ بن كعب وقال: لتُلْحِقنَّها أو لأضعَنَّ سيفي على عاتقي. فألحَقَها»[2].

هذان الموقفان من الصَّحابي أُبيّ بن كعب، مع رأسِ السُّلطة، وأشهر أصحاب النبيِّ، عمر وعثمان، في مجرَّدِ مسألةِ إسقاط «واو» إسقاطًا يُغيِّرُ المعنى، يُبيِّنُ بجلاء أنَّه كان مستعدًّا للدُّخولِ في صراعٍ مفتوحٍ مع خليفةِ عصْرِهِ. مثلُ هذه المواقف تؤكِّد أنَّ القرآنَ كان مُحاطًا بعنايةِ أجلِّ أصحابِ النبيِّ محمَّد.

من هو عبد الله بن مسعود؟

أخرَجَ مسلم عن أبي موسى (الأشْعري) قال: قدِمْتُ أنا وأخي من اليمَن، فكُنَّا حينًا وما نرى ابنَ مسعودٍ وأمَّهُ إلا من أهلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ، من كثْرةِ دُخُولِهم ولُزُومِهِم له[3].

وأخرَجَ مسلم أيضًا عن رسولِ الله ﷺ: خُذُوا القرآنَ من أربعةٍ: من ابنِ أُمِّ عبْدٍ - فبدأ به - ومعاذِ بنِ جبَل، وأُبِّي بنِ كعب، وسالِمٍ مولى أبي حُذيفة[4].

وروى أحمدُ في مُسْندِهِ عن النبيِّ ﷺ: من سَرَّهُ أنْ يقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنْزِلَ فليقرأهُ من ابنِ أُمِّ عبد[5].

كان أوَّلُ من جهَرَ بالقُرآنِ في مكة من أصحابِ النَّبي، وأُوذيَ في اللهِ من أجلِ ذلك، كان يخدِمُ النبيَّ ﷺ في أكثَرِ شُؤونِه، ويلِجُ عليه الدَّارَ بلا حجاب. هاجَرَ الهجرتين، وصلَّى القبلتين، وحضَرَ المشاهِدَ كلَّها مع النبيِّ ﷺ، وكان من أحفَظِ الناس لكتابِ الله.

---

(1) (ت 546 هـ/ 1151م).

(2) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، في تفسير الآية.

(3) صحيح مسلم، فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود.

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) مسند أحمد، ج1، ص38.

روى الصَّدوق أبو جعفر بن بابويه بإسنادِهِ إلى زيدِ بن وهب الجُهَني أبي سُليمان الكوفي أنَّ اثني عشَرَ رجُلًا من صحابةِ رسولِ الله ﷺ أنكروا على أبي بكر تقدُّمَهُ على عليٍّ عليه السلام، وعدَّ منهم: عبد الله بن مسعود[1].

أرسلَهُ عمر في زمنِ خلافتِهِ، مع عمَّار بن ياسر، إلى الكوفةِ، ليُعلِّمَ أهلَها القرآنَ والفقه[2]. وكتَبَ إليهم: «إنِّي قد بعثْتُ إليكم بعمَّار بن ياسر أميرًا، وعبد الله ابن مسعود مُعلِّمًا ووزيرًا، وهما من النُّجباء من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من أهلِ بدْر، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولِهِما. وقد آثرْتُكُم بعبدِ الله بن مسعود على نفْسي»[3]. فكان عبد الله بن مسعود يُعلِّم القرآنَ في مسجدِ الكوفة.

من أبرزِ تلامذتِهِ القرَّاء: علْقمة النَّخَعي الكوفي[4]، أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي[5]، ومسْروق بن الأجدع الهمْداني[6]، زِرُّ بنُ حُبَيْش الأسْدي[7]، وعُبيد بن فضيلة الخُزاعي الكوفي[8].

سؤال يبقى بلا جواب:

إنْ كانَ النبيُّ ﷺ قال: خُذُوا القرآنَ من أربعةٍ: من ابنِ أُمِّ عبْدٍ - فبدأ به - ومعاذِ بنِ جبَل، وأُبِّي بنِ كعب، وسالِمٍ مولى أبي حُذيفة[9]. فهو إذن يأمُرُ بالرُّجوعِ إلى هؤلاءِ الأربعة.

وإنْ كان سالم مولى أبي حُذيفة قد قُتِلَ في معركةِ اليمامة (سنة 11 هـ)، ومعاذُ بنَ جبل ماتَ في طاعونِ الشَّام (سنة 18 هـ)، فهذا يعني أنَّه لم يبْقَ من

(1) الصدوق، **الخصال**، ج2، باب 12، ص461.
(2) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج6، ص7، وابن مجاهد، **كتاب السبعة في القراءات**، ص66.
(3) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج6، ص7. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج3، ص992.
(4) شهَدَ مع عليٍّ عليه السلام صفِّين وأُصيبَت إحدى رجليه، ت 62 هـ.
(5) (ت 74 هـ).
(6) كان مُنْحرفًا عن عليٍّ عليه السلام لكن شهدَ معهُ حرْبَ الخوارج، ت 62هـ.
(7) أخَذَ عن عليٍّ عليه السلام، ت 83هـ.
(8) (ت 74هـ).
(9) **صحيح مسلم**، فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود.

الأربعةِ الذين أوصى النبيُّ ﷺ بأخْذِ القرآن منْهُم إلا: أُبيّ بن كعب وعبد الله ابن مسْعود. فلماذا لم يتمُّ اختيار أيًّا منهما لرئاسةِ لجنة جمْع القرآن؟

ادِّعاءات منسوبة لأصحاب النَّبي!

إنْ صحَّت الرِّواية الرَّسمية المشهورة لجمْعِ القرآن، فعمَلُ اللَّجنة التي شكَّلها أبو بكر شابَها القصور كما يبدو. وبلَغَ القُصور إلى درجةٍ أنْ سمحَ بالتَّدريج بدُخولِ القرآن في سُوقِ مزايدات منسوبة لأصحابِ النَّبي. وأعني بـ «المزايدات» ادِّعاء طرف ما بأنَّ لديه آية أو آيات من القرآن ليست لدى الآخرين، أو أنَّ قراءَتَهُ هي القراءة الصَّحيحة دونَ الآخرين. وإليكَ شواهد على تلكَ المزايدات المنسوبة إليهم.

أولًا: آية الرَّجم المزعومة

- أخرَجَ البخاري ومسلم بإسنادِهِما عن ابنِ عبَّاس قال: خطَبَ عمرُ خطبَتَهُ، بعدَ مرْجعِهِ من آخرِ حِجَّة حجَّها، قالَ فيها: إنَّ اللهَ بعَثَ محمَّدًا ﷺ بالحقِّ، وأنزَلَ عليهِ الكتابَ، فكان ممَّا أُنزلَ اللهُ آيةَ الرَّجْم، **فقرأْناها وعقلْناها ووعيناها**، فلذا رجَمَ رسولُ اللهِ ﷺ ورجَمْنا بعدَهُ، فأخشى إنْ طالَ بالنَّاسِ الزَّمانُ، أنْ يقولَ قائلٌ: واللهِ ما نجِدُ آيةَ الرَّجْم في كتابِ الله، فيَضِلُّوا بترْكِ فريضة أنزَلَها اللهُ، والرَّجْمُ في كتابِ الله حقٌّ على من زنى، إذا أُحْصِنَ من الرِّجالِ والنِّساءِ إذا قامت البيِّنةُ أو كانَ الحَبَلُ أو الاعتراف[1].

- بل أخرَجَ التِّرمذي عن سعيدِ بن المُسيِّب عن عمرِ بن الخطَّاب قال: رجَمَ رسولُ اللهِ ﷺ، ورَجَمَ أبو بكر، ورَجَمْتُ، ولولا أنِّي أكرَهُ أنْ أزيدَ في كتابِ اللهِ لكتَبْتُهُ في المُصْحف[2].

(1) **صحيح البخاري**، باب رجم الحبلى. **صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى. **سنن الترمذي**، الحدود. **سنن أبي داود**، الحدود. **مسند أحمد بن حنبل** ج1، ص23، ج5، ص132، ص183.

(2) **سنن الترمذي**، كتاب الحدود، باب ما جاء في تحقيق الرجم. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب ذكر ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، ح5، ص191.

- أيضًا عن عمرِ بنِ الخطاب: لولا أنْ يقولَ الناسُ: «زاد عمرُ في كتاب اللهِ»، لكتَبْتُها بيدي[1].

وقد وردَت آيةُ الرَّجْم المزْعومة بألفاظٍ مختلفة:

1. «إذا زنيا الشَّيخُ والشَّيخةُ فارْجُموهُما البتَّة، نكالًا من اللهِ، واللهُ عزيزٌ حكيم».
2. «الشَّيخُ والشَّيخةُ فارْجُمُوهُما البتَّة، بما قضيا من اللَّذة».
3. «إنَّ الشَّيخَ والشَّيخةَ إذا زنيا فارْجُمُوهُما البتَّة».

وثمَّة تساؤلات مهمَّة تُطْرَح: من الواضِحِ أنَّ هذه الآية المزْعومة لم يُنسَخ حُكْمُها ـ وفقًا لرأي عمر ـ فكيفَ يُدَّعى أنه نُسِخَ تلاوتُها؟

وإنْ لم تُنْسَخ تلاوتُها ـ بدليلِ أنَّ عمرَ كرِهَ أنْ يزيدَها ـ فكيف يقبَل أنْ يبقى القرآنُ ناقصًا؟ لماذا لم يُقاتل من أجلِ إدخال الآية في القرآن؟

وإنْ كان هو الشَّاهدُ الوحيدُ عليها، فكيفَ تخْفى الآيةُ عن كلِّ المسلمين، ولا يسْمَعها إلا عُمَر؟ هل يُعقَل أصلًا أنْ يكونَ الشَّاهد الوحيد على مثلِ هذه الآية المدَّعاة؟

ولو سلَّمْنا بصحَّةِ الرواية، فأينَ أصحابُ النَّبي؟ لماذا لم يعترضوا على كلامِ عمر ويقولوا له: نحنُ كُنَّا مع النَّبي، وصحبْناهُ كما صحِبْتَهُ، ولم يسمع أحدٌ منَّا هذه الآية التي تدَّعيها؟ هذه التَّساؤلات تُثيرُ الشكَّ في أصلِ صحَّة مثل هذه الرِّوايات.

من المؤسف أنَّ بعضَ الرِّوايات تحاولُ الإيحاءَ بأنَّ سببَ عدم كتابَة هذه الآية المدَّعاة: مراعاة الظُّروف الاجتماعية، لأنَّ زنى المُحْصَنين والمُحْصنات كان منتشرًا انتشارَ النار في الهشيم! كتَبَ السُّيوطي: «أخرَجَ ابنُ الضُّرَيس في فضائلِ القرآن عن يعلى بنِ حكيم عن زيدِ بنِ أسْلم: أنَّ عمرَ خطَبَ الناسَ فقال: لا تشُكُّوا في الرَّجمِ فإنَّه حقٌّ، ولقد همَمْتُ أنْ أكتُبَهُ في المُصْحَفِ،

(1) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، النوع الرابع والثلاثون، ص351.

فسألْتُ أُبيَّ بنَ كعب فقال: أليسَ أتيتني وأنا أستقرِئُها رسولَ الله ﷺ؟ فدَفَعْتَ في صدْري وقلت: تستقرِئُهُ آيةَ الرَّجم وهم يتسافَدُونَ تسافُدَ الحُمُر؟ قالَ ابنُ حجر: وفيه إشارةٌ إلى بيانِ السَّبَب في رفعِ تلاوتِها وهو الاختلاف»[1]!

أقول: ما أدري متى كان القرآنُ يُخفي بيانَ الحقائق والتَّشريعات الضَّرورية مراعاةً للظُّروفِ الاجتماعية؟ وهو يُصرِّحُ بتحريمِ وحلِّيةِ ما هو أشدُّ عليهم من ذلك: كتحريمِ الخمْر والرِّبا وتحليلِ الزَّواج من طليقةِ الابن من التبنِّي، وهو تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[2].

الغريبُ أنَّ ثمَّة رواية أخرجَها الحاكم تدَّعي أنَّ عمرَ اقترَحَ على النبيِّ ﷺ كتابَتَها، إلا أنَّه ﷺ كَرِهَ ذلك. بل في روايةٍ أخرى أنَّ النبيَّ ﷺ أجابَهُ ﷺ: «لا تستطيع»[3]!

وهنا سؤالٌ كبيرٌ يُثار: أليسَ من وظيفةِ الرَّسول البلاغُ المبين؟ هل يحِقُّ له ﷺ إخفاءُ شيءٍ ممَّا أنزَلَ الله؟ كتَبَ السُّيوطي: «أخرجَ الحاكمُ من طريقِ كثير بن الصَّلْت قال: كان زيدُ بنُ ثابت وسعيدُ بنُ العاص يكتُبانِ المُصْحف، فمرَّا على هذه الآية، فقالَ زيدٌ: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زنيا فارْجُمُوهُما البتَّة»، فقالَ عمر: لمَّا نزلَت أتيْتُ النبيَّ ﷺ فقُلْتُ: أكْتُبها، فكأنَّهُ كرِهَ ذلك، فقالَ عمر (تبريرًا لكراهةِ النبي): ألا ترى أنَّ الشَّيخَ إذا زنى ولم يُحْصَن جُلِد، وأنَّ الشَّابَ إذا زنا وقد أُحصِن رُجِمَ[4]؟

وهذا التبريرُ المنْسوبُ لعمر، فيه اتهامٌ مباشرٌ للوحي، بعدَمِ الدِّقة، وأنَّه يُطالِبُ حرْفيًّا بآيةٍ منزلةٍ بشيء، وأحكامُهُ الواقعية شيءٌ آخر.

بعبارةٍ أوضح: المشهورُ أنَّ الزَّاني المُحصَن يُرجَم وإنْ لم يكن شيخًا، والزَّاني غير المُحصَن يُجلَد وإنْ كان شيخًا.. في حين أنَّ الآيةَ المزْعومة تأمُر برجْمِ الشَّيخ الزَّاني وإنْ لم يكن مُحْصَنًا، ولا تتحدَّث عن الشابِّ الزَّاني

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، النوع السابع والأربعون، ج2، ص74.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 53.
(3) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص74.
(4) المصدر السابق نفسه، ج2، النوع السابع والأربعون، ص73.

المُحصَن... إذن كأنَّ عمر يتَّهِمُ الوحيَ بأنَّه لم يكن دقيقًا في صياغةِ الآية وفقًا للحكمِ الشَّرعي، لأنَّ الحكمَ المعروف هو جلْدُ الزَّاني إنْ لم يكن مُحصِنًا، ورجمُهُ إنْ كانَ مُحصِنًا، سواءٌ كان شابًّا أو شيخًا.

الطَّريفُ أنَّ السُّيوطي برَّرَ ذلك قائلًا: «قلْتُ: وخطَرَ لي في ذلكَ نُكتةٌ حسَنة، وهو أنَّ سببَهُ التَّخفيفُ على الأمةِ بعدَمِ اشتهار تلاوتها وكتابتها في المُصْحف، وإنْ كان حُكْمُها باقيًا، لأنَّه أثقلُ الأحكامِ وأشدُّها وأغلظُ الحدود، وفيه الإشارة إلى ندْبِ السّتْر»![1]

ومن المؤسف أنْ تتسرَّب مثل هذه الرِّوايات لكُتُبِ الشِّيعة أيضًا. فقد روى الكليني عن عبدِ الله بنِ سنان عن أبي عبدِ الله (جعفر الصَّادق عليه السلام): الرَّجْمُ في القرآن، قولُ اللهِ عزَّ وجل «إذا زنى الشَّيخُ والشَّيخةُ، فارْجُموهُما البتَّة، فإنَّهما قضيا الشَّهوة»[2].

كما روى الحرُّ العاملي عن سُليمانِ بنِ خالد قال: قُلْتُ لأبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام) في القرآنِ رجْمٌ؟ قال: نعم، قلتُ: كيف؟ قال: الشَّيخُ والشَّيخةُ فارْجُموهُما البتَّة، فإنَّهُما قضيا الشَّهوة»[3].

وعلَّقَ السيِّد الخوئي[4] قائلًا: «فهُما وإنْ كانتا تدُلَّانِ على ثُبوتِ الرَّجْم على الشَّيخِ والشَّيخة مع عدَمِ الإحصان، أيضًا إذْ مع تخصيصِهِما بالإحصان لا تبْقى خصوصية لهُما، إلا أنَّهَ **لا قائلَ بذلكَ منَّا**. ولا شكَّ في أنَّهُما وردتا موردَ التَّقية، فإنَّ الأصْلَ في هذا الكلام هو عمرُ بنُ الخطَّاب، فإنَّه ادَّعى أنَّ الرَّجْمَ مذْكورٌ في القرآن، وقد وردَت آية بذلك، ولكن اختلفَت الرِّوايات في لفْظِ الآية المُدَّعاة، فإنَّها نُقِلَت بوجوهٍ: فمنْها ما في هاتينِ الصَّحيحتين، ومنْها غير ذلك. وقد تعرَّضْنا لذلكَ في كتابِنا **البيان** في البحثِ حولَ التحريف، وأنَّ القرآنَ لم يقع فيه تحريفٌ»[5].

---

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص73.

(2) الكليني، **الكافي**، ج7، ص177.

(3) الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، القضاء، ج18، ص350.

(4) (ت 1412 هـ/ 1992م).

(5) السيد الخوئي، **مباني تكملة المنهاج**، ج1، ص195.

وعلَّقَ السيِّد السَّبْزوراي[1] قائلًا: «ثمَّ إنَّ مقتضى صحيح عبد الله بن سنان أنَّ ما ذكرَهُ عليه السلام كان آيةً من القرآنِ فحُذِفَت. ولكن أثبَتْنا في تفسيرِنا **مواهبُ الرَّحمن** بُطلانَ التحريفِ في القرآنِ بجميعِ الصُّور المُتصوَّرة فيه»[2].

ثانيًا: آية «لا ترغبوا عن آبائكم» المزْعومة

- أخرَجَ البخاري عن عمرِ الخطَّاب قولهُ: إنَّا كُنَّا نقرأُ فيما نقرأُ من كتابِ الله: «أنْ لا ترغَبُوا عن آبائِكُم، فإنَّه كُفْرٌ بكُم أنْ ترْغَبُوا عن آبائكم»، أو «أنَّ كُفْرًا بكُم أنْ ترْغَبُوا عن آبائِكُم»[3].

وهل تنْسَجِمُ هذه الآية المزْعومة مع قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[4]. القرآنُ الذي جاءَ لتحريرِ عقول الناس، ونهى عن اتِّباعِ الآباء والأجداد اتِّباعًا أعمى، وتحدَّثَ عن تبرُّؤ الذين اتَّبعوا من الذين اتُّبعوا يومَ القيامة، هل يُعقَل أنْ يعتبر من يرغَب عن آبائِهِ أنَّه ينحو نحو الكُفْر؟ حاشا لله.

ثالثًا: آية «جاهدوا كما جاهدتم أول مرة» المزعومة

- وأخرَجَ السُّيوطي أنَّ عمرَ بن الخطَّاب قالَ لعبدِ الرَّحمن بنِ عوف: ألَمْ تجِد فيما أُنزِلَ علينا «أنْ جاهدوا كما جاهدْتُم أوَّلَ مرَّة»، فإنَّا لا نجِدُها؟ قال: أُسْقِطَت فيما أُسْقِطَ من القرآن[5]!

---

(1) (ت 1414 هـ/ 1993م).

(2) السبزواري، **مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام**، ج27، ص274. أقول: مثل هذا المورد يؤكد بطلان مسلك الاكتفاء بوثاقة الرواة، فصحة الرواية سندًا لا يعني أبدًا الوثوق بصدورها من المعصوم عليه السلام. بالتالي تضرب مثل هذه الروايات عرض الجدار أو تؤول بالتقية أو يرد علمها إلى أهلها.

(3) **صحيح البخاري**، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. أيضًا **مسند أحمد بن حنبل**، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين.

(4) سورة البقرة، الآية: 170.

(5) السُّيوطي، **الدُّر المنثور**، ج1، ص106. السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص71. وقريب منه عن ابن عباس انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب ذكر ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، ح13، ص193. أيضًا باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط من القرآن، ح75، ص179.

وما هي أوّل مرّة جاهَدَ فيها المسلمون؟ ألَمْ يكُن الجهاد بالنَّفسِ والمال مسارًا متَّصلًا ـ دون توقُّف ـ منذ بدء الجهر بالإسلام؟

رابعًا: آية «لا يملأ جوف بن آدم إلا التراب» المزعومة

- وأخرج مسْلم عن أبي الأسود قال: بُعِثَ أبو موسى الأشعري إلى قرَّاءِ أهل البصْرة، فدخَلَ عليه ثلاث مئة رجُل قد قرؤوا القرآنَ، فقال: أنتُم خيارُ أهل البصْرة وقُرَّاؤُهُم، فاتْلوهُ ولا يطُولَنَّ عليكُمُ الأمدُ فتقسو قلوبُكُم كما قسَت قلوبُ من كان قبلكم. قال: وإنَّا كُنَّا نقرأُ سورةً، كُنَّا نُشبِّهُها في الطُّولِ والشِّدَّةِ بـ «براءة»، فأُنْسيتُها، غيرَ أنِّي قد حفظْتُ منها: «لو كانَ لابنِ آدم واديان من مالٍ، لابْتغى واديًا ثالثًا، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التُّراب»! وكُنَّا نقرأُ سُورةً، كُنَّا نُشبِّهُها بإحدى المُسبِّحات، فأُنْسيتُها، غيرَ أنِّي حفظْتُ منها: «يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولونَ ما لا تفعلون، فتُكتَب شهادة في أعناقِكُم، فتُسألونَ عنْها يوم القيامة»[1]!

خامسًا: سقوط ثلاث أرباع سورة الأحزاب!

- كما روى أحمدُ بنُ حنبل أمرًا غريبًا نسَبَهُ لأُبيِّ بنِ كعب، رواهُ عن زِرِّ بن حُبَيْش عن أُبيِّ بنِ كعب قال: كم تقرؤون (أو كأيِّن تعُدُّون) سورةَ الأحزاب؟ قلْتُ: ثلاثًا وسبعين آية. قال: قط! لقد رأيتُها وإنَّها لتُعادل سُورةَ البقرة (أي أربعة أضعاف مقدارها الحالي)، وفيها «الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زنيا فارْجُموهُما البتَّة نكالًا من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيم»!..»[2]. ونُسِبَ ما يقرُب من هذا ـ فيما يتعلَّق بمقدار سورة الأحزاب ـ إلى عائشة أيضًا.

لقد برَّرَ بعضُهُم الآيات المزْعومة بأنَّها نُسِخَت نسْخَ تلاوة، وبقيَ حُكْمُها.

---

(1) **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب. انظر أيضًا: السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص70 ـ 71.

(2) **مسْند أحمد بن حنبل**، مسند الأنصار، رقم 20702، ج5، ص132. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب ذكر ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، ح3، ص190 ـ 191.

وعندما أُثيرَ سؤالٌ عن الحكمةِ في رفْعِ التلاوة مع بقاءِ الحُكْم؟ وهلا أُبقيَت التلاوة ليجتمع العمَلُ بحُكمِها وثواب تلاوتها؟

أجابَ بعضُهُم بأنَّ ذلك: «ليُظْهِر به مقدار طاعة هذه الأمة في المُسارعةِ إلى بذْلِ النُّفوس بطريقِ الظَّن من غيرِ استفصالٍ لطلَبِ طريقٍ مقطوعٌ به، فيُسْرعونَ بأيْسَرِ شيء، كما سارَعَ الخليلُ إلى ذبْحِ ولدِهِ بمنام، والمنامُ أدنى طريق الوحي»[1]!

وأنكَرَ آخرون ذلك، فقد حكى القاضي أبو بكر في **الانتصار** عن قوم إنكار هذا الضَّرْب من النَّسْخ، «لأنَّ الأخبارَ فيه أخبارُ آحاد، ولا يجوزُ القطْعُ على إنزالِ قرآنٍ ونسْخِهِ بأخبارِ آحاد لا حُجَّةَ فيها»[2].

كتَبَ السيِّد الخوئي[3]: «أجمَعَ المُسْلمونَ على أنَّ النَّسْخَ لا يثْبُتُ بخبَرِ الواحد، كما أنَّ القرآنَ لا يثْبُتُ به؛ والوجهُ في ذلكَ ـ مضافًا إلى الإجماع ـ أنَّ الأمورَ المُهمَّة التي جرَت العادةُ بشُيوعِها بينَ الناس، وانتشارِ الخبَرِ عنها على فرْضِ وُجودِها، لا تثْبُتُ بخبَرِ الواحد، فإنَّ اختصاصَ نقْلِها ببعضٍ دونَ بعض بنفْسِهِ دليلٌ على كذبِ الرَّاوي أو خطَئِهِ. وعلى هذا، فكيفَ يثْبُتُ بخبَرِ الواحد أنَّ آيةَ الرَّجمِ من القرآن، وأنَّها قد نُسِخَت تلاوَتُها وبقيَ حُكْمُها؟ نعم قد تقدَّمَ أنَّ عمرَ أتى بآيةِ الرَّجم، وادَّعى أنَّها من القرآن، فلمْ يقبَل قولَهُ المسلمون، لأنَّ نقلَ هذه الآية كان مُنْحصِرًا به، ولم يُثْبِتوها في المصاحف، فالتزَمَ المُتأخِّرونَ بأنَّها آيةٌ منْسوخةُ التلاوةِ باقيةُ الحكم»[4].

سادسًا: سقوط سورتي الخَلْع والحَفْد!

- من مآسي التراث أيضًا ما أخرجَهُ الطَّبراني والبيهقي وابنُ الضُّريس: أنَّ من القرآنِ سورَتَيْن، الخلْع والحفْد، نسبوهُما إلى تعليم علي عليه السلام وقُنُوتِ عمر، ومُصْحفي ابن عباس وزيد بن ثابت وقراءة أُبيّ وأبي موسى:

---

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص69.
(2) المصدر السابق نفسه، ج2، النوع السابع والأربعون، ص72.
(3) (ت 1412 هـ/ 1992م).
(4) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص285.

الأولى منهُما: «بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم، اللَّهمَّ إنَّا نستعينُكَ ونستغفرُكَ، ونُثْني عليكَ الخيرَ ولا نكْفُرُكَ، ونخلَع ونترُك من يفْجُرُك».

والثانية منهُما: «بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم، اللَّهمَّ إيَّاكَ نعبُدُ، ولكَ نُصلِّي ونسْجُدُ، وإليكَ نسْعى ونحفَدُ، نرجو رحمتَكَ ونخشى عذابَكَ الجَدُّ، إنَّ عذابَكَ بالكافرينَ مُلْحَق»[1].

فإنْ كانت هاتان السُّورتان من تعليم عليّ، وكان يقرأُ بهما أُبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري، ومُدوَّنة في مُصْحَف ابن عباس وزيد بن ثابت، وكان يقرأ بهما عمر في قُنُوتِهِ، فلِمَ لمْ تُدَّون؟ ما الذي منَعَهُم من ذلك؟!

سابعًا: نسبة إنكار الحمد والمعوذتين لابن مسعود

- ونُسِبَ إلى عبدَ اللهِ بنِ مسعود ظُلْمًا إنكارهُ أنَّ سُورةَ الحمْد والمعوذتين من القرآن، ولا أجِدُ ذلكَ إلا في إطارِ اغتيال شخصيَّته الاجتماعية لمعارضتِهِ عثمان على تنْصيبِ زيد بن ثابت رئيسًا لِلَجْنةِ جمْع القرآن، ثمَّ معاندتِهِ إيَّاه في عدَمِ تسليمِ مُصْحَفِهِ له، مُحرِّضًا الناسَ على ذلك. والهدفُ من هذا الاغتيالَ الاجتماعي هو أنْ يُهجَر مُصْحَفَهُ ليُعوَّل على المُصْحفِ الإمام، حتى لو كانت النَّتيجة إثارةُ الشُّكوك حولَ تواتُر القرآن!

وهنا ثلاثةُ مواقف تجاهَ عبد الله بن مسعود: التَّبرير، الدِّفاع، الإدانة.

1. موقفُ التَّبرير: قالَ ابنُ قتيبة في **مُشْكل القرآن**: «ظنَّ ابنُ مسْعود أنَّ المعوذتين ليستا من القرآن، لأنَّه رأى النبيَّ ﷺ يُعوِّذ بهما الحسَنَ والحُسين، فأقامَ على ظنِّهِ. ولا نقولُ إنَّه أصابَ في ذلكَ وأخطأَ المهاجرونَ والأنصار. قال: وأما إسْقاطُهُ الفاتحة من مُصْحَفِهِ، فليسَ لظنِّهِ أنَّها ليست من القرآن، معاذَ الله، ولكنَّه ذهَبَ إلى أنَّ القرآنَ إنَّما كُتِبَ وجُمِعَ بين اللَّوحينِ مخافةَ الشكِّ والنِّسيانِ والزِّيادةِ والنُّقصان، ورأى أنَّ ذلكَ مأمونٌ في سُورةِ الحمْد، لقِصَرِها ووُجوبِ تعلُّمِها على كلِّ أحد».

---

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع التاسع عشر، ص183 ـ 185. أنظُر أيضًا ما ذكَرَ السُّيوطي، **الدُّر المنثور**، ج6، ص420 ـ 433 بعد سورةِ الناس «ذكر ما ورَدَ في سورةِ الخلْع وسورة الحفْد»!

2. موقفُ الدِّفاع عن عبدِ الله بنِ مسعود: قالَ فخرُ الدِّين الرَّازي: نُقِلَ في بعضِ الكُتُبِ القديمة أنَّ ابنَ مسعود كان يُنْكِرُ كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن. وهو في غايةُ الصُّعوبة؛ لأنَّا إنْ قُلْنا: إنَّ النَّقْلَ المتواتِرَ كان حاصلًا في عصْرِ الصَّحابة، يكونُ ذلكَ من القرآن، فإنكارُهُ يوجِبُ الكُفْرَ. وإنْ قُلْنا: لم يكن حاصلًا في ذلكَ الزَّمان، فيلزَم أنَّ القرآنَ ليسَ بمتواترٍ في الأصْل. قال: والأغلبُ على الظنِّ أنَّ نقْلَ هذا المذْهب عن ابنِ مسعود نقلٌ باطلٌ، وبهِ يحصَلُ الخلاص عن هذه العُقدة. وكذا قالَ القاضي أبو بكر: لم يصِحّ عنه أنَّها ليست من القرآن ولا حُفِظَ عنه، وإنَّما حكَّها وأسقَطَها من مُصْحفِهِ إنكارًا لكتابَتِها، لا جَحْدًا لكونِها قُرآنًا، لأنَّه كانت السُّنَّة عندَهُ أنْ لا يُكتَب في المُصْحفِ إلا ما أمَرَ النبيُّ ﷺ بإثباتِهِ فيه، ولم يجِدْهُ كتَبَ ذلكَ ولا سمِعَهُ أمَرَ به.

وقال النووي في **شرْحِ المُهذَّب**: أجمَعَ المسلمونَ على أنَّ المعوذتين والفاتحةَ من القرآن، وأنَّ من جحَدَ منها شيئًا كفَر. وما نُقِلَ عن ابنِ مسْعود باطلٌ ليسَ بصحيح.

وقالَ ابنُ حزْم في كتابِ **القدَح المُعلَّى تتميم المُحلَّى**: هذا كذبٌ على ابنِ مسعود وموضوع، وإنَّما صحَّ عنه قراءة عاصْم عن زِرٍّ عنه، وفيها المعوذتان والفاتحة».

3. موقفُ الإدانة وتثبيت التُّهمة على ابنِ مسعود: تجِدُهُ في موقفِ ابن حجر، فقد ذكَرَ في **شرْح البخاري**: قد صحَّ عن ابنِ مسعود إنكارُ ذلك، فأخرَجَ أحمدُ وابنُ حِبَّان عنه أنَّه كان لا يكتُب المعوذتين في مُصْحفِهِ. وأخرَجَ عبدُ الله ابنُ أحمد في **زيادات المُسْند** والطَّبراني وابنُ مردويه من طريقِ الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرَّحمن بن يزيد النَّخَعي قال: كان عبدُ اللهِ بنُ مسعود يحكُّ المعوذتين من مصاحِفِهِ ويقول: إنَّهما ليستا من كتابِ الله. وأخرَجَ البزَّار والطَّبراني من وجهٍ آخرَ عنه أنَّه كان يحكُّ المعوذتين من المُصْحف ويقول: إنَّما أمَرَ النبيُّ ﷺ أنْ يتعوَّذ بهما، وكان عبدُ الله لا يقرأ بهما، أسانيدٌ صحيحة. . . . قال ابنُ حجر: فقولُ من قال: «إنَّه كذبٌ عليه»، مردودٌ، والطَّعنُ في الرِّواياتِ الصَّحيحة بغيرِ مستند لا يُقبَل».

أيضًا للسُّيوطي الموقف نفسه، حيثُ كتب: «قُلْتُ: وإسقاطُهُ الفاتحة من مُصْحفِهِ أخرَجَهُ أبو عبيد بسندٍ صحيحٍ كما تقدَّمَ في أوائلِ النوع التاسع عشر»[1].

أقول: الطَّعنُ بالرِّواياتِ الصَّحيحة بغيرِ مستندٍ لا يُقبَل، أما الطَّعنُ بالصَّحابي الجليل عبدِ الله بنِ مسعود بما يوجِبُ الكُفْرَ يُقبَل؟! ما لكم كيفَ تحكمون؟!

الطَّعنُ بها لا يُقبل، وتجاهُل الرِّواية التي أخرجها البخاري في صحيحِهِ التي يأمُرُ فيها النبيُّ ﷺ المسلمينَ بأنْ يأخُذوا القرآنَ عن أربعة، ويبدأ باسْمِ «ابن مسعود»، يُقبَل؟ ما لكم كيفَ تحكمون؟!

مرَّةً أخرى، لا أجِدُ الطَّعنَ في ابنِ مسعود إلا في إطارِ الفُجُور في الخصومة. فالمثَلُ يقول: «حدِّث العاقل بما لا يليق، فإنْ صدَّقَ فلا عقْلَ له».

في المقابل، حاولَ أهلُ البيت عليهم السلام تبديد الشُّكوك حول المعوذتين. فقد روى الكليني عن صابر مولى بسَّام قال: أمَّنا أبو عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام) في صلاةِ المغرب، فقرأَ المعوذتين، ثمَّ قال: هُما من القرآن[2].

أما بالنِّسبةِ لسُورةِ الحمْد، فقد روى الكليني عن محمَّدِ بن مسْلم قال: سألْتُهُ عن الذي لا يقرأ فاتحةَ الكتاب في صلاتِهِ، قال: لا صلاةَ له إلا أنْ يبدأ بها في جهرٍ أو إخفات. قُلْتُ: أيُّهما أحبُّ إليكَ إذا كان خائفًا أو مستعجلًا، يقرأ بسورةٍ أو بفاتحةِ الكتاب؟ قال: فاتحةِ الكتاب[3].

وستتَّضح لاحقًا خلفيات اتِّهام عبد الله بن مسعود، وستلمَسُ جليًّا تأثير الخلاف السِّياسي في إطلاقِ تُهَم من هذا القبيل.

ثامنًا: تزييف آيات مشهورة جدًّا

■ وثمَّة روايات مُتعدِّدة ـ يصعُب تصديق محتواها ـ تُشيرُ إلى أنَّ عمرَ بنَ

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، النوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون، ص221 ـ 223.

(2) الكليني، **الكافي**، كتاب الصلاة، باب قراءة القرآن، ح26.

(3) المصدر السابق نفسه، كتاب الصلاة، باب قراءة القرآن، ح28.

الخطّابَ كان يقرأ الحَمْد هكذا: «صراطَ من أنعمْتَ عليهم غيرِ المغْضوبِ عليهم وغيرِ الضَّالين»[1]، وأنَّه كان يقرأ «الحيُّ القيَّام» بدلًا من ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[2].

فبربِّكَ قُل لي: سورةُ الحمد التي يتلوها المسلمون آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النهار، ويسمعونَها من النبيِّ ﷺ في صلواتِهِم يوميًا مرارًا، هل يُعقَل أنْ لا يحفظها عمر؟ وآيةُ الكرسي التي يترنَّمُ بها كلُّ مسلم، هل يُعقَل أنْ يقرأ فيها عمر «الحيُّ القيَّام» بدلًا من ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾؟

تاسعًا: اقتباسٌ سيِّئ

- وعن أبي موسى الأشعري أنَّه قال: كُنَّا نقرأُ سُورةً نُشبِّهُها بإحدى المُسبَّحات، فأُنْسيتُها، غير أنِّي حفظْتُ منها: «يا أيُّها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفْعلون، فتُكتَبُ شهادةٌ في أعناقِكُم، فتُسألونَ عنها يومَ القيامة»[3]!

ومن الواضِحِ أنَّ الآيةَ المزْعومة مقتبسةٌ ومُحرَّفة بشكلٍ سيِّئ من سورةِ الصَّف، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

عاشرًا: اقتباسٌ مُركَّب

- وعن مسْلمة بن مُخْلد الأنصاري أنَّ ثمَّة آيتين في القرآنِ لم يُكتبا في المُصْحف، وهما على ما نُسِبَ له: «إنَّ الذينَ آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيلِ الله بأموالِهم وأنْفُسِهِم، ألا أبْشِروا أنْتُم المُفْلحون. والذينَ آووهم ونصَرُوهم وجادلوا عنهم القومَ الذين غضِبَ اللهُ عليهم، أولئكَ لا تعلَمُ نفْسٌ ما أُخفيَ لهم من قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءُ بما كانوا يعمَلُون»[5].

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص290 ـ 291. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط من القرآن، ح1، ص162.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص292 ـ 295. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط من القرآن، ح27، ص168.

(3) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص71.

(4) سورة الصف، الآيتان: 2 ـ 3.

(5) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص71 ـ 72.

ومن الواضِحِ أنَّ الآيتين المزعومتين مقتبستان بشكلٍ مُركَّب وسيِّئ من أكثر من آيةٍ من القرآن. فتجدُ صدرَها في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾(1).

كما تجدُ ذيلَها في قولِهِ تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(2).

الحادي عشر: مزيدات أخرى

- ثمَّةُ روايات عن فُروقٍ ليست بقليلة بين القرآن الذي بأيدينا مع مُصْحَفِ عبدَ اللهِ بن مسعود(3).

ويبدو أنَّها مختلقة على عبدِ الله بن مسعود، لأنَّا سنرى لاحقًا أنَّ عدَمَ تسليمهِ لمُصْحَفِهِ، فتحَ بابًا لكثيرين كي ينْسبوا له ما شاؤوا، ويزْعُموا أنَّ في مُصْحفَهِ كذا وكذا.

- وثمَّةُ روايات أنَّ عبد الله بنَ عباس كان يقرأ «فلا جُناحَ عليهِ أنْ «لا» يطوَّفَ بهِما»! وأنَّه كان يقرأ «ليسَ عليكُم جُناحٌ أنْ تبتغوا فضْلًا من ربِّكُم «في مواسِمِ الحج»! وأنَّه كان يقرأ «وأقيموا الحجَّ والعُمْرةَ «للبيْت»!، وأنَّه كان يقرأ «فما استمْتَعْتُم به منهُنَّ «إلى أجلٍ مُسمَّى»! وأنَّه كان يقرأ «إذا جاءَ فتْحُ اللهِ والنَّصْر»(4)!

وبعضُ هذه الموارد، يمكنُ فهمُها على أنَّه خلْطٌ بَدْويٌّ بين النصِّ الأصلي للقرآن وبعض التفسيرات والشُّروح التي كان يكتُبُها بعض أصحاب

(1) سورة الأنفال، الآية: 72.
(2) سورة السجدة، الآيتان: 16 ـ 17.
(3) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص298 ـ 345.
(4) وموارد أخرى أيضًا ابن أبي داود، **المصاحف**، ص345 ـ 369.

النبيِّ في مصَحفِهِ، دون أقواس متعارفة اليوم، اعتمادًا على قُدْرَتِهِم التامة على التَّمييز بين النصِّ وتفسيرِهِ. وبعضٌ آخر من هذه الموارد، مختلقٌ بلا أدنى شكٍّ.

- وثمَّةُ روايات أنَّ عبد الله بنَ الزُّبير كان يقرأ «لا جُناحَ عليكم أنْ تبتغوا فضْلًا من ربّكُم «في مواسِمِ الحج»!، وأنَّه كان يقرأ «في جنَّاتٍ يتساءَلون: «يا فُلان» ما سلَكَكَ في سَقَر»؟ وأنَّه كان يقرأ «ولتكُن منكُم أمةٌ يدْعونَ إلى الخيرِ ويأمُرونَ بالمعروفِ وينْهَونَ عن المُنْكرِ «ويستعينُونَ اللهَ على ما أصابَهُم»!![1]

هذه الموارد، يمكنُ فهمُها ـ كما أشرْتُ ـ في إطار الخلط بين النصِّ الأصلي للقرآن وبعض التفسيرات والشُّروح التي كان يكتُبُها بعض أصحاب النبيِّ في مصَحفِهِ، اعتمادًا على قُدْرَتِهِم على التَّمييز بين النصِّ وتفسيرِهِ.

- وثارَ جدَلٌ بين بعض أصحاب النَّبي والتَّابعين حولَ آية ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[2]، فقرأ بعضُهُم «أو نَنْساها»، وقرأ آخرون «ننسَأْها».[3]

وهذا المورد يمكن فهمُهُ في إطارِ اختلاف القراءات، التي كان من أسباب نُشوئِها اختلاف لهجات العرب في أداءِ بعض الكلمات، كما سأشْرَح ذلك مفصَّلًا.

- وأخرجَ السُّيوطي عن عبد الله بن عمر قولُهُ: لا يقولنَّ أحدُكُم قد أخذْتُ القرآنَ كلَّهُ، ما يُدريهِ ما كُلّهُ، قد ذهبَ منه قرآنٌ كثير، ولكن ليقُل قد أخذْتُ منه ما ظهَرَ منه[4].

وهذا قولٌ مردودٌ لا يمكنُ قبولُهُ، سواءٌ صدَرَ من عبدِ الله بنِ عمر، أو نُسِبَ إليه كذِبًا وافتراءً .

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص369 ـ 374.
(2) سورة البقرة، الآية: 106.
(3) انظر ابن أبي داود، **المصاحف**، ص415 ـ 418.
(4) السُّيوطي، **الدر المنثور**، ج1، ص106، في تفسير ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾. السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص69. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب ذكر ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، ح1، ص190.

ادِّعاءات منسوبة لأزواجِ النَّبي!

أولًا: آية الرَّضعات المزعومة

أخرَجَ مالك في الموطأ ومسلم في صحيحِهِ والتِّرْمذي في سُنَنِهِ عن عائشة قالت: كانت فيما أُنزِلَ من القرآن «عشْرُ رضَعاتٍ معلوماتٍ يُحرِّمْنَ»، ثمَّ نُسِخْنَ بـ «خمْسٍ معلومات»، **فتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهنَّ فيما يُقرأُ من القرآن**[1].

وقالَ الزيعلي في الهامش تعليقًا على روايةِ مُسْلم: «لا حُجَّةَ في هذا الحديث، لأنَّ عائشةَ أحالَتْها على أنَّه قرآن، وقالت: «ولقد كان في صحيفةٍ تحتَ سريري، فلمَّا ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وتشاغَلْنا بموتِهِ، دخَلَ داجِنٌ البيتَ (= الذي يُربى في البيتِ ولا يُترَك للمرعى) فأكلَها! قال: وقد ثبَتَ أنَّه ليسَ من القرآنِ لعدَمِ التواتُر، ولا تحِلُّ القراءةُ به، ولا إثباتُهُ في المُصْحف، ولأنَّه لو كان قرآنًا لكان متْلُوًا اليوم...».

ومسألةُ أكل الدَّاجن لشيءٍ من القرآن، رواها ابن ماجة عن عائشة: «لقد نزَلَت آيةُ الرَّجمِ ورضاعةُ الكبيرِ عشْرًا، ولقد كانت تحتَ سريري، فلمَّا ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ، وتشاغلْنا بموتِهِ، دخلَ داجنٌ فأكلها»[2]!

قلتُ سابقًا إنَّ الإضافات في بعضِ هذه الرِّوايات يمكن حمْلُها على أنَّها تفسير للقرآن. **لكن آية الرَّضعات المزعومة (وأمثالُها) لا يمكن حمْلُها حتى على نسْخِ التلاوة، لأنَّ الرواية تنْسب إلى عائشة أنَّها ادَّعت أنَّ النبيَّ ﷺ قد تُوُفِّي «وهنَّ فيما يُقرأُ من القرآن»**.

مثلُ هذه الرِّوايات تتطَّلبُ تفسيرًا. لأنَّ مثل هذه الآيات المزعومة لو كانت تُقرأ في حياةِ النَّبي ﷺ، لشاعت وراجت بين الناس، وبحسابِ الاحتمالات لا يُعقَل أنْ ينْساها الجميع إلا فلان، أو لا توجد مكتوبة إلا في صحيفةٍ تحتَ سرير فلانة، إلى غيرِ ذلك من الرِّوايات غير القابلة للتَّصديق.

(1) مالك، **الموطأ**، كتاب الرِّضاع، كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات... **صحيح مسلم**، كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات. **سنن الترمذي**، كتاب الرضاع، باب لا تُحرِّم المصَّة والمصَّتان.

(2) **سنن ابن ماجة**، كتاب النكاح، لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرًا.

ويبدو أنَّ أرجَحَ التَّفاسير هو أنَّ كلَّ أو أغلَبَ هذه الرِّوايات مختلقة، تستهدِفُ التَّهويلَ من الاختلافاتِ بين معاصري النَّبي ﷺ بشأنِ القرآن، حتى يدُبَّ الشكُّ في قلْبِ من يسْمَعُها. وجاءَت إما في إطارِ الخلافات السِّياسية أو الشَّخصية بينهم، أو في إطار الحرْب النَّفْسية والإشاعات بين أتْباعِهِم، أو روَّجَها بعضُ اليهودِ والنَّصارى والملاحدة والزَّنادقة، ثمَّ تلقَّفَها فيما بعد المُسْتشرقون.

كتَبَ ابنُ حزْم الأندلُسي[1]: وقد غلَطَ القومُ غلَطًا شديدًا، وأتوا بأخبارٍ ولَّدَها الكاذبونَ والمُلْحِدون، منها أنَّ الدَّاجِنَ أكلَ صحيفةً فيها آية متلُوَّة، فذهبَت البتَّة. . . . وهذا كلُّهُ ضلال، **نعوذُ باللهِ منه ومن اعتقادِهِ**. وأما الذي لا يحِلُّ اعتقادٌ سواه، فهو قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2]. فمنْ شكَّ في هذا فقد كَفَر، ولقد أساءَ الثَّناءَ على أُمَّهاتِ المؤمنين ووصفَهُنَّ بتضييعِ ما يُتلى في بُيوتِهِنَّ، حتى تأكُلَهُ الشَّاة فيتْلَف.

مع أنَّ هذا كذبٌ ظاهرٌ ومحالٌ وممتَنِع، لأنَّ الذي أكَلَ الدَّاجِنَ لا يخلو من أحدِ وجهين: إما أنْ يكونَ رسولُ الله ﷺ حافظًا له، أو كانَ قد أُنْسِيهِ. فإنْ كان في حفْظِهِ، فسواءٌ أكلَ الدَّاجنُ الصَّحيفةَ أو ترَكَها. وإنْ كانَ أُنْسِيهِ، فسواءٌ أكلَهُ الدَّاجنُ أو تركَهُ قد رُفِعَ من القرآن، فلا يحِلُّ إثباتُهُ فيه. كما قالَ تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]. فنَصَّ تعالى على أنَّه لا ينْسى أصلًا شيئًا من القرآن، إلا ما أرادَ اللهُ تعالى رفعَهُ بإنْسائِهِ.

فصحَّ أن حديثَ الدَّاجن إفْكٌ وكذبٌ وفريةٌ، ولعنَ اللهُ من جوَّزَ هذا أو صدَّقَ به، بل كلُّ ما رفعَهُ اللهُ تعالى من القرآنِ فإنَّما رفعَهُ في حياةِ نبيِّهِ ﷺ قاصدًا إلى رفعِهِ، ناهيًا عن تلاوتِهِ إنْ كان غير منْسي، أو ممحوًّا من الصُّدورِ كلِّها.

ولا سبيلَ إلى كونِ شيءٍ من ذلكَ بعد موتِ رسولِ الله ﷺ، ولا يُجيزُ هذا مُسْلم، لأنَّه تكذيبٌ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. ولكانَ ذلك أيضًا تكذيبًا لقولِهِ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4]. ولكانَ ما

---

(1) (456 هـ/ 1064م).

(2) سورة الحجر، الآية: 9.

(3) سورة الأعلى، الآيتان: 6 ـ 7.

(4) سورة المائدة، الآية: 3.

يُرفَع منه بعد موتِ رسولِ الله ﷺ خرْمًا في الدِّين، ونقْصًا منه، وإبطالًا للكمالِ المضْمون. ولكانَ ذلك مُبْطلًا لهذه الفضيلة التي خُصِصْنا بها، والفضائلُ لا تُنْسَخ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين»[1].

ثانيًا: ادِّعاءات أخرى

- ثمَّة روايات أنَّ حفْصةَ ـ وكذا أُمُّ سلَمة ـ كانت تُملي عليهِم الآية هكذا «حافظوا على الصَّلواتِ والصَّلاةِ الوسْطى «وصلاةِ العصْر» وقوموا للهِ قانتين»[2].
- وثمَّة روايات أنَّ عائشةَ كانت تقرأ «حافظوا على الصَّلواتِ والصَّلاةِ الوسطى «وصلاةِ العصْر» وقوموا للهِ قانتين»! وتقول إنَّا هكذا كُنَّا نقرَؤُها على عهدِ النَّبي ﷺ، وأنَّه كان في مُصْحَفِها «إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصلُّونَ على النبيِّ «والذينَ يُصلُّونَ في الصُّفُوفِ الأُوَل»[3]!
- وأخرج السُّيوطي عن عائشة أنَّها قالت: كانت سورةُ الأحزاب تُقرأ في زمانِ النَّبي ﷺ مئتي آية، فلمَّا كتَبَ عثمانُ المصاحفَ، لم يقدر منها إلا على ما هو الآن[4].

مزايدات بين التَّابعين!

- في المصاحفِ لابن أبي داود عن أبي قلابة: «حتى كفَرَ بعْضُهُم بقراءةِ بعض. وعن سويد: فقد بلَغَني أنَّ بعضَهُم يقول: إنَّ قراءتي خيرٌ من قراءَتِكَ، وهذا يكادُ أنْ يكونَ كُفْرًا»[5].

---

(1) ابن حزم الأندلُسي، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج4 ـ ص77 ـ 78.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص381 ـ 389. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط من القرآن، ح12، ص165.

(3) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص375 ـ 381. . انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط من القرآن، ح15، ص165 ـ 166.

(4) السُّيوطي، **الدر المنثور**، ج5، ص180. السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، النوع السابع والأربعون، ص69. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب ذكر ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، ح2، ص190.

(5) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص207.

- وفي موضعٍ آخر: كانَ الرَّجُلُ يقرأ حتى يقولَ الرَّجُلُ لصاحبِهِ: كفرْتُ بما تقول، فرُفِعَ ذلكَ إلى عثمان، فتعاظَمَ ذلكَ في نفْسِهِ[1].
- أيضًا الفُرُوق في مصاحفِ التَّابعين، مثل: عُبيدُ بنُ عُمير اللَّيْثي، وعطاء بن أبي رباح، وعِكْرمة مولى ابن عباس، وأبو الحجَّاج مُجاهد، وسعيدُ بنُ جُبير، والأسودُ بنُ يزيد وعلْقمة بنُ قيس النَّخْعيَّين، ومحمَّد بن أبي موسى (شامي)، وحطَّانُ بنُ عبد الله الرقاشي (بصْري)، وصالحُ بن كَيْسان (مدَني)، وطلْحةُ بنُ مصْرف الأيامي، وبنو أيَّام من همْدان (كوفي)، وسُليمانُ بنُ مهران الأعمش (كوفي)[2].
- وأطلق بعض التابعين دعاوى بأنَّ لديهم من القرآن ما هو غير موجود لدى الآخرين، وأنَّ النَّبي ﷺ كان يقرأ «مَلِكِ يومِ الدِّين» وليس «مالِكِ يومِ الدِّين» أو بالعكس[3].
- كما سمحَت الآليَّة التي رووا أنَّ أبا بكر قد اعتمدَها لعملِ اللَّجنة بالتَّشكيكِ في سلامةِ النصِّ القرآني. لذا تجدُ بعضَ المُسْتشرقين يتشبَّثُونَ ببعضِ الروايات، كالرِّوايةِ الضَّعيفةِ التالية المرْويَّة عن عبَّادِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبير قال: أتى الحارثُ بنُ خُزيمة بهاتينِ الآيتين من آخرِ سورة براءة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى قولِهِ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4] إلى عُمَر، فقال: من معَكُم على هذا؟ قال: لا أدري والله، إلا أنِّي أشْهَدُ أنِّي سمِعْتُها من رسولِ اللهِ ﷺ ووعيتُها وحفِظْتُها، فقال عمر: وأنا أشْهَدُ لسمِعْتُها من رسولِ الله ﷺ، ثمَّ قال: لو كانت ثلاث آيات، لجعلْتُها سُورةً على حِدَة!! فانْظُروا سُورةً من القرآنِ فألْحِقُوهُما بها، فألحَقْتُها في آخرِ سورة براءة[5].

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص213.
(2) المصدر السابق نفسه، ص389 ـ 396.
(3) انظُر الرِّوايات المتعارضة في ذلكَ في كتابِ «**المصاحف**»، لابن أبي داود، ص396 ـ 411.
(4) سورة التوبة، الآيتان: 128 ـ 129.
(5) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص222 ـ 223.

الطَّريف أنَّكَ تجد في روايةٍ أخرى أنَّ الآتي بهاتينِ الآيتين هو خُزيمة بنُ ثابت، وليس الحارثُ بنُ خُزيمة (كما أشرْنا)، كما تجد أنَّ الخليفةَ الذي جاؤوا إليهِ بهاتينِ الآيتين هو عثمان وليس عُمَر[1].

تعليقًا على هذه الرِّواية، «قالَ ابنُ حجَر: ظاهرُ هذا أنَّهُم كانوا يُؤلِّفونَ آيات السُّوَر باجتهادِهِم، وسائرُ الأخبار تدُلُّ على أنَّهم لم يفعلوا شيئًا من ذلكَ إلا بتوقيف»[2].

وكتَبَ الشَّيخ أحمد شاكر في تعليقِهِ على المُسْند[3]: «وأما حديثُ عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير الذي هنا؛ فإنَّه حديثٌ منكرٌ شاذ، مخالفٌ للمتواترِ المعلوم من الدِّينِ بالضَّرورةِ: أنَّ القرآنَ بلَّغَهُ رسولُ اللهِ ﷺ لأُمَّتِهِ سُوَرًا معروفةً مُفصَّلة، يفْصِلُ بين كلِّ سورتينِ منها بالبسْملة؛ إلا في أوَّلِ براءة، ليس لعُمَر ولا لغيرِهِ أنْ يُرتِّب فيه شيئًا، ولا أنْ يضَعَ آيةً مكانَ آية، ولا أنْ يجْمَعَ آيات وحدَها فيجْعَلُها سُورةً، ومعاذَ اللهِ أنْ يجولَ شيءٌ من هذا في خاطِرِ عمر. ثمَّ من هذا الذي يقولُ في هذه الرِّواية هنا: «فوَضَعَها في آخِرِ براءة»، وفي روايةِ ابن أبي داود: «فألحَقْتُها في آخِرِ براءة»؟! أهو الحارثُ بن خُزيمة؟ لا، فإنَّه لم يكن ممَّن عُهِدَ إليهِ بجمْعِ القرآن في المُصْحف، أهو عُمَر؟ فالسِّياقُ ينْفيهِ؛ لأنَّ هذه الرِّواية تزْعُمُ أنَّه أمَرَ بوضْعِها في براءة، فهو غيرُ الذي نفَّذَ الأمر. أم هو الرَّاوي عبَّاد بنُ عبد الله بن الزُّبير؟ لا، إنَّه متأخِّرٌ جدًّا عن أنْ يُدْرِكَ ذلك، حتى لقد قال العجْلي: «وأما روايَتُهُ عن عُمرِ بن الخطَّاب، فمُرْسلةٌ بلا تردُّد»[4].

القرآن عند مقتل عمر:

يبدو أنَّ عمَل اللَّجنة التي شكَّلها أبو بكر، واستمرَّت في عملِها، لم يكتَمِل في زمنِ خلافة عُمَر. ففي روايةٍ تتحدَّث عن عُمَر: «فقُتِلَ وهو يجْمَعُ ذلك»[5].

(1) راجع، ابن أبي داود، **المصاحف**، ص162 ـ 163، أيضًا 224 ـ 225.
(2) السُّيوطي، **الإتقان**، النوع الثامن عشر، ج1، ص173.
(3) ج3، ص164.
(4) نقلًا عن حاشيةِ كتاب ابن أبي داود، **المصاحف**، ص222.
(5) المصدر السابق نفسه، ص224.

بل إنَّ عمَلَ هذه اللَّجنة لم يرَ النورَ أبدًا؛ فقد روى البخاري عن زيدِ بن ثابت: «وكانت الصُّحُفُ (التي جُمِعَ فيها القرآن) عندَ أبي بكر حتى توفَّاهُ الله، ثمَّ عندَ عُمَرَ حياتَهُ، ثمَّ عندَ حفْصة بنْتِ عُمَر»(1).

وروى ابنُ أبي داود عن زيدِ بن ثابت: «فكانت الصُّحُفُ عندَ أبي بكر حتى ماتَ، ثمَّ عندَ عمر حتى ماتَ، ثمَّ عندَ حفْصة»(2).

وهنا ثمَّة سُؤال حولَ مبرَّرات انتقال هذه النُّسْخة إلى حفْصة، وعدَمُ انتقالِها إلى عثمان؟ فبعدَ انتقالِها من أبي بكرٍ إلى عُمَر، من الطَّبيعي أنْ تنتقل بعدَ ذلكَ إلى عثمان. فهل استأثَرَت حفصة بالنُّسْخة؟ أم إنَّ دورَ أبي بكر وعمر في جمْع القرآن افتعلَهُ الرُّواة بالأساس، حتى يُصوَّر عثمان وكأنَّه قد بدأ من حيثُ انتهى الشَّيخان؟! أم إنَّ جمْع أبي بكر وعمر كان مجرَّد أرشَفة احتياطية للقرآن ولم يبْغيا تدوين نُسْخة مرجعية للمُسْلمين؟

لا أدري. لكن يبدو أنَّ الاحتمالَ الأخير هو الأرجح.

على أيِّ حال، فإنَّ نُسْخةَ حفْصة تمَّ الاستفادة منْها في كتابةِ النُّسْخة الأم في عهدِ عثمان؛ فقد روى البخاري: «فأرْسَلَ عثمانُ إلى حفْصةَ، أنْ أرْسِلِي إلينا بالصُّحُفِ ننْسَخُها في المصاحفِ ثمَّ نرُدُّها إليكِ، فأرْسَلَت بها حفْصة إلى عثمان. . . .حتى إذا نسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحِفِ، ردَّ عثمانُ الصُّحُفَ إلى حفْصة»(3).

لكن ما مصير النُّسْخة التي انتهَت إلى حفْصة؟ ما الذي جرى بعدَ الانتهاء من كتابةِ نُسْخةٍ مرجعية من القرآن في عهْدِ عثمان، ثمَّ استنساخ نُسَخ أخرى ومصادرة مصاحف الصَّحابة؟

ثمَّة روايات مفادُها أنَّ مروانَ بن الحكم - في زمنِ خلافةِ عثمان - طلَبَ نُسْخةَ حفْصة، فرفَضَت تسليمَها له، فطلَبَها بعدَ وفاتِها ومارسَ ضُغُوطًا على

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.
(2) ابن أبي داود، المصاحف، ص149، وفي رواية مثله تقريبًا ص154.
(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

أخيها عبد الله، فسلَّمَها له، فحَرَقَها![1] هذه الرِّوايات تُبرِّر ذلكَ بأنَّه حرَقَها مخافةَ أنْ يكونَ في شيءٍ من ذلكَ اختلاف لما نَسَخَ عثمان.

أيضًا توجد رواية أخرى تقول: «فأَمَرَ بها فشُقِّقَت، فقالَ مروان: إنَّما فعلْتُ هذا، لأنَّ ما فيها قد كُتِبَ وحُفِظَ بالمُصْحف، فخشيتُ إنْ طالَ بالناسِ زمانٌ أنْ يرتابَ في شأنِ هذه الصُّحُف مرتابٌ، أو يقول: إنَّه قد كان شيءٌ منها لم يُكْتُب[2].

ويبدو أنَّ الدَّافعَ لمروان أمران:

الأوَّل: دعم خُطوة عثمان، بحيث تكون نُسْخَتُهُ هي النُّسْخة المرجعية، وهذا هو السَّبَبُ المُصرَّح به.

الثاني: الخوفُ من أنْ يكون في مصاحِفِ بعض أصحاب النَّبي وأُمَّهات المؤمنين بعض التَّفاسير المُرْفقة بالقرآن التي تُظْهِر أسماءَ منافقين أو تفْضَح تفاصيل معيَّنة أشارَ إليها القرآنُ تلويحًا، ووضَّحَها التفسيرُ تصريحًا.

حديث السَّبْعة أحرف:

كما يبدو أنَّ الحديثَ المنسوب للنَّبي محمَّد ﷺ القائل إنَّ القرآنَ نزَلَ على سبعةِ أحرُف، راجَ بعد ذلك لتبرير تلكَ المزايدات المنسوبة لأصحابِ النَّبي وأزواجِهِ والتَّابعين، حتى تظهر على أنَّها قد استَقَت شرعيَّتَها من النبيِّ ﷺ!

- أخرَجَ البخاري ومسلم عن ابنِ عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: اقرأني جبريلُ على حرْفٍ، فراجعتُهُ، فلم أزَلْ استزيدُهُ ويَزيدُني حتى انتهى إلى سبْعةِ أحرُف[3].

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص156، أيضًا ص204.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 212. لاحظ أيضًا أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح10، ح11، ص156.

(3) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. **صحيح مسلم**، كتاب فضائل القرآن، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

- ورُويَ أيضًا عن عروةِ بن الزُّبير أنَّ المِسْور بن مخرَمة وعبد الرَّحمن بن عبد القارئ حدَّثناه: أنَّهُما سمعا عمرَ بنَ الخطاب يقول: سمِعْتُ هشامَ ابن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان في حياةِ رسولِ الله ﷺ، فاستَمَعْتُ لقراءتِهِ، فإذا هو يقرأ على حُرُوفٍ كثيرة لم يُقرِئْنيها رسولُ الله ﷺ، فكِدْتُ أساوِرُهُ في الصَّلاة، فتصبَّرتُ حتى سلَّم، فلبَّبْتُهُ بردائِهِ فقُلْتُ: من أقرأَكَ هذه السُّورة التي سمِعْتُك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فانطلَقْتُ به أقودُهُ إلى رسولِ الله ﷺ، فقُلْتُ: إنِّي سمِعْتُ هذا يقرأ بسُورةِ الفرقان على حُرُوفٍ لم تُقرِئْنيها، فقالَ رسولُ الله ﷺ: أرسِلْهُ، اقرأ يا هشام، فقرأَ عليه القراءةَ التي سمِعتُهُ يقرأ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: كذلك أُنزِلَت، ثمَّ قال: اقرأ يا عُمَر، فقرأتُ القراءةَ التي أقرأني، فقالَ رسولُ الله ﷺ: كذلك أُنزِلَت، إنَّ هذا القرآن أُنزِلَ على سبْعةِ أحرُف، فاقرؤا ما تيسَّرَ منه(1).

إذن هذا الحديث شاعَ ـ على ما يبدو ـ لتبريرِ القُصُور الذي شابَ عمَل اللَّجنة في هذه المرحلة، وتسويغِ حالة الانفلات، حتى كادَ الأمرُ أنْ يخرُجَ عن السَّيطرة. خصوصًا إذا عرَفْنا أنَّ هشامَ بن حكيم بن حزام وعمرَ بن الخطاب كلاهما قرشيَّان، والقرآنُ ـ كما هو معروف ـ نزَلَ بلسانِ قريش، فعلامَ الاختلاف إذن؟

وإلا لو كان الحديثُ المنْسوب لعُمَر صحيحًا، لما صحَّ عمَل عثمان بعد ذلك في توحيدِ نُسَخ القرآن وفق قراءة واحدة، بنسخةٍ مرجعيةٍ واحدة يتِمُّ استنساخ بقية النُّسَخ منها، وإحراق النُّسَخ الأخرى. فما قامَ به عثمان بعد ذلك شاهدٌ على عدَمِ صحَّة هذا الحديث، وإلا كيف يحظُرُ عليهم التوسُّع في الحُرُوفِ طالما هو مُباحٌ ـ حسَب الحديث ـ في زَمنِ النَّبي ﷺ والشَّيخين؟!

يبدو أنَّ أصْلَ الحديث المنْسوب لعُمَر، هي حادثة وقعَت بين أُبيٍّ بن

(1) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. **صحيح مسلم**، كتاب فضائل القرآن، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن بلغته، ح1، ص200.

كعب (وهو من الخزْرج) ورجُلٍ ربَّما كان من أعرابِ البادية أو من قبيلةٍ تختلفُ لهجَتُها عن لهجةِ قريش أو الخزْرج، فأُريدَ توسيع دلالة حديث الأحرُف السَّبْعة من التَّسهيلِ على القبائل المختلفة في لهجاتِها، إلى الاختلافاتِ الناشئة عن تلك المزايدات (المنسوبة إلى أصحابِ النَّبي وأزواجِهِ والتَّابعين) أو الناشئة عن قُصُورٍ في رسْمِ المصاحف (كما سأشْرَح لاحقًا).

فقد روى أبو عبيد عن أنس بن مالك عن أُبيٍّ بن كعب قال: ما حكَّ في صدْري شيءٌ منذُ أسلَمْت، إلا أنِّي قرأتُ آيةً، وقرأها آخر غير قراءتي، فقلْتُ: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، وقال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فأتينا النبيَّ ﷺ فقلْتُ: يا رسولَ الله أقرأتني كذا وكذا؟ قال: نعم، وقالَ الآخر: ألم تُقرئني كذا وكذا؟ قال: نعم، فقال: إنَّ جبرائيلَ وميكائيلَ أتياني، فقعَدَ جبرائيلُ عن يميني، وميكائيلُ عن يساري، فقالَ جبرائيل: اقرأ القرآنَ على حرْفٍ، فقالَ ميكائيل: استزِدْهُ، حتى بلَغَ سبْعَةَ أحرُفٍ، كلُّ حرْفٍ شافٍ كافٍ[1].

واحتارَ علماءُ أهل السُّنة كثيرًا في المقْصودِ بالأحرُفِ السَّبْعة، فقد ذَكَرَ السُّيوطي خمسة وثلاثين قولًا في ذلك[2]!

ويمكنُ تلخيص أهمّ الأقوال في اتِّجاهين:

الاتِّجاهُ الأول: ذهَبَ إلى أنَّ عدد السَّبْعة الوارد في الحديثِ لا يُقصَد به الحصْر، حيثُ إنَّ لفْظَ «السَّبْعة» يُطلَقُ على إرادةِ الكثرة في الآحاد.

الاتِّجاه الثاني: ذهَبَ إلى أنَّ المقصود بالسَّبعة الحصْر. لكن اختلفوا في تعيينِ السَّبعة. وأشهَرُ الأقوال في هذا الاتِّجاه ثلاثة:

1. أنَّها سبْعُ لُغات (لهجات) من لُغاتِ العرب.
2. أنَّها سبعةُ ألفاظ مختلفة في النُّطْق متَّفقة في المعنى .

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن بلغته، ح4، ص201.

(2) راجع السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، ص130 ـ 141. أيضًا راجع الزَّركشي، **البرهان**، النوع الحادي عشر، ص148 ـ 159.

3. أنَّها هي سبعة وجوه من وجوهِ القراءات.

وسنرى لاحقًا أنَّ كثيرًا من الناس خلطوا بين القراءاتِ السَّبْع ونُزُول القرآن على أحْرُفٍ سبْعة.

في المقابل، ورَدَ من طُرُقِ الشِّيعة:

- عن زُرارة عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام: **إنَّ القرآنَ واحدٌ نزَلَ من عندِ واحد، ولكن الاختلافُ يجيءُ من قِبَلِ الرُّواة**[1].
- وعن الفُضيلِ بنِ يسار قال: قُلْتُ لأبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام): **إنَّ الناسَ يقولون: «إنَّ القرآنَ نزَلَ على سبْعةِ أُحُرف»، فقال: كذبوا أعداءَ الله، ولكنَّه نزَلَ على حرْفٍ واحدٍ من عندِ الواحد**[2].

فالتسامُح في اختلافِ القراءات (ولو لم يكن منشؤه اختلاف لهجات العرب) يشبهُ كثيرًا الموقفَ الفقهي لمدرسة الرَّأي والاجتهاد عند أهلِ السُّنة، المعروف بمسْلكِ «التصويب».

- لكن في المقابل، ورَدَ أيضًا من طُرُقِ الشِّيعة (في كتاب **الخصال**) عن أئمةِ أهل البيت أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: أتاني آتٍ من الله، فقالَ إنَّ اللهَ عزَّ وجل يأمُرُكَ أنْ تقرأَ القرآنَ على حرْفٍ واحدٍ، فقلْتُ يا ربِّ وسِّع على أُمَّتي، فقالَ إنَّ الله عزَّ وجل يأمُرُكَ أنْ تقرأَ القرآنَ على حرْفٍ واحدٍ،

---

(1) الكليني، **أصول الكافي**، ج1، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح12.

(2) المصدر السابق نفسه، ج1، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح13. فهذا المسْلَكُ يرى أنَّ كلَّ مجتهدٍ مصيب، لأنَّ اللهَ ليس له حكْمٌ ثابتٌ عام في مجالاتِ الاجتهاد التي لا يتوفَّر فيها نصٌّ. فالعقلُ، وفقًا لهذا المسلك (الذي يرى أنَّ البيانَ الشَّرعي المتمثِّل في الكتاب والسُّنَّة قاصرٌ لا يشتمل إلا على أحكامِ قضايا محدودة)، ليس مجرَّد وسيلة إثبات، للكشْفِ عن واقعِ الكتاب أو السُّنَّة، بل صارَ مصدَرًا للتَّشريعِ في مجالاتِ الاجتهاد. في مقابلِ الموقف الفقهي التَّقليدي للشِّيعة، المعروف بمسْلكِ «التخطئة» (الذي يُؤكِّد على اشتمالِ الشَّريعة على كلِّ ما تحتاجُ إليه الإنسانية من أحكامٍ وتنظيم في شتَّى مناحي حياتها). فمسلَكُ التخطئة يرى أنَّ المجتهدين إن اختلفوا في آرائِهم، فالرَّأيُ الفقهيُّ الصَّائب واحدٌ من تلكَ الآراء، وإنْ كان البقيةُ معذورين في اشتباهِهم طالما لم يُقصِّروا في مقدِّماتِ الاجتهاد.

محمد باقر الصدر، **المعالم الجديدة للأصول**، مطبوع ضمن دروس في علم الأصول، ص42 ـ 46.

فقُلْتُ يا ربِّ وسِّع على أُمَّتي، فقالَ إنَّ اللهَ عزَّ وجل يأمُرُكَ أنْ تقرأَ القرآنَ على حرْفٍ واحدٍ، فقُلْتُ يا ربِّ وسِّع على أُمَّتي، فقالَ إنَّ اللهَ يأمُرُكَ أنْ تقرأَ القرآنَ على سبْعةِ أَحْرُفٍ[1].

مع ذلك، لم يذهب عُلماء الشِّيعة إلى ما ذهَبَ إليه علماءُ أهل السُّنة؛ فأكثرُ علماء الشِّيعة يُؤكِّد على «أنَّ نُزُولَ القرآن على سبْعةِ أحْرُفٍ لا يرجِعُ إلى معنًى صحيح، فلا بدَّ من طرْحِ الرِّوايات الدَّالة عليه، ولا سيَّما بعدَ أنْ دلَّت أحاديثُ الصَّادقين عليهم السلام على تكذيبِها، وأنَّ القرآنَ إنَّما نزَلَ على حرْفٍ واحدٍ، وأنَّ الاختلافَ قد جاءَ من قِبَلِ الرُّواة»[2]. «وعلى تقديرِ الصحَّة، فلها معنًى آخر، إذْ لا يُحتَمَل تطبيقُها على هذه القراءات السَّبْع المستحدثة المتأخِّر أصحابُها عن عصْرِ النَّبي صلى الله عليه وآله»[3].

وحاولَ بعضُ علماء الشِّيعة إيجاد تفسير عرفاني لذلك على أساسِ اختلاف مراتب تنزُّل الوحي على الأنبياء، فقال: «تلكَ الحقيقةُ الغيبيةُ والسَّريرةُ القُدْسيةُ التي شُوهِدَت في الحضْرةِ العِلْمية والأقلام والألواحِ العالية، تنْزِلُ إلى قُلُوبِهِم المباركة، تارةً عن طريقِ غيبِ النَّفْس وسرِّ رُوحِهِم الشَّريف بتوسُّط ملَكِ الوحي وهو جبرائيل، وأخرى يتمثَّل لهم جبرائيل تمثُّلًا مثاليًّا في حضرةِ المثال، وثالثةً يتمثَّلُ تمثلًّا ملَكيًّا، وبتوسُّط تلكَ الحقيقة يظهَرُ عن مكمنِ الغيب إلى مشْهدِ عالَمِ الشَّهادة، ويتنزَّلُ بتلكَ اللَّطيفةُ الإلهية، وصاحبُ الوحي يُدْرِكُها ويُشاهِدُها في كلِّ نشأةٍ على طور: ففي الحضْرةِ العِلْميةِ على طور، وفي حضراتِ الألواحِ على طور، وفي حضرةِ المثالِ على طور، وفي الحسِّ المشْتركِ على طور، وفي الشَّهادةِ المطلقةِ على طور. وهذه سبْعةُ مراتب من التنزُّل. ولعلَّ نُزُول القرآن على سبْعةِ أحرُف يكونُ إشارةً إلى هذا المعنى. وهذا لا يُنافي ما قالَ عليه السلام: القرآنُ واحدٌ من واحدٍ، كما هو معلوم»[4].

---

(1) البروجردي، **جامع أحاديث الشيعة**، ج19، كتاب القرآن، باب ما ورد في تعلم القرآن بالعربية وقراءته، ح4، ص55.

(2) أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، ص193.

(3) أبو القاسم الخوئي، **مستند العروة الوثقى**، كتاب الصلاة، ج3، ص474.

(4) الإمام الخميني، **الآداب المعنوية للصلاة**، ص492.

ورغم عُمق هذا التوجيه العرفاني، إلا أنَّه لا ينْسجم مع ظاهر الحديثِ الوارد في **الخصال**، الذي يُفهَمُ منه أنَّ الأحرُفَ السَّبْعة استهدفت التوسعة على الأمةِ بعدَ أنْ طلَبَ النبيُّ ﷺ ذلكَ بإلحاح.

يبدو أنَّ نُزُولَ القرآن على الأحْرُفِ السَّبْعة ـ على تقديرِ صحَّة الحديث ـ هو من التَّيسير على الأمةِ الإسلامية كلِّها، خصوصًا الأمة العربية، التي شُوفِهَت بالقرآن، فإنَّها كانت قبائل كثيرة، وكان بينها اختلافٌ في اللَّهجاتِ ونبراتِ الأصواتِ وطريقةِ الأداء. فهناك لهجةُ قريش، وهُذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن، وهي أشْهَرُ اللَّهجات، ناهيكَ عن لهجاتِ القبائل الأخرى، الأقلّ شُهْرة.

ولو أَخَذَت كلُّها بقراءةِ القرآن بنحوٍ واحدٍ، لشقَّ ذلكَ عليها كما يشُقُّ على «المغربي» أنْ يتكلَّمَ بلهجةِ «العراقي» مثلًا، وإنْ جمَعَ بينهم اللِّسانُ العربيُّ العام. فكيفَ الحالُ لو كان القارئ غيرَ عربيٍّ أصلًا؟ سيكونُ من العسيرِ عليه قراءةَ القرآن بلهجةِ قريش وبنبْرةِ صوتِها وطريقةِ أدائها. فالمطلوبُ هو بذْلُ الوسْع في قراءةِ القرآن على القراءةِ المتواترة الأقرب إلى لهجةِ قريش، مع الأخذِ بالاعتبار قولهُ تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1].

ومن الأمور المُؤيِّدة لافتراضِ أنَّ نُزُولَ القرآن على الأحْرُفِ السَّبْعة ـ على تقديرِ صحَّة الحديث ـ هو من التَّيسير على الأمةِ، ما رواهُ الترمذي في سُنَنِهِ عن أُبيٍّ بن كعب قال: لقِيَ رسولُ الله ﷺ جبريلَ، فقال: يا جبريل إنِّي بُعِثْتُ إلى أمةٍ أميِّين، منهم العجوز والشَّيخ الكبير والغلام والجارية والرَّجُل الذي لم يقرأ كتابًا قط. قال: يا محمَّد، إنَّ القرآنَ أُنزِلَ على سبْعةِ أحرُف. قال التّرمذي: هذا حديثٌ حسَنٌ صحيح، قد ورَدَ عن أُبيٍّ بن كعب من غيرِ وجه[2].

---

(1) سورة البقرة، الآية: 286.

(2) **سنن الترمذي**، كتاب القراءات، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف... انظر قريب منه: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن بلغته، مروي عن حذيفة بن اليمان، ح10، ص202 ـ 203.

وهذا قد يُفسِّرُ الحديثَ المنْسوب للإمام عليٍّ عليه السلام: إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يأمُرُكُم أنْ تقرَؤوا القرآنَ كما عُلِّمتُم[1]، والرِّواية المرْويَّة عن أبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام): اقرأ كما يقرأُ الناس حتى يقومَ القائم، فإذا قامَ القائمُ قرأ كتابَ اللهِ على حدِّهِ[2].

هذا قد يُفسِّرُ كذلك الرِّوايةَ المنْسوبة لابنِ مسعود أنَّه قال: سمعْتُ رجُلًا يقرأُ آيةً، وسمعتُ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله خِلافَها، فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فذكرْتُ ذلكَ له، فعرَفْتُ في وجهِهِ الغضَب، ثمَّ قال: كلاكُما مُحسِنٌ، إنَّ مَنْ قبلَكُم اختلفوا فأهلَكَهُم ذلك[3].

فمن الواضحِ أنَّ الناسَ كانوا يقرؤونَ بلهجاتٍ ونبرات صوت مختلفةٍ حسَبَ مناطِقِهم وأُصولِهم القبَلية أو العِرْقية.

فمثلًا: عُرِفَت ربيعة ومُضَر بـ «الكشْكشَة»، حيثُ يجعلون بعدَ كاف الخطاب في المُؤنَّث شينًا، فيقولُونَ في «رأيتُكِ»: «رأيتُكِش». وعُرِفَت اليمن بـ «الشَّنْشَنة»، حيثُ يجعلونَ الكاف شينًا مُطلقًا، فيقولون في «لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيك»: «لبَّيشَ اللَّهمَّ لبَّيش». وعُرِفَت تميم وقيس بـ «العَنْعَنة»، فيجْعلُونَ الهمزة المبدوء بها عينًا، فيقولونَ في «إنَّك»: «عِنَّك»، وفي «أسْلَم: «عسْلَم». وعُرِفَت هُذيل بـ «الفَحْفَحة»، حيثُ يجعلونَ الحاء عينًا، فيقولونَ في «حلَتْ الحياةُ لكُلِّ حيٍّ»: «علَتْ العياةُ لكلِّ عيٍّ»، وعلى لُغَتِهِم قرأ ابنُ مسعود: «حتَّى حين»: «عتَّى حين». وعُرِفَت سعدُ بن بكر وهُذيل والأزْد وقيس بـ «الاستنطاء»، فيقولون في «أعطى»: «أنْطى». وعلى لُغَتِهِم قُرِئَ شُذوذًا: «إنَّا أنْطيناكَ الكوثر»[4].

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب المراء في القرآن والاختلاف في وجوهه، ح2، ص211. أيضًا: باب عرض القراء للقرآن وما يستحب لهم من أخذه من أهل القرآن، ح11، ص217. ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ص30 ـ 31.

(2) الحرُّ العاملي، **وسائل الشّيعة**، باب 74، من أبواب القراءة في الصلاة، ح1.

(3) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب المراء في القرآن والاختلاف في وجوهه، ح1، ص210 ـ 211.

(4) للتعرُّف أكثر على اختلافِ لهجات قبائل العرب، راجع: مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، ج1، ص140 ـ 161.

هذا الاختلافُ لم يقتصِرْ على النُّطْقِ، بل امتدَّ لبعضِ قواعد النَّحو، كما سنرى في إعراب ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[1]. لذا ثمَّة علاقة وثيقة بين الاختلافاتِ العنيفة التي وقعَت بين المدارسِ النَّحوية (وبالتَّحديد مدرسة الكوفة مع مدرسةِ البصْرة)، والاختلاف في القراءاتِ بين القُرَّاء[2].

كتَبَ ابنُ قتيبة[3]، بعدَ أنْ بيَّنَ أنَّ اللهَ تعالى أمَرَ نبيَّهَ ﷺ بأنْ يُقرئَ كلَّ قوم بلُغَتِهِم وما جرت عليه عادَتُهُم: «فالهُذَليُّ يقرأ: عتَّى حين، يريدُ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾[4]، لأنَّه كان يلْفظ بها ويستعملها. والأسَديُّ يقرأُ تِعلمون وتِعلم و﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[5]، و﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾[6]. والتَّميمي يهمِزُ والقرشيُّ لا يهمِز. والآخر يقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾[7] و﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾[8] بإشمامِ الضَّمِّ مع الكسْر، و﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[9] بإشمامِ الكسْرِ مع الضَّم، و﴿مَا لَكَ

(1) سورة طه، الآية: 63.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الأب الروحي لمدرستي البصرة والكوفة، ثم بعد ذلك صار سيبويه رأس المدرسة البصرية، والكسائي رأس المدرسة الكوفية.
من أبرز رموز المدرسة البصرية: أبو الأسود الدؤلي، أبو عمر بن العلاء، الأخفش الأكبر، الأخفش الأوسط. عرفت هذه المدرسة بترجيح العقل والبحث دائمًا عن القواعد والأصول، وإرجاع الفروع لتلك القواعد والأصول، ووصلوا إلى حد ليس للاستخفاف بالقراء فحسب، بل إلى تخطئة شعراء الجاهلية! كان ربيع هذه المدرسة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، متأثرة بظهور الاعتزال في البصرة، واستمرت إلى منتصف القرن الثاني الهجري.
ومن أبرز رموز المدرسة الكوفية: الكسائي والفراء وثعلب. عرفت هذه المدرسة بالاهتمام بالقراءات والفقه والحديث. كان ربيعها أوائل القرن الثاني الهجري، بعدما انتقل النحو إليها من البصرة، واستمرت إلى أواخر القرن الثالث الهجري.
والخلاصة أن مدرسة البصرة، وعلى رأسها سيبويه، عرفت برد موارد من القراءات المشهورة، بل المتفق عليها بين القراء السبعة، لعدم انسجامها مع ما وضعوه من قواعد للنحو! انظر: د. مهدي المخزومي، **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986، ص337 ـ 348.

(3) (ت 276 هـ).

(4) سورة المؤمنون، الآية: 54.

(5) سورة آل عمران، الآية: 106.

(6) سورة يس، الآية: 60.

(7) سورة البقرة، الآية: 11.

(8) سورة هود، الآية: 44.

(9) سورة يوسف، الآية: 65.

لَا تَأْمَنَّا﴾[1] بإشمامِ الضَّمِّ مع الإدْغام، وهذا ما لا يطوع به كلُّ لسان. . . . ولو أنَّ كلَّ فريقٍ من هؤلاء أُمِرَ أنْ يَزولَ عن لُغتِهِ، وما جرى عليه اعتيادُهُ، طفلًا وناشئًا وكهلًا، لاشتدَّ ذلكَ عليه، وعظُمَت المحنةُ للعادة. فأرادَ اللهُ برحمتِهِ ولُطْفِهِ أنْ يجعَلَ لهم مُتَّسعًا في اللُّغات، ومُتصرَّفًا في الحركات، كتيسيرِهِ عليه في الدِّين..»[2].

وسيتَّضِحُ الأمرُ أكثر في الفصولِ التالية.

الإمام علي عليه السلام يتدارك الأمر:

بعد رفْضِ السُّلطة الجديدة لمُصْحَفِهِ، حاوَلَ الإمامُ علي عليه السلام في هذه المرْحلةِ تدارُكَ الوضْع. وما نفهَمُهُ من تسلْسُل الأحداث، هو أنَّه عليه السلام ـ غيرةً على القرآن ـ «شجَّعَ» بعضَ أصحابِهِ للتَّعاونِ الإيجابي مع هذه اللَّجنة. والهدفُ الأساس من هذا التعاون هو أنْ تكون النُّسْخة الرَّسمية المُدوَّنة من القرآن مطابقة لما أنزَلَ اللهُ تعالى، حتى لو نُسِبَ الفضْلُ في جمْعِ القرآن وتدوينِهِ إلى أبي بكر وعمر أو غيرهما.

ولا بدَّ أنْ أعترفَ بأنِّي لم أجدُ دليلًا صريحًا على هذا «التَّشجيع»، لكن عندَ التَّدقيق في ظروف وملابسات وتسلْسُل الأحداث، وطبيعة علاقة أصحاب الإمام عليّ عليه السلام به، وموقفَهُ عليه السلام فيما بعدَ من جمْعِ عثمان للمُصْحف، يضطرُّني لمثلِ هذا الافتراض[3].

وإليكَ نموذجان من تعاون أصحاب النَّبي ـ ممَّن مالَ مع الإمام علي عليه السلام ـ مع هذه اللَّجنة:

النَّموذجُ الأول: أُبيُّ بن كعب: الذي قامَ بدَوْرِ المُمْلي من مُصْحَفِهِ ـ المُطابق لمُصْحفِ الإمام علي عليه السلام ـ على اللَّجنةِ المُشكَّلة.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 11.

(2) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص29 ـ 30.

(3) في الفصل القادم، عندما أكرر ضرورة مثل هذا الافتراض، سأطرح في الهامش مبررًا معرفيًا لمثل هذا الافتراض.

وتوجَدُ رواية تُؤكِّد أنَّ أُبيَّ بنَ كعب كان هو الذي يُمْلي على اللَّجنة من مُصْحَفِهِ. وهذا يعني أنَّ اللَّجنةَ قد اعتمدَت عليه اعتمادًا رئيسيًّا.

- فعن أبي العالية عن أُبيِّ بن كعب: **أَنَّهُم جمعوا القرآنَ من مُصْحَفِ أُبي، فكان رجالٌ يكتُبُونَ، يُمْلي عليهم أُبيُّ بنُ كعب،** فلمَّا انتهوا إلى الآيةِ التي في آخرِ سورة براءة ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[1] أثْبَتوا أنَّ هذه الآية آخر ما أنزَلَ اللهُ تعالى من القرآن، فقالَ أُبيُّ بنُ كعب: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أقرأني بعدَ هذا آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى آخِرِ السُّورة. قال: فهذا آخِرُ ما نزَلَ من القرآن، قال: فختَمَ الأمرَ بما فتَحَ اللهُ به، بـ «لا إله إلا الله»، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[2].
- أيضًا عن أبي العالية عن أُبيِّ بن كعب: **أَنَّهُم جمعوا القرآنَ في مصاحفَ في خلافةِ أبي بكر، فكان رجالٌ يكتُبُونَ، ويُمْلي عليهم أُبيُّ بنُ كعب،** فلمَّا انتهوا إلى الآيةِ التي في آخِرِ سورة براءة ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾. . . . الرِّواية[3].

نفهم ممَّا مر، أنَّ أبي بن كعب كان يُملي على الكُتَّاب القرآنَ في خلافةِ أبي بكر، وسيأتي ما يُؤكِّد أنَّه قامَ بالدَّورِ ذاتِهِ في خلافةِ عثمان.

النَّموذج الثاني: خُزيمة بن ثابت الأنْصاري، الذي كان له دورٌ ما في هذه المرحلة من جمْع القرآن.

- فقد روى زيدُ بن ثابت: لمَّا كتَبْتُ المصاحف، فقدتُّ آيةً كنْتُ أسمَعُها من رسولِ الله ﷺ، **فوجَدْتُّها** (أي وجدْتُّها مكتوبة) **عندَ خُزيمةِ بنِ ثابت الأنْصاري** ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾. . . (إلى) ﴿تَبْدِيلًا﴾[4]، وقال:

---

(1) سورة التوبة، الآية: 127.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 25. ابن أبي داود، **المصاحف**، ص223 ـ 224.
(3) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص154 ـ 155، أيضًا **مسند أحمد**، ج5، ص134.
(4) سورة الأحزاب، الآية: 23.

وكان خُزيمةُ يُدْعى «ذا الشَّهادتين»، أجازَ رسولُ الله ﷺ شهادَتَهُ بشهادةِ رجُلين. وقال الزُّهري: **وقُتِلَ مع عليٍّ (رضي الله عنه) يومَ صفِّين**[1].

لاحظ أنَّ زيدًا اعترَفَ أنَّ خُزيمة أسعَفَه أيضًا في قولِهِ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إلخ[2]. وربَّما جاءَ خزيمة بالآيةِ مكتوبة، بعدما أكَّدَ أُبيُّ بنُ كعب أنَّ رسولَ الله ﷺ أقرأَهُ إياها.

لكن مع ذلك، قد يُقال: يصْعُب الأخذ بمثلِ هذا الخبر، لاقتضائِهِ أنَّ الآياتَ الثلاث المذكورة قد ثبَتَت بغيرِ طريق التواتر. إلا أنْ يُقال: لا شكَّ في تواتُرها اللَّفْظي، وزيد إنَّما كان يبحثُ عن توثيقٍ كَتْبي لها.

الخلاصة: أنَّنا درَسْنا في هذا الفصْلِ الخطوات التي قامَ بها أبو بكر وعمر لجمْعِ القرآن، قبلَ أنْ يتلاشى بمقتل القُرَّاء وتفرُّقهم في الأمصار، وتقدُّم أصحاب النَّبي في العمر، وتزايد احتمال ضعْف الذَّاكرة بمرور الوقت. وشكَّلا لجنة رأَسَها زيدُ بن ثابت، وتمَّ استبعاد أُبيٍّ بن كعب وعبد الله بن مسعود من رئاسَتِها. وعمَلَت اللَّجنة بآليةٍ تبدو قاصرة، فسَحَت المجال لمزايدات بين أصحابِ وأزواجِ النَّبي والتَّابعين (فعلية أو منسوبة إليهم كذبًا وافتراءً). وحاوَلَ الإمامُ علي عليه السلام تدارُكَ الأمر (كما افترضْتُ) من خلالِ «تشجيع» بعض أصحابِ النَّبي على التَّعاونِ الإيجابي مع اللَّجنة والتَّعالي على الجراح، وكان من هؤلاء أُبيٌّ بن كعب وخُزيمة بن ثابت.

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص220 ـ 221. أيضًا راجع: **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

(2) **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

الفصل الثامن:

نُسْخة إمام ونُسَخ مطابقة للأصْل

عرفنا في الفصْلِ السَّابق، أنَّ بعض المصادر تشير إلى أنَّ أبا بكر وعمر حاولا، بعد معركةِ اليمامة، تدوين القرآن. لكن عدم اعتماد نُسْخة مركزية رسميَّة واحدة، أدَّى إلى ظُهورِ مضاعفات سلْبية بالتدريج. فكلُّ مجموعةٍ من التَّابعين التفَّت حول أحد أصحاب النَّبي، تأخُذُ منه القرآن، وكانت تدَّعي أنَّ قراءَتَها هي الصَّحيحة والأدق، لأنَّها مُسْتقاة من ذلكَ الصَّحابي. برزَت هذه المضاعفات بوضوح في زمنِ خلافة عمر، وتفاقَمَت في النِّصْفِ الأول من خلافةِ عثمان.

إليكَ الشَّاهد التالي على ذلك. رُوي أنَّه جاءَ رجُلٌ إلى عمر ـ وهو بعَرَفة ـ فقال: يا أميرَ المؤمنين! جئتُكَ من الكوفةِ، وترَكْتُ بها رجُلًا يُمْلي المصاحِفَ عن ظهْرِ قلْبِهِ، قال: فغضِبَ عمَرُ، وانتَفَخَ، حتى كادَ أنْ يملأَ ما بينَ شُعبتي الرحل، قال: ومن هو ويحَكَ؟! قال: هو عبدُ الله بنُ مسْعود. قال: فما زالَ يطفأ ويتسرَّى عنه الغضَبُ حتى عادَ إلى حالِهِ التي كانَ عليها، ثمَّ قال: ويحَكَ، واللهِ ما أعلَمُ بقيَ من الناسِ أحدٌ هو أحقُّ بذلكَ منه، وسأُحدِّثُكَ عن ذلك. . . .فقامَ رسولُ الله ﷺ يستَمِع قراءتَهُ، فلمَّا كِدْنا أنْ نعرِفَ الرَّجُلِ، قال ﷺ: من سرَّهُ أنْ يقرأَ القرآنَ رطِبًا كما أُنزِل، فليقرأْهُ على قراءةِ ابنِ أُمِّ عبد[1].

من الواضحِ في هذه الرِّواية، التوتُّر والقلق الذي بدا على عمر، عندما عرَفَ أنَّ ثمَّةَ رجُلًا في الكوفة، يُبادر لإملاءِ المصاحف عن ظهْرِ قلْبِهِ. وما كان هذا ليحدُث لو كان هناك نُسْخة رسْميَّة مُدوَّنة لكلِّ من يريد أنْ يكتُب لنفْسِهِ نُسْخةً

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص552. أيضًا أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، ذكر قراء القرآن ومن كانت القراءة توخذ عنه من الصحابة والتابعين بعدهم، ح3، ص225.

من القرآن. إلا أنَّ توتُّرَ عمر وقلقِهِ تلاشى بعدَ أنْ عرَفَ أنَّ من يقوم بذلكَ هو من المُتخصِّصين الثِّقات الذين أمَرَ النبيُّ ﷺ بأخْذِ القرآن عنهم؛ عبد الله بن مسعود.

في هذا الفصْل، أصِلُ إلى المحطَّةِ الثامنة، حيثُ تكفَّلَ عثمان في النِّصْفِ الأوَّل من خلافتِهِ بتوحيدِ نُسَخِ القرآن بنُسْخةٍ واحدةٍ مركزيةٍ (أم) يُستنسَخُ منها، وسلْب الاعتبار عن بقيَّةِ النُّسَخ.

جمْعُ القرآن بهذا المعنى قامَ به عثمان أواخر سنة 24هـ وأوائل سنة 25هـ، أي في السَّنواتِ الأولى من خلافتِهِ، التي امتدَّت من سنةِ 23هـ إلى سنةِ 35هـ[1]، بعدما واجَهَ القرآنُ مخاطِرَ كادَت أنْ تُطيحَ بسلامتِهِ. فقد بدأَت ظاهرة كتابة المصاحف تنْتَشر دون ضوابط من جهةٍ مرْكزية، كما أنَّ الفتوحَ واختلاط العرب بشُعوبٍ أخرى أدَّى إلى اهتزازٍ وخلْخلةٍ في قراءةِ الناس للنصِّ القرآني، واختلافٍ شديدٍ حولَهُ. هذه المخاطر، التي رصَدَها أُولئكَ الذين يعيشونَ في أطرافِ العالَم الإسلامي، كالعراقِ والشَّام، أدَّت لإثارةِ غيرة خواصّ المؤمنين من أصحابِ النَّبي، على رأسِهِم حُذيفة بن اليمان.

دور حذيفة بين اليمان التاريخي:

حُذيفةُ بن اليَمان العبْسي من خيرةِ أصحاب النَّبي، شهِدَ معه أُحُدًا هو وأبوه. وهو كذلك من خيرةِ أصحاب الإمام علي عليه السلام، ماتَ قُبيلَ خلافتِهِ عليه السلام، واستُشْهِدَ ابناهُ في صفِّين[2].

- أخرج ابنُ أبي داود عن أنَسٍ بن مالك أنَّه اجتمَعَ لغزوةِ أذربيجان وأرمينية أهلُ الشَّام وأهلُ العراق، قال: فتذاكروا القرآنَ، فاختلفوا فيهِ، حتى كادَ يكون بينهم فتْنة، **فرَكَبَ حذيفةُ بنُ اليَمان لمَّا رأى من اختلافِهِم في القرآنِ**

---

(1) استلم عثمان الخلافة سنة 23هـ، وقتل سنة 35هـ (مدة حكمه 12 سنة تقريبًا). وكان أبو بكر قد استلم الخلافة سنة 11هـ، ومات سنة 13هـ (مدة حكمة سنتان تقريبًا)، واستلم عمر الخلافة سنة 13هـ، وقتل سنة 23هـ (مدة حكمه عشر سنوات تقريبًا).

(2) رُوي عن أبي جعفر الإمام محمَّد الباقر عليه السلام عن أبيهِ عن جدِّه عليّ عليه السلام: ضاقَت الأرضُ بسبْعةٍ بهم تُرْزقون، وبهم تُنْصرون، وبهم تُمْطرون، منهم: سلْمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمَّار، وحُذيفة. راجع: السيد أبو القاسم الخوئي، **معجم رجال الحديث**، ترجمة حذيفة.

إلى عثمان، فقال: إنَّ الناسَ قد اختلفوا في القرآن، حتى واللهِ لأَخْشى أنْ يُصيبَهُم ما أصابَ اليهودَ والنَّصارى من الاختلاف، قال: ففَزِعَ لذلكَ عثمانُ فزَعًا شديدًا، فأرْسَلَ إلى حفْصة، فاستخرَجَ الصَّحيفةَ التي كانَ أبو بكر أمَرَ زيدًا بجَمْعِها، فنَسَخَ منْها مصاحف، فبعَثَ بها إلى الآفاق، فلمَّا كان مروانُ أميرَ المدينة، أرْسَلَ إلى حفْصة يسألُها عن الصُّحفِ ليُحرِقَها، وخشيَ أنْ يُخالِفَ بعضُ الكُتَّابِ بعْضًا فمنَعَتْهُ إيَّاها[1].

- أيضًا أخرج أبو عبيد وابن أبي داود عن أنَسِ بنِ مالك أنَّ **حُذيفةَ بنَ اليمان قدِمَ على عثمان**، وكان يُغازي أهلَ الشَّام في فرْجِ إرمينية وأذربيجان مع أهلِ العراق، فرأى اختلافَهُم في القرآن، **فقالَ لعثمانَ بنِ عفَّان: يا أميرَ المؤمنين، أدْرِكْ هذه الأمةَ قبلَ أنْ يختلفوا في الكتاب، كما اختلَفَ اليهودُ والنَّصارى**. فأرْسَلَ إلى حفْصة، أنْ أرْسِلي إليَّ بالصُّحُف نَنْسَخُها في المصاحف ثمَّ نرُدُّها إليكِ، فأرْسَلَت حفْصةُ إلى عثمانَ بالصُّحُف، فأرْسَلَ عثمانُ إلى زيدِ بنِ ثابت، وسعيدِ بنِ العاص، وعبد الرَّحمنِ بنِ الحارثِ بن هشام، وعبدِ اللهِ بن الزُّبير: أنْ انْسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحفِ، وقال للرَّهْطِ القرَشيِّين الثلاثة: ما اختلَفْتُم أنتُم وزيدُ بنُ ثابت، **فاكتبوهُ بلسانِ قريش، فإنَّما نزَلَ بلِسانِهِم**. حتى إذا نَسَخوا الصُّحُفَ في المصاحفِ، بعَثَ عثمانُ إلى كلِّ أفُقٍ بمُصْحفٍ من تلكَ المصاحف التي نَسَخوا، وأمَرَ بسوى ذلكَ من صحيفةٍ ـ أو مُصْحفٍ ـ أنْ يُحرَق[2].

من الواضِحِ أنَّ ما أفزَعَ حُذيفة ليس اختلاف مُقاتلي الشَّام والعراق في لهجاتِهِم، وطريقة النُّطْق، فهذا الاختلاف كان موجودًا في زمنِ النَّبي ﷺ، وازدادَ مع انتشارِ الإسلام في الجزيرة، ودخول مختلف القبائل العربية في

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص203 ـ 204. وقريبٌ منه في **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

(2) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح4، ص152 ـ 154. أيضًا باب لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن بلغته، ح13، ص203. ابن أبي داود، **المصاحف**، ص195 ـ 196، وجزء منه تجده في **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب.

الإسلام... ما أفزَعَ حُذيفة هو إدْخال أو إسْقاط أو استبدال كلمات من القرآن، نتيجة ابتعادِهم عن المدينة (مركز الخلافة وأصحاب النَّبي) ووجود هذه الاختلافات في مصاحفِ بعضِ أصحاب النَّبي (واختلاط بعض الحواشي التفسيرية بالنصِّ الأصلي)، حيثُ قرأ بعضُهُم «وأتِمُّوا الحجَّ والعُمْرةَ للبيْتِ» (ونسبوا هذه القراءة لعبدِ الله بنِ مسعود وابنِ عباس)، وقرأ بعضٌ آخر ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1]، أو قراءة هذه الآية هكذا: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ «**وصلاةِ العصْر**» وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ (ونسبوا هذه القراءة لمُصْحفِ عائشة وحفصة) في حين أنَّ الآيةَ (البقرة، 238) تخلو من «وصلاةِ العصْر»[2].

فقامَ عثمانُ خطيبًا لشرْحِ مُبرِّرات الخطوة التاريخية التي يعزُمُ على اتِّخاذِها، طالبًا تعاون الجميع معه، فقال: «**أنتُم عندي تختلفونَ فيه وتلْحنون، فمن نأى عنِّي من الأمصارِ أشدُّ فيه اختلافًا وأشدُّ لحْنًا، فاجتمعوا يا أصحابَ محمَّد، فاكتُبُوا للناسِ إمامًا**»[3].

هذا يعني أنَّ ما استهدَفَهُ عثمان من جمْعِ القرآن يختلفُ عن ما استهدَفَهُ أبو بكر وعمر. أبو بكر وعمر استهدفا ـ كما يبدو ـ الاحتفاظ بنُسْخة احتياطية من القرآن، واكتفيا بالتَّداول الشَّفهي الواسع للقرآن. في حين أنَّ هدفَ عثمان كان هو تثْبيتُ النصِّ المُدوَّن[4]، ومراجعة تلكَ النُّسْخة الاحتياطية، والتَّصديق عليها بعد تعاون جميع أصحاب النَّبي معه، ثمَّ تعميمها على كلِّ الأمصار الرَّئيسية. ولم يكُن هدَفُهُ إجبار الناس على قراءةِ القرآن على لهجةٍ واحدة، لأنَّ هذا كان مستحيل التَّحقيق. لذا بعدما ثبَّتَ النَّص المُدوَّن، قامَ بإحراقِ جميع المصاحف الأخرى، واستنْساخ مصاحف جديدة على ضوءِ النُّسْخة الأُم.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 196. انظر: ابن أبي داود، **المصاحف**، ص167.
(2) انظر: ابن أبي داود، **المصاحف**، ص375 ـ 387.
(3) المصدر السابق نفسه، ص205.
(4) أعني أن المصحف العثماني إنما كتب على قراءة معينة، أي إن رسم الكلمات جاء لتمثيل لفظ واحد ونطق معين، بغض النظر عن احتماله لأكثر من قراءة بسبب تجرد الكتابة آنذاك من الشكل والإعجام أو غيرها من أوجه قصور الرسم التي سأشرحها لاحقًا.

عثمان يستجيب لحذيفة:

استجابةً لمناشدةِ حُذيفة، واستشعارًا للخطَرِ على القرآن، شكَّلَ عثمانُ على الفور لجنةً، حرَصَ على أنْ تحظى بقبولٍ عامٍّ من أصحابِ النَّبي. فجعلَها مستوعبة للمهاجرين والأنصار معًا، وحرَصَ على أنْ يكون في عضويَّتِها شخصيَّات مشهودٌ لها بالكفاءةِ العالية في مجالِ القرآن والفصاحة.

أخرج ابن أبي داود عن محمَّد بن سيرين قال: جَمَعَ عثمانُ للمُصْحفِ اثني عشر رجُلًا من المهاجرينَ والأنْصار؛ **منْهُم أُبيّ بن كعب**، وزيد بن ثابت[1].

لكن وضَعَ رئاسة اللَّجنة بعُهدةِ من؟

من جديد زيد بن ثابت! لماذا؟

زيد بن ثابت:

شابٌّ من الأنصار، وبالتَّحديد من الخزرج (من بني النجَّار)، كان عند مقْدم النَّبي محمَّد ﷺ المدينة ابن إحدى عشرة سنة، فاستخْدَمَهُ ﷺ - على ما قيل - في كتابةِ رسائلِهِ بالعبرية وقراءَتِها بعد أنْ كلَّفَهُ تعلُّم العبرية.

فقد أخرَجَ البخاري عن خارجة عن أبيهِ زيدِ بنِ ثابت أنَّ النبيَّ ﷺ أمرَهُ أنْ يتعلَّمَ كتابَ اليهودِ، حتى كتَبْتُ للنبيِّ ﷺ كُتُبَهُ وأقرأْتُهُ كُتُبَهُم إذا كتبوا إليه[2].

كما أخرَجَ ابنُ أبي داود عن زيدِ بن ثابت قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: إنَّها تأتيني كُتُبٌ لا أُحِبُّ أنْ يقْرأَها كُلُّ أحدٍ، هل تستطيع أنْ تعلَّم كتاب العبرانية (لغة التوراة) - أو قال السِّرْيانية (لغة الإنجيل) -؟ فقُلْتُ: نعم. فتعلَّمْتُها في سبعةَ عشَرَ يومًا[3]!

أقول: المدَّةُ غير معقولة مهما بلَغَ زيدٌ من الذَّكاء، والرِّوايةُ توحي بأنَّ لأهلِ الكتاب يدٌ فيها، فهل يا تُرى أرادوا الإيحاءَ بأنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ قد استقى بواسطةِ زيد بعض ما لديهم في التوراةِ والإنجيل؟ فيهود ونصارى

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص214.
(2) **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد؟
(3) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص121 - 123.

الجزيرة كانوا يُتْقنونَ العربية، ومن ثمَّ لا موجِبَ للتواصُل معهم إلى تعلُّمِ العبرانية والسِّرْيانية، إلا إذا أرادَ قراءة كُتُبِهُم المتداولة فيما بينهم.

أم إنَّ الهدفَ من الرِّوايةِ تبريرُ انسياق بعض أصحاب النَّبي وشغَفِهم بالتعرُّف على كُتُبِ اليهود والنَّصارى؟ فقد أخرَجَ أحمدُ في مُسْندِهِ أنَّ النبيَّ ﷺ رَأَى فِي يَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ صَحِيفَةً مِنَ التَّوْرَاةِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، حَتَّى اتَّضَحَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»، يَعْنِي أَمُتَحَيِّرُونَ، «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»[1]. وكيفَ ينْهى النبيُّ ﷺ عمرَ بنَ الخطَّاب عن أمرٍ ويأمُرُ زيدَ بنَ ثابت بتحصيلِ مُقدِّماتِهِ؟

على أيِّ حال، كان زيدُ بنُ ثابت من كُتَّاب الوحي، ويبدو أنَّه كان يمتاز بجودةِ الخط. وهو من شخصيَّات الأنصار القليلة التي وقفَتْ مع أبي بكر وعمر في السَّقيفة. وكان آنذاك شابًّا لا يتجاوز عمرُهُ 23 سنة.

لكن هذه المُؤهِّلات لم تكن كافية في نظَرِ بعض أصحاب النَّبي، حيثُ أثارَ اختيارُهُ غضَبَ بعضِهِم، كعبدِ الله بنِ مسعود، الذي ثارَ في الكوفةِ قائلًا: يا معشَرَ المسلمين، أُعْزَل عن نَسْخِ كتاب المصاحف، ويُولَّاها رجُلٌ، واللهِ لقد أسلَمْتُ وإنَّه لفي صُلْبِ أبيهِ كافر. يريدُ زيدَ بنَ ثابت[2]. أيضًا رُويَ قولُهُ: أقرأَني رسولُ اللهِ ﷺ سبعينَ سُورة، أحكَمْتُها، قبلَ أنْ يُسْلِم زيدُ بنُ ثابت[3].

ولتبريرِ تنصيبِ زيد بن ثابت دونَ غيرِهِ من أعلامِ الصَّحابة، قالوا ما يلي:

الذَّهبي: «وإنَّما شُقَّ على ابنِ مسعود، لكونِ عثمان ما قدَّمَهُ على كتابةِ المُصْحف، وقدَّمَ في ذلكَ من يصلح أنْ يكونَ ولَدَهُ. وإنَّما عدَلَ عنه عثمان؛ لغيبتِهِ عنه بالكوفة، لأنَّ زيدًا كان يكتُبُ الوحيَ لرسولِ الله ﷺ، فهو إمامُ الرَّسْم، وابنُ

---

(1) **مسند أحمد بن حنبل**، ج3، ص387، وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل، ج6، ص34، 1589، ومصادر أخرى.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص187.

(3) المصدر السابق نفسه، ص185.

مسْعود إمامٌ في الأداء. ثمَّ إنَّ زيدًا هو الذي ندَبَهُ الصدِّيق (أبو بكر) لكتابةِ المُصْحفِ وجمْعِ القرآن؛ فهلَّا عتَبَ على أبي بكر؟!...وأما زيد، فكانَ أحدَثَ القومِ بالعرْضةِ الأخيرة التي عرَضَها النبيُّ ﷺ عامَ تُوفِّي على جبريل»[1].

وذكَرَ الحافظُ ابنُ حجر ما يشبه هذه المُبرِّرات[2].

أقول: ما الدَّليل على اختصاص زيد دون غيرهِ بالعرضةِ الأخيرة؟ وإنْ كان مُبرِّر عدم اختيار ابن مسْعود غيبته عنه في الكوفة، وأنَّه لم يكن من كتبة الوحي، فما هو مُبرِّر عدَم اختيار الإمام علي عليه السلام أو أُبيّ بن كعب وهما في المدينة ومن كُتَّاب الوحي؟! وهل غابَ ابنُ مسْعود وغيرُهُ عن العرْضةِ الأخيرة وحضَرَها زيدٌ وحدَهُ؟!

كتَبَ المستشرق الألماني نولدكه[3]: «نادرًا ما يتعجَّب عُلماء مسلمون، لماذا لم يأتِ مكانَ زيدِ ابنُ مسعود، الذي اعتنَقَ الإسلامَ قبلَ أنْ يُولَد زيد، هذا بالإضافةِ إلى ما عندَهُ من فضائل أخرى؟»[4].

على أيِّ حال، يروي ابنُ سعد أنَّ سليمانَ بن يسار[5] قال: ما كان عمر ولا عثمان يُقدِّمان على زيدِ بن ثابت أحدًا في القضاءِ والفتوى والفرائض والقراءة[6]. وظلَّ زيدٌ في مقامهِ عندما وليَ معاوية الخلافة سنة 40هـ، حتى توفي زيد سنة 45هـ[7].

أمر يوجب الحيرة:

الباحث المصْري محمود أبو ريَّة[8] أثارَ نُقطةً بالغةَ الأهمية، حيثُ كتَبَ

---

(1) الذَّهبي، السِّير، ج1، ص488.
(2) ابنُ حجر، **الفتح**، ج9، ص19 ـ 20. راجع حواشي وتعليقات على كتاب ابن أبي داود، **المصاحف**، ص186 ـ 187.
(3) (ت 1349 هـ/ 1930).
(4) نولدكه، **تاريخ القرآن**، ص286.
(5) (ت 107 هـ).
(6) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص359.
(7) المصدر السابق نفسه، ج2، ص359 ـ 260.
(8) (1390 هـ/ 1970م).

ما يلي: «من أغرَبِ الأمور، وممَّا يدعو إلى الحيرةِ أنَّهم لم يذكُروا اسْمَ عليٍّ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ فيمن عُهِدَ إليهم بجمْعِ القرآن وكتابتِهِ، لا في عهدِ أبي بكر ولا في عهدِ عثمان! ويذكرونَ غيرَهُ ممَّن هم أقلَّ منه درجةً في العلْمِ والفقه! فهل كان عليٌّ لا يُحسِنُ شيئًا من هذا الأمر؟ أو كان من غيرِ الموثوق بهم؟ أو ممَّن لا يصُحُّ استشارَتُهم أو إشراكُهم في هذا الأمر؟

اللَّهمَّ إنَّ العقلَ والمنطقَ ليقضيان بأنْ يكونَ عليٌّ أول من يُعهَد إليهِ بهذا الأمر، وأعظم من يُشارَك فيه، وذلكَ بما أُتيحَ له من صفاتٍ ومزايا لم تتهيَّأ لغيرِهِ من بين الصَّحابةِ جميعًا. فقد ربَّاهُ النبيُّ ﷺ على عينِهِ، وعاشَ زمنًا طويلًا تحتَ كنَفِهِ، وشهِدَ الوحيَ من أوَّلِ نُزُولِهِ إلى يوم انقطاعِهِ، بحيث لم يندّ عنه آية من آياتِهِ!! فإذا لم يُدْعَ إلى هذا الأمرِ الخطير فإلَى أيِّ شيءٍ يُدْعى؟!

وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليُسوِّغوا بها تخطيِّهم إياهُ في أمرِ خلافةِ أبي بكر، فلم يسألوهُ عنها ولم يستشيروهُ فيها، فبأيِّ شيءٍ يعتذرونَ من عدَمِ دعوتِهِ لأمرِ كتابةِ القرآن؟ فبماذا نُعلِّل ذلكَ؟ وبماذا يحكُمُ القاضي العادل فيه؟ حقًّا إنَّ الأمرَ لعجيب، وما علينا إلا أنْ نقولَ كلمةً لا نملِكُ غيرَها وهي:

لكَ اللهُ يا عليّ! ما أنصفوكَ في شيءٍ!»[1].

تعليق: لتأكيدِ ما ذكَرَ أبو ريَّة أتساءَل: ألَمْ يشْهَد النبيُّ ﷺ على العلاقةِ الوثيقةِ الفريدة بين عليّ عليه السلام والقرآن بقولِهِ: «**عليٌّ مع القرآنِ والقرآنُ مع عليٍّ، لن يتفرَّقا حتى يرِدا عليَّ الحوض**»، كما أخرَجَ الحاكم في مستدركِهِ[2]؟

ألَمْ يأمُر النبيُّ ﷺ بأخْذِ العلْم عن عليٍّ عليه السلام فقال: «أنا مدينةُ العلْمِ وعليٌّ بابُها فمن أرادَ المدينةَ فليأتِ الباب»، كما أخرَجَ الحاكم في مستدركِهِ[3]؟

---

(1) محمود أبو رية، **أضواء على السُّنّة المحمدية**، ص249.

(2) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة، ج3، ص124. قال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد...ولم يُخرجاه.. كذلك: السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص206، وقال: أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير.

(3) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة، ج3، ص126 ـ 127. قال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد... ولم يُخرجاه.

أَلَمْ يُنصِّب النبيُّ ﷺ عليًّا عليه السلام مرجعيةً عند الاختلاف، فقالَ له: «أنتَ تُبيِّن لأمَّتي ما اختلفوا فيه بعدي»، كما أخرَجَ الحاكم في مستدركِهِ على الصَّحيحين[1]؟

أَلَمْ يُنادِ عليٌّ عليه السلام: «سلوني عن كتابِ الله، فإنَّه ليسَ من آيةٍ إلا وقد عرفْتُ بليلٍ نزَلَتْ أم بنَهار، وفي سهْلٍ أم في جبَل»، كما أخرَجَ ابنُ سعد في طبقاتِهِ، والسُّيوطي في تاريخِ الخلفاء، وغيرهما[2]؟

أعودُ لسرْدِ الأحداث:

نُسَخ مرجعية مطابقة للأصل:

قامت اللَّجنة التي شكَّلَها عثمان بكتابةِ نُسْخِة أُم، ثمَّ اسْتُنْسِخَ من تلكَ النُّسْخة الأم بضْع نُسَخ مطابقة للأصل، بعَثَ بها عثمانُ إلى الأمصارِ الرَّئيسيَّة.

ففي روايةٍ: «كتَبَ عثمانُ أربعةَ مصاحف، فبعَثَ بمُصْحَفٍ منها إلى الكوفة»[3]. وأكثرُ العُلماء على أنَّ عثمانَ بعث بأرْبَعِ نُسَخ: إلى الكوفةِ، والبصْرةِ، والشَّامِ، وأمْسَكَ عند نفْسِهِ واحدة.

وفي روايةٍ: «لمَّا كتَبَ عثمانُ المصاحِفَ حينَ جمَعَ القرآن، كتَبَ سبْعَةَ مصاحف، فبعَثَ واحدًا إلى مكة، وآخرَ إلى الشَّام، وآخرَ إلى اليمن، وآخرَ إلى البحرين، وآخرَ إلى البصْرة، وآخرَ إلى الكوفة، وحبَسَ بالمدينةِ واحدًا»[4].

وطالما أنَّ كتابة عدَّة نُسَخ مطابقة للأصْل هو في النِّهايةِ جهدٌ بشري، وإنْ كان القرآنُ بنفْسِهِ كلامٌ إلهي، فمن الطَّبيعي أنْ تظهر اختلافات طفيفة في كتابةِ

---

(1) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب معرفة الصحابة، ج3، ص122. قال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد... ولم يُخرجاه.

(2) انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص338. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص218. **جامع بيان العلم**، ج1، ص114. **تهذيب التهذيب**، ج7، ص338.ذ. **الرياض النضرة**، ج2، ص198. **عمدة القارئ**، ج9، ص167.

(3) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص224.

(4) المصدر السابق نفسه، ص245.

المصاحف التي أرْسَلَها عثمانُ إلى الأمْصار، مهما حرَصَ المراجعون في تلكَ اللَّجنة على تلافي الأخطاء.

صارَت هذه الاختلافات الطَّفيفة (مثل إضافة أو نقصان «واو») من أسبابِ الاختلاف بين القراءاتِ لاحقًا. لذا ظهَرَت قراءةُ مكة، وقراءةُ المدينة، وقراءةُ البصْرة، وقراءةُ الكوفة، وقراءةُ الشَّام..إلخ. وتبلُغُ هذه الاختلافات من 40ـ50 موردًا، سأسْتعرِضُ أهمَّها بعدَ قليل[1].

مع كلِّ نُسْخةٍ قارئًا:

كإجراءٍ احترازي إضافي، وللتأكُّد من سلامةِ التَّعاطي مع النُّسَخ المُدوَّنة للقرآن، قامَ عثمان بإرسال قارئ مؤهَّل مع كلِّ نُسْخةٍ بعثَ بها إلى الأمصارِ.

فبعَثَ عبد الله بنَ السَّائب إلى مكة، وبعثَ المُغيرةَ بنَ شهاب إلى الشَّام، وبعثَ أبا عبد الرَّحمن السُّلَمي إلى الكوفة، وبعَثَ عامرَ بنَ عبد قيس إلى البصْرة، وكلُّهُم يُقْرِئُونَ الناسَ بما في المصاحفِ العثمانية.

ونتيجةً لجُهودِ هؤلاء برَزَ (أصحاب القراءات العشْر): أبو جعفر ونافعُ بالمدينة، وابنُ كثير في مكة، وابنُ عامر في الشَّام، وأبو عمرو بنُ العلاء ويعقوب الحضْرمي في البصْرة، وعاصم وحمزة والكسائي وخلَف البزَّار بالكوفة.

لكن القراءةُ التي تواتَرت بين الناسِ مصدُرها ليس القُرَّاء الذين بعَثَ بهم عثمان، ولا أصحاب القراءات العشْر، بل مصدَرُها انتشار القرآن بين الناس بنحو منْقطع النَّظير. فكان المُسافرونَ من وإلى الأمْصار، يأخُذونَ وينْقُلونَ ما تعلَّموهُ. وكان لأصحاب النَّبي والتَّابعين الأوائل المنتشرينَ في الكوفةِ والبصْرةِ والمدينةِ ومكة والشَّامِ والبحرين واليمن وغيرِها من الأمْصار، دورٌ بارزٌ في ذلك.

فمثلًا كان لعبدِ الله بنِ مسعود ـ الذي أرسلَهُ عمر زمنَ خلافتِهِ ـ مجموعة كبيرة من المُريدين في الكوفة، قد استَنْسَخوا من مُصْحَفِهِ مصاحف، قبلَ أنْ تصل إلى الكوفةِ نُسْخةٌ من المُصْحفِ العُثماني، فكان يُملي عليهِم ويُقْرِئُهُم بنحوٍ مستمر.

---

(1) راجع: ابن أبي داود، **المصاحف**، ص259 ـ 289.

وكان عمر قد أرسلَ عبد الله بن قيس ـ المشهور بأبي موسى الأشعري ـ إلى البصْرةِ ليُعلِّمَ الناسَ فيها قراءةَ القرآن.

وبعد فتحِ الشَّام، كتَبَ واليها يزيدُ بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب: إنَّ أهلَ الشَّام قد كثروا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يُعلِّمَهُم القرآن، ويُفقِّههم، فأعِنِّي يا أميرَ المؤمنين برجالٍ يُعلِّمونَهُم، فأرسَلَ إليه عمر كُلًّا من أبي الدَّرداء ومُعاذ بن جبل وعُبادة بن الصَّامت، وهم من المُتخصِّصين في القرآن. وخرَجَ أبو الدَّرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين. وأما معاذ فماتَ عام طاعون عَمْوَاس (سنة 18هـ)، وأما عبادة فصارَ بعدُ إلى فلسطين فماتَ بها (سنة 34هـ)، وأما أبو الدَّرداء فلم يزَلْ بدمشق حتى مات (سنة 32هـ)[1].

لذا، بعد أنْ كتَبَ ابنُ حزْم الأندلسي[2] مُدافعًا عن جمْعِ القرآن في حياةِ النَّبي ﷺ: «لم يمُت رسولُ اللهِ ﷺ إلا والقرآنُ مجْموعٌ، كما هو مُرتَّبٌ، لا مزيدَ فيهِ ولا نقْصَ ولا تبديل»[3]. ثمَّ كتَبَ: «أمَرَ (النَّبي) عليهِ السلام عبد الله ابنَ عمرو بقراءةِ القرآن في أيَّامٍ لا تكونُ أقل من ثلاث، فكيفَ يُقرأ ويُجْمَع وهو غير مُؤلَّف؟! هذا محالٌ لا يمكنُ البتَّة .وهذه (الأحاديث الدَّالة على جمْع القرآن في حياةِ النَّبي) **كُلُّها أحاديثُ صِحاحُ الأسانيد لا مطْعَنَ فيها. وبهذا يلُوحُ كذِب الأخبار المُفْتعلة بخلافِها، لأنَّ تلكَ لا تصُحُّ من طريقِ النقلِ أصلًا، فبطَلَ ظنُّهُم أنَّ أحدًا جمَعَ القرآنَ وألَّفَهُ دون النَّبي ﷺ**»... بعد ذلك أكَّد ابنُ حزْم على أنَّ القراءةَ المتداولةَ بين المسلمين لم ترتكز على جهودِ زيد بن ثابت، كما يحلو للبعض أنْ يُصوِّرَ الموقف، في تضخيمٍ متعمَّدٍ لموقعِهِ، فقال: «وممَّا يُبيِّنُ بُطلانَ هذا القول ببُرهانٍ واضحٍ، أنَّ في بعضِ المصاحِفِ التي وجَّهَ بها عثمانُ إلى الآفاق، واواتٌ زائدة على سائِرِها، وفي بعضِ المصاحف: «إنَّ اللهَ هو الغنيُّ الحميد» في سورةِ الحديد، وفي بعضِها بنُقْصانِ «هو».

وأيضًا فمنَ المحالِ أنْ يكونَ عثمان أقرأُ الخُلفاء وأقدَمُهُم صُحْبةً، وكان

---

(1) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج2، ص357.
(2) (ت 456 هـ/ 1064م).
(3) ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الدين**، ج4، ص79.

يحفَظُ القرآنَ كلَّهُ ظاهرًا، ويقومُ به في ركعةٍ: - ويترُكُ قراءَتَهُ التي أخذَها من فم النبيِّ ﷺ، ويرجِعُ إلى قراءةِ زيدٍ، وهو صبيٌّ من صبْيانِهِ، وهذا ما لا يُظُنُّهُ إلاَ جاهلٌ غبيٌّ.

ومنْها أنَّ عاصِمًا روى عن زِرٍّ وقرأَ عليه، وزِرٌّ لم يقرأ على زيد، ولا على من قرأَ على زيدٍ شيئًا، إلا أنَّه قد صحَّ عنه أنَّه عرَضَ على زيدٍ فلم يُخالِفُ ابنَ مسْعود.

وهذا ابنُ عامرٍ - قارئُ أهلِ الشَّام - لم يقرَأ على زيدٍ شيئًا، ولا على من قرأَ على زيد، وإنَّما قرأَ على أبي الدَّرداء، ومن طريقِ عثمان. وكذلك حمزةُ لم يأخُذ من طريقِ زيدٍ شيئًا»[1].

وتذكرُ بعضُ المصادر أنَّ أبا الدَّرداء، قاضي دمشق وسيِّد القُرَّاء فيها، كان يجعَل الناس حين يجتمعون عليه بعدَ صلاةِ الغداة للقراءةِ عشْرة عشْرة، وعلى كلِّ عشْرة عريفٌ أو مُلقِّن، حتى بلَغَ الذين يقرؤونَ القرآنَ عندَهُ أزيد من ألفِ رجُل. وهو يقفُ في المحرابِ يرمُقُهُم ببصرِهِ، وقد يطوفُ عليهم قائمًا، فإذا أحكَمَ الرَّجُلُ منهم تحوَّلَ إلى أبي الدَّرداء يعرِضُ عليه. وكان عبدُ الله بن عامر عريفًا على عشْرة، فلمَّا ماتَ أبو الدَّرداء، خلَفَهُ ابنُ عامر. وكان أبو الدَّرداء هو الذي سَنَّ الحَلَق للقراءة[2].

وكان أبو موسى الأشعري يُعلِّمُ الناسَ القرآن في مسجدِ البصْرة. وكان يجلسون إليهِ حلَقًا حلَقًا[3]. وكان يُعلِّمُ القرآنَ خمْس آيات خمْس آيات[4].

وكان عبدُ الله بن مسعود (الذي أرسلَهُ عمر) يُقرئُ الناسَ في مسجدِ الكوفة، فلم تزَلْ قراءة عبد الله بالكوفةِ لا يعرفونَ الناس غيرَها[5]. ثمَّ جاءَ من بعدِهِ أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي إلى الكوفةِ مع المصْحف الذي أرسلَهُ عثمان إلى

(1) ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الدين**، ج6، ص115.
(2) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج2، ص249.
(3) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، ج2، ص220.
(4) ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج1، ص604.
(5) ابن مجاهد، **كتاب السبعة في القراءات**، ص67.

أهلِها، فجلَسَ في مسْجدِها لتعليمِ الناس القرآن، ولم يزل يُقرئ بها أربعينَ سنة[1]. فكان يُقرِئُهُم عشرينَ آية بالغَداةِ وعشرين آية بالعشي، ويُخبِرُهُم بموضعِ العُشُور والخُمُوس، وكان يقرأُ خمْس آيات خمْس آيات[2]. وكان أبو عبد الرَّحمن يبدأُ بأهلِ السُّوق لئلَّا يحتبسوا عن معايشِهِم[3]. ولم تختفِ قراءة ابن مسعود من الكوفةِ سريعًا، رغمَ إقامة أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي الطويلة فيها. وهناك ما يشيرُ إلى أنَّ قراءةَ ابنَ مسعود ممَّا وافقَ رسْمَ المصحف رواها القُرَّاء ضمنَ قراءاتِهِم.

والخلاصة أنَّ انتشارَ القرآن بين الناس في الأمصارِ الإسلامية المختلفة، لا يمكن عزْوُها إلى شخْصٍ واحد، أو إلى خطوةٍ واحدة قامَ بها فلان أو فلان. وإنَّما هي عملية تراكمية، سرَت في أوصالِ الأمة، سريانًا مذهلًا لعوامل متعدِّدة، وإنْ كان لبعضِ الأفراد بها تأثير أكثر من غيرهم في هذا السَّرَيان.

حرْق المصاحِفَ المتبقية:

بعدَ أنْ كُتبَت النُّسْخة الإمام من القرآن، وبعدَ أنْ تمَّ استنْساخ عدَّة نُسَخ مطابقة للنُّسْخةِ الإمام، وبعدَ أنْ أرْسَلَ عثمان مع كلِّ نُسْخةٍ قارئًا محترفًا يُعلِّمُ الناسَ بالمشافهةِ القراءةَ الصَّحيحة للقُرآنِ، المطابقة لتلكَ النُّسْخة الأساس المتوفِّرة في كلِّ مصْر. . .أصدَرَ عثمانُ أوامِرَهَ بجَمْعِ كلّ المصاحف المتبقيَّة في أيدي أصحاب النَّبي والتَّابعين. ثمَّ أصدَرَ أوامِرَهُ بحرْقِها بأسْرِها. ومن الآن فصاعدًا، من أراد أنْ يحظى بنُسْخةٍ من القرآن عليه أنْ يستنْسخ لنفْسِهِ نُسْخةً من النُّسْخةِ الإمام أو من النُّسَخ المرجعية التي أُرْسِلَت إلى الأمصار.

ففي روايةٍ: «حتى إذا نسَخُوا الصُّحُفَ في المصاحِفِ، بعَثَ عثمانُ إلى كلِّ أُفُقٍ بمُصْحفٍ من تلكَ المصاحف التي نسَخُوا، وأمَرَ بسوى ذلكَ من صحيفةٍ ـ أو مُصْحفٍ ـ أنْ يُحرَق»[4].

---

(1) ابن مجاهد، **كتاب السبعة في القراءات**، ص68.
(2) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج6، ص172. الذهبي، **معرفة القرّاء**، ج1، ص46.
(3) ابن الجزري، **منجد المقرئين**، ص8.
(4) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص196.

وفي روايةٍ أخرى: «ففعلوا ذلكَ، حتى كُتِبَت في المصاحفِ، ثمَّ ردَّ عثمانُ الصُّحُفَ إلى حفْصة، وأرْسَلَ إلى كلِّ جُنْدٍ من أجنادِ المُسْلمينَ بمُصْحفٍ، وأمرَهُم أنْ يحرُقُوا كلَّ مُصْحفٍ يُخالِفُ المُصْحفَ الذي أرْسَلَ به، فذاكَ زمانٌ حُرِّقَت المصاحِفُ بالعراقِ بالنار»[1].

وفي روايةٍ ثالثة: «فأمَرَ بجمْعِ المصاحفِ فأحْرَقَها، ثمَّ بثَّها في الأجناد. يعني التي كَتَبَ»، أيضًا «فوفَّقَ اللهُ عثمانَ، فنَسَخَ تلكَ الصُّحفَ في المصاحفِ، فبعَثَ بها إلى الأمْصارِ، وبثَّها في المسلمين»[2].

وفي روايةٍ رابعة: «وكتَبَ مصاحِفَ ففرَّقَها في الناسِ، فسَمِعْتُ بعضَ أصحابِ محمَّدٍ يقول: قد أحسَنَ»[3].

والمؤاخذةُ التي سُجِّلَت على عثمان تتركَّز على حرْقِهِ المصاحفَ، وليس على جمْعِهِ القرآن، ولا على مصادرةِ المصاحف المتداولة آنذاك. فكيفيةُ تخلُّصِهِ من المصاحفِ الأخرى، أثارت غضَبَ الناس، لأنَّها كانت تنطوي على هتْكٍ غير مقبول في نظَرِ كثيرين.

كما أثارَ خصومُ الإسلام اللَّغطَ حول وجود ما زعموا أنَّه أخطاء إملائية وأخطاء نحوية في رسْمِ المصْحف المُدوَّن في زمن خلافة عثمان. لنتناول أولًا الأخطاء الإملائية:

هل توجد أخطاء إملائية في المصحف؟

ما سرُّ ما نجِدُ من أخطاءٍ إملائيةٍ في رسْمِ المصحف الذي بأيدينا والمأخوذ من رسْمِهِ الأول؟

الجواب: لا يوجدُ هناك أيَّ خطأ إملائي في رسْم المُصْحف العُثْماني، لأنَّ وجود خطأ يفترضُ ضمْنًا وجود معايير وقواعد ثابتة ومُتَّفق عليها لكتابةِ

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص200 ـ 201.
(2) المصدر السابق نفسه، ص209.
(3) المصدر السابق نفسه، ص210.

الكلمات. والخطُّ العربي آنذاك، عندما كُتِبَ القرآنُ، كان في نشأتِهِ، فالكُتَّاب العرب لم يتَّفقوا بعدُ على رسْمِ الكلمات بطريقةٍ واحدةٍ[1].

نعم، بعدما تطوَّر الخطُّ العربي، ومرَّت قرون، وحصلَ نحوٌ من الاتِّفاق على طريقةِ كتابة الكلمات، وبقيَ رسْمُ المصحف على حالِهِ الأول، صارَ يُنْظَر إلى طريقةِ كتابة الكلمات في القرآنِ على أنَّها أخطاءٌ إملائية. والصَّحيحُ أنَّها أخطاءٌ إملائية بالنِّسبةِ لنا نحنُ المُتأخِّرون. أما بالنِّسبةِ إليهم، الأمرُ ليس الأمرُ كذلكَ أبدًا[2].

لذا يروي أبو عمرو الدَّاني[3] ما يلي: «سُئِلَ مالك فقيلَ له: أرأيتَ من استكتَبَ مُصْحفًا اليوم، أترى أنْ يكتُبَ على ما أحدَثَ الناسُ من الهجاءِ اليوم؟ قال: لا أرى ذلك، ولكن يكتُبُ على الكتْبةِ الأولى. قال أبو عمرو: ولا مُخالِفَ له في ذلكَ من عُلماءِ اليوم»[4].

إلا أنَّ آخرين فسَّروا التفاوت في رسْمِ الكلمات بضعْفِ الكُتَّاب. من أولئك ابنُ خلْدون[5] الذي كتَبَ في مقدِّمتِهِ: «كان الخطُّ العربي لأوَّلِ الإسلام غيرُ بالغٍ إلى الغايةِ من الإحكام والإتقانِ والإجادة، ولا إلى التوسُّط، لمكانِ العربِ من البداوةِ والتوحُّش، وبُعدِهِم عن الصَّنائع. وانظُر ما وقَعَ لأجلِ ذلكَ في رسْمِهِم المُصْحفَ؛ **حيثُ رسَمَهُ الصَّحابةُ بخُطُوطِهِم، وكانت غيرُ مستحْكَمَةٍ في الإجادةِ، فخالَفَ الكثيرُ من رُسُومِهِم ما اقتضَتْهُ رُسُومُ صناعةِ الخطِّ عند أهلِها، ثمَّ اقتفى التابعونَ من السَّلَفِ رسْمَهُم فيها، تبرُّكًا** بما رسَمَهُ أصحابُ

(1) فمثلًا كلمة «تعالوا» هل تكتب هكذا؟ أو تكتب بدون الألف في وسطها هكذا «تعلوا»؟ أو كلمة «رحمة» هل تكتب هكذا؟ أو تكتب بالتاء المفتوحة هكذا «رحمت»؟ أو كلمة «على» و«حتى» هل تكتبان هكذا؟ أو تكتبان بالألف هكذا «علا» و«حتا»؟

(2) بل في زماننا توجد كلمات، حتى الآن لم يتمّ الاتفاق بعد على طريقة كتابتها! مثل «زنا» هل تكتب هكذا؟ أم تكتب بالألف المقصورة «زنى»؟ أو كلمة «شئون» هل تكتب هكذا؟ أم تكتب بهمزة على الواو هكذا «شؤون»؟ أو كلمة «مسئول» هل تكتب هكذا؟ أم تكتب بهمزة على الواو هكذا «مسؤول»؟ أو كلمة «إذن» هل تكتب هكذا؟ أم تكتب هكذا «إذًا»؟.

(3) (ت 444 هـ/ 1052م).

(4) أبو عمرو الداني، المقنع، ص19.

(5) (ت 808 هـ/ 1405م).

الرَّسولِ ﷺ وخيرُ الخلْقِ من بعدِهِ المُتلقُّونَ لوحْيِهِ من كتابِ اللهِ وكلامِهِ، كما يُقتفى لهذا العهدِ خطُّ وليٍّ أو عالِم تبرُّكًا، ويُتْبَعُ رسْمُهُ خطأً أو صوابًا. وأينَ نسْبةُ ذلكَ من الصَّحابةِ فيما كتَبُوهُ؟ فاتُّبِعَ ذلك، وأُثْبِتَ رسْمًا، ونبَّهَ العُلماءُ بالرَّسْمِ على مواضِعِهِ.

ولا تلتفتنَّ في ذلكَ إلى ما يزْعُمُهُ بعضُ المُغفَّلينَ من أنَّهُم كانوا مُحْكِمينَ لصناعةِ الخطِّ، وأنَّ ما يُتخيَّلُ من مُخالفةِ خُطُوطِهِم لأُصُولِ الرَّسْم ليسَ كما يُتخيَّلُ، بل لكُلِّها وجهٌ. يقولونَ في مثلِ زيادة «الألف» في «لا أذْبحنَّهُ» إنَّه تنبيهٌ على أنَّ الذبحَ لم يقع، وفي زيادةِ «الياء» في «بأيْيد» إنَّه تنبيهٌ على كمالِ القدرةِ الربَّانية. وأمثالُ ذلكَ ممَّا لا أصلَ له، إلا التحكُّم المحض. وما حمَلَهُم على ذلكَ إلا اعتقادُهُم أنَّ في ذلكَ تنزيهًا للصَّحابةِ عن توهُّمِ النقْصِ في قلَّةِ إجادةِ الخطِّ، وحسَبُوا أنَّ الخطَّ كمالٌ فنزَّهُوهُم عن نقْصِهِ، ونسبوا إليهم الكمالَ بإجادتِهِ، وطلبوا تعليلَ ما خالَفَ الإجادةَ من رسْمِهِ[1]. وذلكَ ليس بصحيحٍ.

واعلم أنَّ الخطَّ ليسَ بكمالٍ في حقِّهِم، إذ الخطُّ من جُملةِ الصَّنائعِ المدنيَّةِ المعاشيَّة، كما رأيتَهُ فيما مرَّ. والكمالُ في الصَّنائعِ إضافيٌّ بكمالٍ مطلقٍ، إذ لا يعودُ نقْصُهُ على الذَّاتِ في الدِّين، ولا في الخِلال، وإنَّما يعودُ على أسبابِ المعاشِ وبحسَبِ العُمرانِ والتعاونِ عليه، لأجلِ دلالتِهِ على ما في النفوس. وقد كان ﷺ أُمِّيًا، وكان ذلكَ كمالًا في حقِّهِ وبالنِّسبةِ إلى مقامِهِ، لشرَفِهِ وتنزُّهِهِ عن الصَّنائعِ العمَليَّةِ التي هي أسبابُ المعاشِ والعُمرانِ كلُّها، وليست الأميَّةُ كمالًا في حقِّنا نحنُ؛ إذ هو منقطعٌ إلى ربِّهِ، ونحنُ متعاونونَ على الحياةِ الدُّنيا شأنَ الصَّنائعِ كلِّها، حتى العُلوم الاصطلاحية. فإنَّ الكمالَ في حقِّهِ هو تنزُّهُهُ عنها جملةً، بخلافِنا. ثمَّ لمَّا جاءَ المُلْكُ

---

(1) أقول: من هؤلاء عبد العزيز الدباغ (ت 1132 هـ) على ما نقله عنه تلميذه أحمد بن المبارك (ت 1155 هـ) في كتاب الإبريز، حيث كتب: «ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهدي إليها العقول...وهو سر من الأسرار خصّ الله به كتابه العزيز...وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضًا معجز..»! انظر: أحمد بن المبارك، **الإبريز**، ص55 ـ 56.

للعربِ، وفتحوا الأمصارَ، وملكوا الممالِكَ، ونزلوا البصْرةَ والكوفةَ، واحتاجت الدَّولةُ إلى الكتابةِ، استعملوا الخطَّ، وطلبوا صناعتَهُ وتعلُّمَهُ وتداولوه، فترَقَّتِ الإجادةُ فيه، واستحْكَمَ وبلَغَ في الكوفةِ والبصْرةِ رُتبةً من الإتقان، إلا أنَّها كانت دونَ الغاية»[1].

أقول: بعض ما ذكرَهُ ابنُ خلدون لا يخلو من نظَر. فعندما يقول: «فخالَفَ الكثيرُ من رُسُومِهم ما اقتضَتْهُ رُسُومُ صناعةِ الخطِّ عند أهلِها»، فهذا القولُ يستبطنُ الإيمانَ بأنَّ هناكَ رسومًا وقواعد محدَّدة متفَّق عليها آنذاك في كتابةِ الكلمات العربية. وهذا الافتراضُ غيرُ صحيح.

على أيِّ حال، «يعتقدُ كثيرٌ من الباحثين أنَّ أصْلَ الكتابة العربية الشَّمالية يعودُ إلى الكتابةِ الآراميةِ النَّبطية، لأسبابٍ مُتعدِّدة، أهمُّها الشَّبهُ الكبير بينَهُما. ويميلُ بعضُهُم إلى القولِ إنَّ الخطَّ السِّرْياني الاسطرنجيلي هو أصْلُ الخطِّ العربي. وتتحدَّث عن هذا أيضًا المصادر العربية مستندةً إلى روايةٍ وضعَها محمَّدُ بنُ السَّائب الكلْبي وابنُهُ هشام، وتُخبِرُ بأنَّ الكتابةَ العربية وصلَت مكة من العراقِ بوساطةِ ثلاثة رجال من طيئ نقلُوها عن السِّرْيانية. ومهما يكُن الخلاف، فإنَّ الأصْلَ النَّبَطي واضحٌ كلَّ الوضوح، وقد يكونُ للسِّريانيةِ أثرٌ في ظهورِ ما نعرِفُهُ من الخُطُوطِ العربية باسْم «الخطِّ الكوفي» الذي يُؤكِّدُ الشَّبهَ الكبير بينه وبين الخطِّ السِّرْياني الاسطرنجيلي بخاصَّة. أما الخطُّ النَّسْخي الحجازي فتبدو قرابَتُهُ من الخطِّ النَّبَطي كبيرةً وجليَّة، فكلاهُما مُدوَّر وسلِس، وليسا كالاسطرنجيلي والكوفي الهندسيَّين الصَّارمين»[2].

أما النُّقوش التي عُثِرَ عليها مكتوبة بالخطِّ العربي المُتطوِّر عن النَّبَطي، وتعودُ إلى فترةٍ ما قبلَ الإسلام، والتي كانت الدَّليلَ الأول بيدِ الباحثين على الطريقِ الذي اتَّخذَتْهُ الكتابةُ العربية في تطوُّرِها، فمن أهمِّها ستة نقوش، عُثِرَ عليها في المنطقةِ الشَّمالية من بلادِ العرب التي تمتدُّ من العلا ومدائن صالح إلى شمالِ بلاد حوران:

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص419 ـ 420.

(2) د. أحمد هبو، الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، دار الحوار، سوريا، ط1، 1984، ص86.

1. نقش أم الجمال الأول، وتاريخُهُ نحو سنة 250م.
2. نقش النمارة، وتاريخُهُ سنة 328م.
3. ونقش زَبَد، وتاريخُهُ سنة 512م.
4. نقش أسيس، وتاريخُهُ سنه 529م .
5. ونقش حرَّان، وتاريخُهُ 568م.
6. ونقش أم الجمال الثاني، وتاريخه يعود إلى أواخر القرن السادس الميلادي[1].

ويقولُ بعضُ الباحثين في النُّقُوشِ القديمة إنَّ **الأنباطَ كانوا يُسْقطون الألف الممدودة وسط الكلمة** في مثل «سلام»، فتُكتَب هكذا «سلم»[2]. وهذا يُفسِّرُ كثرة إسقاط الألفات من كتابةِ بعض نُسَخ المُصْحف العُثماني. واستمرَّ رسْمُ الكتابة العربية (الذي كان يُسمَّى «الهِجاء») بالتطوُّر حينًا من الدَّهر، مع توقُّف تطوُّر رسْم المُصْحف خاصَّة، خشْيةَ تحريفِهِ.

ومن أوائلِ من كتَبَ في هذا المجال، الكسائي[3] كتَبَ **كتابَ الهِجاء**، والفرَّاء[4] كتَبَ **آلَةُ الكتاب**، والسَّجَسْتاني[5] كتَبَ **كتابَ الهجاءِ**.

ومن أبرزِ من جاءَ بعد ذلك، أبو محمد عبد الله بن قتيبة[6]، الذي كتَبَ **أدَبَ الكاتب**، حيثُ خصَّصَ قسْمًا أسْماهُ «كتاب تقويم اليد»، «باب إقامة الهِجاء»، كتَبَ فيه: «الكُتَّابُ يزيدونَ في كتابةِ الحرْف ما ليس في وزْنِهِ، ليفْصِلُوا بالزِّيادةِ بينه وبين المُشبَّه له، ويُسْقِطُونَ من الحرْفِ ما هو في وزْنِهِ، استخفافًا واستغناءً بما أُبْقيَ عمَّا أُلْقِيَ، إذا كان فيه دليلٌ على ما يحذفونَ من الكلمة.

والعربُ كذلكَ يفعلون، ويحذِفُونَ من اللَّفْظة والكلمةِ، نحو قولِهِم «لمْ

(1) د. غانم قدوري الحمد، رسم **المصحف**، ص38 ـ 39.
(2) انظر مثلًا: المصدر السابق نفسه، ص58.
(3) (ت 180 هـ/ 796م).
(4) (ت207 هـ/ 822م).
(5) (ت 255 هـ/ 869م).
(6) (ت 276 هـ/ 889م).

يَكُ»، وهم يُريدونَ «لَمْ يكُنْ». . . (ثَمَّ كتَبَ) تُكتَب «بسْم الله» إذا افْتُتِحَت بها كتابًا أو ابْتُدِأَت بها كلامًا بغيرِ ألف، لأنَّها كثُرتْ في هذه الحال على الألْسِنة، في كلِّ كتابٍ يُكتَب، وعند الفزعِ والجزَع، وعند الخبرِ يَرِد، والطَّعام يُؤكَل، فحُذِفَتْ الألفِ استخفافًا. فإذا توَسَّطَت كلامًا أثبَتَّ ألِفًا فيها نحو «أبدأُ باسْم الله» و«أختِمُ باسْم الله»، وقالَ اللهُ عزَّ وجل: «اقرأ باسْمِ ربِّكَ»، «فسبِّح باسْمِ ربِّكَ العظيم»، وكذلكَ كُتِبَتْ في المصاحفِ في الحالين مبتدأَةً ومُتوسَّطة».

وقد شرَحَ ابنُ قتيبة الكثيرَ من أسرارِ الكتابة العربية، ومُبرِّرات إضافة أو إسقاط بعض الحروف[1].

وكتَبَ أبو عمرو الدَّاني[2]: «فأما زيادَتُهُم الألف في «مائة» فلأحدِ أمرين: إمَّا للفرْقِ بين «مائة» وبين «منْهُ»، من حيثُ اشتبهت صورَتُهُما، ثمَّ أُلحِقَت التَّثنية بالواحدِ فزيدت فيها الألف، لتأتيا معًا على طريقةٍ واحدةٍ من الزيادة، وهو قولُ عامَّةُ النَّحويين، قال القُتبي: زادوا الألف في «مائة» ليفصلُوا بها بينَها وبين «منْهُ»، ألا ترى أنَّكَ تقولُ «أخذْتُ مائة» و«أخذْتُ منْهُ»، فلو لم تكُن الألف لالتبَسَ على القارئ.

وإما تقويةً للهمْزةِ، من حيثُ كان حرْفًا خفيًّا بعيدَ المخْرجِ، فقَوَّوها بالألف، لتتحقَّق بذلكَ نبرَتُها، وخُصَّت الألفُ بذلكَ معها من حيثُ كانت من مخْرَجِها، وكانت الهمزةُ قد تُصوَّر بصورَتِها. وهذا القولُ عندي أوجه؛ لأنَّهم قد زادوا الألفَ بيانًا للهمزةِ وتقويةً لها في كلِم لا تشتبه صُورَهُنَّ بصُورِ غيرهن. فزالَ بذلك معنى الفرْق، وثبَتَ معنى التقوية والبيان، لأنَّه مُطرَّدٌ في كلِّ موضع. . .

وأما زيادَتُهُم الألف في «ولأاوضعوا» و «أو لأاذبحنَّه»، فلمعانٍ أربعة. هذا إذا كانت الزَّائدة فيهما المنفصلة عن اللام، وكانت الهمزة المتَّصلة باللام. هو قولُ أصحاب المصاحف:

(1) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدَّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ص213 ـ 306.
(2) (444 هـ/ 1052م).

فأحدُها: أنْ تكونَ صورةً لفتحةِ الهمْزة، من حيثُ كانت الفتحةُ مأخوذةً منها. فلذلكَ جُعِلَت صُورةً لها، ليدُلَّ على أنَّها مأخوذةٌ من تلكَ الصُّورة، وأنَّ الإعرابَ قد يكونُ بهما معًا.

والثاني: أنْ تكونَ الحركةَ نفسَها، لا صُورةً لها. وذلكَ أنَّ العربَ لم تكُن أصحاب شكْل ونقْط. فكانت تُصوِّرُ الحركاتِ حُرُوفًا، لأنَّ الإعرابَ قد يكونُ بها كما يكونُ بهن. فتُصوَّر الفتْحةُ ألفًا، والكسْرةُ ياءً، والضمَّةُ واوًا. فتدُلُّ هذه الأحرُف الثلاثة على ما تدُلُّ عليه الحركات الثلاث، من الفتْحِ والكسْرِ والضَّم.

وممَّا يدُلُّ على أنَّهم لم يكونوا أصحابَ شكْلٍ ونقْط، وأنَّهم كانوا يُفرِّقونَ بين المشْتبهينِ في الصُّورةِ بزيادةِ الحُرُوف، إلحاقُهُم الواو في «عمْرو» فرْقًا بينَهُ وبين «عُمَر»، وإلحاقُهُم إيَّاها في «أُولئكَ» فرْقًا بينَهُ وبين «إليكَ». وفي «أُولي» فرْقًا بينَهُ وبين «إلى»، وإلحاقُهُم الياء في قولِهِ «والسَّماءَ بنيناها بأييدٍ» فرْقًا بين «الأيدِ» الذي معناهُ القوَّة وبين «الأيدي» التي هي جمْعُ «يد»، وإلحاقُهُم الألف في «مائة» فرْقًا بينَهُ وبين «مِنْهُ» و«مِنَّة» و«مية»، من حيثُ اشتبهت صورةُ ذلك كلِّه في الكتابة...

والثالث: أنْ تكونَ دليلًا على إشباعِ فتْحة الهمزة وتمطيطِها في اللَّفظ، لخفاءِ الهمْزة وبُعدِ مخْرَجِها، وفرْقًا بين ما يُحقَّق من الحركات وما يُختلَس منْهُن. وليس ذلك الإشباعُ والتَّمطيط بالمؤكِّدِ للحروف، إذْ ليس من مذهبِ أحد من أئمةِ القراءة، وإنَّما هو إتمامُ الصوتِ بالحركةِ لا غير.

والرابع: أنْ تكون تقويةً للهمْزةِ وبيانًا لها، ليتأدَّى بذلكَ معنى خفائِها. والحرْفُ الذي تُقوَّى به قد يتقدَّمُها، وقد يتأخَّرُ بعدَها»[1].

وكذا كتَبَ أبو محمد سعيد الدهَّان النَّحوي[2] **في بابِ الهِجاء**، بعدما تمايزَ خطُّ كتابةِ المصاحف، عن خطِّ الكتابة العادية، شارحًا الكثير من أسرارِ

(1) أبو عمرو الداني، **المحكم في نقط المصاحف**، ص175 ـ 176.
(2) (ت 569 هـ/ 1174م).

ومُبرِّرات كتابة القرآن على نحوٍ خاص، فقال: «وكتبوا «مائة» بألِفٍ، للفصْلِ بينَهُ وبين «منْهُ»، وأجروا تثْنيتِهِ مجرى مُفْرَدِهِ»[1]. وكتَبَ أيضًا: «وممَّا يحذِفُونَ ألِفَهُ في الخطِّ، ألف «إبرهيم» التي بعدَ الرَّاء، وكذلك ألف «إسمعيل» وألف «إسحق» وألف «هرون» وألف «سُليمن» لكثرتِهِ، وألف «الرَّحمن». ولا يحذِفُونَ ألفَ: طالوت، وجالوت، وهاروت، وماروت، لقِلَّتِهِ»[2].

أما الشَّيخ هادي معرفة[3] فقد كتَبَ ما يلي: «رسْمُ الخطِّ في المُصْحفِ الشَّريف تخلَّفَ حتى عن المصْطلحِ العام، ففيه الكثيرُ من الأخطاءِ الإملائية، وتناقُضات في رسْمِ الكلمات، بحيث إذا لم يكُن سماعٌ وتواترٌ في قراءةِ القرآن، ولا يزال المسلمون يتوارثوها جيلًا بعد جيل، في دقَّةٍ وعنايةٍ بالغة، لولا ذلكَ لأصبحَ قراءةُ كثيرٍ من كلماتِ القرآن، قراءةً صحيحة، مستحيلة. ويرجِعُ السَّبَبُ إلى عدَمِ اضْطلاع العرَب بفُنونِ الخطِّ وأساليبِ الكتابة ذلكَ العهد، بل ولم يكونوا يعرفونَ الكتابةَ غير عدد قليل، خطًّا بدائيًّا رديئًا للغاية، كما يبدو على خُطوطٍ باقيةٍ من الصَّدْرِ الأوَّل»[4].

أقول: بعض ما ذكرَهُ الشَّيخ معرفة لا يخلو من نظَر. صحيحٌ أنْ لولا دقَّة وعناية المسلمين بالقرآن جيلًا بعد جيل، لأصبحَ قراءةُ كثيرٍ من كلماتِه قراءةً صحيحة، مستحيلة[5]. لكن كلامُهُ يستبطنُ الإيمانَ بأنَّ هناكَ رسومًا وقواعد محدَّدة متفَّق عليها آنذاك في كتابةِ الكلمات العربية. وهذا الافتراضُ غيرُ صحيح.

كتَبَ الشَّيخ معرفة أيضًا: «ليسَ وجود أخطاء إملائية في رسْمِ المُصْحف الشَّريف بالذي يمسُّ كرامةَ القرآن:

---

(1) أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي، **باب الهجاء**، تحقيق د. فائز فارس، مؤسسة الرسالة، ط1، 1986، بيروت، ص6.

(2) المصدر السابق نفسه، ص15.

(3) (ت 1427 هـ/ 2006م)

(4) هادي معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، ج1، ص366.

(5) خذ على سبيل المثال كلمة «الربا» التي تكتب في المصحف هكذا «الربوا»...فلولا أن القرآن ما زال يُتلقى بالسماع والمشافهة، لكان من المستحيل على القارئ المعاصر أن يقرأ الكلمة المدونة في المصحف قراءة صحيحة.

أولًا: القرآنُ ـ في واقعِهِ ـ هو الذي يُقرأ، لا الذي يُكتَب، فلتكُن الكتابة بأيِّ أُسْلُوب، فإنَّها لا تضُرُّ شيئًا ما دامت القراءةُ باقيةً على سلامتِها الأولى التي كانت على عهدِ الرَّسول ﷺ وصحابتِهِ الأكرمين. ولا شكَّ أنَّ المُسْلمينَ احتفظوا على نصِّ القرآن بلفْظِهِ المُقْروء صحيحًا، منذُ الصَّدْر الأوَّل فإلى الآن، وسيَبْقى مع الخُلُودِ في تواتُرٍ قطْعي.

ثانيًا: تخطئةُ الكتابة هي استنكارٌ على الكتَبَةِ الأوائل: جهْلِهِم أو تساهُلِهِم، وليست قدْحًا في نفْسِ الكتاب...

ثالثًا: إنَّ وجودَ أخطاء ظلَّت باقيةً لم تتبدَّل، يُفيدُ المسلمينَ في ناحيةِ احتجاجِهِم بها على سلامةِ كتابِهِم من التحريفِ عبرَ القُرُون. إذ إنَّ أخطاءَ إملائية لا شأْنَ لها، وكان جديرًا أنْ تمتدَّ إليها يدُ الإصلاح، ومع ذلك، بقيَتْ سليمةً عن التَّغيير، تكريمًا بمقامِ السَّلَفِ فيما كتبوهُ، فأجدَرُ بنصِّ الكتابِ العزيز أنْ يبقى بعيدًا عن احتمالِ التَّحريفِ والتَّبديل رأسًا»[1].

على ضوءِ ذلك، نعرفُ أنَّ المسلمينَ حافظوا على رسْمِ الكلمات في المصْحف كما جاءَت في المصاحفِ العثمانية الأولى، مع ما في عددٍ منها من حذْفِ بعض الحروف أو زيادة بعضها. وكان الإمامُ مالك[2] قد سُئِلَ: «أرأيتَ من استكْتَبَ مصْحفًا اليوم، أترى أنْ يُكْتَبَ على ما أحدَثَ الناسُ من الهجاءِ اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك، ولكن يُكْتَبُ على الكتْبةِ الأولى»[3].

مرَّة أخرى، **ليس ثمَّة أخطاء إملائية في القرآنِ أبدًا، بل الكتابة العربية كانت في بدايةِ نشأتها، ولم يتمّ آنذاك الاتِّفاق بعدُ على كتابةٍ موحَّدةٍ لكثيرٍ من الكلمات. وهذا ما يُفسِّر لنا الفروق في كتابةِ كلماتٍ متعدِّدة في مخطوطاتِ القرآن المدوَّنة في القرْنِ الأول الهجري. نعم، بالنِّسبةِ لهذا العصر، بعدَ أنْ تمَّ الاتِّفاق على كتابةٍ موحَّدةٍ لأكثرِ الكلمات، يُنظَرُ إلى هذه الكلمات المُدوَّنة في المصْحف على أنَّها أخطاء إملائية.** لنتناول الآن الأخطاء النَّحوية:

---

(1) معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، ج1، ص368، وللاطِّلاع على نماذج من مُخالفات الرَّسْم، ومناقضات في الرَّسْمِ العثماني، راجع: ج1، ص274 ـ 377، أيضًا ص386 ـ 397.

(2) (ت 179هـ).

(3) الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، ص19.

هل توجد أخطاء نحوية في المصْحف؟

يبدو في بعضِ مواضِعِ المصْحف أنَّ ثمَّةَ أخطاء نحوية؟ هل من المعقول أنْ تكون هناك أخطاء نحوية في المصْحف؟ هكذا زعَمَ بعضُ خصوم الإسلام والقرآن.

يكفي لدحْضِ هذه الاتِّهامات، أنْ أستعين بما كتبَهُ الباحث أحمد ساعي:

«**أولًا: القرآنُ الكريمُ أقدَم من القواعد (النَّحوية)**، بل كان هو الحافِز للنَّحويين واللُّغويين والبلاغيين على وضْعِ قواعدِهِم، ومن غير القرآن ما كانَ لهم أنْ يضَعُوا قواعِدَهُم في تلكَ المرحلة المُبكِّرة من عُمْرِ اللُّغة العربية .**فالقرآنُ هو الرَّقيبُ على تلكَ القواعد، وليست القواعدُ هي الرَّقيبةُ على القرآن.**

ثانيًا: إذا أخطأَ محمَّدٌ ﷺ في القرآن، وهو الذي اعتادَ المُشكِّكونَ أنْ ينْسِبُوا القرآنَ إليه، فلماذا لم يُخطئ في الحديثِ الشَّريف؟ وهل كان في حديثِهِ أكثرَ عنايةً وتنْقيحًا منه في قرآنِهِ، مع أنَّ حجْمَ حديثِهِ يزيدُ عشرات الأضْعاف على حجْمِ القرآن، وأنَّ حديثَهُ هو حصيلةُ كلامِهِ اليومي والعادي والمُرْتجل مع الناس؟ وهل تسْلَم لُغتُهُ من الأخطاءِ إذا ارتجل، ثمَّ تمتلئُ بهذه الأخطاء إذا انفرَدَ إلى نفْسِهِ وعكَفَ بعيدًا عن أعيُنِ الناس، على تأليفِ نصٍّ سيَنْسِبُهُ بعدَ قليلٍ إلى إلهه؟

ثالثًا: الأخطاءُ اللُّغوية والنَّحوية تقعُ عادةً في مواقِع قد يلْتَبِسُ أمرُها على المبتدئين أو الضِّعاف في الكتابةِ أو الخطابةِ أو النَّظْم، فيرفعونَ مثلًا اسْمَ «إنَّ» لو تأخَّرَ مع تقدُّمِ شبه جملة عليه، فيقولونَ «إنَّ فيها سرٌّ» بدلًا من «سرًّا». ولكن ما من مبتدئٍ يُخطئُ فيقول «الشَّمْسَ مشرقةٌ»، هكذا بنَصْبِ «الشَّمْس».

إنَّ كثيرًا من حالاتِ الالتفات النَّحوي القرآني أقرَب، لو قِسْناها إلى مقاييسِنا النَّحوية، إلى حالةِ «الشَّمْسَ مشرقةٌ» التي لا يمكن أنْ يُخطئ بها حتى المبتدئ. وأَعِدِ النَّظَر إلى هذه الألفاظ في الآياتِ السَّابقة (صبغةَ، وعدَ، نصيبًا، كتابَ، خيرًا، دينًا، فسْقًا، إمامًا، سلامًا، ذريةَ، قولَ، ملةَ، صُنْعَ، فطرةَ، تنزيلَ، قولًا، نزَّاعةً، قادرين، عيْنًا، ناقةَ، حمَّالةَ) لتتبين الإضْرار على التميُّزِ اللُّغوي لحالاتِ النَّصب القُرآني.

رابعًا: إذا كانت هناكَ أخطاءٌ حقًّا، أفلمْ يكُن الشُّعراءُ والفُصحاءُ من

الصَّحابةِ قادرينَ على تدارُكِها وتصحيحِها، ثمَّ كتابة القرآن من غيرِها، فيصِلُنا بهذا سليمًا معافًى من تلكَ الأخطاء؟ بل، وهو الأهم، أفلمْ يكُن في مثلِ هذه الأخطاء ما يكفي لصَرْفِ أولئكَ الصَّحابة عن الدِّينِ الجديد الذي «يُخطئُ» إلهه في أبْسَطِ قواعدِ الكتابة؟»[1].

ثمَّ كتَبَ أحمد ساعي: «المؤلمُ في أمرِ هؤلاء المُشكِّكين أنَّ كثيرًا منهم يتحدَّث عن هذه «الأخطاء» وهم يجْهلُونَ حتى قواعدنا النَّحوية البشرية أيضًا. وكم أثار سُخْريتي وإشْفاقي أيضًا ذلك الذي أطلَّ علينا من نافذةِ إحدى الفضائيات المشبوهة ليسْخَرَ من «أخطاءِ» القرآن قائلًا: تصوَّرُوا أنَّ القرآنَ يقولُ حينًا، وفي سُورةٍ واحدةٍ، «ليسَ البرَّ» بالنَّصْبِ، ثمَّ يعودُ فيقولُ بعدَ قليل «ليسَ البرُّ» بالضَّمِّ، ثمَّ يُصِرُّونَ بعدَ ذلكَ أنَّه كتابُ الله، فما هذا الإله الذي يُخطئُ في اللُّغة!

ولا يُدرِكُ هذا الجاهل، وهو ما يُدْرِكُهُ حتى تلاميذ المرحلة الإعدادية، أنَّ الآيةَ الأولى[2] جاءَ فيها اللَّفظُ «البرَّ» منْصوبًا لأنَّه خبرٌ للفعْلِ الناقص «ليسَ البرَّ أنْ تُولُّوا وجوهَكُم...»، ولكن دخول حرْف الجر «الباء» في الآيةِ الثانية[3] قلَبَ الأمرَ فأصبَحَ «البرُّ» اسْمًا لذلكَ الفعل ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ...﴾[4].

وقد ورَدَ من طُرُقِ الشِّيعة أنَّ راويًا روى عن الإمامِ الباقرِ أو الصَّادقِ عليه السلام: سألتُهُ (أحدِهِما عليه السلام) عن قولِ اللهِ عزَّ وجل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، قال: يُبيِّنُ الألْسُن، ولا تُبيِّنُهُ الألْسُن[5]. وتدُلُّ الرِّواية ـ كما أفهم ـ أنَّ قواعدَ النَّحو هي التي تُشتقُّ من القرآن، لا أنَّ القرآنَ يُشتقُّ من قواعدِ النَّحو ولهجاتِ العرب.

بالرَّغمِ من ذلك كلِّهِ، رُويَ عن سعيدِ بن جُبير أنَّه قال: في القُرآنِ أربعة أحرُف لحْن: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[6] (على أساس أنَّ الصَّحيح أنْ يُقال «الصَّابئين»)،

(1) أحمد بسَّام ساعي، **المعجزة**، ص284 ـ 285.
(2) سورة البقرة، الآية: 177.
(3) سورة البقرة، الآية: 189.
(4) أحمد بسَّام ساعي، **المعجزة**، هامش ص285.
(5) الكليني، **أصول الكافي**، ج1، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح20.
(6) سورة المائدة، الآية: 69.

﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾[1] (على أساس أنَّ الصَّحيح أنْ يُقال «والمقيمون»)، ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2] (على أساس أنَّ الصَّحيح أنْ يُقال «وأكونَ»)، ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[3] (على أساس أنَّ الصَّحيح أنْ يُقال «هذين»)[4].

- وفي روايةٍ أخرى: عن هشام بنِ عروة عن أبيه عروةِ بنِ الزُّبير سألْتُ عائشة عن لحنِ القرآن ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، وعن قولِهِ ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وعن قوله ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، فقالت: يا ابنَ أُخْتي، هذا عمَلُ الكُتَّاب، أخطئُوا في الكتاب![5]
- وفي روايةٍ ثالثة: عن الزُّبير أبي خالد قال: قُلْتُ لأبان بنِ عثمان: كيفَ صارت ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ما بينَ يديها وما خلْفَها رفعٌ، وهي نصْبٌ؟! قال: من قِبَلِ الكُتَّاب، كتَبَ ما قبْلَها، ثمَّ قال: ما أكتُبُ؟ قال: اكتُب «والمُقيمينَ الصَّلاةَ»، فكتَبَ ما قيلَ له![6]

أقول: ما رُويَ عن الأوائِلِ من مُلاحظاتٍ نقديَّةٍ على كتابةِ المُصْحف، كما نُسِبَ لسعيدِ بنِ جُبير وعائشة، أفهَمُهُ في سياقِ التعبير عن عدَمِ ثقَتِهِم بالكتَبَةِ الأوائل، ومن ثَمَّ هو نقدٌ مُبطَّنٌ (منهم أو من الرُّواةِ عنهم) لعثمان بن عفان لاختيارِهِ زيد بن ثابت لرئاسةِ اللَّجنة. أما الرِّواية الثالثة المنسوبة لأبان بن عثمان بن عفان، فهي ضعيفةٌ بالزُّبير أبي خالد، فهو مجهولُ الحال والعين.

وإلا فهذه الموارد ليست أخطاء نحوية، وإليكَ بيانُ ذلك.

1) قولُهُ «الصَّابئون» رُفِعَ على الابتداء، وخبَرُهُ محذوفٌ، والنيَّةُ هي التأخير عمَّا

---

(1) سورة النساء، الآية: 162.
(2) سورة المنافقون، الآية: 10.
(3) سورة طه، الآية: 63.
(4) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص237 ـ 240.
(5) المصدر السابق نفسه، ص240 ـ 242. أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح21، ص160 ـ 161.
(6) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص240. أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح23، ص161.

في حيز «إنَّ» من اسْمِها وخبَرِها، كأنَّه قيل: «إنَّ الذينَ آمنوا والذين هادوا والنَّصارى حُكْمُهُم كذا، والصَّابئون كذلك. وأنشَدَ سيبويه شاهدًا له:

وإلَّا فـاعْـلَـمُـوا أنَّـا وأنْـتُـم بـغـاةٌ مـا بـقِـيْـنـا فـي شِـقـاقِ

أي فاعْلَمُوا أنَّا بغاةٌ وأنْتُم كذلك»[1].

2) وقوله «والمُقيمينَ» نُصِبَ على المدْحِ لبيانِ فضْلِ الصَّلاة، وتقديرُهُ: وأمدَحُ المقيمين، وهو قول سيبويه والمُحقِّقين، وإنَّما قُطِعَت هذه الصِّفةُ عن بقيَّةِ الصِّفات، لبيانِ فضْلِ الصَّلاة على غيرِها. كتَبَ الزَّمُخْشري: «وهو بابٌ واسعٌ، وقد كسَرَهُ سيبويه على أمثلةٍ وشواهد. **ولا يُلتَفَت إلى ما زعموا من وُقوعِهِ لحْنًا في خطِّ المُصْحف. وربَّما التفَتَ إليه من لم ينْظُر في الكتابِ ولم يعرف مذاهِبَ العرب** وما لهم في النَّصْبِ على الاختصاصِ من الافتنان، وغبي عليه أنَّ السَّابقينَ الأوَّلين الذين مثَلُهُم في التوراةِ ومثَلُهُم في الإنجيلِ كانوا أبعَدَ همَّةً في الغيرةِ على الإسلام وذبِّ المطاعنِ عنه، من أنْ يترُكُوا في كتابِ اللهِ ثلْمةً ليسُدَّها من بعدَهُم وخرْقًا يرفوهُ من يلْحَقُ بهم»[2].

3) وقولُهُ: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يُقرأُ بالجزْم حملًا على المعنى وعطْفًا على محلِّ «فأصَّدَقَ»، والمعنى: إنْ أخَّرْتني أصَّدَقَ وأكُن[3].

4) وقولُهُ: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾: قُرِئَت «إنْ» بالتَّخفيف «هذان» بالألف، وتوجيهُها: أنَّ الأصْلَ «إنَّ هذَينِ»، فخُفِّفَت «إنَّ» بحذْفِ النُّون الثانية، وأُهمِلَت كما هو الأكثر فيها إذا خُفِّفَت، وارتفَعَ ما بعدها بالابتداءِ والخبر، فجيء بالألف، ونظيرُهُ أنَّكَ تقولُ: «إنَّ زيدًا لقائمٌ»، فإذا خُفِّفَت، فالأصحُّ أنْ تقول «إنْ زيدٌ لقائمٌ» على الابتداءِ والخَبَر، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾. وقد أُجيبَ عن ذلكَ بإجاباتٍ أخرى؛ فمثلًا قيل: إنَّها لُغةُ بلْحارث بن كعب، وخثْعَم، وزُبيد، وكنانة، وآخرين،

---

(1) الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص300 ـ 301.
(2) المصدر السابق نفسه، ج1، ص271.
(3) المصدر السابق نفسه، ج2، ص1253.

استعمال المُثنَّى بالألفِ دائمًا، وجعْل الاسْم المُثنَّى نحوَ الأسْماء التي آخِرُها ألف، كـ «عصا» و«سعْدى»، فلم يقلِبُوها ياء في الجرِّ والنَّصْب، لذا تقولُ في هذه اللُّغة: «جاءَ الزَّيدان»، و«رأيتُ الزَّيدان»، و«مرَرْتُ بالزَّيدان». وقيلَ: «إنْ بمعنى نعم، و«لساحِران» خبرُ مبتدأٍ محذوف، واللامُ داخلةٌ على الجمْلةِ، تقديرُهُ: «لهُما ساحران». وقيلَ: أنَّه لمَّا كان الإعرابُ لا يظهَرُ في الواحدِ ـ وهو «هذا» ـ جُعِلَ كذلك في التَّثْنية، ليكونَ المُثنَّى كالمُفْرَد، لأنَّه فرْعٌ عليه[1].

لذا لا يسَعُنا إلا الدَّهشة والابتسام عندما نقرأُ ما رواهُ ابن أبي داود عن عبد الأعلى بن عامر القُرَشي قال: لمَّا فرُغ منَ المُصْحفِ، أُتيَ به عثمان، فنَظَرَ فيه، فقال: قد أحسَنْتُم وأجْمَلْتُم، أرى فيه شيئًا من لحْنٍ، ستُقيمُهُ العرَبُ بألسِنَتِها[2].

الدَّورُ المُغيَّب للإمام علي عليه السلام:

قامَ الإمامُ عليّ عليه السلام ـ الذي يحتفظُ بنُسْخةٍ أصليَّةٍ من القرآن ـ بدورٍ أساس في دَعْم الخُطوة التاريخية التي قامَ بها عثمان، من خلالِ «تشجيع» أسماء كفوءة للتَّعاونِ إلى أقصى درجة مع اللَّجْنةِ التي شكَّلَها، وإسباغ الشَّرعية على عمَلِها، ورفض التَّشكيك بمُخرجاتِها.

ومن جديد، الهدفُ الأساس من هذا التعاون هو أنْ تكون النُّسْخة الرَّسمية المُدوَّنة من القرآن مطابقة لما أنزَلَ اللهُ تعالى، حتى لو نُسِبَ الفضْلُ في جمْعِ القرآن وتدوينِهِ إلى عثمان أو زيد أو غيرهما.

مرَّة أخرى، عليَّ أنْ أعترف بأنِّي لم أجدُ دليلًا صريحًا على «تشجيعِ» الإمام علي عليه السلام لبعضِ المرجعيات الكبيرة في مجالِ القرآن للتَّعاون مع اللَّجنة، لكن هذا الافتراض سأضطرُّ إليه، لأسبابٍ عديدة. فطبيعةُ الاصطفافات

(1) انظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج1، ص711، أيضًا راجع حواشي وتعليقات **المصاحف**، لابن أبي داود، ص238 ـ 239.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص231 ـ 236.

السِّياسية التي وقعَت بعدَ وفاةِ النَّبي ﷺ، تدفعُني للإيمان بأنَّ بعضَ الشَّخصيات من المستبعد أنْ تتعاون إلا إذا رأت أنَّ التَّعاون هو أمرٌ تفرِضُهُ المصْلحة العامة، التي كان الإمامُ علي عليه السلام يُراعيها على الدَّوام، ويدْفَعُ أصحابَهُ لمراعاتِها. هذا الموقف الجماعي، المتمثِّل أولًا بمناشدةِ حُذيفة بن اليمان لعثمانَ القيامَ بأصْلِ المشروع، ثمَّ تعاون أُبيّ بن كعب الوثيق ودورُهُ الفعَّال جدًّا في اللَّجنة، ثمَّ موقفُ الإمام علي عليه السلام الدَّاعم لمخرجاتِ اللَّجنة... كلُّ ذلك يعتبرُ من القرائنِ المُؤكِّدة لهذا الافتراض (لاحظ في الهامش: التَّبرير المعرفي لمثلِ هذا الافتراض)(1).

- من أبرَزْ الأسْماء اللامعة التي نفترض أنَّ الإمامَ عليًّا عليه السلام شجَّعها على التَّعاون مع اللَّجنة، وتقديم كلّ ألوان الدَّعم والمساندة: «أُبيّ بن كعب».

فقد روى ابنُ أبي داود في «المصاحف» ثلاثَ روايات مفادُها: لمَّا أرادَ عثمانُ أنْ يكتُبَ المصاحف، جمَعَ له اثني عشَرَ رجُلًا من قُريش والأنْصار، فيهم أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت (وسعيد بن العاص)(2).

وأشرْتُ فيما مضى، أنَّ ثمَّة رواية تُؤكِّد أنَّ أُبيَّ بنَ كعب كان هو الذي

---

(1) من الناحية المعرفية، قد يضطر المرء لإقحام بعض الافتراضات للحفاظ على انسجام تسلسل الأحداث. فمثلًا لو رأيت قطة تسير في خط مستقيم، ثم اختفت عن ناظريك أثناء سيرها خلف جدار يفصل بينك وبينها، ثم ظهرت أمام ناظريك مرة أخرى بعد أن انتهاء هذا الجدار. فإن احتفظت القطة بمواصفاتها، فمن الطبيعي أن تفترض أن القطة التي ظهرت من جديد هي القطة ذاتها التي رأيتها قبل أن تختفي، وليست قطة أخرى. إقحام مثل هذا الافتراض تفرضه طبيعة المعرفة البشرية، حتى يحافظ الذهن على انسجام تسلسل الأحداث، وإن أخطأ في بعض الأحيان في بعض تلك الافتراضات. لذا اضطر بعض الفلاسفة، مثل برتراند رسل إلى افتراض مصادرات، عبر عنها بـ «مصادرات البحث العلمي». لأنا نجد أنفسنا أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن نتقوقع في نطاق معطياتنا الحسية التي تقدم لنا عالمًا من التصورات الناقصة، أو أن نسلم ببعض المبادئ التي تبرر الاستدلال على الخبرات الحسية والحوادث غير المدركة وعقول الآخرين...إلخ.
هذا وفقًا لمنطلقات برتراند رسل. أما وفقًا لمنطلقات السيد محمد باقر الصدر، فمثل هذه الافتراضات أمر يبرره بديهيات حساب الاحتمالات ومصادراته بذاتها، دون الحاجة لافتراض مصادرات إضافية خارج إطار حساب الاحتمالات، كما ذهب رسل. وتفصيلُ هذا الأمر لا يسعه المقام. فإن كانت هذه المصادرات، ضرورة كما يدعي برتراند رسل للبحث العلمي، فضرورتها في مجال البحث التاريخي أوضح وأشد. لكن بشرط واحد، أن يفرض تسلسل الأحداث مثل هذا الافتراض، لا أن ينتقي الباحث ما يحلو له من افتراضات ويقحمها في البحث التاريخي إقحامًا اعتباطيًّا لتوجيه الأحداث بتحيز متعمد.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص214.

يُمْلي على اللَّجنة من مُصْحَفِهِ .وهذا يعني أنَّ اللَّجنةَ اعتمدَت عليه اعتمادًا رئيسيًّا. بل كان مصحفُ أُبيّ هو المرجع الأساس أيضًا. فعن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب: **أنَّهُم جمعوا القرآنَ من مُصْحَفِ أُبيّ، فكان رجالٌ يكتُبُونَ، يُمْلي عليهم أُبيُّ بنُ كعب**... الرِّواية[1]. إذًا كان أُبيّ هو المملي الأساس، وكان مُصْحَفُهُ هو المرجعَ الأساس.

- كما أشرْتُ فيما مضى، لدَوْرِ ما لخُزيمة بن ثابت الأنْصاري، الذي كان يُدْعى: ذا الشَّهادتين، حيثُ أجازَ النبيُّ ﷺ شهادَتَهُ بشهادةِ رجُلين، واسْتُشْهِدَ مع الإمامِ عليّ عليه السلام في صفِّين.
- أيضًا من الأسماءِ التي ذكرَتْها الرِّوايات: «سعيدُ بنُ العاص»، الذي كان جدُّهُ وأبوه من رُؤُوسِ الكُفْر، بخلافِ أعمامِهِ خالد وأبان وعمرو، حيثُ كانوا من أخلَصِ مُحبِّي الإمام عليّ عليه السلام، وكان سعيد ميَّالًا للإمام علي عليه السلام، إلا أنَّه تزوَّجَ ابنتين من بناتِ عثمان، وعُيِّنَ حاكمًا على الكوفةِ بعد خلع الوليد بن عقبة، وبقيَ في منصبِهِ حتى نهاية سنة 34هـ، واعتزَلَ الحياةَ العامة بعد تولِّي الإمام عليّ عليه السلام الخلافة، ثمَّ استعمَلَهُ معاوية على المدينة!

ويبدو أنَّ ما كان يتوارى في قلْبِ سعيد بن العاص من حساسيةٍ تجاهَ الإمام علي عليه السلام، قد برَزَ لاحقًا بعد محاولاتٍ مستمرَّة لتحريضِهِ عليه. فقد نقَلَ الشَّيخ المفيد، والواقدي وابنُ هشام بألفاظٍ قريبة (واللَّفظُ للأول)، أنَّ عثمان بن

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص223 ـ 224. وحاول البعض التَّشكيك في دور أُبيّ بن كعب، من خلال إثارة الجدل حول سنة وفاته، فبعضُهُم يجعلها في سنة 19هـ، وبعضهم يجعلها في سنة 22هـ، وعلى أساس هذين القولين يكون قد توفي في زمن خلافة عمر، وبعضهم يجعلها في سنة 30هـ أو 32هـ، وعلى أساس هذين القولين يكون قد توفي في زمن خلافة عثمان. ومن الواضح من روايات متعددة لابن أبي داود في المصاحف أنَّ أُبيًّا قد توفي في زمن خلافة عثمان. ابن قتيبة، **المعارف**، ص113. ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج1، ص65.
بل كتب الذهبي: «وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أبيًّا، ولو كان كذلك لاشتهر، ولكن الذكر لأبي لا لزيد، والظاهر وفاة أبي في زمن عمر»! الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج1، ص287.
أقول: من الواضح أن الذهبي لم يضع في اعتباره العامل السياسي في إخفاء دور أُبيّ بن كعب أو التهوين منه، لصالح إبراز دور زيد بن ثابت والتضخيم له.

عفان مرَّ بسعيد بن العاص فقال: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نتحدَّث عنده، فانطلقا، قال: فأما عثمان فصارَ إلى مجلسه الذي يشتهيه، وأما أنا فملتُ في ناحيةِ القوم.

فنظرَ إليَّ عمر وقال: ما لي أراكَ كأنَّ في نفسِكَ علي شيئًا؟ أتظنُّ أني قتلتُ أباك؟ واللهِ لودَدتُ أنِّي كنتُ قاتِلهُ، ولو قتلتُهُ لم أعتذِر من قتلِ كافرٍ، لكنني مررتُ به يوم بدرٍ فرأيتُهُ يبحثُ للقتال كما يبحثُ الثورُ بقَرنِهِ، وإذا شِدقاهُ (= الشدق جانب الفم مما تحت الخد) قد أزبدا كالوزغ، فلما رأيتُ ذلك هِبتُهُ ورُغتُ عنه، فقال: إلى أين يا ابنَ الخطاب؟ وصمدَ له عليٌّ فتناولَهُ، فوالله ما رِمتُ مكاني حتى قتلهُ.

قال: وكان عليّ عليه السلام حاضِرًا في المجلس، فقال: اللَّهم غَفرًا، ذهبَ الشِّركُ بما فيه، ومحا الإسلامُ ما تقدَّمَ، فما لكَ تُهَيِّج الناس؟ فكَفَّ عُمر.

قال سعيد: أما إنَّهُ ما كانَ يسُرُّني أن يكونَ قاتلُ أبي غيرَ ابنَ عمهِ علي بن أبي طالب[1].

كان لسعيد بن العاص ـ كما تُشيرُ بعضُ الرِّوايات ـ دورٌ في كتابةِ المُصْحف العُثماني، كالرِّواية التالية:

أخرَجَ ابنُ أبي داود قالَ سُويد (بن غفلة): واللهِ لا أُحدِّثُكم إلا شيئًا سمِعْتُهُ من عليِّ بن أبي طالب (رض)، سمِعْتُهُ يقول: يا أيُّها الناس! لا تغلُوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا ـ أو قولوا له خيرًا ـ في المصاحِفِ، وإحراقِ المصاحِف، فواللهِ ما فعَلَ الذي فعَل في المصاحِفِ إلا عن ملأٍ منَّا جميعًا، فقال (عثمان): ما تقولونَ في هذه القراءة؟ فقد بلَغَني أنَّ بعضَهُم يقولُ إنَّ قراءَتي خيرٌ من قراءَتِك، وهذا يكادُ أنْ يكونَ كُفْرًا، قُلْنا: فما ترى؟ قال (عثمان): نرى أنْ يُجمَعَ الناسُ على مُصْحفٍ واحدٍ، فلا يكونُ فُرْقة ولا يكون اختلاف، قُلْنا: فنِعْمَ ما رأيْت، قال (عثمان): أيُّ الناسِ أفْصَح؟ وأيُّ الناس

(1) المفيد، **الإرشاد**، ج1، ص75 ـ 76. نقل الواقدي ذلك في المغازي بألفاظ قريبة، انظر: الواقدي، **المغازي**، ج1، ص92، كما نقل ابن هشام ذلك في السيرة النبوية بألفاظ قريبة، انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج2، ص252.

أقرأ؟ قالوا: أفْصَحُ الناسِ: سعيدُ بنُ العاص، وأقرَؤُهُم: زيدُ بنُ ثابت، فقال: ليكْتُب أحدِهِما، ويُملي الآخر، ففعلا. وجمَعَ الناسَ على مُصْحَفٍ. قال: قالَ عليُّ بنُ أبي طالب: واللهِ لو وُلِّيتُ، لفعَلْتُ مثلَ الذي فعَل[1].

وهناك روايةٌ قريبةٌ من هذا المعنى، تُشيرُ إلى أنَّ اللَّجنةَ التي كان يُملي فيها سعيدُ بنُ العاص على زيدِ بنِ ثابت، كانت تستعينُ بمراجع مُتعدِّدة: «فكانَ الرَّجُلُ يَجيءُ بالورقةِ والأديم فيه القرآن حتى جُمِعَ من ذلك كثْرَةٌ»[2]. وفي روايةٍ: «فجعَلَ الرَّجُلُ يأتيهِ باللَّوحِ والكَتِفِ والعُسُبِ فيه الكتاب»[3]. وهذا يعني أنَّ النُّسْخةَ التي جمَعَها أبو بكر وعمر وظلَّت عندَ حفْصة لم تكن هي المرجع الوحيد لعمَلِ اللَّجنة. وهذا يزيدُ من قوةِ فرضيَّة تدَخُّل الإمام عليّ عليه السلام بنحوٍ غير مباشر في عمَلِ اللَّجنة، ومساندتِهِ غير الرَّسْمية لها.

مع ذلك، في النَّفْسِ شيءٌ من الرِّوايات التي تُحاولُ تضْخيم دور سعيد ابن العاص وزيد بن ثابت، على حسابِ أُبيّ بن كعب[4]، خصوصًا إذا تذكَّرْنا أنَّ سعيد بن العاص هو من بني أميَّة، وهو زوج ابنة عثمان، وأنَّ زيد بن ثابت من حزبِ السُّلطة، مالَ إلى بني أمية، ورفضَ مبايعةَ الإمام علي عليه السلام بعد مقتلِ

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص207 ـ 208.

(2) المصدر السابق نفسه، ص210.

(3) المصدر السابق نفسه، ص211.

(4) الجدير بالذكر أن سعيد بن العاص ولد عام الهجرة (ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج2، ص621)، وهذا يعني أن الوحي عندما كان يتنزل، كان سعيد في دور الطفولة والصبا، وهذا لا يؤهله للقيام بدور إملاء القرآن، مع وجود أمثال أبيّ بن كعب.
والمثير للشك أن الرواية التي تتحدث عن دور سعيد بن العاص، تقرن به اسم عبد الله بن الزبير، الذي ولد في السنة الأولى للهجرة! (ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج3، ص905)، واسم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، الذي كان عمره عشر سنين حين توفي النبي صلى الله عليه وآله (ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج2، ص857.
فهل يعقل أن يتمّ تحجيم دور أبيّ كعب، لصالح ثلاثة من الشباب الذين لم يدركوا تنزل الوحي على قلب النبي صلى الله عليه وآله، إلا عندما كانوا في دور الطفولة والصبا؟
وتشير الروايات إلى اشتراك جماعة غير أولئك، منهم مالك بن أبي عامر، وكثير بن أفلح، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص.
انظر: الباقلاني، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، اختصره أبو عبد الله الصيرفي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1971، تحقيق د. محمد زغلول سلام، ص358.

عثمان، وأنَّ أيًّا منهُما (سعيد وزيد) لم يأْمُر النبيُّ ﷺ بأخْذِ القرآن عنه، بخلافِ أُبيّ بن كعب... واللهُ أعلَم.

رفضُ التَّشكيك بمُخرَّجاتِ اللَّجنة:

الإمام علي عليه السلام بدورِهِ أمضى عمَلَ اللَّجنة، ورفضَ التَّشكيك بمخرجاتِها. فقد أخرَجَ ابنُ أبي داود عن سُويد بن غفلة: قالَ عليٌّ (رض) في المصاحِفِ: لو لم يصْنَعهُ عثمان، لصَنَعْتُهُ[1].

ومن الملفت أنَّ دعاوى وقوع أخطاء نحوية في كتابةِ المصْحف لم تلقَ أيَّ اهتمام من الإمام علي عليه السلام. فقد رُوي عن هشام بنِ عُروة عن أبيهِ عروةِ بنِ الزُّبير قال: سألْتُ عائشة عن لحْنِ القرآن ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، وعن قولِهِ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وعن قولِهِ ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، فقالت: يا ابنَ أُختي، هذا عمَلُ الكُتَّاب، أخطئوا في الكتاب[2]!

وقد مرَّ التوجيه النَّحَوي لكُلِّ ما توهَّمَ البعضُ أنَّها أخطاء!

موقف عبد الله بن مسعود:

بل لا نجدُ في مصادرِ التَّاريخ والحديثِ والتَّفسير أيَّ إشارةٍ لتعاطُف الإمام علي عليه السلام مع البلبلة التي أحدَثَها عبد الله بن مسعود، جرَّاء تمنُّعِهِ من تسليم مصحَفِهِ لعثمان، بعدما رفَضَ رئاسةَ زيد بن ثابت للَّجنة.

فقد رُويَ عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: يا معشَرَ المسلمين! أُعزَل عن نَسْخ كتاب المصاحف، ويُولَّاها رجُلٌ، واللهِ لقد أسْلَمْتُ وإنَّه لفي صُلْبِ أبيهِ كافرٌ. يريدُ زيدَ بنَ ثابت[3].

وكان بعد ذلك يُحرِّضُ الناسَ على إخفاءِ مصاحِفِهم وعدمِ تسليمِها لئلَّا يُحرِقُها عثمان، فقد روي عنهُ أنَّه قال: قرأَ ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾،

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص169.

(2) المصدر السابق نفسه، ص240 ـ 242. لاحظ أن الراوي هو هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير عن خالته عائشة. مرة أخرى نرصد بصمة الزبيريين.

(3) المصدر السابق نفسه، ص187.

غُلُّوا مصاحِفَكُم (يا أهلَ الكوفة ـ أو يا أهلَ العراق ـ اكْتُمُوا المصاحِفَ التي عندَكُم وغُلُّوها. من استطاعَ أنْ يغُلَّ مُصْحفًا فليَغْلُل)، فكيفَ يأمُرُوني أنْ أقرأَ قراءةَ زيد، ولقد قرأتُ من في رسولِ الله ﷺ بضْعًا وسبعينَ سُورةً، ولزيد ذُؤبتان (= الذُّؤابة: الضَّفيرةُ من الشَّعْرِ إذا أُرْسِلَت) يلْعَبُ مع الصِّبيان؟»[1].

قال الزُّهَري: فبلغني أنَّ ذلكَ كَرِهَ من مقالةِ ابن مسعود رجالٌ أفاضل من أصحابِ النبيِّ[2].

بل أخرجَ الحاكمُ قولَ ميسرة: أتاني رجُلٌ وأنا أُصلِّي، فقال: أراكَ تُصلِّي وقد أُمِرَ بكتابِ اللهِ أنْ يُمزَّق كُلَّ مُمزَّق؟! فتجوَّزْتُ في صلاتي، وكنْتُ أجلِس، فدخَلْتُ الدَّارَ ولم أجلِس، ورقيتُ فلم أجلِس، فإذا أنا بالأشْعري (أبي موسى) وحُذيفة (بن اليمان) وابنِ مسْعود يتقاولان، وحُذيفةُ يقولُ لابنِ مسْعود: ادْفَع إليهِمُ المُصْحفَ، قال: واللهِ لا أدْفَعُهُ إليهم، أقرأني رسولُ الله ﷺ بضْعًا وسبعينَ سُورةً ثُمَّ أدْفَعُهُ إليهم؟ واللهِ لا أدْفَعُهُ إليهم[3].

وهذه الرِّواية ـ لو صحَّت ـ تكشِفُ عن حقيقةٍ بالغة الأهمية؛ وهي أنَّ حذيفةَ بن اليمان، الصَّحابي الجليل للنَّبيِّ محمَّد ﷺ، والمائل بقوة مع الإمامِ عليّ عليه السلام، والمُحرِّض الرَّئيس لعثمان على تدوينِ نُسْخةٍ رسْميَّةٍ مرْجعيةٍ من القرآن، كان ممَّن يُحاولُ إقناعَ عبد الله بن مسعود بالتَّعالي على الجراح، وعدمِ التمنُّع، والاستجابة والتعاون مع قرار عثمان بجمْعِ المصاحف، للحفاظِ على وحدةِ رسْمِ المصْحف، ولو كانت قرارات عثمان في نظَرِ ابن مسعود مُتحيِّزة.

وقيلَ إنَّ عبد الله بنَ مسْعود رضِيَ بعدَ ذلكَ بمُخْرجاتِ اللَّجنة، إلا أنَّه لا توجد قرائن كافية على ذلك.

بل للخلافِ بين عثمان وابن مسعود جُذُور. ففي خلافةِ عثمان، تولَّى عبدُ الله بن مسعود بيتَ المال في الكوفة، حين كان سعدُ بنُ أبي وقاص واليًا

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص177 ـ 188.
(2) المصدر السابق نفسه، ص187 ـ 188.
(3) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، ج2، ص228. أيضًا: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح14، ص157.

عليها. فلمَّا عُزِلَ سعدُ عن الكوفة، ظلَّ ابنُ مسعود على بيتِ المال صدْرًا من أيامِ الوليد بن عُقبة. ثمَّ استقرَضَ الوليدُ شيئًا من بيتِ المال، فأقرضَهُ ابنُ مسعود، فلمَّا حلَّ الأجَلُ طلبَ ابنُ مسعود إليه الأداء، فالتوى، فألحَّ عليه. فكتَبَ الوليدُ إلى عثمان يشكو ابنَ مسعود. وكتَبَ عثمانُ إلى ابنِ مسعود: إنَّما أنتَ خازنٌ لنا، فلا تعرَّض للوليدِ فيما أخَذَ من بيتِ المال. فغضَبَ ابنُ مسعود، وألقى مفاتيح بيت المال، وأقامَ في دارِهِ يعظُ الناسَ ويُعلِّمُهُم القرآن.

ومنذُ ذلك الوقت بدأت معارضةُ ابن مسعود لعثمان، ثمَّ ازدادت معارضتُهُ تعقُّدًا حينما نصَّبَ عثمانُ زيدَ بنَ ثابت رئيسًا للجنةِ جمْع القرآن، ثمَّ صارَ ـ كما أشرْتُ ـ يُحرِّضُ الناسَ على إخفاءِ مصاحِفِهم وعدمِ تسليمِها. فأمَرَ عثمانُ بإشخاصِهِ إلى المدينة، فأُشْخِصَ ودخَلَ ابنُ مسعود عليه المسجدَ، وثارَ بينهما حوارٌ ساخن، ثمَّ أمرَ عثمانُ به فأُخرِجَ من المسجدِ إخراجًا عنيفًا، وضُرِبَت به الأرضُ فدُقَّت أضلاعُهُ، وقامَ الإمامُ عليّ عليه السلام فلامَ عثمانَ على ذلك. ولم يقف عثمانُ عند هذا الحد، ولكنَّه قَطَعَ عطاءَ ابنَ مسعود، وحظَرَ عليه الخروج من المدينة، حتى تُوفِّي سنة 33هـ بسبب ضربِهِ لهُ ـ على ما قيل ـ لمعارضتِهِ له في أمورِ المال وامتناعِهِ من تسليمِ مُصْحَفِهِ وتحريضِهِ الناس لعدم تسليمِ مصاحِفِهم[1]!

لكن ما مصير مصحف عبد الله مسعود؟

قالَ القُرْطبي في **المُفْهِم**: «وانتشَرَت المصاحف التي كتَبَها عثمانُ إلى

(1) ويقول بعض الرواة إن عثمان عادَه في مرضه، وأن ابن مسعود لم يُحسِن لقاء عثمان حين عادَه، وسأله ما تشكو؟ قال: ذنوبي. قال عثمان: فما تشتهي؟ قال ابن مسعود: رحمة ربي. قال عثمان: أألتمس لك طبيبًا؟ قال ابن مسعود: الطبيب أمرَضَني. قال عثمان: أرد عليك عطاءَك. قال ابن مسعود: حبسته عنّي حين احتجت إليه، وتردّه إلَيَّ حين لا حاجة لي به، قال عثمان: يكون لأهلك. قال ابن مسعود: رزقهم على الله. قال عثمان: فاستغفر لي يا أبا عبد الرحمن. قال ابن مسعود: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي. قالوا: وخرج عثمان، فأوصَى بن مسعود ألّا يصلي عليه. ومات فلم يُؤذِن أحدٌ عثمانَ بموته. انظر: طه حسين، **الفتنة الكبرى**، عثمان، ج1، ص160 ـ 161. والتفاصيل تجدها بشكل متفرق في: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج7، ص163. البلاذري، **أنساب الأشرف**، ج6، ص146. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص170.

الآفاق، ووافقَهُ عليها الصَّحابة، وقرأ المُسْلمونَ عليها، وتُرِكَ مُصْحَفُ عبد الله، وخَفِيَ أمْرُهُ، إلى أنْ وُجِدَ في خزائنِ بني عُبيد بمصْر عند انقراضِ دولَتِهم، فأمَرَ صدْرُ الدِّين قاضي الجماعة بإحراقِهِ على ما سمِعْنا من شُيوخِنا»[1].

وكتَبَ ابنُ النَّديم: «قالَ محمَّدُ بنُ إسحاق: رأيتُ عدَّةَ مصاحف، ذكَرَ نُسَّاخُها أنَّها مُصْحَف ابن مسْعود، ليس فيها مُصْحفين متَّفِقَين، وأكثرُها في رقٍّ كثيرِ النَّسْخ، وقد رأيتُ مُصْحفًا قد كُتِبَ منذُ نحو مئتي سنة فيه فاتحةُ الكتاب»[2].

تعليق: كما أشَرْتُ فيما مضى، يبدو أنَّ الرواياتَ التي تتحدَّث عن مخالفاتٍ شاذَّةٍ في مُصْحفِ ابنِ مسعود عن بقيَّةِ المصاحف، لها دوافع سياسية، تستهدفُ تبريرَ النَّبْذِ والإقصاء الاجتماعي الذي مارَسَهُ شيعةُ عثمان ضدَّ ابنَ مسعود، حتى لا يتعاطف الناسُ معه. بل قد ينْطبِق هذا على حمَلَةِ المصاحف الأخرى؛ فحتى يتِمَّ تثبيط الناس عن طلَبِ تلك المصاحف، وحتى يقتصروا على المصاحِفِ العُثمانية، كان لا بدَّ أنْ تُوصَم تلكَ المصاحف وتُنْبَذ، ولو بالافتراءِ عليها أو المبالغةِ والتهويل في الاختلافاتِ الواقعة فيها. والله أعلم.

كما نفهَمُ من كلامِ ابنِ النَّديم أنَّ التُّهمةَ المُوجَّهةَ لمُصْحفِ ابنِ مسعود بخُلُوِّهِ من فاتحةِ الكتاب هي تُهمة جائرة، لا واقع لها. إلا أنَّ عدَمَ تسليمِهِ لمُصْحَفِهِ، شجَّعَ البعض فيما بعد أنْ ينْسِبَ ما شاءَ لمُصْحفِهِ، لذا ظهرَتَ مصاحف مُتعدِّدة ومختلفة باسْمِهِ، أو أنَّ استِنْساخَ مُصْحفِهِ كان خارجًا عن السَّيطرة، ولم يخضَع لرقابةٍ مركزية، فلم يعُد موثوقًا به على مرِّ الزمان، حتى اندَثَرَ لاحقًا.

ثغرات مزعومة في عمل اللَّجنة:

رغم مساندة وتأييد الإمام علي عليه السلام، وبعض أصحاب النَّبي الأجلَّاء، كحُذيفة بن اليمَان، وأُبيّ بن كعب. . .فإنَّ ثمَّة روايات تدُلُّ على أنَّ ثغرات قد سُجِّلَت على عمَلِ لجنة عثمان، بل سُجِّلَت على عثمان نفسِهِ.

---

(1) القُرْطبي، **المُفْهِم**، ج4/ 92/ 2، انظر حاشية وتعليق، **المصاحف**، لابن أبي داود، ص194.

(2) ابن النديم، **الفهرست**، ص44.

خُذ الأمثلة التالية على المؤاخذاتِ المُسجَّلة على عمَلِ عثمان ولجنَتِهِ:

- عن ابنِ عباس قال: قُلْتُ لعثمان: ما حمَلَكُم على أنْ عمَدْتُّم إلى الأنفالِ - وهي من المثاني - وإلى براءة - وهي من المئين - فقرَنْتُم بينَهُما، ولم تكتُبُوا بينَهُما «بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم»، ووضعَتُمُوهما في السَّبْعِ الطِّوال، ما حمَلَكُم على ذلك؟ فقالَ عثمان: كان رسولُ اللهِ ﷺ ممَّا يأتي عليهِ الزَّمانُ وهو ينزِلُ عليه السُّوَر ذوات العدد، فكان إذا نزَلَ عليه الشَّيءُ، دعا من كان يكتُب فيقول: «ضعُوا هؤلاءِ الآيات في السُّورةِ التي يُذْكَر فيها كذا وكذا»، وإذا نزَلَت عليه الآيةُ يقول: «ضعُوا هذه الآية في السُّورةِ التي يُذْكَرُ فيها كذا وكذا»، وكانت الأنفالُ من أوائلِ ما أُنزِلَ بالمدينة، وكانت براءة من آخرِ القرآن، وكانت قصَّتُها شبيهةً بقصَّتِها، فظنَنْتُ أنَّها منها! فقُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنَّها منْها، فمن أجلِ ذلكَ قرَنْتُ بينهما، ولم أكتُب بينَهُما سطْرًا «بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم»، ووضَعْتُهُما في السَّبْعِ الطُّوال[1].

ولا يمكنُ القبول بهذه الرِّواية أصلًا، لأنَّ سُورةَ الأنفال نزَلَت في معركة بدر (سنة 2هـ)، وسورةُ براءة نزَلَت في معركة تبوك (سنة 9هـ)، وتأخُّر نزول براءة كلّها عن الأنفال بهذا الفاصل الطَّويل من الزمان، لهو دليلٌ واضحٌ على أنَّهما سورتان لا سُورة واحدة. مضافًا إلى اختلافِ أجواء السُّورتين من نواحٍ مُتعدِّدة لا تخفى على المُتأمِّل فيهما.

أما ترْكُ كتابة البسْملة في أولِ سُورة براءة، فقد اختلَفَ أهلُ العِلْم في ذلكَ إلى أقوال؛ وقد روى ابنُ عباس قال: سألتُ عليَّ بنَ أبي طالب: لمَ لمْ يُكتَب في براءة: «بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم»؟ قال: لأنَّ «بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم» أمانٌ، وبراءة نزَلَتَ بالسَّيفِ ليس فيها أمان[2]. وهذا هو الرَّأيُ العقلاني؛ فإنْ كانت ملابسات نزول براءة مختلفة تمامًا عن ملابساتِ نزول الأنفال، فمن المفهومِ عدَم نُزُول جبرائيل عليه السلام بالبسْملةِ في براءة، ونزولُهُ بها في الأنفال.

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح16، ص158. ابن أبي داود، **المصاحف**، ص227 - 228.

(2) انظر الحاشية والتعليق على كتاب **المصاحف**، لابن أبي داود، ص229.

■ أيضًا الرِّواية التالية الدَّالة على استهتارٍ مدَّعى لعُثمان: في تفسيرِ الثَّعلبي والرَّازي في قولِهِ تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ ، قال: قالَ عثمان: إنَّ في المُصْحَفِ لحْنًا، فقيلَ له: ألا تغيِّرُهُ؟ فقال: دعوهُ، فلا يُحلِّلُ حرامًا، ولا يُحرِّمُ حلالًا.

أيضًا عن عبدِ الأعلى بنِ عامر القُرَشي قال: لمَّا فُرِغَ من المُصحفِ، أُتِيَ به عثمان، فنظَرَ فيه، فقال: قد أحسَنْتُم وأجمَلْتُم، أرى فيه شيئًا من اللَّحن، وستقيمُهُ العربُ بألسِنَتِها[1]!!

لكن بعضُ المُحقِّقين رفَضَ هذه التُّهمة:

فقالَ السَّخاوي: «هذا الأثرُ ضعيفٌ، والإسنادُ فيه اضطرابٌ وانقطاع، لأنَّ عثمانَ جعَلَ للناسِ إمامًا يقتَدُونَ به (= نُسْخة مرجعية للقرآن)، فكيفَ يرى فيهِ هذا ويترُكُهُ لتُقيمهُ العرَبُ بألسِنَتِها؟!».

وقالَ محمد رشيد رضا: «والصَّوابُ أنَّها موضوعة»[2].

ونقَلَ ابنُ هشام الأنصاري: «هذا الخبَرُ باطلٌ لا يصُحُّ من وُجوهٍ:

أحدُها: أنَّ الصَّحابةَ كانوا يتسارعونَ إلى إنكارِ أدْنى المُنْكرات، فكيف يُقِرُّونَ اللَّحنَ في القرآن، مع أنَّه لا كُلْفةَ عليهم في إزالتِهِ؟!

الثاني: أنَّ العرَبَ كانت تستقبِحُ اللَّحنَ غايةَ الاستقباح، فكيف لا يستقبحونَ بقاءَهُ في المُصْحف؟!

والثالث: أنَّ الاحتجاجَ بأنَّ العرَبَ ستُقيمُهُ بألسِنَتِها غيرُ مستقيم، لأنَّ المُصحَفَ الكريم يقِفُ عليه العربيُّ والعَجَمي.

والرابع: أنَّه قد ثبَتَ في الصَّحيحِ أنَّ زيدَ بنَ ثابت أرادَ أنْ يكتُبَ

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص231.. وهناك رواياتٌ متعدِّدة رواها آخرون لها نفْس المُؤدِّي، انظر ص232 ـ 236. انظر أيضًا: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح20، ص160. أيضًا باب لغات القرآن وأي العرب نزل القرآن بلغته، ح17، ص204 ـ 205.

(2) محمد رشيد رضا، **تفسيرِ المنار**، ج6، ص65.

«التابوت» بالهاء - على لُغةِ الأنصار - فمنَعُوهُ من ذلكَ، ورفعُوهُ إلى عثمان وأمرَهُم أنْ يكتُبُوهُ بالتاءِ على لُغةِ قريش. ولما بلَغَ عمرُ أنَّ ابنَ مسْعود قرأ «عتَّى حين» - على لُغةِ هُذيلِ - أنْكَرَ ذلكَ عليه، وقال: أقرِئ الناسَ بلُغةِ قُريش، فإنَّ اللهَ تعالى إنَّما أنزَلَهُ بلُغَتِهِم، ولم يُنزِلهُ بلُغةِ هُذيل»[1].

بل ثمَّة روايات تدُلُّ على متابعةِ عثمان الدَّقيقة لعمَلِ اللَّجنة. فقد روى أبو عبيد عن هانئ البربري مولى عثمان قال: كُنْتُ عندَ عثمان وهم يعْرضُونَ المصاحف[2]، فأرْسَلَني بكتِفِ شاة إلى أُبيِّ بن كعب، فيها ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[3]، وفيها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ﴾[4]، وفيها ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[5]، قال: فدعا بالدَّواةِ، فمحا إحدى اللامين، وكتَبَ «لخلْقِ الله»، ومحا «فأمْهِل» وكتَبَ «فمَهِّل»، وكتَبَ «لم يتَسنَّه» ألحَقَ فيها الهاء[6]. (وهذه الرِّواية دليلٌ إضافي على الدَّورِ المحوري لأبيِّ بن كعب في اللَّجنة، وأنَّه كان هو المرجعية في مراجعةِ وتصحيحِ رسْم المصْحف، وأنَّه كان حيًّا في زمنِ خلافة عثمان).

أيضًا ممَّا يدُلُّ على متابعةِ عثمان الدَّقيقة لعمَلِ اللَّجنة، ما رواهُ أبو عبيد عن هانئ مولى عثمان قال: كُنْتُ الرَّسول بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد: سلْهُ عن قولِهِ «لم يتَسنَّ» أو «لم يتَسنَّه»؟ فقال عثمان: اجعلوا فيها الهاء[7].

---

(1) ابن هشام الأنصاري، **شرْح شُذُور الذَّهب**، ص50 - 51. انظر حاشية وتعليق كتاب **المصاحف**، لابن أبي داود، ص231، ص233 - 234. أيضًا: السيوطي، **الإتقان**، النوع الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه، ج2، ص496 - 503.

(2) أي يراجعون المصاحف.

(3) سورة البقرة، الآية: 259.

(4) سورة الرُّوم، الآية: 30.

(5) سورة الطارق، الآية: 17.

(6) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، جماع أحاديث القرآن وإثباته في كتابه وتأليفه وإقامة حروفه، باب تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره، ح18، ص159. أيضًا: **تفسير الطبري**، ج3، ص38.

(7) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، جماع أحاديث القرآن وإثباته في كتابه وتأليفه وإقامة حروفه، باب تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره، ح19، ص159. أيضًا: **تفسير الطبري**، ج3، ص37.

وهكذا ترى أنَّ المؤاخذات المذْكورة المُسجَّلة على عمَلِ عثمان ولجنَتِهِ لا تقفُ على أرضٍ صلْبة .

وما كان للإمامِ عليٍّ عليه السلام أنْ يقِفَ هذا الموقف المؤيِّد، لولا علْمِهِ بتطابُق ما كتبَتْهُ اللَّجنة مع النُّسْخةِ التي كان قد تقدَّم بها ورفضت السُّلطة قبولَها بعد وفاةِ النَّبي صلى الله عليه وآله.

كتَبَ ابنُ الجزَري[1] : حتى إنَّ عليَّ بنَ أبي طالب (رض) لمَّا ولِيَ الخلافةَ بعد ذلك، لم يُنْكِر حرْفًا ولا غيَّرَهُ، مع أنَّه هو الرَّاوي أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يأمُرُكُم أنْ تقرَؤُوا القرآنَ كما عُلِّمتُم، وهو القائلُ: لو وُلِيتُ من المصاحفِ ما وليَ عثمانُ، لفعلْتُ كما فعَل»[2] .

أيضًا ما كان أُبيُّ بنُ كعب سلَّمَ مُصْحَفَهُ لعثمان، لولا علْمِهِ بأنَّ المُصْحفَ الأم مُطابقٌ لما عندَهُ. فقد أخرَجَ أبو عبيد وابنُ أبي داود عن محمَّد بنِ أُبيّ: أنَّ أُناسًا من أهلِ العراق قدِموا إليهِ (كما يبدو بعدَ وفاةِ أُبيّ)، فقالوا: إنَّا تحمَّلْنا إليكَ من العراق، فأخْرِج لنا مُصْحَفَ أُبيّ، قالَ محمَّد: قد قبَضَهُ عثمان، فقالوا: سُبْحانَ الله! أخرِجْهُ لنا، قال: قد قبَضَهُ عثمان[3] .

وهذا يكشِفُ أنَّ أهلَ العراق فوجِئُوا بموقفِ أُبي بن كعب، حيثُ ظنُّوا أنَّه سيمتَنِع عن تسليمِ مُصْحَفِهِ كما فعَلَ عبد الله بن مسعود.

والحقيقة أنَّ موقفَ الإقرار من الإمام علي عليه السلام لعمَلِ اللَّجنة، ومحاولة حُذيفة إقناع عبد الله بن مسعود لتسليم مصحَفِهِ، وتسليم أُبيّ بن كعب مُصحَفَهُ لعثمان. . . كلُّ ذلكَ يُؤكِّد على أنَّ ثمَّةَ موقفًا واحدًا مسؤولًا وقفَهُ أبرز أصحاب النَّبي، في تأييدِ ومساندةِ الخطوة الهامة التي قامَ بها عثمان.

---

(1) (ت 833 هـ/ 1430م).

(2) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ص30 ـ 31. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب ذكر ما رفع من القرآن بعد نزوله ولم يثبت في المصاحف، ح15، ص194.

(3) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب تأليف القرآن، ح15، ص157 ـ 158. ابن أبي داود، **المصاحف**، ص212.

خطوةُ عثمان لم تُنهِ كلَّ الخلافات:

الخطوةُ التَّاريخيةُ الهامة التي قامَ بها عثمان لم تُنْهِ كلَّ الخلافات، فقد بقيَت هناكَ فروقٌ محدودةٌ بين المصاحفِ (40ـ50 فرقًا).

ففي روايةٍ: سمِعْنا خالد بن إياس بن صخر بن أبي الجهم (إمامُ المسْجد النَّبوي في بداياتِ خلافة بني أمية) يذْكُر: أنَّه قرأَ مُصْحَفَ عثمانَ بنَ عفان فوجَدَ فيه ممَّا يُخالِفُ مصاحِفَ أهل المدينة اثني عشَرَ حرْفًا، منها في البقرة ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾[1] بغيرِ ألف (هي حاليًّا بغيرِ «ألف»)، وفي آلِ عمران ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾[2] بالواو (هي حاليًّا مع «واو»)، وفي المائدة ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[3] بواو (هي حاليًّا مع «واو»)، وفيها أيضًا ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾[4] بدالٍ واحدة (هي حاليًّا بـ «دالٍ» واحدة)، وفي براءة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾[5] بواو (هي حاليًّا مع «واو»)، وفي الكهف ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[6] واحد (أي ليس «منْهُما»، وهي حاليًّا «منها»)، وفي الشُّعراء ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾[7] بالواو (هي حاليًّا مع «واو»)، وفي المؤمن ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾[8] (أي «و» بدلًا من «أو» هي حاليًّا مع «أو»)، وفي الشُّورى ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾[9] بالفاء (أي بالفاء بدلًا من الباء، هي حاليًّا مع «فاء»)، وفي الزُّخْرُف ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾[10] بغير هاء (أي «تشتهيهِ»، هي حاليًّا مع «هاء»)، وفي الحديد ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[11] بهو (أي يُفترَض أنْ تكون من دونِ «هو»، هي حاليًّا

(1) سورة البقرة، الآية: 132.
(2) سورة آل عمران، الآية: 133.
(3) سورة المائدة، الآية: 53.
(4) سورة المائدة، الآية: 54.
(5) سورة التوبة، الآية: 107.
(6) سورة الكهف، الآية: 36.
(7) سورة الشُّعراء، الآية: 217.
(8) سورة غافر، الآية: 26.
(9) سورة الشُّورى، الآية: 30.
(10) سورة الزُّخرف، الآية: 71.
(11) سورة الحديد، الآية: 24.

مع «هو»)، وفي الشَّمْسِ وضُحاها ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[1] بالواو (أي يُفترض أنْ تكون بـ «الفاء»، هي حاليًا مع «واو»)[2].

قالَ أبو عُبيد القاسم بن سلَّام[3]: «هذه الحُرُوف التي اختلفت في مصاحفِ الأمصار. . .لم تختلف في كلمةٍ تامة، ولا في شطْرٍ منه، وإنَّما كان اختلافُها في الحرْفِ الواحد من حُرُوفِ المُعْجم: كالواو، والفاء، والألف، وما أشبه ذلك، إلا الحرْف الذي في الحديد وحدَهُ، قولُهُ «فإنَّ اللهَ الغنيّ الحميد»، فإنَّ أهلَ العراق زادوا على ذينِكَ المصْرين «هو». وأما سائِرُها فعلى ما أعلمتُكَ، ليسَ لأحدٍ إنكارُ شيءٍ منها»[4].

أقول: عند التَّدقيقِ في هذه الموارد، نجد أنَّها هي ذاتها موارد اختلاف قراءة نافع وأبي جعفر المدنيَّان عن الباقين، وإنْ اتَّفَقَ معَهُما في بعض المِوارد ابنُ عامر الدِّمشْقي وابنُ كثير المكِّي وأبو عمرو البصْري. وقراءةُ حفْص عن عاصم تتَّفِق مع ما هو مُثْبَتٌ في القرآنِ اليوم في كلِّ هذه الموارد، وفي موردٍ واحدٍ اتَّفَقَ فيه أهلُ المدينة مع حفْص، وهو موردُ إضافة الهاء في (الزُّخْرف، 71) ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾. وثمَّة موارد أُخرى شبيهةٌ بهذه، صارَت أساسًا لاختلافِ القراءات. وهناكَ موارد أخرى طفيفة شاذَّة لا يُعبأ بها[5].

لا بدَّ من الاقرار بأنَّ خطوات عثمان بتدوينِ نُسْخة مرجعية، ثمَّ استنساخ نُسَخ مُحدَّدة عنها، وإرسالها مع قارئٍ لكلِّ مصر، كلُّ ذلكَ حاصَرَ المشكلات وطوَّقَها إلى أبعدِ مدى. لكن ظلَّت هناك فروق طفيفة وقعَت بين المصاحفِ الرَّئيسية، صارت سببًا من أسباب اختلاف القراءات.

---

(1) سورة الشَّمس، الآية: 15.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص251 ـ 254. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، حروف القرآن التي اختلفت مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق وهي اثنا عشر حرفًا، ص196 ـ 200.

(3) (ت224 هـ).

(4) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، حروف القرآن التي اختلفت مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق وهي اثنا عشر حرفًا، ص200.

(5) انظر: ابن أبي داود، **المصاحف**، ص121 ـ 289.

من أسباب اختلاف القراءات:

أولًا: الفُروقَ الطَّفيفة التي وقعَت بين المصاحفِ الرَّئيسية التي بعَثَ بها عثمان إلى الأمصار، وهي نتيجة أخطاء بشرية اعتيادية. فكانت بدورِها سببًا من أسبابِ الاختلاف في القراءاتِ المشهورة (كسُقُوط أو إضافة بعض الأحْرُف مثل «الواو»).

ثانيًا: بدائيَّةِ أدوات الكتابة (الدَّواة والكتف مثلًا).وهذا يُفسِّرُ تداخُل بعض الأحْرُف مع بعْضِها بسببِ دقَّة (أو عدم دقَّة) الرِّيشة أو رأس القلَم، ونوع الحِبْرِ أو كميَّتِهِ، أو نوعِ الورق أو الجلْد، وطبيعةِ تفاعُل هذه العناصر الثلاثة (القلَم، الحِبْر، الشَّيء المكتوب عليه) مع بعضِها البعض.

ففي سورةِ الشَّمْسِ مثلًا، عندما تجدُ الآية ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[1]، قد قُرِأَت بالفاء بدلًا من الواو: «فلا يخاف عقباها» (كما هي قراءة نافع وابن عامر وأبو جعفر، وهي كذلك بالفاء في المصْحف المدني والشَّامي)، فمن حقِّ الباحث أنْ يفترض أنَّ بدائية أدوات الكتابة، سمَحَت بقراءةِ الآية بالفاء كما بدَت في بعض النُّسَخ.

فلو دقَّت الرِّيشة أو القلَم، أو زادت كميَّة الحِبْر، أو تفاعلت الدَّواةُ مع الورقِ أو الجلْدِ بطريقةٍ معينة جعلَت الحبْرَ يسيحُ أو يجْمُد ويتجمَّع في مكانِهِ، لظهَرَ الحرْفُ الواحد على خلافِ المراد.

هكذا قيلَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾[2]. فقد رُويَ عن ابنِ عباس أنَّه قال: إنَّما هي «ووصَّى ربُّكَ»، استمدَّ الكاتبُ مدادًا كثيرًا فالتزَقَت الواو بالصَّاد[3]. إلا أنَّ «ووصَّى ربُّكَ» قراءةٌ شاذَّة لا يُعبأُ بها.

---

(1) سورة الشَّمس، الآية: 15.

(2) سورة الإسراء، الآية: 23.

(3) السيوطي، **الإتقان**، النوع الحادي والأربعون: في معرفة إعرابه، ج2، ص501. لكن لم يقرأ بها أي من القراء العشرة المعروفين، وهي قراءة شاذة بزيادة الألف «وأوصى». انظر: ابن خالويه، **مختصر القراءات الشاذة**، ص144. ونسبت هذه القراءة بالألف لابن مسعود، ومن دونها لابن مسعود أيضًا وأصحابه وأبي والضحاك، انظر: أبو عبد الله الكرماني، **شواذ القراءات**، ص279.

ثالثًا: كون الخطّ العربي في بدايةِ نشأتِهِ، فلمْ يتِم إعجامُ الحُرُوف بعد. فمثلًا كلمة «فتبيَّنوا» يُمكنُ أنْ تُقرأ «فتثبَّتوا» (قراءة حمْزة والكسائي وخلَف) طالما لا تُوجَد نقاط على الحُرُوف. أو كلمة «تشاؤُونَ» يُمكنُ أنْ تُقرأ «يشاؤُونَ» (قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر). أو كلمة «نُنْشِزُها» يُمكنُ أنْ تُقرأ «نُنْشِرُها» (قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب، والمعنى: نُحييها). وهذا من أسباب اختلاف القراءات.

بل لم يتمّ الاتفاقُ بعدُ على كيفيةٍ موحَّدة لكتابة بعض الكلمات. فمثلًا «قال» هل تُكتَب فيها الألف أو تُكتَب هكذا «قل»؟ أو كلمة «حاشَ» هل تُكتب فيها الألف أو تُكتَب هكذا «حشَ»؟ أو كلمة «يسْأَلُونَ» هل تُكتَبُ فيها الألف أو تُكتَب هكذا «يسْئلُونَ»؟ أو «آذوا» هل تُكتَب فيها الألف أم تُكتَب هكذا «آذو»؟ والصَّلاةُ الواحدةُ هل تُكتَب «الصَّلاة» أم تُكتَب هكذا «الصَّلوة»؟ و«رحمةُ اللهِ» هل تُكتَب هكذا أم بفتْحِ التاء هكذا «رحمَتُ اللهِ»؟ وكذا الأمرُ في «نعمةُ اللهِ». وعند تشديد الكلمة مثل «يرتدَّ» هل نكتفي بدالٍ واحدة، أو نكتبُها هكذا «يرتدِدْ»؟ (كما في المُصْحَف الشَّامي والمدَني، وعلى أساسِهِ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر)...إلخ. وكلمةُ «كُفُوًا» المقروءة كيف نكتبُها؟ هل نكتبُها «كُفُوًا» (قراءة حفْص)؟ أو كُفْئًا» (قراءة حمزة ويعقوب وخلف)؟ أم «كُفُؤًا» (الباقون)[1]؟

أقول: رغْمَ هذه الفُرُوق والمُعوِّقات، اتفَقَ كُتَّابُ المصاحِفِ المدَنية والكوفية والبصْرية وغيرِها من الأمْصار على كتابةِ سلْسلةٍ من الكلماتِ بكيفيةٍ مُوحَّدة. رصدَها لنا ابنُ أبي دواد في كتابِهِ **المصاحف**[2].

إذن من أسباب اختلاف القراءات أنَّ الخطَّ العربي كان في بدايةِ نشْأتِهِ، وكان خاليًا من النَّقْطِ والشَّكْل والهَمْز.

إلا أنَّ هناكَ آخرين يرونَ أنَّ خُلُوَّ المصاحِفِ من ذلكَ كان مُتعمَّدًا! كتَبَ ابنُ الجزَري[3]: «ثمَّ إنَّ الصَّحابةَ ـ رضي الله عنهم ـ لمَّا كتبوا تلكَ المصاحفَ

---

(1) انظر: ابن أبي داود، **المصاحف**، ص453 ـ وما بعدها.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص459 ـ 498.

(3) (ت 833 هـ/ 1430م).

جرَّدُوها من النَّقطِ والشَّكْلِ ليحتملَهُ ما لم يكن في العرضةِ الأخيرةِ ممَّا صحَّ عن النبيِّ ﷺ. وإنَّما أخْلَوا المصاحِفَ من النَّقطِ والشَّكْلِ، لتكونَ دلالةُ الخطِّ الواحدِ على كلا اللَّفْظين المنقولَيْن المَسْموعين المتْلُوَّين شبيهةٌ بدلالةِ اللَّفْظِ الواحدِ على كلا المعنيين المعقولين المفهومين»[1].

وقبلَهُ كان الدَّاني[2] قد كتَبَ: «وإنَّما أخلى الصَّدْرُ منهم المصاحفَ من ذلكَ ومن الشَّكْلِ من حيثُ أرادوا الدَّلالةَ على بقاءِ السَّعة في اللُّغات، والفُسْحَة في القراءاتِ التي أذِنَ اللهُ تعالى لعبادِهِ في الأخذِ بها، والقراءة بما شاءَت منها، فكانَ الأمرُ على ذلكَ إلى أنْ حدَثَ في الناسِ ما أوجَبَ نقْطَها وشكْلَها»[3].

والحقيقة أنَّ الدَّاني وابنَ الجزري جعَلا العلَّةَ معلولًا، والمعلولَ علَّةً؛ فخُلُو الخطّ من النَّقْطِ والشَّكْل كان من عِلَل الاختلاف في القراءات، لا أنَّ اختلافَ القراءات كانت علَّةً لإخلاءِ الخطِّ من النَّقْطِ والشَّكْل. ويبدو لي أنَّه نحو تبريرٍ لاختلافِ القراءات، وتفخيمٍ لأمرِها. نعم، خُلُو الخطّ من النَّقْطِ والشَّكْل، سمَحَ بالاحتفاظِ باختلافاتٍ كانت موجودةً أصلًا بين القُرَّاء في الأمصار. ولم يتم إخلاء الرَّسْم من النَّقْطِ والشَّكْل حتى يتمّ الاحتفاظ بتلك الاختلافات، بل لأنَّ النَّقْطَ والشَّكْلَ لم يكن مستخدمًا أصلًا. فتأمَّل جيدًا في ذلك. وما ذكرَهُ الدَّاني وابنَ الجزري يحتاجُ إلى إثباتِ أنَّ النَّقْطَ والشَّكْلَ كان موجودًا مسْبقًا، ثمَّ إثبات أنَّ المصاحفَ جُرِّدَت منه لتحتمل ما صحَّ من القراءات. لكن لم يثبُت إلى اليوم أنَّ النَّقْطَ والشَّكْلَ كان موجودًا يومَ كُتِبَتْ المصاحف.

والطريف أنَّ الدَّاني نفسَهُ يقول: «العربُ لم تكن أصحابَ شكْلٍ ونقْط، فكانت تُصوِّرُ الحركاتِ حُرُوفًا، لأنَّ الإعرابَ قد يكونُ بها كما يكون بهنَّ، فتُصوِّرُ الفتحةَ ألفًا، والكسْرةَ ياءً، والضمَّةَ واوًا، فتدُلُّ هذه الأحرُف الثلاثة على ما تدُلُّ عليه الحركات الثلاث من الفتْحِ والكسْرِ والضَّم. وممَّا يدُلُّ على

(1) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ص31.
(2) (ت 444 هـ/ 1052م).
(3) الداني، **المحكم**، ص3.

أنَّهم لم يكونوا أصحابَ شكْلٍ ونقْط، وأنَّهم كانوا يُفرِّقونَ بين المشْتبهين في الصُّورةِ بزيادةِ الحروف، إلحاقَهُم الواو في «عمْرو»، فرْقًا بينه وبين «عُمَر»[1].

وباختصار، يمكنُ القول إنَّ ما تحقَّقَ من إنجازٍ حتى تلكَ اللَّحظة كان أقصى ما يمكنُ تحقيقُهُ لتدارُك الأمر.

وقد حصَرَ المُتخصِّصون في وقتٍ مُبكِّر الفروق وموارد الاختلاف. ومن أقدَمِ ما يُذكر في هذا المجال، كتابٌ لعبد الله بن عامر اليحصُبي[2] ـ إمام القراءة في الشَّام ـ بعنوان **كتابُ اختلاف مصاحف الشَّام والحجاز والعراق**[3]، وكتابٌ للكسائي[4] ـ إمامُ القراءة في الكوفةِ ـ بعنوان **اختلافُ مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصْرة**[5].

وأورَدَ أبو عُبيد القاسم بن سلَّام[6] فضْلًا عن اختلافِ مصاحف أهل الأمصار في كتابهِ **فضائل القرآن**[7]. كما عقَدَ ابنُ أبي داود[8] في كتابِهِ **المصاحف** عدَّة فصول في اختلافِ خطوط المصاحف وما أجمَعَ عليه كُتَّابُها، وما كُتِبَ فيها على غيرِ الخطّ[9]. فضْلًا عن أبي عمرو الدَّاني[10] في كتابهِ الهام **المُقْنع في معرفةِ مرسوم مصاحف أهل الأمصار**[11].

---

(1) أبو عمرو الداني، **المحكم**، ص176 ـ 177.
(2) (ت 118هـ).
(3) ابن النديم، **الفهرست**، ص56.
(4) (ت 189هـ).
(5) ابن النديم، **الفهرست**، ص55.
(6) (ت 224هـ).
(7) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، فصل حروف القرآن التي اختلفت: مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق وهي اثنا عشر حرفًا، تحقيق وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، ص196 ـ 200.
(8) (ت 316هـ).
(9) ابن أبي داود، **المصاحف**، تحقيق أبو أسامة سليم الهلالي، دار غراس، الكويت، ط1، 2006، ص251 ـ 289.
(10) (ت 444 هـ/ 1052م).
(11) أبو عمرو الداني، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية.

الإمام علي عليه السلام: القرآنُ لا يُهاج بعد اليوم

رُويَ أنَّ رجُلًا قرأ عندَ الإمام علي عليه السلام: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[1]، فقالَ عليه السلام: وما شأنُ الطَّلْح؟! إنَّما هو وطلْعٌ منْضُود، ثمَّ قرأ: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾[2]، فقُلْنا: ألا نُحوِّلُها؟! قال عليه السلام: «إنَّ القرآنَ لا يُهاج بعدَ اليومِ ولا يُحوَّل»[3].

هذه الكلمة التاريخية للإمام علي عليه السلام: «إنَّ القرآنَ لا يُهاج بعدَ اليوم ولا يُحوَّل»، قد أوصدت البابَ بشكلٍ نهائي أمام أيَّ محاولة لتغييرِ شيءٍ من القرآنِ المُدوَّن. لكن ما مغزى الملاحظة التي أثارَها عليه السلام في صدْرِ الرِّواية؟

كتَبَ السيِّد جعفر مرتضى: «يُلاحَظُ أنَّ صدْرَ الرِّواية، قد صيغَ بصُورةٍ غير واضحة. والحقيقةُ هي أنَّه عليه السلام قصَدَ إلى تصحيحِ المفهوم الشَّائعِ عندَ الناسِ عن «الطَّلْح»، حيثُ رأى أنَّهم يُفسِّرُونَ «الطَّلْحَ» بشجَرِ العضاه، وهو شجَرٌ عظيمٌ ترعاهُ الإبل. فأوضَحَ لهم أنَّ المقصودَ بـ «الطَّلْحِ»، الذي يمتنُّ اللهُ عليهم بكونِهِ في الجنَّة، هو الذي يُوصَفُ بأنَّه منْضودٌ، وهو الذي يكونُ هضيمًا. و«الطَّلْعُ» من النَّخْل: شيءٌ يخرُجُ كأنَّه نعلانِ مُطْبقان، والحمْلُ بينهما منْضودٌ والطَّرَفُ مُحدَّدٌ. كذا يقولُ أهلُ اللُّغة. أما شجَرُ العضاه الذي ترعاهُ الإبل، فليس كذلك. فتخيَّلَ السَّائلونَ بعد هذا التَّفسير والاستدلال، لزُومَ تغيير الحرْف (أي تغيير الكلمة القرآنية). ولعلَّهم كانوا يرَوْنَ جوازَ

---

(1) سورة الواقعة، الآية: 29.

(2) سورة الشُّعراء، الآية: 148.

(3) راجع: **كنز العمال** ج2 ص328 و(ط مؤسسة الرسالة) ج2 ص519 عن ابن الأنباري في **المصاحف**، ابن جرير وجامع البيان ج27 ص104 و(ط دار الفكر) ج27 ص234، **التبيان** للطوسي ج9 ص495، **مجمع البيان** ج9 ص364، **التفسير الصافي** ج5 ص122، وج7 ص90، **نور الثقلين** ج5 ص215، **الدر المنثور** ج6 ص157، **فتح القدير** ج5 ص155، **تفسير الآلوسي** ج27 ص141، **تفسير البغوي** ج4 ص282، **تفسير الثعلبي** ج9 ص207، **تفسير الميزان** ج19 ص128، **القراءات القرآنية**: تاريخ وتعريف ص99 عن جولدتسيهر ص55، **التمهيد في علوم القرآن** ج1 ص289، 322، ج2 ص110، عن ابن جرير، وعن القراءات الشاذَّة ص151. أيضًا راجع: **مستدرك الوسائل** ج4 ص226، **فتح الباري** ج6 ص228، **عمدة القاري** ج15 ص150، **المحرر الوجيز** ج5 ص244، **الجامع لأحكام القرآن** ج17 ص208، **إمتاع الأسماع** ج4 ص325.

تبديل الكلمات بمرادِفاتِها، بقرينةِ قولِهِم: «أولا نُحوِّلُها؟»! فعرضوا عليه ذلك، فرفَضَ عليه السلام»[1].

أقول: كلمةُ الإمام علي عليه السلام تحتمِلُ أكثرَ من معنى. فـ «لا» في كلمتِهِ «إنَّ القرآنَ لا يُهاج بعدَ اليومِ ولا يُحوَّل»، هل هي ناهية أم نافية؟

فإنْ كانت ناهية إنشائية، فالأمرُ كما ذكَرَ السيِّد جعفر مرتضى. لكن إنْ كانت نافية إخبارية، فستعني معنى آخر: كأنَّ الإمام علي عليه السلام، في كلمتِهِ هذه، أرادَ التيئيس وإيصال خبرٍ لذاكَ القارئ، مفادُهُ أنَّكَ لو توهَّمْتَ أنَّ خطأً ما قد وقَعَ في القُرآنِ المتداول، وتريدُ إصلاحَهُ، فما تمَّ اتِّخاذُهُ من إجراءاتٍ احترازيةٍ ستتكفَّلُ بإفشالِ أيَّ محاولة لتهييجِ القرآن وتحويلِهِ والتلاعُبِ فيه، كالمحاولاتِ التي مارَسَها البعضُ قبلَ اتِّخاذَ هذه الإجراءات، بقصْدٍ أو من دونِ قصْد، وباءَت بأسْرِها بالفَشَلِ.

الآن، ما اتُّخِذَ من إجراءاتٍ مهمَّة تتعلَّق بتدوين المصْحف لم يكن كافيًا. كان لا بدَّ من تنقيةِ القراءات المتداولة شفاهًا، حتى تلتقي فيما بينها، إلى درجة أنْ تتلاشى الفروق بين القراءات، أو تُحاصَر على أضيقِ نطاق على أقلِّ تقدير. هذا ما أدْرُسُهُ في الفصْل القادم.

(1) السيد جعفر مرتضى، **الصَّحيحُ من سيرةِ الإمام علي عليه السلام**، ج16.

الفصل التاسع:

ترسيخ قراءة واحدة

في الفصْلِ السَّابق تحدَّثتُ عن الخطوةِ الهامَّةِ التي قامَ بها عثمان، بتحريضٍ وضغْطٍ من حُذيفة بن اليمان، لتدوينِ نُسْخة إمام للقرآن، تكون هي المرْجعيَة لكلِّ النُّسَخ الأخرى. كما عرضْتُ لدورِ الإمام علي عليه السلام في دعمِ هذه اللَّجنة وإسباغ الشَّرعية على مُخرجاتِها.

هذه الخطوةُ كانت بالغةَ الأهمية، لكن لم تكن كافية. فكان لا بدَّ من ترسيخِ قراءةٍ صحيحةٍ واحدةٍ للقرآنِ بين الناس. وهذا ما أتناوَلُهُ في المحطَّةِ التاسعةَ، من المحطَّاتِ التي سارَ بها القرآنُ في تاريخِهِ.

كان للإمام علي عليه السلام دورٌ بارزٌ في ترسيخُ قراءةٍ صحيحةٍ واحدةٍ للقُرآنِ بين الناس، من خلال التفرُّغ ـ في فترةِ خلافة الخُلفاء الثلاثة ـ بمتابعةِ وتأهيل كادر من القُرَّاء على درجةٍ عاليةٍ من الكفاءة، يقرأُ القراءةَ الصَّحيحةَ النازلة من منْبعِ الوحي، ثمَّ العمل على بثِّهم في الأمصارِ الرَّئيسية، خصوصًا الكوفة. فرواجُ القراءة الصَّحيحة أمرٌ بالغُ الأهمية لتطويقِ حجْم الاختلافات الناشئة من إمكانيةِ قراءة الكلمة المكتوبة بأكثرِ من طريقة .

كان النبيُّ صلى الله عليه وآله قد أهَّلَ في حياتِهِ بعضَ الشَّخصيات، كأُبيّ بنِ كعْب (الذي ظلَّ في المدينةِ وشارَكَ بإملاءِ القرآن وتدوينِهِ) وعبدِ الله بنِ مسْعود (الذي هاجَرَ في زمنِ خلافة عمر إلى الكوفة وظلَّ بها معلمًا أهلَها القرآن).

وكان عبد الله بن مسعود قد أخَذَ العلْمَ بعدَ النبيِّ صلى الله عليه وآله من الإمامِ علي عليه السلام. فقد قالَ علْقمة: قال ابنُ مسعود ذاتَ يوم، وكُنَّا في حلقَتِهِ: لوَ علِمْتُ أنَّ أحدًا هو أعلَمُ منِّي بكتابِ اللهِ عزَّ وجل لضرَبْتُ إليهِ آباطَ الإبل. قالَ علْقمة: فقالَ رجُلٌ من الحلقة: ألقيتَ عليًّا عليه السلام؟ فقالَ: نعم، قد لقيتُهُ،

وأخذْتُ عنه، واستفدْتُ منهُ، وقرأتُ عليهِ، وكان خيرَ الناسِ وأعلَمَهُم بعدَ رسولِ الله ﷺ، لقد رأيتُهُ كان بحرًا يسيلُ سيْلًا[1].

وروى ابنُ عساكر عن زاذان عن ابنِ مسعود أنَّه قال: قرأتُ على رسولِ الله ﷺ تسعينَ سورة، وختَمْتُ القرآنَ على خيرِ الناسِ بعدَهُ، قيلَ له: من هو؟ قال: عليُّ بن أبي طالب[2].

الإمام علي عليه السلام بدورِهِ لم يكتَفِ بمتابعةِ أداء أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود في مجالِ خدمة القرآن، بل قامَ بنفْسِهِ بتأهيل شخصيات أخرى، أبرزُها:

1. **أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي**[3]: الضَّرير، الذي أهَّلَهُ الإمام علي عليه السلام في المدينة، ثمَّ أرسلَهُ عثمان إلى الكوفةِ قارئًا بصُحْبةِ المُصْحف المُسْتنسخ عن المُصْحفِ الإمام. فاستكمَلَ جهود عبد الله بن مسعود في الكوفةِ، وجلَسَ في مسجِدِها أربعينَ سنةً. امتدَّتْ حياتُهُ إلى ما بعدِ شهادة الإمام الحسين بن علي عليه السلام. وابتدأت جهودُهُ كقارئ يُؤخَذ عنه، من خلافةِ عثمان حتى إمْرة الحجَّاج الثَّقفي. خمْسٌ من تلكَ السَّنوات الأربعين كانت تحتَ إشرافٍ مباشرٍ من الإمامِ عليّ عليه السلام في زمنِ خلافتِهِ (35 ـ 40 هـ) ـ مُعلِّمًا وقارئًا. وكان قد أخذَ منَ عبد الله بن مسعود أيضًا.
2. **زرُّ بن حُبيش**[4]: الذي أخذَ القرآنَ عن الإمام علي عليه السلام، كما أخذَهُ عن عبد الله بن مسعود أيضًا.
3. **بُرير بن خُضير**[5]: الذي كان من خواصِّ الإمام علي عليه السلام. كان يُلقَّب بـ «سيِّد القُرَّاء» في الكوفة. استشهَدَ بعد ذلكَ مع الإمامِ الحسين عليه السلام في كربلاء[6].

---

(1) **سعد السعود**، ص285. **بحار الأنوار**، ج89، ص105. وروى قريب منه: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج3، رقم 1049، ص25 ـ 26.

(2) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج3، رقم 1048.

(3) (ت 74 هـ/ 693م).

(4) (81 هـ/ 700م).

(5) (61 هـ/ 681م).

(6) يلاحظ أن اسم «برير بن خضير» ـ في حدود اطلاعي ـ غائب عن كتب طبقات القراء. رغم أن المقاتل القديمة زاخرة بذكره، ولقبه «سيد القراء». وهذا يؤكد أن العوامل السياسية لها دور في إبراز أسماء وتغييب أسماء أخرى. فاستشهاده مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، كان كافيًا للخوف من ترديد اسمه بين القراء.

4. **أبو الأسود الدؤلي**[1]: تلميذ الإمام علي عليه السلام النَّجيب، الذي استقرَّ في البصرة، واعتنى بتعليم أهل البصرة القرآنَ.

ومن أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي أَخَذَ عاصِمُ الكوفي قراءَتَهُ، ومن عاصِمِ الكوفي أَخَذَ حفْصُ الكوفي قراءَتَهُ المتداولة حاليًّا.

من هو عاصم؟

عاصِم بنُ أبي النَّجود (بهْدلة) الأسْدي الكوفي[2]، عاصَرَ الإمامين زينَ العابدين ومحمَّد الباقرَ عليهما السلام، وقرأَ على أبي عبد الرحمن السُّلَمي وزِرٍّ بين حُبَيْش (اللَّذين أخذا عن عليٍّ عليه السلام).

ثمَّ أَخَذَ عن عاصِم كلٌّ من: أبان بن تغْلِب (الذي أَخَذَ منه الكسائي)[3]، وسُليمانُ بن مهران الأعْمَش (الذي أخذ منه حمزة الزيَّات، كما أَخَذَ حمزة من حُمْران بن أعيَن والإمام جعفر الصَّادق عليه السلام)[4]. وهما (أي أبان بن تغلب وسليمان بن مهران الأعمش) من أبرَزِ أصحابِ الإمامينِ محمَّد الباقرِ وجعفر الصَّادق عليهما السلام.

روى عن عاصم كلٌّ من: حفْصُ وشُعْبة. الأول ممدوحُ الاستقامةِ والضَّبْط، والثاني مُتَّهمٌ بالتملُّقِ للأُمراءِ وعدَمِ الضَّبْط.

أقول: ثمة ملاحظة تتعلَّق بتناقُض علماء الرِّجال من أهل السُّنة في توثيقِ عاصِم وحفْص، حيثُ نجِدُ أمرًا غريبًا: توثيقَهُما أو القبولَ بهما في قراءةِ القرآن، وجرْحَهُما في الحديث. هذا إنْ أشارَ إلى شيء، فإنَّما يشيرُ إلى صحَّةِ فرضيَّة أنَّ عاصِمَ وحفْص من أتْباعِ مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وإلا كيف يكونُ شخصٌ واحدٌ ثقةً ومقبولًا في أخطَرِ أمرٍ، وهو القرآن، ومجروحًا في أمرِ الحديث؟

---

(1) (69 هـ/ 688م).

(2) (ت 127 هـ/ 745م).

(3) انظر: ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص79.

(4) انظر: الداني، **جامع البيان في القراءات السبع**، ج1، ص180.

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: «كان أهلُ الكوفة يختارونَ قراءة عاصِم، وأنا أختارُها»[1]. وفي لفْظِ الذَّهبي: «قال أحمدُ بنُ حنبل: كان عاصِم ثقةً، وأنا أختارُ قراءَتَهُ»[2].

من هو حفْص؟

حفْصُ بن سُليمان الأسْدي الغاضري الكوفي[3]، هو ربيبُ أستاذِهِ عاصِم (ابن زوجته)، عاصَرَ الإمامين محمَّد الباقرَ وجعفر الصَّادقَ عليهما السلام.

عن حفْص، قال ابنُ أبي حاتم عن عبدِ الله عن أبيه: «متروكُ الحديث». وقال ابنُ المديني: «ضعيفُ الحديث، وتركتُهُ على عمْدٍ». وقال البخاري: «تركُوه». وقال مُسْلم: «متروكٌ». وقال النّسائي: «ليس بثقةٍ، ولا يُكتَبُ حديثُهُ». وقال صالح بن محمد: «لا يُكتَبُ حديثُهُ وأحاديثُهُ كلُّها مناكير». وقال ابنُ خراش: «كذَّابٌ متروكٌ يضَعُ الحديث». وقال ابنُ حِبَّان: «كان يقلِبُ الأسانيد، ويرفَعُ المراسيل»... إلخ[4].

مرجعية القُرَّاء: الإمام علي عليه السلام

هكذا ينتهي الباحث إلى حقيقةٍ واضحة، وهي أنَّ القُرَّاء يعودونَ في النِّهايةِ إلى الإمام علي عليه السلام. وجهودُ الإمام علي عليه السلام على مستوى القُرَّاء تركزت على العراق، خصوصًا الكوفة. لذا صارت الكوفة، جامعةً لتخريجِ القُرَّاء (كما ستُصْبحُ مصنعًا لإنتاجِ نُسَخ القرآن المُدوَّنة). لذا نجدُ أئمةَ أهلَ البيت عليهم السلام قد أرجعوا شيعتَهُم وأغلَبُهُم من أهلِ الكوفة، إلى القراءةِ المتداولة، لأنَّهم يُدركونَ تمامًا أنَّها قراءةَ الإمام عليّ عليه السلام المُطابقة للوحي.

ذكَرَ ابنُ الجزَري: أنَّ «**حفْصًا قال: قُلْتُ لعاصِم: أبو بكر ـ يعني شُعْبة ـ يُخالِفُني (يعني رغم أنَّ كلانا تلميذين عندك)، فقالَ عاصِم: أقرأْتُكَ بما أقرأَني**

---

(1) تهذيب التهذيب، ج5، ص39.
(2) الذَّهبي، ميزان الاعتدال، ج2، ص358.
(3) (ت 180 هـ/ 796م).
(4) راجع تهذيب التهذيب، ج2، ص401.

به أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي عن عليٍّ بنِ أبي طالب، وأقرأْتُهُ بما أقرأني به زِرُّ ابنُ حُبيش عن عبدِ الله بنِ مسعود»[1]. ولعلَّ الاختلافَ هنا ناشئٌ عن اختلافِ لهجة قُريش (لهجة الإمام علي عليه السلام) عن هُذيل (لهجة عبد الله بن مسعود).

كما كتَبَ ابنُ أبي الحديد المعتزلي[2]: «اتَّفَقَ الكلُّ على أنَّه (عليًّا عليه السلام) كان يحفَظُ القرآنَ على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، ولم يكُن غيرُهُ يحفَظُهُ، ثمَّ هو أوَّلُ من جمَعَهُ؛ نقلوا كلُّهم أنَّه تأخَّرَ عن بيعةِ أبي بكر، فأهلُ الحديثِ لا يقولونَ ما تقولُهُ الشِّيعةُ من أنَّه تأخَّرَ مُخالفةً للبيعةِ، بل يقولونَ: تشاغَلَ بجمْعِ القرآن، فهذا يدُلُّ على أنَّهُ أوَّلُ من جمَعَ القرآنَ، لأنَّه لو كانَ مجموعًا في حياةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله لما احتاجَ إلى أنْ يتشاغَلَ بجمْعِهِ بعدَ وفاتِهِ صلى الله عليه وآله. **وإذا رجعْتَ إلى كُتُبِ القراءات وجدْتَّ أئمةَ القُرَّاء كلَّهم يرجعونَ إليه؛ كأبي عمرو بنِ العلاء وعاصِم بن أبي النَّجود وغيرِهما، لأنَّهم يرجعونَ إلى أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي القارئ، وأبو عبد الرَّحمن كان تلميذَهُ، وعنه أخَذَ القرآنَ؛ فقد صارَ هذا الفنُّ من الفُنونِ التي تنتهي إليه أيضًا**»[3].

أقول: صدْرُ كلامِهِ الذي يدَّعي فيه أنَّ القرآنَ لم يكن مجْموعًا في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، لا يمكن القبولُ به، وقد تبيَّنَ ذلك ممَّا مرَّ.

سر إخفاء هذه الحقيقة:

حقيقة أنَّ مرجعية القُرَّاء هو الإمام علي عليه السلام، كان لا بدَّ أنْ تظلَّ مكتومة عن أسماعِ الناس. بل جهودُ الإمام علي عليه السلام في حفْظِ القرآن عمومًا، كان لا بدَّ أنْ تظلَّ خافية متوارية عن الأنظار. لأنَّ السُّلطة الأموية بعد ذلك، كانت ستُلاحق هذه القراءة المتواترة، وتحاولُ التَّشويشَ أو القضاءَ عليها بكلِّ ما أُوتيَت من قوة. لذا كان **أئمةُ أهل البيت عليهم السلام يُرْجعونَ شيعتَهُم إلى القراءةِ المتواترةِ بين الناس دونَ أنْ ينْسبوها لعليٍّ عليه السلام، حتى لا يتمنَّع البعض عن هذه القراءةِ عنادًا، ويُحاربَها حقدًا.**

(1) ابن الجزري، **غايةِ النهاية في معرفةِ طبقات القرّاء**، ج1، ص254.
(2) (ت 656 هـ/ 1258م).
(3) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج23 ـ 24.

■ خُذْ كشاهدٍ على ذلك الرِّواية المعتبرةِ التالية: قال: قرأَ رجُلٌ على أبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام) ـ وأنا استَمِعُ ـ حُرُوفًا من القُرآنِ ليس على ما يقْرَؤُها الناسُ، فقالَ أبو عبد الله عليه السلام: كُفَّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأُ الناس حتى يقومَ القائم، فإذا قامَ القائمُ قرأ كتابَ اللهِ على حدِّهِ وأخرَجَ المُصْحَفَ الذي كتَبَهُ عليٌّ عليه السلام[1].

فهذه الرِّواية دالَّةٌ على أنَّ الإمامَ جعفر الصَّادق عليه السلام كان ينهى شيعتَهُ عن الانسياقِ خلْف أيِّ قراءةٍ شاذَّةٍ أو غير مشهورة، حتى يُعطي رصيدًا إضافيًّا للقراءةِ المتواترة بين الناس، لأنَّها هي القراءة الصَّحيحة، دون أنْ يُصرِّح بأنَّها قراءة الإمام علي عليه السلام المطابقة لما أنزَلَ اللهُ تعالى.

أما قراءةُ القائم عليه السلام للقرآنِ على حدِّهِ، فنفهَمُ منه أنَّه يقرَؤُهُ بلهجةِ قريش. فقراءةُ حفْص عن عاصم وإنْ كانت مطابقة للقراءةِ المتواترة، لكن يُحتمَل أنَّها تأثَّرت شيئًا طفيفًا بلكناتٍ ولهجاتٍ أخرى في طريقةِ أداء ونُطْق الحُرُوف. كما نفهمُ من ذلك، أنَّ القائمَ عليه السلام يقرأُ القرآنَ مع تفسيرِهِ وتأويلِهِ.

■ أيضًا الروايةُ المروية بسند معتبر عن داود بن فرقد والمُعلَّى بن خُنيس جميعًا قالا: كُنَّا عندَ أبي عبد الله عليه السلام، ومعنا ربيعةُ الرَّأي، فذكَرْنا فضْلَ القرآن، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنْ كان ابنُ مسْعود لا يقرأ على قراءَتِنا فهو ضالٌّ، فقالَ ربيعة: ضالٌّ؟ فقال: نعم ضالٌّ. ثمَّ قالَ أبو عبد الله عليه السلام: أما نحنُ فنقرأُ على قراءةِ أُبيّ (أي أُبيّ بن كعب)[2].

وهذه الرِّواية دالَّة على أنَّ أئمةَ أهل البيت عليهم السلام يقرَؤُونَ بقراءةِ أُبيّ بن كعب، المطابقة لقراءةِ الإمام علي عليه السلام. ولم يُصرِّح الإمام جعفر الصادق عليه السلام باسْمِ الإمام علي عليه السلام أصْلًا، خصوصًا مع حضور ربيعة الرأي (وهو من فقهاء العامة). كما تحدَّث عن قراءةِ عبد الله بن مسعود بجُملةٍ شرطية. وهذا يدُلُّ من ناحية، على أنَّ هناك قراءات نُسِبَت لابن مسعود، بسبب عدم تسليمه لمُصْحفِهِ وتوتُّر علاقته بالسُّلطة. ويدُلُّ من ناحية أخرى، على عدم جزْم الإمام الصَّادق عليه السلام

(1) الحرُّ العاملي، وسائل الشّيعة، باب 74، من أبواب القراءة في الصلاة، ح1.
(2) المصدر السابق نفسه، باب 74، من أبواب القراءة في الصلاة، ح4.

بما يُنْسَب لابنِ مسعود. ويدُلُّ من ناحية ثالثةٍ، على ميلٍ لموقفِ أُبيّ بن كعب المتعاون مع السُّلطةِ في مسألةِ تدوين القرآن، ورفض ضمْني لموقفِ ابن مسعود. وفي النِّهاية يوحي كلامُهُ عليه السلام بالموقفِ العام للإمام علي عليه السلام، من مسألةِ تدوين القرآن، في زمنِ خلافة عثمان.

الآن، بعد العمَلِ على ترسيخ قراءةٍ واحدةٍ صحيحةٍ للقرآن، كان لا بدَّ من العودةِ مرَّةً أخرى إلى تدوينِهِ، للعمَلِ على تطويرِ رسْم المصحف، وتوفير البُنْية التحتية المناسبة لهذا التطوير، بعدما فرَضَت تطوُّرات أوضاع المسلمين ذلك. هذا ما أدْرُسُهُ في الفصْلِ القادم.

الفصل العاشر:

نقْط القرآن

درسْتُ في الفصْلِ السَّابق ما قامَ به الإمامُ عليّ عليه السلام من خطواتٍ لترسيخِ قراءةٍ صحيحةٍ واحدة، من خلالِ تربية كادر مُؤهَّل من القُرَّاء، أثناء خلافةِ الخُلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان. وإنْ كان لتلميذِهِ أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي دورٌ مهمٌّ في مجالِ ترسيخ هذه القراءة في جامعةِ القُرَّاء: الكوفة، فإنَّ لتلميذِهِ الآخر أبي الأسود الدُّؤلي دورًا مهمًّا في مجالِ نقْط القرآن في مصْنَعِ تدوين القرآن: البصْرة.

والحقيقةُ أنَّ ترسيخَ قراءةٍ واحدةٍ صحيحةٍ للقرآن لم يكن كافيًا، لأنَّه مع تطاول الزَّمان، ووجود مصاحف تحتملُ أكثرَ من قراءة، كان من المُتوقَّع أنْ تعود المشكلة للبروزِ من جديد بعدَ أنْ تمَّ تطويقُها، فتتكاثَر القراءات، لأنَّ المصاحف كانت تحتمل هذه القراءات المُتعدِّدة.

إذن كان لا بدَّ، من أجلِ تطويق المشكلة بحزامٍ صلْب، من وضْعِ النِّقاط على الحروف، لسببين: 1) حتى لا تُنْطَق الكلمات بطريقةٍ خاطئةٍ نحويًّا 2) وحتى تُنْطَق الحروف بنحوٍ سليمٍ ينْسَجِمُ مع ما تنزَّلَ من السَّماء وينْسَجِمُ مع المعنى العام للآيات.

فاختلافُ القراءات لا يُؤثِّر في المعنى فحسْب، بل قد يترتَّب عليه فروقٌ فقهية. فمثلًا، قولُهُ تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[1] كما هو في رسْمِ المصْحف الحالي، ويُطابقُ قراءةَ عاصِمٍ وغيره، هل هي القراءة الصَّحيحة؟ أم «يطَّهَّرنَ» كما هي قراءة شُعْبة وحمْزة والكِسائي

(1) سورة البقرة، الآية: 222.

وخَلَف؟ في الحالةِ الأولى يجوزُ مقاربة المرأة بمجرَّد أنْ تطْهُر وإنْ لم تغْتَسِل، وفي الحالةِ الثانية لا يجوزُ مقاربة المرأة حتى تغْتَسِل .

هذا الفصْل يدْرُسُ هذه المحطَّة التَّاريخية الهامَّة، المحطَّة العاشرة، المرتبطة بنقْط القرآن: شكْل القرآن وإعجام حُرُوفِهِ[1]. وتباشيرُ هذه المحطَّة بدأت في زمنِ خلافة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ التي امتدَّت من سنةِ 35 هـ إلى سنةِ 40 هـ.

الحساسية من أيِّ إضافة:

ما إنْ وصلَت المصاحف التي كُتِبَت في المدينةِ في خلافةِ عثمان إلى الأمصار، حتى سارَعَ المسلمونَ إلى نسْخِ المصاحف منها، حرْفًا بحرْف. واهتمَّ أئمةُ الإقراء في الأمصار بضبْطِ رسْم المصاحف على نحوِ ما جاءَ في المصْحفِ الإمام الذي وُجِّهَ إليهم. وهكذا قامت المصاحف المنْسوخة من الأُمَّهات مقامَ الأصول، لأنَّها نُسْخة منقولة عنها.

ومع انتشار ظاهرة كتابة المصاحِف (بالخطِّ الكوفي غالبًا)، استنادًا إلى المصاحِفِ التي بعَثَ بها عثمانُ إلى الأمْصار، كان الكُتَّابُ حريصينَ على عدَمِ إضافة أيِّ كلمةٍ أو حرْفٍ إلى النَّصِ القرآني. بل كان الكثيرون يدْعونَ إلى تجريدِ القرآن من أنْ يُكتَب فيه بين سورةٍ وأخرى: «سورةُ كذا وعدَدُ آياتِها كذا»، أو تُضاف إلها علامات التَّعْشير (بعد كلِّ عشْر آيات)، حتى لو تمَّ ذلك بلونٍ آخرَ يختلفُ عن لونِ الكتابة.

روى أبو عبيد القاسم بن سلَّام وابنُ أبي داود عن إبراهيم النَّخعي روايات مُتعدِّدة في ذلك، مفادُها أنَّهم كانوا يكرهونَ النَّقْطَ والتَّعشير وإحصارَ السُّور.

ومنها عن إبراهيم أنَّه كان يكرَهُ العواشِرَ والفواتِحَ وتصغيرَ المصاحفِ وأنْ يُكتَبَ فيه «سورةُ كذا وكذا».

وعن الأعمش قال: سألتُ إبراهيمَ عن التَّعشيرِ في المُصْحفِ، وتُكتَب سُورةُ كذا وكذا، فكرِهَهُ، وكان يقول: جرِّدوا القرآنَ.

(1) في لسانِ العرب: والعَجْمُ: النَّقْطُ بالسواد مثلُ «التاء» عليه نُقْطتان. يُقالُ: «أعْجَمْتُ الحرفَ»، والتَّعْجِيمُ مِثْله، ولا يُقالُ: «عَجَمْتُ».

وعن أبي حمزة قال: أتيتُ إبراهيمَ بمُصْحفٍ لي مكتوبٌ فيه «سُورةُ كذا وكذا آية»، فقال إبراهيم: امْحُ هذا، فإنَّ ابنَ مسْعود كان يكرَهُ هذا، ويقول: لا تخلُطُوا بكتابِ اللهِ ما ليسَ منه(1).

كتَبَ السُّيوطي: «وأخرجَ عن أبي العالية أنَّه (ابن مسْعود) كان يكرَهُ الجمْلَ في المُصْحَفِ و«فاتحة سورة كذا» و«خاتمة سورة كذا»، وقال مالك: لا بأسَ بالنَّقْطِ في المصاحِفِ التي تتعلَّم فيها العُلماء، أما الأُمَّهات فلا»(2).

وبعض المصاحف المخطوطة الموجودة في مكتباتِ ومتاحفِ العالَم، التي تعودُ إلى القرْن الأول الهجري، تُؤكِّد هذه الحقيقة. فلا تجدُ كلامًا يفْصِلُ سورةً عن أخرى، سوى فراغ، حتى يلتفت القارئ لانتهاءِ سورة، وابتداءِ سورة جديدة(3).

النَّقْط عند رؤوس الآي فقط:

كانوا لا يُقرُّونَ إلا النُّقَط الثلاث عند رؤوسِ الآي، أي التي تفصِلُ الآيَةَ عن الآيةِ التي تليها. هذا هو الأمرُ الوحيد الذي شعروا - في البدءِ - بضرورةِ إضافتِهِ، حتى يعرِفُ القارئ محطَّات الوقْف في القراءة.

عن يحيى قال: كانوا لا يُقِرُّونَ شيئًا ممَّا في هذه المصاحِفِ إلا هذه النُّقَط الثلاث التي عند رأسِ الآي(4).

ومنه ظهَرَ ما يُعرَف بـ «عِلْم عدِّ الآي» أو «عِلْم الفواصل». فـ «الفاصلةُ» هي الكلمةُ الأخيرةُ في الآيَة. و«الرَّوَي» هو الحَرْفُ الأخير من الكلمةِ الأخيرة.

وقد اختلفَت المدارس في عددِ آيات السُّور (مدرسة البصْرة، والكوفة،

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب نقط المصحف وما فيه من الرخصة والكراهة، وباب تعشير المصاحف وفواتح السور والآي. ابن أبي داود، **المصاحف**، ص553 - 563.

(2) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، ص482 - 483.

(3) انظر الملحق 1، المخطوطة رقم 1، 2.

(4) (ت 69 هـ/ 688م). ابن أبي داود، **المصاحف**، ص574 - 575.

ومكة، والمدنية، والشَّام). وسببُ ذلكَ هو الاختلاف في موضع الوقْف في الآية. مثالُ ذلك: سورةُ القارعة، هل نقِفُ في كلمةِ «موازينُهُ» الأُولى والثانية كما هو معمولٌ به حاليًا في المصاحف؟ أم نُكْمِل القراءة بالآية التي تليها دون وقْف. إذا وقَفْنا يكونُ عددُ آي سورة القارعة (11)، وهو كذلك في المصاحف حاليًا. لكن إذا لم نقِف، يكونُ عددُ الآي (9). اختلفوا أيضًا في عددِ أحرُف السُّور، وسببُ ذلك هو الاختلاف في عدِّ بعض الأحرف (مثل «ما») كلمة مستقلة أو لا؟

قواعد النَّحو أولًا:

ثمَّةَ خطوة كان لا بدَّ منها. كان لا بدَّ من شكْلِ القرآنِ وإعجامِ حُرُوفِهِ. فالنَّقْطُ نوعان: نقْطُ إعراب، ونقْطُ إعجام. نقْطُ الإعراب يُبيِّنُ حالَ الكلمة من نصْبٍ ورفْعٍ وجرٍّ وتشديد. في حين أنَّ نقْطَ الإعجام يُبيِّن حالَ الأحرف، فتتمايز الجيمُ عن الحاءِ والخاء، وتتمايز الباء عن التاءِ والثاء. . .وهكذا.

لقد عبَّدَ الإمامُ عليّ عليه السلام هذا الطَّريق عندما دفَعَ أبا الأسود الدُّؤلي[1]، للاهتمام بالنَّحو أولًا. فقواعدُ النَّحو هي أساسُ اللُّغة، إنْ استقرَّت وصيغت حُفِظَت اللُّغة. وإنْ تميَّعَت وغمُضَت ضاعت اللُّغة.

ويروي أبو الفرج الأصفهاني عن الجاحظ أنَّه قال: «أبو الأسود الدؤلي معدودٌ في طبقاتِ الناس، وهو في كُلِّها مُقدَّمٌ مأثورٌ عنه الفضْلَ في جميعِها»[2]. وقالَ عنه ابنُ سعد في الطَّبقات الكبرى: «كان شاعرًا مُتشيِّعًا، وكان ثقةً في حديثِهِ إنْ شاءَ الله، وكان عبدُ الله بنُ عباس لمَّا خرَجَ من البصْرةِ استخلَفَ عليها أبا الأسود الدُّؤلي، فأقرَّهُ عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام»[3].

قال أبو بكر محمَّد بن الحسن الزُّبيدي[4]: سُئِلَ أبو الأسود الدُّؤلي عمَّن

(1) توفي في الطاعون الخطير الذي أصاب البصرة، وله خمس وثمانون سنة.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ج13، ص204.

(3) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج7، ص99.

(4) (ت 379 هـ/ 989م).

فتَحَ له الطَّريقَ إلى الوضْعِ في النَّحوِ وأرشدَهُ إليه، فقال: تلقَّيْتُهُ من عليٍّ بن أبي طالب رحمَهُ الله. وفي حديثٍ آخر قال: ألقى إليَّ أصولًا احتذَيْتُ عليها»[1].

وقال ابنُ النَّديم[2]: «قال أبو جعفر بنُ رُسْتُم الطَّبري: **إنَّما سُمِّيَ النَّحوُ «نحوًا» لأنَّ أبا الأسودَ الدُّؤلي قالَ لعليٍّ عليه السلام وقد ألقى إليهِ شيئًا من أُصولِ النَّحو، قالَ أبو الأسود: واستأْذَنْتُهُ أنْ أصْنَعَ نحوَ ما صَنَع، فسُمِّيَ ذلك «نحوًا»**.

وقد اختلَفَ الناسُ في السَّبَبِ الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسَمَهُ من النَّحو. فقال أبو عبيدة: أخَذَ النَّحو عن عليٍّ بنِ أبي طالب أبو الأسود، وكان لا يخرُجُ شيئًا أخذَهُ عن عليٍّ ـ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ـ إلى أحدٍ، حتى بعَثَ إليهِ زيادُ (ابن أبيه) أنْ اعمَل شيئًا يكونُ للناسِ إمامًا، ويُعرَفُ بهِ كتابُ الله. فاسْتعفاهُ من ذلكَ، حتى سمِعَ أبو الأسود قارئًا يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾[3] بالكَسْرِ!! فقال: ما ظنَنْتُ أنَّ أمْرَ الناسِ آلَ إلى هذا. فرَجَعَ إلى زيادٍ فقال: أفْعَل ما أمَرَ به الأمير، فليَبْغِني كاتِبًا لَقِنًا، يفعَلُ ما أقولُ له. فأُتيَ بكاتبٍ من عبْدِ القيس، فلمْ يرْضَهُ. فأُتيَ بآخر، قال أبو العباس المُبرَّد: أحسَبُهُ منهم، فقالَ أبو الأسود: «**إذا رأيْتَني قد فتحتُ فمي بالحرْفِ، فانْقُط نُقطةً فوقَهُ على أعلاه. وإنْ ضمَمْتُ فمي، فانْقُط نُقطةً بين يدَي الحرْف. وإنْ كسَرْتُ، فاجْعَل النُّقطةَ من تحتِ الحرْف**». فهذا نقْطُ أبي الأسود.

قالَ أبو سعيد رضي الله عنه: ويُقالُ إنَّ السَّبَبَ في ذلكَ أيضًا أنَّه مرَّ بأبي الأسود سعد، وكان رجُلًا فارسيًّا من أهل زندخان، كان قدِمَ البصْرة مع جماعةِ أهلِهِ، فدَنَوا من قُدامةِ بنِ مظعون، وادَّعَوا أنَّهم أسْلَمُوا على يديهِ، وأنَّهم بذلكَ من مواليهِ، فمرَّ سعدُ هذا بأبي الأسود وهو يقودُ فرَسَهُ، فقالَ: مالَكَ يا سعد؟ لِمَ لا ترْكب؟ قال: إنَّ فرَسي ضالِعًا. أرادَ «ضالِعٌ» (= داءٌ في قوائمِ الدَّواب). قال: فضحِكَ به بعضُ من حضَرَهُ. فقالَ أبو الأسود: «هؤلاء

---

(1) الزُّبيدي، طبقات النَّحويين، ترجمة أبي الأسود، ص13.

(2) (ت 380 هـ/ 990م).

(3) سورة التوبة، الآية: 3.

الموالي قد رَغَبُوا في الإسلام ودَخَلُوا فيه، فصاروا لنا إخوة، فلو عمَلْنا لهم الكلام». فوَضَعَ بابَ الفاعلِ والمفعول»[1].

وقالَ ابنُ خلِّكان[2] في ترجمةِ أبي الأسود الدُّؤلي: **إنَّ عليًّا (رض) وضَعَ له «الكلامَ كلَّهُ ثلاثةَ أضْرُب: اسْمٌ وفعْلٌ وحرْف، ثمَّ دفعَهُ إليهِ وقالَ له: تمِّم على هذا»**[3].

ويبدو أنَّ مسألةَ وضع قواعد لنحو اللُّغة العربية كان همًّا يُقلِقُ الإمام علي عليه السلام. فقد ذكر القفْطي[4]: «ذكْرُ أوَّل من وضَعَ النَّحو وما قالَهُ الرُّواة في ذلك: الجمهورُ من أهلِ الرِّواية على أنَّ أوَّلَ من وضَعَ النَّحو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. **قال أبو الأسود الدُّؤلي: دخلْتُ على أميرِ المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فرأيتُهُ مُطْرقًا مُفكِّرًا، فقلْتُ: فيمَ تُفكِّر يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: سمِعْتُ ببلدِكُم لحْنًا، فأردْتُّ أنْ أصنَعَ كتابًا في أُصولِ العربية. فقُلْتُ له: إنْ فعَلْتَ هذا أبقيْتَ فينا هذه اللُّغةَ العربية. ثمَّ أتيتُهُ بعدَ أيام، فألقى إليَّ صحيفةً** فيها: «بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم: الكلامُ كُلُّهُ: اسْمٌ وفعْلٌ وحرْفٌ؛ فالاسْمُ: ما أنبأَ عن المُسمَّى، والفعْلُ: ما أنبأَ عن حركةِ المُسمَّى، والحرْفُ: ما أنبأَ عن معنىً ليسَ باسْم ولا فعْل». ثمَّ قال: «تتبَّعْهُ وزِدْ فيه ما وقَعَ لك، واعْلَم أنَّ الأشياءَ ثلاثة: ظَاهِرٌ ومُضْمَرٌ وشيءٌ ليسَ بظاهِرٍ ولا مُضْمَر، وإنَّما يتفاضَلُ العُلماءُ في معرفةِ ما ليسَ بمُضْمَرٍ ولا ظاهِر». فجمَعْتُ أشياءَ، وعرَضْتُها عليه، فكانَ من بينِ ذلكَ «حُرُوفَ النَّصْبِ»، فذكرْتُ منها: إنَّ، وأن، وليتَ، ولعلَّ، وكأنَّ. ولم أذْكُر لكن. فقال: لم ترَكْتَها؟ فقُلْتُ: لم أحسَبْها منها، فقال: بلى هي منها، فزِدْها فيها. هذا هو الأشْهَرُ من أمْرِ ابتداء النَّحو. . .وأهلُ مصْر قاطبة يروْنَ بعدَ النَّقْلِ والتَّصحيح أنَّ أوَّلَ من وَضَعَ النَّحو عليُّ بن أبي طالب (رض)

(1) ابن النديم، **الفهرست**، المقالة الثانية، الفن الأول في أخبار النَّحويين، ص61 ـ 62.
(2) (ت 681 هـ/ 1282م).
(3) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج2، ص216. وقريبٌ ممَّا مضى تجِدُهُ في **البداية والنهاية** لابن كثير، ج8، ص318. وكذا في **الأغاني** للأصفهاني في خبر ترجمة أبي الأسود الدُّؤلي، ج12، ص302. و**تاريخ دمشق** لابن عساكر في ترجمة أبي الأسود.
(4) (ت 624 هـ/ 1227م).

وأخَذَ عنه: أبو الأسود الدُّؤلي، وأخَذَ عن أبي الأسود الدُّؤلي: نصْرُ بنُ عاصِم البصْري، وأخَذَ عن نصْر: أبو عمرو بنُ العلاء، وأخَذَ عن أبي عمرو: الخليلُ ابنُ أحمد، وأخَذَ عن الخليلِ بنِ أحمد: سيبويه.....»[1].

النَّقْط بات ضرورة:

ثمَّ قامَ أبو الأسود الدؤلي ـ بعد استشهادِ الإمام علي عليه السلام على ما يبدو ـ بشكْلِ القُرآن (بالنَّقْطِ)[2]، حتى لا يحصل أيُّ لحنٍ في قراءةِ القرآن[3].

وقد جعَلَ أبو الأسود الدُّؤلي الفتْحةَ نقطة فوق الحرف، والكسْرةَ نقطة تحت الحرف، والضمَّةَ نقطة أمامَ الحرف، وجعَلَ التَّنوين نُقطتين[4].

ونقْطُ أبي الأسود الدُّؤلي للإعراب كان يقتصِرُ على الحرْفِ الأخيرِ من الكلمة، واستمرَّ الأمرُ كذلك بُرْهةً من الزَّمن، فكانوا يعيبونَ نقْطَ أو شكْلَ كلّ أحْرُف الكلمة. لكن سرعان ما صاروا ينْقطون الكلمةَ كلَّها.

كتَبَ أبو عمرو الدَّاني[5]: «ويُحتمَلُ أنْ يكونَ يحيى ونصْر أوَّل من نقَطَا

---

(1) القفطي، **أنباء الرواة**، ج1، ص4 ـ 6. راجع أيضًا: السِّيرافي، **في أخبار النَّحويين**، ص16. ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج14، ص49 ـ 50.

(2) أقول: زعمَت بعضُ المصادر ـ كما أشرْتُ ـ إلى أنَّ من أشارَ عليه بنقْطِ المصحف: زيادُ ابنُ أبيه! وبعضُها الآخر تذْكُر: «ويُقالُ أوَّل من فعَلَ ذلك أبو الأسود الدُّؤلي بأمْرِ عبد الملك بن مروان (**الإتقان**، ج2، ص482). لكن أشمُّ في ذلكَ رائحة التملُّق للُولاةِ أو الخُلفاء، وهذا حالنا إلى اليوم، يُنسَبُ كلُّ أمرٍ عظيمٍ إلى الحاكم أو الوالي!! والأقرب أنَّ أبا الأسود الدُّؤلي بعدما أسَّسَ علم النَّحو، شعَرَ بنفْسِهِ بالحاجةِ الماسَّةِ لعمَلِ شيءٍ للحِفاظِ على القرآن، حتى لا يلْحَن غيرُ العربِ فيه. لكن هل ينطبق هذا التملق للخلفاء والولاة على الروايات التي تنسب الفضل في جمع القرآن لعثمان؟ المسألة بحاجة لتأمل.

(3) فمثلًا ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ رأى فيها البعضُ لَحْنًا في القرآن، وخطأً نحويًا، وتشبَّثَ بعضُ المُسْتشرقين بأمثالِ هذه الموارد. إنْ قرأناها هكذا «إنْ هذانِ لساحرانِ» بتخفيفِ النون (قراءة حفْص وابن كثير)، فلن تكون لدينا مشْكلة نحوِّية أصْلًا، لأنَّ «إنْ» لا تعْمَل، وما بعدها مبتدأً وخبر، لكن إنْ قرأناها هكذا «إنَّ هذانِ لساحرانِ» بتشديدِ النون (قراءة الباقين)، فستَظْهَر لدينا مشكلة نحوية تتطلَّبُ توجيهًا، فقيل: يصُحُّ ذلكَ على لُغةٍ من ينصب المُثنَّى بالألفِ وكذلك يرفَعُهُ ويجُرُّه بالألف. بل ثمة قراءة بـ «إنَّ هذين» على لُغةٍ من ينْصب المُثنَّى بالياء (قراءة أبي عمرو).

(4) ابن الأنباري، **إيضاح الوقف**، ج1، ص49. الداني، **المحكم في نقط المصاحف**، ص4.

(5) (ت 444 هـ/ 1052م).

للناسِ بالبصْرةِ، وأخذا ذلكَ عن أبي الأسْود، إذ كان السَّابقُ إلى ذلكَ، والمبتدئُ به، والذي جعَلَ الحركاتَ والتَّنوين، لا غير»[1].

لقد قامَ أبو الأسود الدُّؤلي بالمهمَّةِ على أكملِ وجه، واستمرَّ في ذلكَ إلى عصْر الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، المتزامن مع حُكْمِ عبد الملك بنِ مروان.

وكيفيةُ شكْل المُصْحَفِ بنْقطِهِ لها أصولٌ، شرَحَها أبو حاتم السَّجسْتاني[2] في كتابِهِ **في النَّقْطِ والشَّكْلِ بجداول ودارات**، كما حكى عنه ابنُ النديم في الفهرست. ولحُسْن الحظ أنَّ ابنَ أبي داود[3] نقلَها لنا في كتابِهِ **المصاحف**، تحتَ عنوان «كيف تُنْقَط المصاحف؟»[4]، كذلك شرح ذلك أبو عمرو الدَّاني[5] في كتابه **المُحكم في نقْطِ المصحف**.

ولتنظيم عملية النَّقْط، ولتفادي حساسيَّة البعض من إضافةِ أيِّ شيءٍ لرسْمِ المصْحف، تَمَّ الاتفاقُ على أنْ تُضاف النُّقَط والهمزات بلونٍ آخر، فيُكتفي في بُنْيةِ الكلمات الأصلية باللَّونِ الأسود، وتُضاف نُقَط الشَّكل باللَّونِ الأحمر، والهمزات باللَّونِ الأصفر. كما تمَّ تفادي نقْط المُصْحفِ الواحد بأكثرِ من قراءةٍ واحدة، لأنَّ هذا سيُؤدِّي إلى فوضى في الرَّسْم، لوجودِ عددٍ هائلٍ من النّقاطِ فوق وتحت وبين يدي الكلمات، وسينتهي الأمرُ إلى غُموضٍ وخلْطٍ شديدين.

لذا كتَبَ الدَّاني: «لا أستَجيزُ النَّقْطَ بالسَّواد؛ لما فيهِ من التَّغييرِ لصُورةِ الرَّسْم. ولا أستَجيزُ جمْعَ قراءاتٍ شتَّى في مُصْحفٍ واحدٍ بألوانٍ مختلفة؛ لأنَّه من أعظَمِ التَّخليطِ والتَّغييرِ للمرْسوم. وأرى أنْ تكونَ الحركاتُ والتَّنوينُ والتَّشديدُ والسُّكونُ والمدُّ بالحُمْرةِ، والهَمْزات بالصُّفْرة»[6].

---

(1) الداني، **المحكم في نقط المصحف**، ص6.
(2) (ت 250 هـ/ 864م).
(3) (ت 316 هـ/ 928م).
(4) ابن أبي داود، **المصاحف**، من ص575 ـ 584.
(5) (444 هـ/ 1052م).
(6) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، ص483. مذهب أهل المدينة في الهمزات أن ينقطوها بالصفرة، في حين أن مذاهب أهل العراق أن ينقطوها بالحمرة كالحركات. وكانت الهمزة قبل النقط يرمز لها بالألف.

قفزة في كتابة المصاحف:

ما تبقّى من مخطوطاتٍ ـ في مكتباتِ ومتاحِفِ العالَم ـ يُظهرُ جليًا أنَّ ثمةَ قفزة قرآنية نوعيَّة قد جرَت في القرْنِ الأول الهجري في مجالِ كتابة القرآن ثمَّ شكْلِهِ ونقْطِهِ، خصوصًا في العراق (تجد نماذج لتلك المخطوطات في آخر الكتاب، الملحق 1). وتوجدُ شواهدُ على أنَّ هذه القفزة بدأت أثناء تواجُد الإمام عليّ عليه السلام في الكوفةِ أثناءَ خلافتِهِ.

- فقد روي عن أبي حكيمة العبْدي قال: **كُنْتُ أكتُبُ المصاحِفَ بالكوفةِ، فيمُرُّ علينا عليُّ بنُ أبي طالب (رض) فيقومُ فيَنْظُر، فيُعْجِبُهُ خطُّنا، ويقول: هكذا نوِّروا ما نوَّرَ الله**[1].

وكلمَةُ أبي حكيمة العبْدي: «فيَمُرُّ علينا»، تدُلُّ على أنَّ الإمامَ عليّ عليه السلام قد اعتادَ المرور، أو تكرَّرَ ذلك منه، ليس على كاتبٍ واحدٍ فحسْب، بل على كتَبةِ المصاحف في الكوفة، وأنَّه كان يُشْرِفُ بنفْسِهِ على ذلك، ويُشجِّعُهُم على تحسينِ الخطّ، فتأمَّل.

- ورُويَ عن عليٍّ عليه السلام: **يُكرَهُ أنْ يُكتَبَ القرآنُ في الشَّيءِ الصَّغير، لا تُكتَبُ المصاحِفُ صِغارًا، وأنَّه عليه السلام كرِهَ أنْ تُتَّخذ المصاحف صِغارًا**[2].

ومن الشَّواهدِ التاريخيةِ الواضحة على وجودِ قفزة في كتابةِ المصاحف، حادثةُ «رفْع المصاحف» التي وقعَت في حرْبِ صفِّين سنة 37هـ. فقد رفَعَ جيشُ معاوية ـ بمشورةٍ من عمرو بن العاص ـ المصاحِفَ، وطالبوا بتحكيمِ كتابِ الله. وهذا يدُلُّ على وجودِ المصاحف المكتوبة وتداوُلها آنذاك بين الناس.

كما يدلُّ على ذلك، كلمة الإمام علي عليه السلام للخوارجِ الذين رفضوا

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، باب أخذ الأجرة على كتابة المصاحف، روى أربع روايات بالمضمون نفسه تقريبًا، ص527 ـ 529. انظر أيضًا أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب كتاب المصاحف وما يستحب من عظمها ويكره من صغرها، ح2، ص243 ـ 244.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص545 ـ 546. انظر أيضًا أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، باب كتاب المصاحف وما يستحب من عظمها ويكره من صغرها، ح2، ص244.

التحكيم: «إِنَّا لَمْ نُحَكِّم الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا اَلْقُرْآنَ. **هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ**»[1].

مضافًا إلى استشرافِ الإمام علي عليه السلام للمستقبل الذي سيأتي بعد رحيله: «سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. . . . فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ. . . فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، **وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ** (= كتابته)»[2].

أيضًا قولُهُ عليه السلام: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، **لَا يَبْقى فِيهِمْ مِنَ الْقُرآنِ إِلَّا رَسْمُهُ**، وَمِنَ الإسلام إِلَّا اسْمُهُ»[3].

كلُّ ذلك يدُلُّ على أنَّ الإمامَ عليّ عليه السلام لم يعُد قلقًا على تدوينِ القرآن ـ كما كان حُذيفة في زمنِ عثمان ـ لإيمانِهِ بأنَّ القرآنَ قد حظي بضماناتٍ طبيعيةٍ تجعلهُ محفوظًا على مستوى الرَّسْم، فضلًا عن القراءةِ الشَّفهية، وإنَّما المشكلة الحقيقية التي ستتَّسِع وتتعمَّق هي ابتعاد الأمة عن تعاليمِ القرآن.

استمرار سريان القرآن في أوصال الأمة:

هذه القفزةُ التي جرَت في مجالِ تدوين المصاحف في العالَم الإسلامي، خصوصًا في العراق، لم تكن قفزةً طارئة. بل توسَّعَت وامتدَّت واستمرَّت، ففشى تدوينُ المصاحف، جنْبًا إلى جنْبِ انتشار قراءةِ القرآن على نطاقٍ واسع، خصوصًا بعد صُلْحِ الإمام الحسن عليه السلام سنة (41هـ)، واستقرار الوضْع السِّياسي نسْبيًّا لصالح معاوية.

لذا أُثيرت سلْسلة من الأسئلةِ الفقهية المستحدثة آنذاك، المُتعلِّقة بكتابةِ المُصْحف، كجوازِ أو عدم جواز أخْذ الأُجرة على كتابتِهِ أو نقْطِهِ وشكْلِهِ وحُكْمِ تذهيبِهِ؟

---

(1) الشَّريف الرَّضي، **نهج البلاغة**، خ125، ص182.

(2) المصدرَ السابق نفسه، خ147، ص204 ـ 205.

(3) المصدر السابق نفسه، الكلمات القصار (369)، ص540.

فقد رُويَ عن مالكِ بن دينار (البصْري التابعي المعروف) قال: دخَلَ عليَّ جابرُ بنُ زيد (البصْري التابعي مُؤسِّس المذهب الإباضي) وأنا أكتُبُ المُصْحفَ، فقالَ لي: ما لكَ صَنْعة إلا أنْ تنْقُل كتابَ اللهِ من ورقةٍ إلى ورقة؟ هذا واللهِ كسْبٌ حلال، هذا واللهِ كسْبٌ حلال[1].

- ورُويَ عن الرَّبيع قال: سمِعْتُ الحسَن (البصْري) وسُئِلَ عن كتابِ المصاحف، فقال: لا بأسَ به على غيرِ شرْط.
- ورُويَ عن عيسى بن حنيفة قال: كان مالكُ بنُ دينار يكتُبُ المصاحِفَ، ولا يُشارط، يكتُبُ المُصْحفَ في بيتِهِ، فإذا أُتيَ بأُجرةٍ أخَذَ ما يعلَم أنَّه أُجرَتُهُ ويرُدُّ ما سوى ذلك. وكذا رُويَ عن مطر الورَّاق.

ومن الواضحِ أنَّ حُكْمَ أخذ الأجرة على كتابةِ المصاحف، كان أمرًا مُثارًا، وهذا يدُلُّ على أنَّ كتابتَهُ صارت ظاهرة، سُئِلَ عنها الحسَنُ البصري وغيرُهُ. وكذا كانت تُثارُ مسألة حُكْم بيع وشراء المصاحف، وحُكْم كتابة المُجْنِب للمُصْحف، وحُكْم كتابة النَّصراني للمُصْحف، حتى استشهدوا لجوازِ ذلك بما رُويَ بأنَّ عبد الرَّحمن بنَ عوف استكْتَبَ رجُلًا من أهلِ الحيرة نصْرانيًّا مُصْحفًا، فأعطاهُ ستِّينَ درهمًا[2].

ووردَت روايات عن أهلِ البيت عليهم السلام تُفيدُ أنَّ الأحكامَ المرتبطة بكتابةِ المصاحف كانت مثارَ تساؤُل الناس:

- فقد رُويَ عن عبدِ الرَّحمن بنِ أبي عبد الله عن أبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام) قال: إنَّ أُمَّ عبد الله بن الحارث أرادت أنْ تكتُبَ مُصْحفًا، واشترَت ورقًا من عندِها، ودَعَت رجُلًا يكتُبُ لها على غيرِ شرْط، فأعطَتْهُ حين فرَغ خمسين دينارًا، وأنَّه لم تُبَع المصاحف إلا حديثًا[3].
- وعن أبي بصير قال سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن بيعِ المصاحفِ وشرائِها

(1) ابن أبي دواد، **المصاحف**، باب أخذ الأجرة على كتابة المصاحف، روى ثلاث روايات بالمضمون نفسه تقريبًا، ص529 ـ 530.

(2) ابن أبي دواد، **المصاحف**، باب أخذ الأجرة على كتابة المصاحف، ص530 ـ 539.

(3) البروجردي، **جامع أحاديث الشيعة**، ج22، ص317، ح8.

فقال: إنَّما كانَ يُوضَعُ عندَ القامة (= حائط المسْجد) والمنْبر، قال: وكان بين الحائطِ والمنْبر قيْدُ ممرٍّ شاة ورجُلٍ وهو مُنْحَرِف، فكانَ الرَّجُلُ يأتي فيكتُبُ البقرة، ويجيءُ آخر فيكتُبُ السُّورة، وكذلك كانوا، ثمَّ إنَّهم اشْتَرُوا بعدَ ذلك. فقُلْتُ: فما ترى في ذلكَ؟ قال: اشتريهِ أحبُّ إليَّ من أنْ أبيعَهُ (وفي روايةٍ: قُلْتُ: فما ترى أنْ أعطي على كتابَتِهِ أجرًا؟ قال: لا بأس، ولكن هكذا كانوا يصْنعون)[1].

- وعن أبي عبد الله بنِ سُليمان قال: سألْتُهُ عن شراءِ المصاحف، فقال: إذا أردتَّ أنْ تشتري، فقُل: «أشتري منكَ ورَقَهُ وأديمَهُ وعمَلَ يدِكَ بكذا وكذا»[2].
- وعن محمَّد بن الورَّاق قال: عرَضْتُ على أبي عبد الله عليه السلام كتابًا فيه قرآنٌ مُختَّمٌ مُعشَّرٌ بالذَّهبِ، وكُتِبَ في آخرِهِ سُورةٌ بالذَّهب، وأريتُهُ إيَّاه، فلمْ يَعِبْ فيه شيئًا إلا كتابةَ القُرآنِ بالذَّهب، وقال: لا يُعجِبُني أنْ يُكتَبَ القُرآنُ إلا بالسَّوادِ كما كُتِبَ أوَّلَ مرَّةٍ[3].

دور تلامذة الدُّؤلي في نقط المصْحف:

يبدو أنَّ أبا الأسود الدُّؤلي دفَعَ بعد ذلك بتلميذِيهِ يحيي بن يعمُر البصْري[4] ونصْر بن عاصم اللَّيثي[5]، للاهتمام بنقْطِ المصْحف. وإنْ كان النَّقْطُ في زمنِ الدُّؤلي يقتصرُ على الإعراب، فإنَّ النَّقْطَ عندَ تلامذتِهِ امتدَّ ليشمَلَ الإعجامِ أيضًا، لتميُّز الحروف المتشابهة، مثل الدَّال والذَّال، والرَّاء والزَّاي، ونحوها.

- وُلِدَ يحيي بن يعْمُر في البصْرةِ في حدود سنة 45هـ، وتُوفِّي سنة 129هـ، كان صاحبَ قراءة[6]، وكان هواهُ مع عليٍّ وشيعتِهِ[7]، ويبدو أنَّ الحجَّاجَ الثَّقفي نفاهُ إلى خُراسان لهذا السَّبَب.

---

(1) البروجردي، **جامع أحاديث الشيعة**، ج22، ص317، ح7.
(2) المصدر السابق نفسه، ج22، ص316، ح4.
(3) الكليني، **أصول الكافي**، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح8.
(4) (ت 129 هـ/ 747م).
(5) (ت 89 هـ/ 708م).
(6) ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج2، ص381.
(7) انظر **وفيات الأعيان**، ج2، ص227.

أخرَجَ ابنُ أبي داود عن هارون بن موسى قال: أوَّلُ من نقَطَ المصاحف يحيى بن يعْمُر[1].

ويذْكُر ابنُ خلِّكان أنَّه كان لابنِ سيرين مُصْحَفٌ منْقوط، نقَطَهُ يحيى بن يعمر[2].

وحكى أبو أحمد العسْكري: «إنَّ الناسَ غبَروا يقْرؤونَ في مُصْحفِ عثمان نيِّفًا وأربعينَ سنة، إلى أيَّامِ عبد الملكِ بنِ مروان، ثمَّ كثُرَ التَّصحيفُ وانتشَرَ بالعراق، ففزَعَ الحجَّاجُ بنُ يوسُف إلى كُتَّابه، وسأَلَهُم أنْ يضَعُوا لهذه الحروف المشْتبهة علامات. فيُقالُ إنَّ نصْرَ بنَ عاصِمٍ قامَ بذلك، فوَضَعَ النُّقَط أفرادًا وأزواجًا، وخالَفَ بين أماكِنِها...»[3].

أقول: لاحظ المحاولات المستمرة لدسِّ أسماء ولاة وخلفاء بني أمية.

قال الأستاذ الزَّرقاني: «**أوَّلُ من نقَطَ المُصْحفَ هو يحيى بن يعْمُر، ونصْرُ بنُ عاصِم، تلميذا أبي الأسود الدُّؤلي**»[4].

النَّقْط يثيرُ حساسية البعض:

مع بدءِ انتشار نقط المصاحف، ثارَت حساسية بعض أصحاب النَّبي والتَّابعين والمشتغلين بعُلُوم القرآن، وخشوا أنْ يكونَ ذلك مُقدِّمة لإضافةِ أمور أجنبية على القرآن، فكرهوا نقْطَ المصْحف، وفضَّلُوا تجريدَهُ.

- أخرج ابن أبي داود عن الحسَنِ (البصْري) أنَّه كرِهَ أنْ تُنْقَط المصاحف بالنَّحو.
- وعن ابنِ سيرين أنَّه كرِهَ نقْط المُصْحف بالنَّحو قال: أخشى أنْ يزيدوا في الحُرُوف.

---

(1) ابن أبي دواد، **المصاحف**، ص568. انظر أيضًا أبو عمرو الداني، **المحكم في نقط المصحف**، ص5. أيضًا البخاري، كما **في غاية الغاية**، ج2، ص381.

(2) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج2، ص227.

(3) المصدر السابق نفسه، ترجمة الحجاج، ج2، ص32.

(4) الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج1، ص399.

وعن قُتادة قال: ودَدْتُ أنَّ أيديهم قُطِعَت، يعني نُقَّط المصاحف.

وأنَّ عبَّادَ بنَ عبَّادَ الخوَّاص إذا قدِمَ علينا لا يقرأ إلا في مُصْحفٍ غير منقوط[1]!

لذا، انتشرَت في هذه المرحلة مصاحفُ لم تمسَّها يدُ النَّقْطِ شكْلًا وإعجامًا بسببِ حساسية أصحابها. وما زالت بعض المخطوطات الباقية في مكتباتٍ ومتاحف العالم من القرْنِ الأول الهجري تحكي عن هذا النَّمط من الناس، فتجدها خالية من أيِّ نقط، سوى بعض النُّقاط عند رؤوسِ الآي[2].

ثمَّ انتشرت مصاحفُ مسَّتْها يدُ النَّقْطِ شكْلًا فقط، التي بدأ بها أبو الأسود الدؤلي. وما زالت بعض المخطوطات الباقية في مكتباتٍ ومتاحف العالم من القرْنِ الأول الهجري تحكي عن هذا النَّمط من الناس، فتجدُ مصاحِفَهُم خالية من نقْطِ الإعجام، لكنَّها منقوطة نقْط شكل وإعراب، فضلًا عن بعضِ النُّقاط عند رؤوسِ الآي[3].

وانتشرت مصاحفُ مسَّتْها يدُ النَّقْطِ إعْجامًا[4]، قبلَ أنْ ينتشر النَّقْطُ شكْلًا وإعجامًا لاحقًا[5]... كلُّ ذلك حدَثَ في القرْنِ الهجري الأول، وفي بداية القرن الهجري الثاني. لذا نجدُ أنَّ الحساسيةَ من النَّقْط بدأت تخبو بالتدريج، مع ازديادِ شعور الناس بضرورةِ نقْط مصاحفهم، حتى يُتْقنوا قراءةَ القرآن.

- لذا أخرج ابنُ أبي داود عن الحسَنِ (البصْري) أنَّه كان لا يرى بأسًا أنْ يُنْقَط المُصْحف بالنَّحو.
- وعن منصور بن زاذان قال: سألتُ الحسَنَ (البصْري) وابنَ سيرين؟ فقالا: لا بأس.

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، 567 ـ 572.
(2) انظر الملحق 1، المخطوطة 1، المخطوطة 2، المخطوطة 6.
(3) انظر الملحق 1، المخطوطة 3، المخطوطة 7، المخطوطة 8، وربَّما المخطوطة 4.
(4) انظر الملحق 1، المخطوطة 5، المخطوطة 9.
(5) يحتمل في بعض مخطوطات القرن الأول الهجري، التي مستها يد النقط، سواء على مستوى الشكل أو الإعجام، أن يكون النقط جرى بعد عقود، في بدايات القرن الثاني الهجري، أو أواسطه.

■ وعن خالدِ الحذَّاء قال: رأيتُ ابنَ سيرين يقرأُ في مُصْحفٍ منْقوط[1].

إذن لم يكتب في المصاحف الأولى إلا ألفاظ الوحي، فلم يكن فيها أسماء السُّور وأرقام الآيات، ولا علامات الأجزاء ونحوها.

الجديرُ بالذِّكر أنَّ المتخصِّصين في القرآن اعتنوا أيضًا بتعيينِ رُؤوس الآيات، وإنْ لم تكن مرْسومة في المصْحف. فكانوا يُعلِّمونَ الناسَ القرآن ويوقفونَهُم على رُؤوسِ الآي. وقد وضعوا أولَ الأمر ثلاث إلى ستِّ نقاط تقريبًا عند رأسِ الآية[2]، ثمَّ تطوَّرت فصارت دائرة، ثمَّ كُتِبَت رقم الآية في داخِلِها في العصورِ المتأخرة.

وقد ظهَرَ في الأمصارِ الرَّئيسية: مكة والمدينة والكوفة والبصْرة والشَّام، علماء اشتهروا بمعرفةِ عدِّ الآيات، واعتنوا بإحصاءِ عدد كلمات كلّ سورة وعدد حرُوُفِها. كذلك اعتنوا بتجزئةِ القرآن ثلاثينَ جُزْءًا أو ستِّين أو أكثر من ذلك. ووضعوا علامات للخُمُوسِ والعُشُورِ والأجزاء، كرِهَها السَّابقون في أولِ الأمر، كما كرهوا النَّقْطَ والشَّكْل في المصاحف، ثمَّ خفَّت الكراهة. وأثبَتَ الخطَّاطونَ تلكَ الزِّيادات في المصْحف، وصارَ استعمالُ النَّقْطِ والشَّكْلِ في المصاحف أمرًا لازمًا للحفاظِ على سلامةِ النَّص القرآني من اللَّحنِ والتَّحريف.

وألَّفَ علماءُ القرآن كُتُبًا كثيرة في علْمِ العدد القرآني، ذكرَ ابنُ النَّديم منها قريبًا من عشرين كتابًا إلى زمنِ تأليفهِ كتاب **الفهرست** سنة 377هـ. وكتابُ الدَّاني **البيان في عدِّ آي القرآن** ربَّما يكونُ أوسع كتاب في هذا الموضوع وأكثر كُتُبهِ شهرةً.

تحوُّل النَّقْط إلى صنْعة:

لم تخبُ بالتدريج الحساسية من نقْطِ القرآن فحسب، بل تحوَّلت عمليةُ النَّقْطِ إلى صنْعةٍ تُؤخَذُ عليها أجرة.

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص572 ـ 574.

(2) انظر الملحق 1، المخطوطات.

- لذا أخرج ابنُ أبي داود عن الحسَنِ (البصْري) قال: لا بأسَ ببيعِها وبشرائِها (أي المصاحف)، وبنَقْطِها بالأجرة[1].
- وقد مرَّت علينا روايات عن أهلِ البيت عليهم السلام في حُكْمِ بيع وشراء المصاحف، التي لم يُبْدِ فيها أئمةُ أهل البيت عليهم السلام أيَّ حساسية تجاه أخذ الأجرة على نقْطِ القرآن.

التحوُّل إلى الشَّكل الحالي:

لم تكُن أسماء السُّور تُكتَب في المصاحف في الحُقبةِ الأولى، فكان يُترَك بين السُّورتين فراغ قدْر سطْر واحد[2]. ثمَّ صارَ هذا الفراغ يشغَلُ بخطَّين تُزيِّنُ ما بينهما دوائر أو مربَّعات أو زخرفة[3]، أو خطٌّ أو خطوط مُتعرِّجة كالسلْسلة[4]. ثمَّ صارَ يُكتَب بينَهُما اسْم السُّورة وعدد آياتها[5]. ثمَّ صارَ الخطَّاطون يعتنونَ بزخرفةِ ما بين السُّورتين، وصارَ يُكتَب في داخلِ تلك الزَّخرفة اسْم السُّورة، وما يتَّصِل بمكانِ نُزُولِها وعددِ آياتِها.

وتحوَّلت الكتابةُ من النَّقْطِ شكْلًا إلى الشَّكْلِ الحالي، ربَّما في النِّصْفِ الثاني من القرْن الثاني الهجري، مع الخليلِ بن أحمد الفراهيدي[6]. فقد أقرَّ الخليلُ بن أحمد الشَّكْلَ المتعارف من حركاتِ الإعراب، من ضمَّةٍ (واو صغرى فوق الحرف) وكسْرةٍ (ياء صغرى مردودة/ شرطة تحت الحرف) وفتْحةٍ (ألف مضجعة/ شرطة فوق الحرف) وشدَّةٍ (سين صغرى)، وسُكُونٍ (دائرة صغرى) وهمْزةٍ (عين صغرى)... .فخدَمَ كُتَّاَب المصاحف خدْمة كبيرة، إذ كان يختلط عليهم نقْطُ الإعجام بنقْطِ الإعراب، حيثُ كانت تتزاحم في الكلمةِ الواحدة النَّقاط بشكلٍ يثيرُ اللَّبْسَ والخلْط.

---

(1) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص574.
(2) انظر الملحق 1، المخطوطة 1، المخطوطة 2.
(3) انظر الملحق 1، المخطوطة 3، المخطوطة 6.
(4) انظر الملحق 1، المخطوطة 8.
(5) انظر الملحق 1، المخطوطة 4، المخطوطة 7.
(6) (ت 170 هـ/ 786م).

وشاعت طريقةُ الخليل بن أحمد في الشَّكْلِ بالعراق، بوصْفِها مركز الحركة العلْمية واللُّغوية في المشْرق. وظلَّت بلادُ المغرب والأندلس متمسِّكةً بالطريقةِ القديمة، ثمَّ شاعت طريقةُ الخليل هناكَ أيضًا لكن في وقتٍ متأخِّرٍ نسبيًّا.

ذكر السيُّوطي: «أوَّلُ من وضَعَ الهمْزَ والتَّشديدَ والرَّوْمَ والإشْمام: الخليل»[1].

الخلاصَّةُ: المشهورُ شُهرةً عظيمةً في المصادرِ القديمة أنَّ أوَلَ من نقَطَ الكلمات حتى يتبيَّن إعرابُها: أبو الأسود الدُّؤلي.

وأوَّلُ من نقَطَ الحُرُوف حتى تتمايز فيما بينها: يحيى بن يعْمُر ونصْر بن عاصِم.

وأوَّلُ من قدَّمَ رموزًا للكلماتِ حتى يتبيَّن إعرابُها، لكي يبقى النَّقْطُ لتمييزِ الحروف فقط: الخليلُ بن أحمد.

وغنيٌّ عن البيان أنَّ أبا الأسود الدُّؤلي هو تلميذُ الإمام علي عليه السلام مباشرةً، ويحيى بن يعْمُر ونصْر بن عاصِم هما تلميذا أبي الأسود. والخليلُ بن أحمد من مدرسةِ الإمام علي عليه السلام وشيعتِهِ.

مراجعة دورية:

كانت العادة قد جرت، بعد الانتهاء من كتابةِ المصاحف، أنْ تُجرى عمليَّةَ مراجعة دورية للمصاحِفِ، للتأكُّد من خُلُوِّها من الأخطاء. كانوا يُسمُّونَ هذه العمليَّة بـ «عرْضِ المصاحف»، والمراجعونَ المُتخصِّصونَ كانوا يعُفُّونَ عادةً عن أخذِ الأجرةَ على هذه المهمَّة.

- فعن أبي نضْرة قال: أتَيْنا عثمانَ بنَ أبي العاص[2] ليعْرِض مُصْحَفَهُ على مصاحِفِنا يومَ الجُمُعة، فلمَّا حضَرَت الجُمُعة، أمَرَ لنا بماءٍ فاغتسَلْنا، ثمَّ تطيَّبْنا ورُحْنا.

---

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، ج2، ص482.

(2) من أصحاب النبي، جاء النبي صلى الله عليه وآله عام الوفود سنة 9 هـ مع وفد ثقيف، فاستعمله النبي صلى الله عليه وآله على الطائف وأهداه نسخة من المصحف بعدما طلب عثمان منه ذلك. توفي سنة 51هـ.

- وعن أبي ظُبيان قال: كُنَّا نعرِضُ المصاحِفَ عندَ علْقمة[1].
- وعن موسى بن نافع أبو شهاب قال: دخَلْتُ على سعيدِ بنِ جُبير[2]، وبين يديهِ مُصْحفٌ قد عرضَهُ، فقال: إنْ كُنْتَ مشتريًا مُصْحفًا يومًا فاشتَرْهُ، فإنَّ أهلَهُ قد احتاجوا إلى بيعِهِ.
- وعن أبي معشَرٍ عن إبراهيم[3] أنَّه كرِهَ أنْ يأخُذَ على عرْضِ المصاحفِ أجْرًا[4].
- وعن سُفْيان قال: كان زُبيدُ[5] إذا حضَرَ شهْرُ رمضان، عرَضَ القرآنَ، فاجتمعوا إليهِ بالمصاحِفِ.

وقد كانت الأسفار في طلَبِ العلْم أو الحج، فُرَص تُتيحُ لهم الاطِّلاع على مصاحفِ الأمصار الأخرى، فكانوا يجرونَ مقارنات ومراجعات وتعديلات على نحوٍ مستمر.

المصْحف الحالي:

راجت المصاحفُ كثيرًا، لكن ظلَّ كثيرون يتحرَّجونَ من جوازِ بيعِها وشرائِها[6]. وظلَّ الخطَّاطُونَ يكتُبُونَ بالخطِّ الكوفي، إلى أواخرِ القرْن الثالث الهجري، ثمَّ حلَّ محلَّهُ خطُّ النَّسْخ الجميل في أوائلِ القرْن الرابع، على يدِ الخطَّاط الشَّهير الوزير بن مُقْلَة[7].

وكانت المصاحفُ الأولى خاليةً من علاماتِ الوقف. وظلَّت كذلك قُرُونًا كثيرة. وعمَلَ الخطَّاطونَ في فتراتٍ مُتأخِّرة على وضْعِ علاماتٍ لأنواعِ الوقف

(1) علقمة بن قيس النخعي الكوفي، من التابعين الملازمين لابن مسعود. توفي سنة 61هـ.
(2) سعيد بن جبير، سكن الكوفة، حبشي الأصل، من التابعين الملازمين لعبد الله بن عباس. قتله الحجاج الثقفي سنة 95هـ.
(3) إبراهيم بن يزيد النخعي، سكن الكوفة. توفي سنة 96هـ.
(4) ابن أبي داود، **المصاحف**، ص606 ـ 611.
(5) زبيد بن الحارث اليامي، من صغار التابعين. توفي سنة 122هـ.
(6) للتفصيلِ في التحرُّج عن بيعِ وشراءِ المصاحف راجع: ابن أبي داود، **المصاحف**، ص612 ـ 645. ثمَّ للتفصيلِ في ترْخيص شراء وبيع المصاحف راجع، ص650 ـ 664.
(7) (ت 328 هـ/ 940م).

التي ذكرَها العلماءُ في كُتُبِهِم، مثل (م، ج، صلى، قلى، لا) ونحوها. وتجدُ في آخرِ المصاحف المطْبوعة توضيحًا لدلالةِ تلكَ العلامات وما يشْبهها.

ثمَّ تمَّ اختراعُ آلات الطباعة واستعمالُها سنة 834هـ/ 1431م في أوروبا. وأوَّلُ طبعةٍ للقرآنِ في نصِّهِ العربيِّ الكامل، هي تلك التي تمَّت في البندقية بتاريخ يُرجَّح أنْ يكون سنة 946هـ/ 1539م تقريبًا. إلا أنَّ جميعَ نُسَخ هذه الطبعة قد تمَّ إتلافُها بأمرٍ من الكنيسة، ولم يُعثَر لها على أثرٍ حتى الآن[1]. وأقدَمُ من ذكرَها هو توماس أربينوس[2] في كتابهِ **مبادئ اللُّغة العربية**، المطبوع في لندن سنة 1029هـ/ 1620م.

ثمَّ قام كرستيانوس رافيوس سنة 1056هـ/ 1646م، بطبْعِ السُّور الثلاث عشر الأولى من القرآن بحروفٍ لاتينية، وفي مقابلِها ترجمة لاَتينية. واستعملَ رافيوس طريقةً خاصةً في رسْمِ الحروف العربية بالحروفِ اللاتينية[3].

والمعروفُ أنَّ أولَ مصْحفٍ أخرجَتْهُ المطابع، وكُتِبَ له الانتشار، كان في سنةِ 1106هـ/ 1694م، الذي وقَفَ على طبْعِهِ إبراهام هنكلمان في مدينةِ هامبورج بألمانيا[4]. ثمَّ طُبعَ مرَّةً أخرى من قِبَل **مجلس تفتيش المصاحف الشَّريفة** في استانبول سنة 1894 ـ 1895م في مطبعةِ المعارف، ثمَّ توالت طباعةُ المصاحف بعدَ ذلك؛ فظهرَتَ المصاحف المطبوعة في مصْر والهند.

والمصْحفُ الحالي المتداول بين الناس، يرتكزُ على كثيرٍ مما ذُكِرَ في الفصولِ السَّابقة. ففي مصْحف المدينة المنورة (مُجمَّع الملك فهد لطباعةِ المصْحف الشريف)، الذي يجري طباعتهُ ابتداءً من سنةِ 1405 هـ/ 1984 ـ 1985م، إنْ قرأتَ خاتمتَهُ، ستجدُ ما يلي:

---

(1) ذكرت جريدة **الأهرام** بتاريخ 12/ 7/ 1992م أن باحثة إيطالية عثرت على نسخة من هذه الطبعة في أحد البيوت الأثرية بمدينة فينيسيا. انظر: عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، ص438.

(2) (ت 1033هـ/ 1624م).

(3) حسن علي حسن مطر الهاشمي، **قراءة نقدية في «تاريخ القرآن»** للمستشرق ثيودور نولدكه، العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2014، ص88 ـ 89.

(4) حفني ناصف، **تأريخ الأدب**، ص112. محمد طاهر الكردي، **تاريخ القرآن**، ص16، 186. صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص99.

«كُتِبَ هذا المصْحفُ الكريم، وضُبِطَ على ما يُوافِقُ روايةَ حفْص بن سُليمان بن المغيرة الأسَدي الكوفي، لقراءةِ عاصِم بن أبي النَّجود الكوفي التَّابعي، عن أبي عبد الرَّحمن عبد الله بن حبيب السُّلَمي، عن عثمانِ بن عفَّان، وعليٍّ بن أبي طالب، وزيدِ بن ثابت، وأُبيٍّ بن كعب، عن النبيِّ صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم».

وعندما تكونُ القراءةُ المعتمدة هي قراءةُ حفْص عن عاصم، المأخوذة عن أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي، فإنَّ السُّلَمي أخَذَ قراءتَهُ عن الإمام علي عليه السلام. وقيل: أخذَها أيضًا عن عثمان. أما إضافةُ بقيَّةِ الأسماء فللأسبابِ التالية:

- عثمان بن عفان، هو الخليفةُ الذي أمَرَ بجمْعِ القرآن، الذي على أساسِهِ ترتكزُ قراءة السُّلَمي، ورسْمُ المصْحف الحالي مُطابقٌ لرسْمِ المصْحف الذي كتبَتْهُ تلك اللَّجنة.
- وزيدُ بن ثابت، هو رئيسُ لجنة جمْع القرآن، وإلا فالسُّلَمي لم يأخُذ عن زيد.
- وأُبيٌّ بن كعب، لأنَّه هو المُمْلي الرَّئيس على اللَّجنة.

ثمَّ جاءَ في مصْحفِ المدينة المنورة: «وأُخِذَ هِجاؤُهُ ممَّا رواهُ علماءُ الرَّسْمِ عن المصاحِفِ التي بعَثَ بها الخليفةُ الرَّاشد عثمانُ بن عفَّان. . . .إلى مكة، والبصرةِ، والكوفةِ، والشَّام، والمصْحف الذي جعلَهُ لأهلِ المدينة، والمصْحف الذي اختصَّ بهِ نفْسَهُ، وعن المصاحفِ المُسْتنسخة منها». وهذا ما شرَحتُهُ مُفصَّلًا في الفصولِ الماضية.

ثمَّ جاءَ في مصْحفِ المدينة المنورة: «وأُخِذَت طريقةُ ضبْطِهِ ممَّا قرَّرَهُ عُلماءُ الضَّبْط. . .مع الأخذِ بعلاماتِ الخليل بن أحمد وأتْباعِهِ من المشارقةِ غالبًا، بدلًا من علاماتِ الأندلُسيِّين والمغاربة». وهذا ما شرَحْتُهُ قبلَ قليل.

ثمَّ جاءَ في مصْحفِ المدينة المنورة: «واتُّبعت في عدِّ آياتهِ طريقةُ الكوفيين عن أبي عبد الرَّحمن عبد الله بن حبيب السُّلَمي عن عليٍّ بن أبي طالب. . . .، وعددُ آي القرآن على طريقَتِهِم 6236 آية». فعدُّ الآيات مأخوذٌ صراحةً عن الإمامِ علي عليه السلام.

ثمَّ جاءَ في مصْحف المدينة المنورة: «وأُخِذَ بيانُ مكِّيهِ ومدَنيهِ في الجدولِ المُلْحقِ بآخرِ المصْحفِ من كُتُبِ التَّفسير والقراءات. ولم يُذْكَر المكيُّ والمدَنيُّ بين دفَّتي المصْحف أو لكلِّ سورة، اتِّباعًا لإجماعِ السَّلَفِ على تجريدِ المصْحفِ ممَّا سوى القرآن الكريم، حيثُ نُقِلَ الأمرُ بتجريدِ المصْحف ممَّا سوى القرآن عن ابنِ عمر، وابنِ مسعود، والنَّخَعي، وابنِ سيرين. . .ولأنَّ بعضَ السُّوَر مُختلَفٌ في مكيَّتِها ومدَنيَّتِها».

وهذا يحكي عن الحساسيةِ في إضافةِ أيّ شيء للمصحف، ولو كان ذلك بيان أنَّ السُّورةَ مكية أو مدنية. وهذه الحساسية قد لا تجِدُها في طبعاتٍ أخرى حديثة للمصْحف.

ثمَّ تحدَّثَ مصْحفُ المدينة المنورة عن أسبابِ وضْع علامات الضَّبْط باللَّون الأسود، رغم أنَّها كانت في السَّابق بلونٍ آخر: «وكان عُلماءُ الضَّبْط يُلحِقُونَ هذه الأحرُف (الصغيرة) حمراءَ بقدَرِ حُرُوف الكتابة الأصلية. ولكن تعذَّرَ ذلكَ في المطابعِ أوَّلَ ظُهورِها، فاكتُفيَ بتصغيرِها للدَّلالةِ على المقصودِ للفرْقِ بين الحرْفِ المُلْحَق والحرْف الأصلي.

والآن (= أي في زمن تطوُّر المطابع)، فإنَّ إلحاق هذه الأحرُف بالحُمْرةِ متيسِّرٌ. ولو ضُبطَت المصاحِفُ بالحُمرةِ والصُّفرةِ والخُضرةِ، وفقَ التَّفصيل المعروف في علْم الضَّبط، لكانَ لذلكَ سلَفٌ صحيحٌ مقبول. فيبقى الضَّبطُ باللَّون الأسود لأنَّ المسلمين اعتادوا عليه».

وقد بيَّنت في هذا الفصْل أنَّ الرائجَ في المصاحف، ابتداءً من النِّصفِ الثاني من القرْنِ الهجري الأول، إضافة النُّقَط بالحُمرةِ والصُّفرة إليها. لكن طالما أنَّ المسلمينَ قد اعتادوا بعد ظهورِ المطابع البدائية على قراءةِ علامات الشَّكْل ونُقاط الأحرُف باللَّونِ الأسود، فلا داعي لإرباكِهم بألوانٍ جديدة. مع أنَّ القيامَ بهذه الخطوة كانت هي سُنَّةُ المُتقدِّمين[1].

على ضوء ما سبق، عرفنا أنَّ المصاحفَ في القرْنِ الأول الهجري كان

(1) (أنظر الملحق 1 فيه نماذج من مخطوطات تظهر بعض أوجه تطوُّر كتابة المصحف).

قد جرى على تدوينِها تطويرٌ مهم، تمثَّلَ بنقْطِها وشكْلِها. هذا النَّقْطُ والشَّكْل كان له دورٌ بالغ الأهمية في تطويقِ الفروق في القراءات. مع ذلك، كان لا بدَّ من ترسيخِ المصاحف المُدوَّنة كمرجعيةٍ لتلكَ القراءات، بحيث تصبح القراءات الخارجة عن إطارِ المصاحف المُدوَّنة قراءات شاذَّة. في هذه اللَّحظة التاريخية انقلبَ الأمرُ بنحو تدريجي، فبينما كان التلقِّي بالمشافهةِ والحفظ هو الأساس الذي يرتكزُ عليه تداول القرآن، صارَ المصْحفُ هو الأساس، بسببِ الابتعاد عن عصْرِ النُّزول، والانتشار الواسع لكتابةِ المصاحف ونقْطِها وشكلِها، ولتطابق المصاحف مع القراءةِ المتواترة بين الناس. هذا ما أستعرِضُهُ في الفصْلِ القادم.

الفصل الحادي عشر:

تطويق القراءات المتكاثرة

رغم الإجراءات التي تمَّ اتِّخاذُها سابقًا، من خلالِ ترسيخِ قراءةٍ واحدةٍ صحيحة، وهذا ما قامَ به الإمامُ علي عليه السلام عندما ربَّى كادرًا مُؤهَّلًا يُعلِّمُ القرآنَ في الأمصارِ الرَّئيسية. . . .أو من خلالِ نقْطِ القرآن شكلًا وإعجامًا، وهذا ما بدأَ به أبو الأسود الدُّؤلي، بعدما دفعَهُ الإمامُ علي عليه السلام، لصياغةِ قواعد النَّحو العربي. . . .إلا أنَّ محاولات الخروج عن القراءةِ الصَّحيحةِ الواحدة ظلَّت مستمرَّة.

الخروجُ عن القراءةِ الواحدة بعضُها كان عفويًّا، بسبَبِ اختلاف لهجات العرب في نُطْقِ الكلمات، أو الاختلاف في قراءة رسْم المصْحف. . .لكن برزت محاولات أخرى للخروجِ عن القراءةِ المتواترة بنحوٍ غير مُبرَّر، كمحاولة بعض القُرَّاء ترجيح القراءات بالاجتهادِ والاستحسان. . .بل حاول بعضُهُم ـ كابنِ شنْبوذ[1] ـ الخُرُوج عن الرَّسْمِ العثماني. . .وكانت هذه المحاولة بالغة الخطورة.

في هذا الفصْل، أصِلُ إلى المحطَّةِ الحادية عشرة من تاريخِ القرآن، المتمثِّلة بتوحيدِ القراءات المُتكاثرة بقراءةٍ أو قراءاتٍ مركزية.

محاولة ابن مجاهد:

إنَّ حصْرَ وتحديدَ موارد اختلاف بعض أصحاب النَّبي والتَّابعين في القراءةِ، واشتهارَهُم ببعضِ المخالفات من دونِ الجميع، يُؤكِّد وجود قراءة متواترة ومشْهورة تُقاسُ عليها الشَّواذ. وإلا لو كان لكلِّ صحابيٍّ أو تابعيٍّ قراءةٌ منفصلة، لمَّا صحَّ تميُّز هذا الصَّحابي أو التَّابعي بالقراءةِ لولا أنَّه كان يقرأ بعض كلمات القرآن بشكلٍ غير معهود.

---

(1) (ت 328 هـ/ 940م).

وجهودُ الإمام علي عليه السلام في مجالِ متابعة وتأهيل كادر من قُرَّاء القرآن، وجهودُهُ ـ خلْفَ الكواليس ـ في تدوينِ النُّسْخةِ المعتمدةِ للمصْحفِ وإضفاء المشْروعيَّة عليها، ثمَّ جهودُهُ في ضبْطِ تلكَ النُّسْخة من حيثُ الشَّكْل والإعجام، لم تُؤتِ ثمارَها سريعًا. فقد انتشَرَت بالتَّدريجِ قراءاتٌ كثيرة، بلَغَت العشَرات، بعضُها كانت شاذَّة.

كانت القراءاتُ في القرْن الأول الهجري تُنسَبُ إلى بعضِ أصحاب النَّبي، أو إلى الأمصار التي كانوا يسْكُنونها. فيُقالُ: قراءة عبد الله بن مسعود أو قراءة أهل الكوفة، ويُقالُ: قراءة أُبيّ بن كعب أو قراءة أهل المدينة، وهكذا في القراءاتِ الأخرى. لكن القراءات صارت تُنسَبُ بعدَ عصْرِ أصحاب النَّبي إلى عُلماءِ القراءة من التَّابعين وتابعيهم، لأنَّ القارئَ من التَّابعين أو من تابعيهم صارَ يدْرُسُ القراءاتَ القرآنية في الأمصار ثمَّ يختارُ من مجموعِ ما درسَهُ قراءةً يقرأُ بها ويُعلِّمُها، وعناصِرُها مستمدَّةٌ من قراءاتِ أصحاب النَّبي، وإنْ صارت تُنْسَب إلى القارئِ الذي اختارَها.

فمثلًا قالَ نافع المدني[1]: «قرأتُ على سبعين من التَّابعين»[2]، وقال: «فنظرْتُ إلى ما اجتمعَ عليه اثنان منهم فأخَذْتُهُ، وما شذَّ فيه واحدٌ تركتُهُ، حتى ألَّفْتُ هذه القراءة في هذه الحروف»[3].

وصارت كلمةُ «اختيار» ترادِفُ كلمة «قراءة». فإذا قيل: اختيارُ نافع، فإنَّما ذلك يعني قراءَتَهُ. لكن قراءاتِ أصحاب النَّبي لم يُستخدَم فيها كلمة «اختيار»، فكانَ يُقالُ دائمًا قراءة ابن مسعود، وقراءة أُبيّ بن كعب، وهكذا. ولم تستمر ظاهرة الاختيار إلى أبعد من القرْن الثالث الهجري.

وبعد أنْ ما توسَّعَ الخليلُ بن أحمد في علْمِ النَّحو بالبصْرة، وجاءَ تلميذاهُ سيبويه في البصْرة، والكسائي في الكوفة، صارَ النحو أداةً للتَّرجيحِ بين القراءاتِ المروية التي توافقُ الخطَّ في الاختيار. فقد قرأَ الكسائي على حمزة

(1) (ت 169 هـ/ 785م).

(2) ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص61.

(3) المصدر السابق نفسه، ص61 ـ 62.

الزيَّات، إلا أنَّه اختارَ لنفسِهِ قراءةً خاصَّة فيها بصمات مدرستهُ النَّحوية. كذلك، وَرْش الذي كان قد قرأ على نافع المدني، اشتغَلَ بعدَ ذلك بالنَّحو وتعمَّق فيه، ثمَّ اتَّخذَ لنفْسِهِ مقرأً يسمى «مقرأ ورش». إلا أنَّ الاستعانةَ بالنَّحو لم تدْفع أحدًا من القُرَّاء للخُروجِ عن رسْمِ المصْحف أو روايات المُقْرئين السَّابقين. وإذا حدَثَ ذلكَ، أنكرَهُ علماءُ القِراءة والناس ولم يقرؤوا به.

وكان أوَّلُ من جمَعَ القراءات ـ على ما ذكَرَ ابنُ الجزَري ـ أبو عبيد القاسم بن سلام(1)، يقول: «وجعلَهُم فيما أحسب خمسة وعشرينَ قارئًا مع هؤلاءِ السَّبْعة»، ثمَّ توالى بعدَ ذلكَ المُؤلِّفون.

إلا أنَّ ابنَ مُجاهد (الإمامَ أبو بكر أحمد بن موسى بن العبَّاس) الذي عاشَ على رأسِ الثلاث مئة للهجرةِ في بغداد(2)، كان أوَّلُ من ألَّفَ كتابًا يقتصِرُ على سبْع قراءاتٍ لسبْعةٍ من أئمةِ الحرَمين والعراقين والشَّام، اشْتُهِروا بالضَّبْطِ وملازمة القراءة.

والحقيقة أنَّ ما قامَ به ابنُ مجاهد لم يقتصر على تحديدِ القراءات بسبْع فحسب، بل تصدَّى بكُلِّ قوة للقارئ ابن شنْبوذ(3)، الذي تشبَّثَ بقراءاتٍ تُخالِفُ الرَّسْمَ العثماني، أصرَّ على قراءَتِها في الصَّلاة، حيثُ كان يرى جواز القراءة بما صحَّ سندُهُ وإنْ خالفَ رسْمَ المصْحف. فحرَّضَ ابنُ مجاهد الوزيرَ ابنَ مُقْلة على ابنِ شنْبوذ، فتمَّ اعتقالُه وتعزيرُهُ جلدًا، بطريقةٍ مهينة، ثمَّ نُفيَ عن بغداد. وقد ذكَرَ المُتقدِّمون أمثلةً لقراءتِهِ، مثل «إذا نُوديَ للصَّلاةِ من يومِ الجمعةِ **فامْضُوا** إلى ذكْرِ الله»(4)، ومثل «وكان **أمامَهُم** ملِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينةٍ **صالحةٍ** غصْبًا(5)»... إلى غير ذلك من القراءاتِ المخالفة لرسْمِ المصْحف.

(1) (ت 224 هـ/ 839م).
(2) (ت 324 هـ/ 936م).
(3) وكلاهما تتلْمذ على يد قُنْبُل ت291 هـ/ 904م.
(4) الآية هكذا: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة، 9].
(5) الآية هكذا: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف، 79].

أصول القُرَّاء السَّبْعة واتّجاهاتُهُم:

طالما أنَّ ابنَ مجاهد اقتصَرَ على سبْعِ قراءات، فمن المناسب أنْ نتعرَّف على أصحاب تلكَ القراءات.

قال الدَّاني: «ليسَ في القُرَّاءِ السَّبْعة من العرَبِ سوى اثنين: عبدِ الله بنِ عامر اليَحْصُبي قارئ دمشق، وأبي عمرو بن العلاء المازني قارئ البصْرة»[1].

أقول: ابنُ عامر كان يزْعُمُ أنَّه من حِمْيَر، وابنُ حجَر ذكَرَ أنَّه ممَّن يُغمَزُ في نسَبِهِ[2]. وكذا أبو عمرو بن العلاء: قيل إنَّه من مازن تميم. لكن حكى القاضي أسد اليزيدي أنَّه من فارس ـ شيراز ـ من قرية يقال لها «كازرون»[3].

أيضًا من المناسب أنْ نعرف أنَّ أربعةً من هؤلاء القرَّاء هم من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهم: عاصِم بن أبي النّجود، وأبو عمرو بن العلاء، وحمْزة بن حبيب، وعليُّ بنُ حمزة الكسائي. وواحدٌ من أشياع معاوية وهو ابنُ عامر، واثنان مستورا الحال هما: ابنُ كثير المكّي ونافع المدَني[4].

لماذا هذه القراءات بالتَّحديد؟

لا يُقدِّم لنا الباحثون تعليلًا واضحًا لتحديد ابن مجاهد القراءات المقبولة بسَبْع. بل قالَ بعضُ الباحثين إنَّ جمْعَ ابنِ مجاهد لهذه القراءات السَّبْع جاءَ محْضَ مصادفة[5].

والملاحظ أنَّ ثلاثًا من القراءاتِ السَّبْع هي قراءات كوفية، في حين إنَّ القراءات الأربع المتبقية مُوزَّعة على الأمصارِ الأخرى: المدينة، مكة، البصرة، دمشق. وهذا يُؤكِّد أهمية الكوفة، كعاصمة لتخريج القُرَّاء المحترفين، ابتداءً من القرْنِ الأول الهجري، حتى أواخر القرْن الثاني الهجري.

---

(1) أبو عمرو الدَّاني، **التيسير**، ص6.

(2) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج5، رقم 470، ص274.

(3) **غاية النهاية في طبقات القُرَّاء**، ج1، ص288.

(4) معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، ج2، ص230 ـ 231.

(5) راجع: الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج1، ص347.

ثمَّ توهَّمَ كثيرون أنَّ القراءات السَّبع هي المرادُ بالحديثِ الشَّائع إنَّ القرآنَ نزَلَ على سبعةِ أحرُف، ثمَّ ادَّعوا تواتُر تلكَ القراءات! ودبَّ شعورٌ بأنَّ ما عدا السَّبْعة من القراءاتِ هو أقلُّ اعتبارًا من حيثُ السَّنَد والرِّواية. ومن هنا شاعَ إطلاق لفْظ «الشُّذُوذ» على ما عدا قراءات الأئمة السَّبْعة، وهو معنى جديد للشُّذُوذ لا أصْلَ له، لأنَّ لفْظَ «الشُّذُوذ» كان يُطلَق على القراءةِ التي تخالفُ رسْمَ المصْحف.

رأى القرَّاءُ بعد ابنِ مجاهد، أنَّ ابنَ مجاهد قد تعسَّفَ في الاقتصارِ على القراءاتِ السَّبْع، وأنَّ ثمَّة مجالًا لتوسيع القراءات المقبولة إلى عشْر، بإضافة ثلاث قراءات إلى السَّبع. ثمَّ راجَت القراءاتُ العشْر.

أصحاب القراءات العشْر:

إليك القُرَّاء العشرة (مرتَّبين حسب وفياتهم) وُرواتُهُم:

1. **ابن عامر الدِّمشْقي**...بن ربيعة اليَحْصُبي[(1)]، ورواتُهُ: هشامُ الدِّمشْقي[(2)]، وابنُ ذكْوان القُرَشي الدِّمشْقي[(3)].
2. **ابنُ كثير المكِّي** الفارسي الأصل[(4)]، ورواتُهُ: البزِّي الفارسي الأصل[(5)]، وقُنْبُل المخزومي بالولاء[(6)].
3. **عاصم الكوفي** الأسْدي بالولاء[(7)]، ورواتُهُ: شُعْبة الأسْدي النَّهْشَلي ولاءً[(8)]، وحفْص الكوفي الأسْدي[(9)].

---

(1) (8 ـ 118 هـ)
(2) (153 ـ 245 هـ)
(3) (173 ـ 242 هـ)
(4) (45 ـ 120 هـ)
(5) (170 ـ 250 هـ)
(6) (195 ـ 291 هـ)
(7) (... ـ 127 هـ)
(8) (95 ـ 193 هـ)
(9) (90 ـ 180 هـ)

4. **أبو جعفر المدني المخزومي**[1]، ورواتُهُ: عيسى بن وِرْدان المدني الحذَّاء[2]، وابن جمَّاز المدَني الزُّهَري بالولاء[3].

5. **أبو عمرو البصري**[4]، ورواتُهُ: حفْص الدُّوري البغدادي الضَّرير[5]، والسُّوسي[6].

6. **حمزة الزيَّات الكوفي** التَّيْمي ولاءً[7]، ورواتُهُ: خَلَف الأسْدي البغدادي[8]، خلَّاد الشَّيْباني بالولاء[9].

7. **نافع المدَني** الأصفهاني[10]، ورواتُهُ: قالون مولى بني زُهْرَة[11]، ووَرْش المصْري مولى قريش[12].

8. **الكسائي الكوفي** فارسي الأصْل أسْدي الولاء[13]، ورواتُهُ: اللَّيث البغدادي[14]، وحفْص الدُّوري البغدادي (راوي أبي عمرو).

9. **يعقوب البصْري** الحضْرمي[15]، ورواتُهُ: رويس البصْري[16]، وروح البصْري الهذلي بالولاء[17].

---

(1) (.... ـ 130 هـ)
(2) (... ـ 160 هـ)
(3) (.... ـ 170 هـ)
(4) (68 ـ 154 هـ)
(5) (... ـ 246 هـ)
(6) (... ـ 261 هـ)
(7) (80 ـ 156 هـ)
(8) (150 ـ 229 هـ)
(9) (130 ـ 220 هـ)
(10) (70 ـ 169 هـ)
(11) (120 ـ 220 هـ)
(12) (110 ـ 197 هـ)
(13) (119 ـ 189 هـ)
(14) (... ـ 240 هـ)
(15) (117 ـ 205 هـ)
(16) (... ـ 238 هـ)
(17) (... ـ 234 هـ)

10. خلف العاشر، رواتُهُ: إسحاق المروزي ثمَّ البغدادي[1]، وإدريس البغدادي[2].

أسباب اختلاف القراءات:

إذا أردنا تحديد أسباب اختلاف القراءات هكذا بومضةٍ واحدةٍ وبنحوٍ متزامن Synchronic، يمكن حصْرُها في الأسبابِ التالية:

1) اختلافٌ في لهجاتِ العرب[3].

2) قُصُورٌ في رسْمِ المُصْحف[4].

وأعني بـ «القُصُور في رسْمِ المصْحف» النقاط التالية:

- أخطاء بشرية في الكتابة[5].
- عدم الاتفاق بعدُ على طريقةِ كتابة الكلمة[6].

---

(1) (... ـ 286 هـ)

(2) (189 ـ 292 هـ)

(3) ربما من أوضح مصاديقها موارد الفتح والإمالة، والهمز والتسهيل، والإدغام والإظهار، والتزام المثنى للألف، إلى غير ذلك. قال الداني: «الفتح والإمالة لغتان مشهورتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس». السيوطي، **الإتقان**، النوع الثلاثون، في الإمالة والفتح وما بينهما، ج1، ص253.
وللتعرف أكثر على دور هذا السبب في اختلاف القراءات، انظر: د. عبده الراجحي، **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1999م.
أيضًا: د. مختار الغوث، **لغة قريش**، البينة للطباعة والنشر، دمشق، ط3، 2011م.

(4) علم رسم المصحف موضوعه طريقة كتابة الكلمات في المصحف من ناحية عدد حروف الكلمة ونوعها، لا من حيث نوع الخط وجماليته.

(5) كزيادة أو نقصان بعض الواوات في المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار. أو كزيادة أو نقصان الألف في مثل «وأوصى» في مصاحف المدينة والشام، و«ووصى» في بقية المصاحف.
للتعرف على دور هذه الأخطاء التي رصدها المتخصصون في وقت مبكر، انظر: أبو عبيد القاسم ابن سلام، **فضائل القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، حروف القرآن التي اختلفت مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق وهي اثنا عشر حرفًا، ص196 ـ 200.
أيضًا: ابن أبي داود، **كتاب المصاحف**، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2006م، اختلاف مصاحف الأمصار التي نسخت من الإمام، ص259 ـ 289.

(6) خصوصًا موارد إثبات أو حذف الألف وسط الكلمة، كـ «قال» و«قل». أو ككتابة «سيئاتهم»،

- بدائية أدوات الكتابة[1].
- عدم إعجام الحروف[2].
- عدم شكْل الحروف[3].
- عدم همْز الحروف[4].

3) اختلاف في قواعد النَّحو[5].

تارة هكذا: سياتهم، وتارة هكذا: سيتهم..بدون نقط وهمز في الحالتين. أو كتابة «على» هكذا: «علا»، وكتابة «حتى»: هكذا: «حتا».
للتعرف على هذه الظواهر الكتابية، انظر: د. غانم قدوري الحمد، إياد السامرائي: **ظواهر كتابية في مصاحف مخطوطة**، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 2010.
أيضًا: د. أياد السامرائي، **ظواهر الرسم في مصحف جامع الحسين في القاهرة**، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 2013. وهي رسالة دكتوراه.
أيضًا: د. عمر يوسف حمدان، **أضواء جديدة على الرسم العثماني**: مظاهر وأنماط، المكتب الإسلامي، عمان، ط1، 2009.

(1) كـ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[الشَّمس، 15]، قد قُرِأت بالفاء بدلًا من الواو: «فلا يخاف عقباها». كذا قرأها نافع وابن عامر وأبو جعفر، وهي كذلك في المصحف المدني والشامي. وقرأ الباقون «ولا يخاف». أيضًا كـ «قضى ربك» و«وصى ربك» على ما قيل.
للتعرُّف على دور بدائية أدوات الكتابة، بالإضافة لموارد إثبات أو إسقاط الألفات وسط الكلمات وخلو المصاحف من نقط الإعجام والشكل والهمز، لا بدَّ من الرجوع والتدقيق في مخطوطات القرن الهجري الأول، ومقارنة ذلك بالقراءات السبع أو العشر.

(2) كـ «تبينوا» و«تثبتوا»، حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف «فتثبتوا»، وقرأ الباقون «فتبينوا».

(3) كـ «فتلقَّى آدمَ من ربه كلماتٌ»: ابن كثير بنصب «آدم» ورفع «كلمات» أي وصلته كلمات من الله. «فتلقَّى آدمُ من ربه كلماتٍ»: الباقون.

(4) كـ «شيتما»: السوسي وأبو جعفر ووقفًا حمزة. «شئْتُما»: الباقون.

(5) كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[الأنعام، 137]، حيث قرأها ابن عامر «وكذلكَ زُيِّن لكثيرٍ من المشركين قتلُ أولادهم شركائِهم» على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول. حيث جوز الكوفيون ذلك. في حين أن البصريين لا يجوزون الفصل بينهما إلا بالظرف والجار والمجرور عند الضرورة المستكرهة. فضعفوا هذه القراءة، ورموا ابن عامر بالجهل بأصول العربية، وعللوا قراءته بأنه رأى في مصاحف الشام: «شركائهم» مكتوبًا بالياء، فقرأها جهلًا منه بواقع الأمر.
كذلك انفرد نافع بقراءة «محيايْ» بإسكان الياء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾[الأنعام، 162]، والباقون بفتحها. ولم يجزه أحد من النحويين إلا يونس لأنه جمع بين ساكنين، وإنما أجازه يونس لأن قبله ألفًا، والألف المد التي فيها تقوم مقام الحركة. =

4) اجتهادات واستحسانات في إطارِ رسْم المصْحف[1].

وإذا أردنا تحديد أسباب اختلاف القراءات بومضاتٍ متلاحقةٍ وبنحوٍ متحرِّكٍ عبرَ الزّمن Diachronic، لتتكشَّف لنا ملابسات تكثُّر القراءات قبلَ إرسال عثمان المصاحف إلى الأمصار، ثمَّ تطويق تلكَ القراءات المتكثِّرة بعدَ إرسالِهِ المصاحف، ثمَّ تكثُّر القراءات من جديد، فلدينا نصَّان لهما أهمية بالغة.

النصُّ الأول: لأبي طاهر بن أبي هاشم[2] تلميذ ابن مجاهد، حيثُ كتَبَ: «إنَّ السَّبَبَ في اختلافِ القراءات السَّبْع وغيرِها أنَّ الجهاتَ التي وُجِّهَت إليها المصاحف كان بها من الصَّحابةِ من حمَلَ عنه أهلُ تلكَ الجهة، وكانت المصاحفُ خاليةً من النَّقْطِ والشَّكْل، قال: فثبَتَ أهلُ كلّ ناحية على ما كان تلقَّوهُ سماعًا عن الصَّحابةِ بشرْطِ موافقة الخط، وتركوا ما يُخالفُ الخطَّ، امتثالًا لأمرِ عثمان الذي وافقَهُ عليه الصَّحابة لما رأوا في ذلكَ من الاحتياطِ للقرآن»[3].

النصُّ الثاني: يأتي في السِّياقِ ذاتِهِ، لأبي محمَّد مكي بن أبي طالب[4]، حيثُ كتَبَ: «لمَّا ماتَ النبيُّ ﷺ خرَجَ جماعةٌ من الصَّحابةِ في أيامِ أبي بكر وعمر إلى ما افتُتِحَ من الأمصار، ليُعلِّموا الناسَ القرآنَ والدِّين، فعلَّمَ كلُّ واحدٍ

= وإنما منع النحويون هذا لأنه جمع بين ساكنين وليس في الثاني إدغام.
وللتعرف أكثر على دور هذا السبب في اختلاف القراءات، انظر: د. مهدي المخزومي، **مدرسة الكوفة**، دار الرائد اللبناني، ط3، 1986م. خصوصًا ص337 ـ 348.

(1) كقراءة هشام وحده «إبراهيم»: إبراهام.
للتعرف أكثر على دور الاجتهاد والاستحسان في اختلاف القراءات: انظر: **كتاب الحُجَّة في عِلَل القراءات السَّبْع**، لأبي علي الفارسي (ت 377 هـ/ 987م). أيضًا: **كتاب حُجَّة القراءات**، لأبي زرعة بن زنجلة (ت 403 هـ/ 1012م). أيضًا: كتاب الكشف عن وجوه القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ/ 1045م).،

(2) (ت 349 هـ/ 960م).

(3) ابن حجر، **فتح الباري**، ج10، ص406. مكي: أبو محمد بن أبي طالب حموش القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، مكتبة نهضة مصر، 1960. حققه د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ص15 ـ 16.

(4) (ت 437 هـ/ 1045م).

منهم مِصْرَهُ على ما كان يقرأُ على عهدِ النَّبي ﷺ، فاختلفَت قراءةُ أهل الأمصار على نحوِ ما اختلفت قراءةُ الصَّحابة الذين علَّموهم.

فلمَّا كتَبَ عثمانُ المصاحفَ ووجَّهَها إلى الأمصار، وحمَلَهُم على ما فيها، وأمرَ بترْكِ ما خالَفَها، قرأَ أهلُ كلِّ مصْر مصْحَفَهُم الذي وُجِّهَ إليهم على ما كانوا يقرؤونَ قبلَ وصول المصْحف إليهم ممَّا يُوافِقُ خطَّ المصْحف، وتركوا من قراءَتِهم التي كانوا عليها ممَّا يُخالِفُ خطَّ المصْحف، فاختلفَتْ قراءةُ أهل الأمصار لذلكَ بما لا يُخالف الخطَّ، وسقَطَ من قراءَتِهم كلِّهم ما يُخالفُ الخطَّ.

ونقَلَ ذلكَ الآخِرُ عن الأولِ في كلِّ مصْر، فاختلَفَ النَّقْلُ لذلك. حتى وصَلَ النَّقْلُ إلى هؤلاء الأئمةِ السَّبْعة على ذلك، فاختلفوا فيما نقلوا على حسَبِ اختلاف أهل الأمصار. لم يخرُج واحدٌ منهم عن خطِّ المصْحف فيما نقَل، كما لم يخرُج واحدٌ من أهلِ الأمصار عن خطِّ المصْحف الذي وُجِّهَ إليهم. فلهذه العلَّة اختلفَت روايةُ القُرَّاء فيما نقلوا، واختلفت أيضًا قراءةُ من نقلوا عنه لذلك»[1].

وهذا يعني أنَّ هناك مرحلتين منفصلتين لاختلافِ القراءات: مرحلة ما قبل، ومرحلة ما بعد إرسال عثمان المصاحفَ إلى الأمصار.

في المرحلةِ الأولى، ما قبل إرسال عثمان المصاحفَ إلى الأمصار، كان اختلافُ اللَّهجات، بالإضافةِ إلى الاشتباهات غير المقصودة بحذْفِ أو إثباتِ أو استبدالِ بعض الكلمات[2]، هي الأسباب الرَّئيسية لاختلافِ القراءات.

لكن في المرحلةِ الثانية، ما بعد إرسال عثمان المصاحف إلى الأمصار، لعبَتْ المصاحفُ الرَّسمية المُرْسلة دورًا أساسيًّا في تطويقِ الاختلافات الناشئة عن الاشتباهاتِ غير المقصودة، وفي السُّقوط التدريجي لكلِّ اللَّهجات التي تُخالِفُ الرَّسْم.

---

(1) مكي: أبو محمد بن أبي طالب حموش القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، مكتبة نهضة مصر، 1960. حققه د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ص15 ـ 16.

(2) هذه الاشتباهات غير المقصودة إما أن تكون من القراءة الشفاهية، أو تكون من خطأ في المصحف الخاص غير الرسمي، قبل جمع المصاحف وحرقها، كمصحف ابن مسعود أو عبد الله بن عباس مثلًا.

إلا أنَّ هذه المصاحفَ الرسمية أوجدت نمطًا جديدًا من الاختلافاتِ، ناشئة إما بسببِ قُصُور في رسْمِ المصْحف، أو بسببِ إمكانية قراءة الرَّسْم بأكثرِ من لهجةٍ من لهجاتِ العرب. وهذا بدورِهِ فسَحَ المجالَ لممارسةِ الاجتهادِ والاستحسان في ترجيحِ قراءةٍ على أخرى، كما فسَحَ المجالَ لظُهُورِ مدارس نحوية مختلفة.

فالمصاحفُ التي أرسلَها عثمان كانت قد كُتِبَت على قراءةٍ واحدة، وبأدواتٍ بدائية، وكانت تنطوي على أخطاء بشرية طفيفة تمَّ رصْدُها مبكرًا. لكن رسْمَ تلك المصاحف محتملٌ لأكثر من قراءة، وهي خالية من نقْطِ الإعجام والشَّكْل والهمْز. وكتبَةُ المصاحفِ إنَّما أرادوا لفْظًا واحدًا أو حرْفًا واحدًا من الأوجهِ التي تُروى موافقةً للرَّسْم، لكن لا يُعلَمُ ذلكَ بعينِهِ[1]. ولم يكن من الممكن منْع أو تحريم أيَّ قراءة طالما أنَّ روايتَها مشْهورة واحتمَلَها الرَّسْم.

معايير القراءة المقبولة:

ولتمييزِ القراءات المقبولة، من الضَّعيفةِ والشَّاذَّةِ والباطلةِ، وضَعَ ابنُ الجزَري ثلاثةَ شُروط للقراءاتِ المقْبولة، تلقَّاها العُلماءُ من بعدِهِ بالقبول.

كتَبَ ابنُ الجزَري[2] في **النَّشْر في القراءاتِ العشر**: «كلُّ قراءةٍ وافقت العربية ولو بوجْهٍ، ووافَقَت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، وصحَّ سَنَدَها، فهي القراءةُ الصَّحيحةُ التي لا يجوزُ ردُّها ولا يحِلُّ إنْكارُها، بل هي من الأحرُفِ السَّبْعةِ التي نزَلَ بها القرآنُ، ووجَبَ على الناسِ قَبولُها، سواءٌ كانت عن الأئمةِ السَّبْعة أم عن العشْرةِ أم عن غيرِهِم من الأئمةِ المقبولين!! ومتى اختَلَّ رُكْنٌ من هذهِ الأرْكانِ الثلاثةِ، أُطْلِقَ عليها «ضعيفةٌ» أو «شاذَّةٌ» أو «باطلةٌ»، سواءٌ كانت عن السَّبْعةِ أمْ عمَّن هو أكبَرُ منهم»[3].

وكلامُ ابنُ الجزَري يتضمَّنُ ثلاثةَ شروط:

---

(1) مكي: أبو محمد بن أبي طالب حموش القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، مكتبة نهضة مصر، 1960. حققه د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ص4.

(2) (ت 833 هـ/ 1430م).

(3) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج1، ص11.

1. **موافقةُ القراءة للعربيةِ ولو بوجهٍ**: بمعنى أنْ تُوافِقَ القراءةُ لسانَ قبيلةٍ من القبائلِ العربية، أو تُوافِقَ رأيَ مدرسةٍ نحويةٍ كمدرسةِ البصْرة أو الكوفة، سواء كان أفصح أم فصيحًا، مُجْمعًا عليه أم مختلَفًا فيه اختلافًا لا يضر. مثل إسكان ﴿بَارِئِكُمْ﴾[1]، و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾[2] وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء، التي أنكرَها بعضُ النُّحاة.
2. **موافقةُ أحد المصاحف العثْمانية ولو احتمالًا**: بمعنى أنَّ أيَّ قراءةٍ لا تُوافِقُ الرَّسْمَ العثْماني، فهي غير مقبولة. أما إذا وافقَتْهُ، ولو احتمالًا، كـكلـمـةِ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾[3] و«أَوْصـى بـهـا إبـراهـيـمُ»، أو ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾[4] و«من يرْتَدِد منْكُم» بدالين، أو ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[5] و«ملِكِ يومِ الدين»، فهي مقبولة.
3. **صحَّةُ سندِ القراءة**: بمعنى أنْ تكون متَّصلة السَّند إلى واحدٍ أو أكثر من أصحابِ النَّبي الذين سمعوا منه وقرؤوا بين يديه. «لأنَّ السُّنَّةَ تُتَّبع في القرآن، ولا يُلتفَت فيه إلى غيرِ الرِّواية الصَّحيحة التي قرأ بها القُرَّاء المشهورون بالضَّبْطِ والثقة»، و«لا ينبغي أنْ يُقرأ بما يجوز إلا أنْ تثبُت رواية صحيحة، أو يقرأ به كثيرٌ من القُرَّاء»[6]. على سبيلِ المثال، هناكَ الكثير من التَّصحيفات للقرآن تُنْقل عن حمَّاد الرَّاوية، ليس لها أيَّ اعتبار بين القُرَّاء. فهي من ناحية موافقة لرسْمِ المصْحف قبلَ نقْطِهِ وموافقة للعربية، لكن ليس لها أيَّ سند صحيح. مثل ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾[7] حيث قرأها حمَّاد «أباهُ»، و﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[8] حيثُ قرأها «وحَرْبا»!

---

(1) سورة البقرة، الآية: 54.
(2) سورة البقرة، الآية: 67
(3) سورة البقرة، الآية: 132.
(4) سورة المائدة، الآية: 54.
(5) سورة الحمد، الآية: 4.
(6) الزجاج، **إعراب القرآن ومعانيه**، ص6، أيضًا ص13.
(7) سورة التوبة، الآية: 114.
(8) سورة القصص، الآية: 8.

أقول: الشُّروطُ الثلاثة التي وضعَها ابنُ الجزَري معقولة. إلا أنَّه يقولُ بعد ذلك: «فهي القراءةُ الصَّحيحةُ التي لا يجوزُ ردُّها ولا يحِلُّ إنْكارُها، بل هي من الأحرُفِ السَّبْعةِ التي نزَلَ بها القرآنُ، ووجَبَ على الناسِ قَبولُها».

وهذا ما لا يسَعُنا القبول به مطلقًا؛ لأنَّه ينطلقُ من روحٍ تصويبية، ترى كلَّ قراءةٍ من تلك القراءات أنَّها مُنزَلة من عندِ اللهِ تعالى. في حين أنَّ أقصى ما يمكن أنْ يُقال إنَّ القراءات المتداولة التي تستوفي هذه الشُّروط، يمكنُ القبولُ بها، كقراءةٍ يُحتمَلُ مطابقتها لما أنزَلَ اللهُ تعالى، فيجوزُ القراءة بها.

القراءة المتواترة فرضت نفسها:

في الواقعِ الخارجي، انتهى الأمرُ بالتَّدريج (وكما نؤمن بتسديدٍ إلهي)، إلى استمرار رواجِ القراءة المتواترة أصْلًا، المنْسجمة مع قراءةِ حفْص عن عاصم دونَ غيرِها من القراءات. وهي القراءة التي تنتهي للإمامِ عليٍّ ﷺ، كما ينتهي عددٌ من القراءاتِ الأخرى إليه أيضًا. فقراءةُ حفْص عن عاصم هي أكثر القراءات انتشارًا في العالَم الإسلامي، ربَّما بنسبة 90%. لكن ما زالَ في بلادِ المغرب من يقرأ بروايةِ ورش عن نافع[1]، وفي بلادِ السُّودان من يقرأ بروايةِ الدُّوري عن أبي عمرو بن العلاء، إلا أنَّ قراءةَ عاصم آخذةٌ بالانتشارِ في تلكَ البلدان أيضًا.

- قال أحمدُ بنُ حنبل: «كان أهلُ الكوفة يختارونَ قراءةَ عاصِم، وأنا أختارُها»[2].
- وفي لفْظِ الذَّهبي: «قال أحمدُ بنُ حنبل: كان عاصِم ثقةً، وأنا أختارُ قراءتَهُ»[3].

---

(1) وقد قام مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بطباعة المصحف بقراءة ورش عن نافع سنة 1417هـ كما قام بطباعة المصحف بقراءة قالون عن نافع سنة 1426هـ. إلا أنَّ نسخ المصحف بهاتين القراءتين محدودة. في المقابل، التزم مجمع الملك فهد بطباعة المصحف بقراءة حفص عن عاصم ونشرها على أوسع نطاق.

(2) تهذيب التهذيب، ج5، ص39.

(3) الذَّهبي، ميزان الاعتدال، ج2، ص358.

وثمَّة شهادات أخرى على صحَّةِ قراءة عاصم، خصوصًا تلك التي قرأ بها حفص.

- قالَ أبو محمَّد مكّي بنُ أبي طالب: «وأصحُّ القراءاتِ سَنَدًا: نافع وعاصم، وأفصَحُها: أبو عمرو والكسائي»[1].
- كتَبَ ابنُ الجزَري[2]: «كان (حفْصُ) أعلَمَ أصحابِ عاصِم بقراءةِ عاصِم، وكان ربيبَ عاصِم: ابنَ زوجتِهِ، قال يحيى بن مُعين: الرِّوايةُ الصَّحيحةُ التي رُويت من قراءةِ عاصم هي رواية حفْص»[3].
- وكتَبَ أيضًا ابنُ الجزري: «قال أبو بكر بنُ عيَّاش: لا أُحصي ما سمِعْتُ أبا إسحاقَ السَّبيعيَّ يقولُ: ما رأيتُ أحدًا أقرأَ للقرآنِ من عاصِم. وقال عبدُ اللهِ ابنُ أحمدَ بنِ حنبل: سألتُ أبي عن عاصِم فقال: رجُلٌ صالِحٌ ثقةٌ خيِّرٌ»[4].

وهناك شواهد تُؤيِّد القول بأنَّ قراءةَ عاصم كانت قد انتشرت في وقتٍ مُبكِّر. فالخطيبُ البغدادي ذكَرَ أنَّ أحمدَ بن سهل الأشناني[5]: «هو أحدُ المُجوِّدين، قرأَ على عبد بن الصبَّاح روايتَهُ عن حفْصِ بن سليمانَ حرف عاصم بن أبي النَّجود، واشتُهِرَ بهذه القراءة»[6].

ثمَّ يأتي أبو حيَّان الأندلسي[7] ليُخبرنا أنَّ قراءةَ نافع المدني هي التي ينْشأ عليها أهلُ المغرب، وأنَّ قراءةَ عاصم الكوفي هي القراءة التي ينْشأ عليها أهلُ العراق[8]. وهذا يُؤكِّد انتشار قراءة عاصم في العراق في القرْنِ الثامن الهجري.

ثمَّ يأتي نصٌّ آخر من القرْنِ الثاني عشر الهجري، ليُؤكِّد انتشار قراءة عاصم خارج العراق أيضًا. يقول محمَّد المرعشي[9]: «والمأخوذُ به في ديارِنا

---

(1) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، ص226.
(2) (ت 833 هـ/ 1430م).
(3) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج1، ص127.
(4) المصدر السابق نفسه، ص127.
(5) (ت 307 هـ/ 919م).
(6) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج4، ص185.
(7) (ت 754 هـ/ 1353م).
(8) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج1، ص11.
(9) (ت 1150 هـ/ 1737م).

قراءة عاصم بروايةِ حفص عنه»[1]. وهو يعني بلدَتَهُ مرْعَش، وهي مدينة بين الشَّام وبلادِ الرُّوم، وهي اليوم تقع جنوب تركيا.

نولدكه من ناحيتِهِ، كتَبَ في **تاريخ القرآن**: «رجَحَت كفَّة رواية حفص على كفَّةِ الرِّواية الأخرى لعاصم. يعودُ فوز رواية حفص عن عاصم في إطارِ التَّنافُس بين القراءات الكوفية، وبين هذه والقراءات الأخرى، إلى كونِها لا لونَ لها، وبسببِ توافُقِها شبه الكامل مع نُطْقِ اللُّغة العربية الكلاسيكية السَّائدة. ويبدو أنَّ السِّيادةَ النِّهائية لهذِهِ القراءة في المشْرق، معها انتشار المذْهب الحنفي، جاءَ مع بدءِ عهد الأتراك»[2].

- الشَّيخُ هادي معرفة[3] فسَّرَ سبَبَ رواج هذه القراءة دونَ غيرها هكذا: «وكان لذلكَ سببان:

الأول: أنَّ قراءةَ حفْص كانت هي قراءة عامة المسلمين، وأنَّ النِّسبةَ مقلوبة، حيث كان حفْص وشيخُهُ عاصِم حريصينِ على الالتزام بما وافَقَ قراءةَ العامة، والرِّوايةُ الصَّحيحةُ المتواترةُ بين المسلمين، وهي القراءة التي أخَذَها عاصم عن شيخِهِ أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي عن الإمامِ أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكُن عليٌّ عليه السلام يقرأ إلا ما وافَقَ نصَّ الوحي الأصْل المتواتر بين المسلمين. . . .

الثاني: أنَّ عاصِمًا بين القُرَّاء المعروفين، كان فريدًا بسماتٍ وخصائص، جعلَتْهُ علَمًا يُشارُ إليه بالبنان، فقد كان ضابطًا مُتْقنًا للغاية، شديدَ الحذَرِ والاحتياط فيمن يأخُذ عنه القرآن، متثبِّتًا، ومن ثمَّ لم يأخُذ القراءةَ إلا من أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي عن عليٍّ عليه السلام، وكان يعرِضُها على زِرِّ بين حُبَيْش عن ابنِ مسعود.

قال ابنُ عيَّاش: قال لي عاصم: ما أقرأني أحدٌ حرْفًا إلا أبو عبد الرَّحمن، وكان أبو عبد الرَّحمن قد قرأَ على عليٍّ عليه السلام، فكنْتُ أرجِعُ من

(1) محمد المرعشي، جهد المقل، ص293.
(2) نولدكه، تاريخ القرآن، ص610 ـ 611.
(3) (ت 1427 هـ/ 2006م).

عندِهِ، فأعرِضُ على زِرّ، وكان زِرٌّ قد قرأ على عبد الله. فقُلْتُ لعاصم: لقد استوثقت»[1].

كتَبَ السُّيوطي[2]: «**أَخْرَجَ ابْنُ أَشْتَةَ فِي الْمَصَاحِفِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي فَضَائِلِهِ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ، قَالَ: الْقِرَاءَةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ هِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي يَقْرَؤُهَا النَّاسُ الْيَوْمَ**»[3].

موارد انفراد قراءة عاصم الكوفي:

انفرَدَ عاصِم في موارد محدودة عن بقيَّةِ القُرَّاء. وهي موارد يمكن للباحثِ حصْرُها ودراسَتُها لمعرفة مبرِّرات هذا الانفراد. لكنَّها على أيِّ حال غير مُؤثِّرة في المعنى، وإنَّما تحكي في كثيرٍ منها عن لهجةٍ مُحدَّدةٍ اختارَها عاصم من لهجاتِ العرب. وسأقتصِرُ على تلكَ الموارد التي انفرَدَ بها عاصم بروايتي شُعْبة وحفص معًا أو بروايةِ حفص فقط، لأنَّها هي الموارد المُثبتة في المصْحف المتدوال، ولن أذكر الموارد التي انفرَدَ بها عاصم بروايةِ شُعْبة فقط، لأنَّها لا تهُمُّنا.

1. انفرَدَ عاصم بقراءةِ «يأجوج ومأجوج» بالهمْزِ في قولِهِ تعالى ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4]، والباقون بغيرِ الهمز «ياجوج وماجوج».
2. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفْص بقراءةِ «هُزُوًا» بإبدالِ الهمْزة واوًا للتَّخفيفِ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ﴾[5]، وقرأ الباقون بالهمْزِ وضمِّ الزَّاي «هُزُءا».
3. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «بل رانَ» يسْكُتُ على اللام ثمَّ يقولُ «رانَ» من غيرِ قطْعٍ في قولِهِ تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[6]، والباقونَ بإدغامِهِما.

---

(1) الذهبي، **معرفة القرّاء الكبار**، ج1، ص75. راجع: معرفة، معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، ج2، ص232 ـ 233.
(2) (911 هـ/ 1505م).
(3) السُّيوطي، **الإتقان**، ج1، ص43.
(4) سورة الكهف، الآية: 94.
(5) سورة البقرة، الآية: 67.
(6) سورة المطففين، الآية: 14.

4. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءة «مَنْ راق» بالإظهارِ سكْتًا على النون سكتةً لطيفة من غيرِ تنفُّس، لئلا يُتوهَّم أنَّهُما كلمةً واحدة في قولِهِ تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾(1)، وقرأَ الباقونَ بالإدغام لقُرْبِ النون من الرَّاء «مرَّاق». فالمعنى على قراءةِ عاصم: هل من مداوٍ؟ وتشتبه قراءةُ الباقين بصيغةِ المبالغة من مرَقَ.

5. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «ليَ» بفتْحِ ياء الإضافة في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾(2)، والباقون بسُكُونِها.

6. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «فَكِهين» بغيرِ ألف في قولِهِ تعالى: ﴿انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾(3)، والباقون بألِف «فاكهين».

7. انفرَدَ عاصم بقراءةِ «خاتَم» بفتْحِ التاء في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(4)، والباقون بكسْرِها.

8. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «مَكَثَ» بفتْحِ الكاف في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾(5)، والباقون بضمِّ الكاف «مَكُثَ».

9. انفرَدَ عاصم بقراءةِ «تُظاهِرونَ» بضمِّ التاء وتخفيفِ الظاء وألف بعدها وكسْر الهاء مُخفَّفة في قولِهِ تعالى: ﴿اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾(6)، والباقون بفتْحِ التاء وتشديدِ الظاء والهاء وفتْحِها وحذْف الألف «تَظَّهَّرون».

10. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءة «اِسْتَحقَّ» يبدأ بهمزةٍ مكسورة وفتْح التاء والحاء في قولِهِ تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾(7)، والباقون يبتدئون بهمزةٍ مضمومةٍ وبضمِّ التاء وكسْر الحاء «أُستُحِقَّ».

---

(1) سورة القيامة، الآية: 27.
(2) سورة إبراهيم، الآية: 22.
(3) سورة المطففين، الآية: 31.
(4) سورة الأحزاب، الآية: 40.
(5) سورة النمل، الآية: 22.
(6) سورة الأحزاب، الآية: 4.
(7) سورة المائدة، الآية: 107.

11. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «معذرةً» بالنَّصْبِ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]، والباقون بالرَّفْع «معذرةٌ».

12. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «نزَّاعةً» بالنَّصْبِ في قولِهِ تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[2]، والباقون برفْعِها «نزَّاعةٌ».

13. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «مُوهِنُ كيدِ» بإسكان الواو وترْك التنوين وخفْض الدَّال بالإضافةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، والباقون بالتَّنوين «موهنٌ» ونصبوا «كيدَ».

14. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «كلٍّ» بالتَّنوين في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[4]، والباقون بحذْفِ التَّنوين من «من كُلِّ».

15. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءة «فأطَّلِعَ» بنصْبِ العين في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[5]، والباقون برفْعِها «فأطَّلِعُ».

16. انفرَدَ عاصم بروايةِ حفص بقراءةِ «أسْورة» بإسكانِ السِّين من غيرِ ألِف في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾[6]، والباقون فتحوا السِّين وأثْبَتُوا الألف «أساورة».

17. انفرَدَ عاصم بروايةِ حفص بقراءة «عالِمين» بكسْرِ اللام في قولِهِ تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[7]، الباقون بفتْحِها «للعالَمين».

18. انفرَدَ عاصم بقراءة «يُضاهِئُون» بكسْرِ الهاء وهمزة مضمومة بعدَها في قولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾[8]، والباقون بضمِّ الهاء من غير همْز «يُضاهُونَ».

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 164.
(2) سورة المعارج، الآية: 16.
(3) سورة الأنفال، الآية: 18.
(4) سورة هود، الآية: 40.
(5) سورة غافر، الآية: 37.
(6) سورة الزخرف، الآية: 53.
(7) سورة الروم، الآية: 22.
(8) سورة التوبة، الآية: 30.

19. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «أُسْوةٌ» بضمِّ الهمْزة في قولِهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، والباقون بكسْرِها «إِسْوةٌ».

20. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءة «يُمنى» بالياء على التذكير في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾[2]، والباقون بالتاء على التأنيثِ «تُمنى».

21. انفرَدَ عاصم بقراءةِ «كبيرًا» بالباء في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[3]، والباقون بالثاء «كثيرًا».

22. انفرَدَ عاصم بقراءةِ «بُشْرًا» بباءٍ مضمومة وإسكانِ الشِّين جمع «بشير» في قولِهِ تعالى: ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[4]، والباقون بنُونٍ مضمومة وضمِّ الشِّين «نُشُرًا».

23. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءةِ «الرُّجْزَ» بضمِّ الرَّاء في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[5]، والباقون بكسْرِها «الرِّجْزَ».

24. انفرَدَ عاصم في روايةِ حفص بقراءة «جَذْوةٍ» بفتْحِ الجيم، وحمزة «جُذْوةٍ» بضمِّ الجيم، في قولِهِ تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[6]، والباقون بكسْرها «جِذْوة»[7].

ربَّما لاحظْتَ من الموارد التي انفرَدَ بها عاصم أنَّها غير مُؤثِّرة في المعنى إلا بقدرٍ محدودٍ جدًّا، وأنَّها تحكي في كثيرٍ منها عن لهجةٍ مُحدَّدةٍ اختارَها عاصم من لهجاتِ العرب.

وفي غير هذه الموراد تجد واحدًا أو أكثر من أصحابِ القراءات العشر يتَّفِق مع عاصم. بل تجد في موارد كثيرة أنَّ أغلبَهُم يتَّفقون في موردٍ، وينفرِدُ

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(2) سورة القيامة، الآية: 37.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 68.
(4) سورة الأعراف، الآية: 57.
(5) سورة المدثر، الآية: 5.
(6) سورة القصص، الآية: 29.
(7) انظر: د. خليل رشيد أحمد، **انفرادات القراء السبعة**، مكتبة أمير، كركوك، العراق، ط1، 2013. وهي رسالة دكتوراه دقيقة وقيمة.

واحدٌ منهم كابنِ عامر الدِّمشقي أو نافع المدَني أو ابن كثير المكي أو أبو عمرو البصْري، وقد يتَّفِق اثنان أو ثلاثة منهم فقط في مقابل الباقي[1].

خاتمة:

هكذا نعرف أنَّ مواردَ انفراد عاصم عن بقيَّةِ القُرَّاء محدودةٌ جدًّا، غير مُؤثِّرة في المعنى في أغلَبِ الموارد. وفي المواردِ الأخرى المُتبقِّية، تُغيِّر في المعنى تغييرًا طفيفًا لا ينتقص من القرآنِ شيء، وإنَّما يأتي غالبًا في إطارِ اختلاف لهجات العرب.

لكن إذا قطَعْنا النَّظَرَ عن قراءةِ عاصم برواية حفص ـ التي تماهت مع القراءةِ المتواترة بين المسلمين ـ ونظرْنا إلى بقيَّةِ القراءات، لرأينا بحرًا متلاطمًا من الفُرُوقِ الدَّقيقة والطفيفة، التي تأتي بأسْرِها في إطارِ الاختلاف في قراءةِ رسْم المصْحف انطلاقًا من اختلافِ لهجات العرب أو اختلاف سَنَد رواية القارئ.

على ضوءِ ذلك، من المناسب أنْ نتعرَّف على رأي الإمام الخميني في هذا المجال.

- كتَبَ الإمام الخميني[2]: «قرأَ كثيرٌ من القرَّاء «مَلِك» بفتْحِ الميم وكسْرِ اللام (القُرَّاء قرؤُوها كذلك باستثناء عاصِم والكسائي ويعقوب وخلف)، وذكروا لكُلٍّ من هاتينِ القراءتينِ ترجيحات أدبيَّة، حتى إنَّ بعضَ الأعاظم من العُلماء ـ رحِمَهُ الله ـ كتَبَ رسالةً في ترجيحِ «مَلِك» على «مالِك». وما ذكرَهُ الطَّرفان ليس ممَّا يحصَلُ به الاطمئنان. وما في نظَرِ الكاتب، أنَّ «مالِك» راجحٌ، بل مُتعيَّن، لأنَّ هذه السُّورةَ المباركة والسُّورة المباركة التوحيد ليستا كسائرِ السُّور القرآنية، بل حيثُ إنَّ الناسَ يقرؤونَ هاتينِ السُّورتينِ في فرائضِهِم ونوافلِهِم، وفي كلِّ عصْرٍ من العُصُورِ يسمَعُها ملايين من المسلمين من مئاتِ ملايين المسلمين، وهم كذلك من مئاتِ

---

(1) لذا من المناسب تطبيق منهج حساب الاحتمالات على موارد الاختلاف موردًا موردًا، وستجد أن تطبيقهَ سيصب غالبًا لمصلحة قراءة عاصم ومن يتفق معها.

(2) (ت 1409 هـ/ 1989م).

الملايين سابقيهِم. وهكذا، بالتَّسامُع ثبَتَت هاتان السُّورتان الشَّريفتان على هذا النَّحو الذي يقرؤونَهُ، من دونِ تقدُّمِ حرْفٍ وتأخُّرِهِ، ومن دونِ زيادةِ حرْفٍ ونقْصِهِ، عن الأئمةِ الهداة والنبيِّ صلَّى الله عليهِ وآلِهِ.

ومع أنَّ أكثَرَ القرَّاء قرؤُوها «ملِك»، وكثيرٌ من العُلماء رجَّحوا «ملِك»، مع ذلكَ ما ضرَّت هذه الأمور في هذا الأمر الثابت الضَّروري والمتواتر القطْعي، ولم يتْبعْهُم الناس.

ومع أنَّ العُلماءَ يُجوِّزونَ تبعيَّة كلٍّ من القُرَّاء، لم يقرأ أحدٌ في مقابلِ هذه الضَّرورة «ملِك» في صلاتِهِ، إلا الشَّاذ الذي لا يُعتنى بقولِهِ، وإنْ قرأَ أحدٌ «ملِك»، قرأَ «مالِك» أيضًا من بابِ الاحتياط. . .ولكن هذا الاحتياطَ في غايةِ الضَّعْف، بل في عقيدةِ الكاتب: مقطوعٌ خلافُهُ.

ومن هذا البيان الذي ذكرناهُ، عُلِمَ ضعْف ما قالوا إنَّ «ملِك» و«مالك» مُتشابهان في الخطِّ الكوفي، لأنَّ هذا رُبَّما يمكن أنْ يدَّعى في السُّور التي ليست كثيرةَ التَّداول على الألسِنة، على إشكالٍ فيهِ أيضًا. ولكن في مثلِ هذه السُّورة، التي ثُبوتُها بالتَّسامُعِ والقراءةِ كما هو واضحٌ جدًّا، دعوى بلا محتوى، وقولٌ بلا اعتبار».

ثمَّ يُؤكِّد الإمام الخميني أنَّ هذا الأمر لا يقتصر على سورةِ الحمْد، بل يمتدُّ لسُورٍ أخرى كسُورةِ الإخلاص، فيقول: «وهذا الكلامُ الذي ذكرناهُ، جارٍ في «كفُوًا» أيضًا، لأنَّ القراءةَ بالواوِ المفتوحة والفاءِ المضْمومة، مع أنَّها قراءة عاصِم فقط (عن حفْص، أما حمزة ويعقوب وخلف فقرؤوا «كُفْئًا»، والباقون قرؤوا «كُفُؤًا»)، فمعَ ذلك هي أيضًا ثابتةٌ بالضَّرورةِ بالتَّسامُع، وإنَّ القراءات الأخر لا تُعارض هذه الضَّرورة، وإنْ كان البعضُ يحتاطُ بزعمِهِ، ويقرَؤُها بضمِّ الفاء والهمْزة طبقًا لقراءةِ الأكثر. ولكن لا مورِدَ لهذا الاحتياط. ولو نُوقِشَ في الرِّواياتِ التي أُمِرَ فيها بالقراءةِ كقراءةِ الناس. كما أنَّها أيضًا محلُّ المناقشة.

ومن المظْنونِ أنَّ المرادَ من تلكَ الرِّوايات أنْ اقرؤُوا كما يقرأُ عامَّة الناس، لا أنَّكُم مُخيَّرونَ بين القراءاتِ السَّبْعِ مثلًا. فحينئذٍ تكونُ قراءة «ملِك»

و«كفُوًا» بغيرِ ما هو مشْهورٌ بين المسلمين، ومسْطورٌ في الصُّحُفِ، غلَطًا. وعلى كلِّ حال، الأحوطُ قراءَتُها على النَّحوِ المتداول بين الناس، والمشْهور على الألسنة، والمسْطور في القرآن، لأنَّ القراءةَ على هذا النَّحو صحيحةٌ على جميعِ المسالك، والله أعلم»[1].

- أيضًا كتَبَ الإمامُ الخميني: «ما هو بينَ أيدينا من الكتابِ العزيز، متواترٌ فوقَ حدِّ التواتُر بالأُلوفِ والآلاف؛ فإنَّ كلَّ طبقةٍ من المسلمين وغيرِهِم ممَّن يبْلُغ الملايين، أخذوا هذا القرآنَ بهذه المادَّةِ والهيئةِ عن طبقةٍ سابقةٍ مثْلُهُم في العدد. . . .وهكذا إلى صدْرِ الإسلام، وقلَّما يكونُ شيءٌ في العالَمِ كذلك.

هذه القراءاتُ السَّبْع أو العشْر، لم تمسّ كرامةِ القرآن رأسًا، ولم يعتَنِ المُسْلمونَ بها وبُقرَّائِها؛ فسُورةُ الحمْدِ هذه ممَّا يقرؤها الملايين من المُسْلمين في الصَّلواتِ آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النهار، وقرأها كلُّ جيلٍ على جيلٍ، وأخَذَ كلُّ طائفةٍ قراءةً وسماعًا من طائفةٍ قبْلَها إلى زمانِ الوحي، ترى أنَّ القُرَّاءَ تلاعبوا بها بما شاؤوا، ومع ذلكَ، بقِيَتْ على سيطَرَتِها، ولم يمسّ كرامتَها هذا التَّلاعُب الفضيح، وهذا الدسُّ القبيح!!».

ثمَّ يواصل الإمام الخميني كلامَهُ فيقول: «وهو أدَلُّ دليلٍ على عدَمِ الأساس لتواتُر القراءات إنْ كانَ المرادُ تواتُرُها عن النبيِّ الأكرم ﷺ مُؤيَّدًا بحديثٍ وضعَهُ بعضُ أهلِ الضَّلال والجهْل، وقد كذَّبَهُ أولياءُ العصْمةِ وأهلُ بيتِ الوحي بقولِهِم: «إنَّ القرآنَ واحدٌ من عندِ واحدٍ».

هذا مع أنَّ كُلًّا من القُرَّاء ـ على ما حُكِيَ عنهم ـ استبدَّ برأيِهِ بترجيحاتٍ أدبية، و﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[2].

وظنِّي أنَّ سُوقَ القراءة لمَّا كان رائجًا في تلكَ الأعصار، فتَحَ كلٌّ دكةً لترويجِ متاعِهِ، والله تعالى بريءٌ من المشْركينَ ورسولُهُ.

---

(1) الإمام الخميني، **الآداب المعنوية للصلاة**، ص422 ـ 432.

(2) سورة الأعراف، الآية: 38.

نعم، ما هو المتواتِر هو القرآنُ الكريم الموجود بيَن أيدي المُسْلمين وغيرِهِم. وأما غيرُهُ من القراءاتِ والدَّعاوى، فخُرافاتٌ فوقَ خُرافات ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾[1]، وهو تعالى نزَّلَ الذِّكْرَ وحفظَهُ أيَّ حفْظٍ. فإنَّكَ لو ترى القرآنَ في أقصى بلادِ الكُفْر، لرأيتَهُ كما تراهُ في مركزِ الإسلام وأيدي المسلمين، وأيُّ حفظٍ أعظَمَ من ذلك!»[2].

تعليق: أتَّفقُ مع الإمامِ الخميني في ناحية، وأختلفُ معه في أخرى.

أتَّفقُ معه في أنَّ اختلافات القُرَّاء (وخصوصًا ما ينفردون فيه) صادرةٌ في كثيرٍ من الأحيان عن اجتهاداتٍ واستحسانات. وحتى يتبيَّن لك ذلك راجع كتاب **الحُجَّة في عِلَل القراءات السَّبْع**، لأبي علي الفارسي[3]، وكتاب **حُجَّة القراءات**، لأبي زرعة بن زنجلة[4]، وكتاب **الكشْف عن وجوه القراءات**، لأبي محمد مكي بن أبي طالب[5].

لكن أختلفُ معه في قسوةِ العبارات التي استخدَمَها. فليست كلُّ الاختلافات بين القُرَّاء هكذا، بل بعضُها لها مُبرِّرات موضوعية، يعودُ بعضُها إلى اختلافِ لهجات العرب، ويعودُ بعضُها الآخر إلى قُصُورٍ في رسْمِ المصاحف التي أُرْسِلَت إلى الأمصار. بل القراءات تتفاوت قُرْبًا وبُعْدًا من القراءةِ المتواترة بين المسلمين. فإنْ اعتبرنا أنَّ قراءةَ حفص عن عاصم قراءةٌ معيارية أقرب ما تكون إلى القراءةِ الصحيحة، فبقيةُ القراءات تختلف قُرْبًا وبُعدًا منها. حيثُ نلاحظ أنَّ القرءاتَ الكوفية، كقراءةِ حمزة والكسائي قريبةٌ من قراءةِ حفْص عن عاصم، ثمَّ تأتي قراءة خلَف البغدادي ويعقوب البصْري. ثمَّ تأتي قراءة أهل المدينة: نافع وأبي جعفر. بعدَ ذلكَ تأتي قراءة أبي عمرو البصْري.

---

(1) سورة النور، الآية: 40.
(2) الإمام الخميني، **كتاب الطهارة**، ج1، ص249 ـ 250.
(3) (ت 377 هـ/ 987م).
(4) (ت 403 هـ/ 1012م).
(5) (ت 437 هـ/ 1045م).

ثمَّ تأتي قراءةُ ابن كثير المكي. وأبعد القراءات عن قراءةِ حفص عن عاصم هي قراءةُ ابن عامر الدِّمشقي[1].

الآن، طالما أنَّ القرآنَ قد عبَرَ بسلامٍ منطقة الأمواج المتلاطمة التي مرَّ بها في القرْنين الأول والثاني الهجري، إذن متى وكيف أقحَمَ الغلاةُ رواياتَهُم التي تتحدَّث عن تحريفِ القرآن في كُتُبِ الحديث؟ الفصْلُ القادم يجيبُ عن هذا السُّؤال.

(1) هذا انطباع رسخ في ذهني نتيجة ممارسة استقراء ناقص معتدٍّ به. لكن الحكم النهائي بقرب وبعد بعض القراءات من قراءة حفص عن عاصم، بحاجة لدراسة إحصائية دقيقة.

الفصل الثاني عشر:

بصمات الغلو

عرفنا مما مرَّ أنَّ القرْنَين الأوَّل والثاني الهجريَّين، لم يمضيا حتى كانت الإجراءات الاحترازية المتعلِّقة بحفْظِ القرآن، قراءةً ورسْمًا، قد اكتملت. فقد ترسَّخَت ـ من ناحية ـ القراءةُ المتواترةُ للقرآنِ بين الناس، وإنْ استمرَّت بعضُ القراءاتِ الأخرى، كقراءاتٍ ممكنةٍ للرَّسْم العثماني.(1) وترسَّخَ ـ من ناحيةٍ أخرى ـ النصُّ العثماني، الذي تمَّ نقْطُهُ شكْلًا وإعْجامًا وتزويدُهُ بالهمزات، كرسْمٍ مرجعيٍّ لا يحِقُّ لأيِّ قارئٍ تجاوُزُهُ(2).

لكن ابتداءً من القرْنين الثالث والرَّابع الهجريَّين، وقعت محاولات فاشلة لإثارةِ غُبار الشُّك حولَ النصِّ القرآني.

في هذا الفصْل، الذي يُمثِّل المحطَّة الثانية عشرة، أدْرُسُ محاولة بعض المنْسوبين إلى الشِّيعةِ، كالغُلاة، مثل أحمَد بنِ محمَّد السيَّاري (الذي تحدَّثَ عُلماءُ الرِّجالِ عن فسادِ مذْهبِهِ وأنَّه يقولُ بالتَّناسُخ!)(3)، وعليِّ بنِ أحمد

(1) وعرفنا أن قراءة حفص عن عاصم هي القراءة التي تتطابق مع القراءة المتواترة بين الناس.

(2) حيث شاع منذ مئات السنين ضبط المصحف شكلًا وإعجامًا وتزويده بالهمزات وفقًا لقراءة حفص عن عاصم. نعم، ضبطت بعض المصاحف وفقًا لقراءة نافع المدني أو ابن عامر الدمشقي وربما غيرهما من القُرَّاء أيضًا، إلا أن هذه المصاحف ظلت محدودة جدًّا، وانحسرت بالتدريج.

(3) أحمد بن محمَّد السيَّاري، معاصر للإمام الجواد ﷺ، توفي سنة 268 هـ، روى 188 رواية تزعم تحريف القرآن. ظهر له مؤخرًا كتاب القراءات: أو التنزيل والتحريف، حققه أيتان كولبرغ ومحمد علي أمير معزي، نشره دار بريل للنشر من ليدن وبوسطن، 2009م **Revelation and Falsification,** ***The Kitâb of al qirâ'at*** of Ahmed b. Muhammad al-Sayyârî, Etan Kohiberg & Mohammad Ali Amir Moezzi, Brill.. وهذا الكتاب زاخز بالروايات التي تزعم تحريف القرآن، ولا قيمة علمية لأغلب رواياته. وإليك ما ذكره علماء الرجال الشيعة عن السياري:

قال النجاشي: «أحمد بن محمد بن سيار، أبو عبد الله الكاتب، بصري. كان من كُتَّاب آل طاهر، =

الكوفي (الذي ذكَرَ عُلماءُ الرِّجالِ أنَّه كذَّاب وأنَّه فاسدُ المذهب) لترويجِ دعوى نقصان القرآن. كما سارَ في هذا الطَّريق بعضُ الإخباريين، كالسيِّد نعمة الله الجزائري[1] في كتابِهِ **الأنوار النُّعمانية ومنْبع الحياة**، والمُحدِّث حسين النُّوري الطَّبرسي[2] في كتابِهِ **فصْلُ الخطاب في تحريف كتاب ربِّ الأرباب**[3]!

كتَبَ السيِّد الطباطبائي[4]: «القرآنُ حُجَّةٌ بالإجماع، وقد استشْهَدَ الأئمةُ عليهم السلام بالآياتِ واستدلُّوا بها في مناسباتٍ مُتعدِّدة، وقالوا بحُجيَّتِهِ دون أدنى شكٍّ أو ترديد، وكانوا يقرأُونَ القرآنَ كما هو الآن، وتبِعَهُم شيعتُهُم بعدَهُم على هذا المنوال.

وإنْ قالَ قائلٌ بنقْصٍ أو زيادةٍ في القرآن، فإنَّه يُسْقِطهُ كلُّه من الحُجِّية! وسقوطُ هذه الحُجِّية يستلزِمُ سقوطَ حجيِّة الأخبار وتحريفِها، وأخبارُ التَّحريفِ تُسْقِطُ حجيَّةَ القرآن، **والعملُ بها يستلزمُ سُقوطَها هي أيضًا، أي يلزَمُ من ثبوتِها عدَمُها، فالعملُ بهذه الأخبار إذن محالٌ**»[5].

في زمن أبي محمد عليه السلام، ويُعرف بـ «السيَّاري»، ضعيف الحديث، فاسد المذهب. ذكر ذلك لنا: الحسين بن عبيد الله. مجفو الرواية، كثير المراسيل، له كتب، وقع إلينا منها: كتاب ثواب القرآن، كتاب الطب، كتاب القراءات، كتاب النوادر، كتاب الغارات..».

وقال الشيخ الطوسي: «أحمد بن محمد بن سيار، أبو عبد الله الكاتب، بصري، كان من كُتَّاب آل طاهر، في زمن أبي محمد عليه السلام، ويُعرف بـ «السيَّاري»، ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفو الرواية، كثير المراسيل، وصنف كتبًا كثيرة، منها...».

وقال ابن الغضائري: «أحمد بن محمد بن سيار، يكنى أبا عبد الله القمي، المعروف بـ «السيَّاري»، ضعيف متهالك، غال، محرف، استثنى شيوخ القميين روايته من كتاب «نوادر الحكمة»، وحكى محمد بن علي بن محبوب في كتاب «النوادر» المصنفة أنه قال بالتناسخ»!.

وضعفه محمد بن الحسن بن الوليد، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن بابويه (الصدوق) وأبو العباس بن نوح. راجع: الخوئي، **معجم رجال الحديث**، ج2، ص280 ـ 281.

وقال السيد السيستاني: «ضعيف ملعون، ومؤلف كتاب التحريف في القرآن، ولعل أكثر روايات تحريف القرآن تنتهي إليه». السيِّد هاشم الهاشمي، **تعارض الأدلة الشرعية، تقريرات دروس السيد السيستاني**، غير منشور، ج1، المقصد الثاني في علل اختلاف الحديث، ص281.

(1) (ت 1112 هـ/ 1700م).

(2) (ت 1320 هـ/ 1902م).

(3) (1298 هـ/ 1881م).

(4) (ت 1402 هـ/ 1981م).

(5) من حوار بين العلامة الطباطبائي وتلميذه السيد محمد حسين الطهراني، انظر الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص215.

رواةٌ مُريبون:

السيِّدُ البروجردي[1] أكَّدَ على أنَّ الأخبارَ الواردة في التَّحريفِ أغلَبُها ـ البالغ ثُلُثين ـ مرويٌّ عن أحمدِ بنِ محمَّد السيَّاري، الذي كان من كُتَّابِ آل طاهر، معاصرًا لأبي محمَّد العسكري عليه السلام[2]. ولا يمكنُ التعويلُ على هذه الرِّوايات أبدًا لأسبابٍ مُتعدِّدة: منها ضعْفُ الدَّلالة حيثُ يظهَرُ من كثيرٍ منها أنَّ المرادَ هو التَّفسيرُ والتَّأويل، مع وُضوحِ اختلاف نظْم بعضها مع نظْمِ القرآن.

كتَبَ الشَّيخُ محمد جواد البلاغي[3]: «المُحدِّث المعاصر جهَدَ في كتابِ **فصْلِ الخطاب** في جمْعِ الرِّوايات التي استدَّلَ بها على النَّقيصة (= تحريف القرآن بوقوع النَّقْص فيه)، وكثَّرَ أعدادَ مسانيدِها بضمِّ المراسيلِ عن الأئمةِ عليهم السلام في الكُتُب، كمراسيل العيَّاشي وفُرات وغيرِهِما، مع أنَّ المُتتبِّع المُحقِّق يجزُمُ بأنَّ هذه المراسيل مأخوذةٌ من تلكَ المسانيد. وفي جُملةِ ما أوردَهُ من الرِّوايات ما لا يتيسَّر احتمالُ صِدْقِها، ومنها ما هو مختلفٌ باختلافٍ يؤولُ به إلى التَّنافي والتعارُض... هذا مع أنَّ القسْمَ الوافر من الرِّوايات ترجِعُ أسانيدُها إلى بضْعةِ أنفار، وقد وصَفَ علماءُ الرِّجال كُلًّا منهم:

- إمَّا بأنَّه ضعيفُ الحديثِ، فاسدُ المذهبِ، مجفوُّ الرِّواية (كأحمد بن محمَّد السيَّاري).
- وإما مضْطربُ الحديثِ والمذهب، يُعرَفُ حديثُهُ ويُنْكر ويروى عن الضَّعفاءِ (كبَكْرِ المُزَني والحسن بنِ محمَّد بنِ جمهور العمي والحسنِ بنِ محمَّد العلوي).
- وإما بأنَّه كذَّابٌ متَّهمٌ لا أستحِلُّ أنْ أروي من تفسيرِهِ حديثًا واحدًا. . . .(كالحسنِ بنِ عليِّ البطائني وعليِّ بنِ أبي حمزة البطائني).
- وإما بأنَّه كان غاليًا كذَّابًا (كجعفرِ بنِ إسماعيل المُقرئ الكوفي).

---

(1) (ت 1380 هـ/ 1960م).
(2) انظر: الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يحرف أبدًا**، ص167.
(3) (ت 1352 هـ/ 1933م).

- وإما بأنَّه ضعيفٌ لا يُلتفَتُ إليه ولا يُعوَّلُ عليه ومن الكذَّابين (كأحمد بنِ محمَّد الآملي الطَّبري ومحمَّد بنِ سُليمان الدَّيلمي، ويونُس بنِ ظبْيان).
- وإما بأنَّه فاسدُ الرِّوايةِ يُرمى بالغُلُو (كعليِّ بنِ العبَّاس الرَّازي، ومنْخل بنِ جميل الأسْدي).

ومن الواضحِ أنَّ **أمثالَ هؤلاء لا تُجدي كثرَتُهُم شيئًا**»[1].

رواياتٌ مرجعية:

إنْ كانت قد راجَتْ روايات في كُتُبِ أهل السُّنة، في القرْنين الأوَّل والثاني الهجريَّين، تتحدَّث عن وقوعِ مزايداتٍ نُسِبَت لأصحابِ النَّبي وأزواجِهِ والتَّابعين بما يستبطن وقوع تحريف في القرآن، فقد راجَتْ روايات في كُتُبِ الشِّيعة، في القرْنين الثالث والرِّابع الهجريَّين، تتحدَّث عن وقوع نقصٍ في القرآن، وأنَّ النَّقْصَ قد وقَعَ في آياتِ تُصرِّحُ بولايةِ الإمام علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

فيما يتعلَّق بأصْلِ وقوع النَّقْص، خُذْ الرِّواية المنْسوبة للإمام عليٍّ عليه السلام بأنَّهُ سُئِلَ عن التَّناسُبِ بين الجُمْلتينِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[2]، فقال: لقد سقَطَ أكثر من ثُلثِ القرآن![3]

وهذا يعني سُقُوط أكثر من ألفي آية من هذا الموضِعِ فقط. والمثلُ يقول: «حدِّث العاقلَ بما لا يليق، فإنْ صدَّقَ فلا عقْلَ له»!

وفيما يتعلَّق بسقوط آيات تُؤكِّد ولايةَ علي عليه السلام، خُذ الرِّواية المنْسوبةِ إلى الإمامِ الصَّادقِ عليه السلام بأنَّ آيةَ الغدير نزَلَتْ هكذا: «يا أيُّها الرَّسولُ بلِّغ ما أُنْزِلَ إليكَ في عليٍّ، وإنْ لم تفْعَل فما بلَّغْتَ رسالتَهُ»!!

---

(1) الشيخ محمد جواد البلاغي، مقدمة تفسير آلاء الرحمن (**الوجيز في معرفة الكتاب العزيز**)، ص 81 ـ 82.

(2) سورة النساء، الآية: 3.

(3) الطَّبرسي، **الاحتجاج**، ج1، ص598، الفيْض الكاشاني، **تفسير الصَّافي**، ج1، ص388 ـ 389.

وفيما يتعلّق بسقوط آيات تُؤكّد مقام أهل البيت عليهم السلام! خُذ الرِّوايةِ المنْسوبةِ إلى الإمامِ الصَّادقِ عليه السلام في قولِهِ تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ قال: كيفَ يكونُ هذه الأمة وقَد قتلوا ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله؟ ليس هكذا نزلَت، وإنَّما نُزُولُها «كُنْتُم خيرَ أئمة»، يعني الأئمة من أهلِ البيت عليهم السلام!!

في مقابلِ تلك الرِّوايات المريبة، لدى الشَّيعة رواياتٌ مرجعية، تُمثِّل محورًا يُلاشي تأثير الرِّوايات المختلقة من الغُلاة.

فقد روى الكليني روايةً صحيحةَ السَّند عن أبي بصير أنَّهُ سألَ الإمام جعفر الصَّادق: إنَّ الناسَ يقولونَ فما له لم يُسَمِّ عليًّا وأهلَ بيتِهِ في كتابِ الله؟ فقال عليه السلام: قولوا لهم إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله نزلَت عليه الصَّلاةُ، ولم يُسَمِّ لهم ثلاثًا ولا أربعًا حتى كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله هو الذي فسَّرَ لهم ذلك[1]!

كذلك ثمَّة روايات مستفيضة عن أهلِ البيت عليهم السلام داعية لعرْضِ كلامِهِم على كتابِ الله، كالرِّوايةِ المرويَّةِ عن عليِّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النَّوفلي، عن السَّكوني، عن أبي عبد الله (الإمام الصَّادق عليه السلام): «**إنَّ على كلِّ حقٍّ حقيقةٍ، وعلى كلِّ صَوابٍ نورًا، فما وافَقَ كتابَ اللهِ فخُذُوهُ، وما خالَفَ كتابَ اللهِ فدَعُوهُ**»[2].

وعن أيوبِ بن الحر قال: سمِعْتُ أبا عبد الله (الإمام الصَّادق عليه السلام) يقول: **كلُّ شيءٍ مرْدودٌ إلى الكتابِ والسُّنة، وكلُّ حديثٍ لا يُوافِقُ كتابَ اللهِ فهو زُخْرُف**»[3].

بل نجدُ **مكاتبةَ أبي جعفر الجواد عليه السلام لسعْدِ الخير فيها: «وكان من نَبْذِهِم الكتاب، أنْ أقاموا حُرُوفَهُ، وحرَّفُوا حُدُودَهُ»**[4]، شاهدةً على أنَّ المشكلة لم تكن في تحريفِ حروف وألفاظ القرآن، بل في تحريفِ مضامينهِ ومعانيهِ.

---

(1) الكليني، **أصول الكافي**، ج1، كتاب الحجة، باب ما نصَّ اللهُ عزَّ وجل ورسولُهُ على الأئمةِ عليهم السلام واحدًا فواحد، ح1، ص317.

(2) المصدر السابق نفسه، ج1، كتاب العقل والجهل، باب الأخذ بالسُّنة وشواهد الكتاب، ح1، ص89.

(3) المصدر السابق نفسه، ج1، ص89 ـ 90.

(4) الكليني، **روضة الكافي**، رسالة أبي جعفر عليه السلام إلى سعد الخير، ح16، ص50.

فضلًا عن حديثِ الثَّقلين الذي يدعو للتمسُّكِ بكتابِ الله والعترةِ من أهلِ البيت عليهم السلام كضمانةٍ لعدم الضَّلال.

سقوط سورتين مزعومتين:

بالإضافة إلى ما مرَّ، زعَمَ البعضُ بكلِّ وقاحةٍ سُقُوط سُوَر بأسْرِها من القرآن تُصرِّح بولايةِ الإمام علي عليه السلام. وتحدَّث البعضُ عن سُقُوطِ سورةِ النُّورين وسورةِ الولاية!

وستجِدُ ـ فيما يأتي ـ أنَّها ضعيفةٌ ركيكةٌ بشكلٍ مفضوح، زاخرةٌ بالأخطاءِ النَّحوية! أستعرِضُها ثمَّ أُعلِّق عليها.

■ سورة النُّورين المزْعومة:

«بسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم. يا أيُّها الذين آمَنوا آمِنوا بالنُّورينِ أنزَلْناهُما يتلُوانِ عليكم آياتي ويُحذِّرانكُم عذابَ يومٍ عظيم. نُورانِ بعضُهُما من بعضٍ وأنا السَّميعُ العليم. إنَّ الذينَ يُوفونَ بعهدِ اللهِ ورسولِهِ في آياتٍ (!) لهم جنَّاتُ النَّعيم. والذينَ كفروا من بعدما آمنوا بنقْضِهِم ميثاقهم وما عاهدَهُم الرَّسولُ عليه يُقْذفونَ في الجحيم. ظلموا أنفُسَهُم وعصوا الوحي الرَّسول (!) أُولئكَ يُسْقَونَ من حميم. إنَّ اللهَ الذي نوَّرَ السَّموات والأرض بما شاءَ واصطفى الملائكةَ والرُّسُل وجعَلَ من المؤمنين (!) أُولئكَ من خلْقِهِ (!) يفعلُ اللهُ ما يشاءُ. لا إله إلا هو الرَّحمنُ الرَّحيم. قد مكَرَ الذينَ من قبْلِهِم برُسُلِهِم فأخَذْتُهُم بمكْرِهِم إنَّ أخذي شديدٌ أليم. إنَّ اللهَ قد أهلَكَ عادًا وثمودًا بما كسَبُوا وجعلهُم لكم تذْكرةً أفلا تتَّقون. وفرعونَ بما طغى على موسى وأخيهِ هرون أغرَقْتُهُ ومن تبِعَهُ أجمعين. ليكونَ لكم آيةً وإنَّ أكثرَكُم فاسِقون. إنَّ اللهَ يجْمَعُهُم يومَ الحشْر فلا يستطيعونَ الجوابَ حينَ يُسْألون. إنَّ الجحيمَ مأواهم وإنَّ اللهَ حكيمٌ عليم. يا أيُّها الرَّسُولُ بلِّغْ إنذاري فسوفَ يعلمون. قدْ خسِرَ الذين كانوا عن آياتي وحُكْمي مُعْرضين (!). مثلُ الذينَ يُوفونَ بعهدِكَ إنِّي جزيتُهُم (!) جنَّات النَّعيم. إنَّ اللهَ لذو مغفرة وأجر عظيم. وإنَّ عليًّا لمنَ المُتَّقين. وإنَّا لنُوفِّيهِ حقَّهُ يومَ الدِّين. وما نحنُ عن ظُلْمِهِ غافلين. وكرَّمْناهُ على أهلِكَ أجمعين. وإنَّه وذريَّتَهُ لصابرون. وإنَّ عدُوَّهُم إمامُ

المجرمين. قُلْ للذينَ كفروا بعدما آمنوا طلَبْتُم زينةَ الحياة الدُّنيا واستعجَلْتُم بها ونسيتُم ما وعدَكُم اللهُ ورسولُهُ ونقَضْتم العُهُودَ من بعدِ توكيدِها وقد ضرَبْنا لكمُ الأمثالَ لعلَّكم تهتدون. يا أيُّها الرَّسولُ قد أنزلْنا إليك آياتٍ مُبيِّناتٍ فيها من يتوفَّه مؤمنًا (!) ومن يتولَّهُ من بعدِكَ يظْهرون. فاعْرِض عنهم إنَّهم مُعرضون. إنَّا لهم مُحضرون في يومٍ لا يُغني عنهم شيءٌ ولا هم يُرْحمون. إنَّ لهم في جهنَّمَ مقامًا عنه لا يعْدِلُون (!). فسبِّح باسْمِ ربِّكَ وكُنْ من السَّاجدين. ولقد أرْسَلْنا موسى وهرون بما استُخْلِفَ فبغوا هرون (!) فصبرٌ جميل (!)، فجعلْنا منهم القردةَ والخنازير ولعنَّاهُم إلى يومِ يُبعثون. فاصبر فسوفَ يُبصرون. ولقد آتيناكَ الحُكْمَ كالذينَ من قبْلِكَ من المُرْسلين. وجعلنا لك منهم وصيًّا لعلَّهم يرْجعون. ومن يتولَّ عن أمري فإنِّي مُرْجِعُهُ (!)، فليتمتَّعوا بكُفْرِهم قليلًا فلا تسأل عن الناكثين. يا أيُّها الرَّسولُ قد جعلنا لكَ في أعناقِ الذين آمنوا عهدًا فخُذْهُ وكُنْ من الشَّاكرين. إنَّ عليًّا قانتًا باللَّيلِ ساجدًا يحذَرُ الآخرةَ ويرجو ثواب ربِّهِ. قُلْ هل يستوي الذين ظلموا وهُم بعذابي يعلمون (!). سيُجْعَل الأغلالُ في أعناقِهِم وهم على أعمالِهِم يندمون. إنَّا بشَّرْناك بذريَّةٍ صالحين. وإنَّهم لأمرِنا لا يخْلُفُون. فعليهم منِّي صلاةٌ ورحمةٌ أحياءً وأمواتًا يوم يبعثون. وعلى الذينَ يبْغونَ عليهم من بعدِكَ غضَبي إنَّهم قومَ سوءٍ خاسرين. وعلى الذينَ سلَكُوا مسلَكَهُم منِّي رحمة وهم في الغُرُفاتِ آمنون. والحمدُ للهِ ربِّ العالمين»[1].

■ سورة الولاية المزْعومة:

«يا أيُّها الذين آمنوا آمِنوا بالنبيِّ وبالوليِّ اللَّذينِ بعثناهُما يهديانكُم إلى صراطٍ مستقيم. نبيٌّ ووليٌّ بعضُهُما من بعضٍ وأنا العليمُ الخبير. إنَّ الذينَ يُوفونَ بعهدِ اللهِ لهم جنَّاتُ النَّعيم. والذين إذا تُلِيَت عليهم آياتُنا كانوا بآياتِنا مُكذِّبين.

(1) مجلة المنار، محمد رشيد رضا، مج24، ج5، ص391 ـ 392. وتجدُ قسْمًا منها في النُّوري الطبرسي، فضل الخطاب، ص108 من الكتاب المخطوط. انظر كامل النص في: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر، مؤسسة كونراد، أدناور للنشر، بيروت، ط1، 2004، ص329 وما بعدها.

إنَّ لهم في جهنَّم مقامًا عظيمًا (!) إذا نُوديَ لهم يومَ القيامة أينَ الظَّالمونَ المُكذِّبونَ للمُرْسلين. ما خلَفَهُم المُرْسلينَ إلا بالحقِّ وما كانَ اللهُ ليُظْهِرَهُم إلى أجلٍ قريب، فسبِّح بحمدِ ربِّكَ وعليٌّ من الشَّاهدين».

■ جولدتسهير

كتَبَ جُولدْتسهير[1]: «وحديثًا (سنة 1912م) وجدْتُّ في مكتبةِ بانكيبور (بالهند) نُسْخةً من القرآنِ تشتملُ، فضْلًا عن هذه السُّورة، على سُورةِ النُّورين (41 آية)، وسُورةٍ أخرى شيعية أيضًا (ذات سبْع آيات)، وهي سُورة الولاية، أي الموالاة لعليٍّ والأئمة، كما تشتمِلُ على تفسيراتٍ مذْهبيةٍ كثيرة في بقيَّةِ السُّوَر المشتركة. وكلُّ هذه الزِّيادات الشِّيعية نشَرَها كلير تِسْدال[2] باللُّغةِ الإنجليزية. وكلُّ ذلكَ يدُلُّ على استمرارِ افتراض الشِّيعة حصول نقْص غير قليل في نصِّ القرآن العثماني بالنِّسبةِ إلى المُصْحفِ الأصلي الصَّحيح»[3].

■ تعليق:

مصدرُ سورة النُّورين المزْعومة كتابُ **دِبِسْتان مذاهب** (= مدرسة المذاهب)، الذي كُتِبَ في القرْن الحادي عشر الهجري، في الهند، لمؤلفٍ غير معروف، قيل إنَّه «محسن فاني الكشميري»، ادَّعى فيه أنَّ عثمانَ أحرَقَ المصاحف وأسقَطَ سُورًا كانت نازلة في فضْلِ أهل البيت ﵈، منها هذه السُّورة!

ومن كتابِ **دِبِسْتان مذاهب** أخَذَ النُّوري الطبرسي في كتابِهِ **فصْلُ الخطاب**، ونقَلَ الآخرونَ عنه. وقد صرَّحَ النُّوري الطبرسي بعدَ نقْلِهِ للسُّورةِ المزْعومة بأنْ ليس ثمَّة أثر لهذه السُّورة المزْعومة في أيِّ كتابٍ من كُتُبِ الشِّيعة فقال: « **لم أجِد أثرًا لها في كُتُبِ الشِّيعة سوى ما يُحكى عن كتابِ**

---

(1) (ت 1339 هـ/ 1921م).

(2) W.St. Clair Tisdall.

(3) جولدتسهير، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة عبد الحليم النجار، ص294 ـ 295.

المثالب المنْسوب إلى ابنِ شهر آشوب: «أنَّهم أسقطوا تمامَ سورة الولاية»، فلعلَّها هذه السُّورة»[1].

لاحظ، كلامٌ بصيغةِ المجهول (يُحكى) نُسِبَ لكتابِ مثالب النَّواصب لابن شهر آشوب[2]، أي نُسِبَ لكتابٍ في القرْنِ السَّادس الهجري، ولم يُعثَر على أثرٍ لما يُنسب لابنِ شهر آشوب من إسقاطِ سورة الولاية في كتابِهِ المثالب التي يظُنُّ النُّوري أنَّها سورةُ النُّورين!

كتَبَ الشَّيخ لُطفَ الله الصَّافي: «ولم يُعلَم مذْهبُ مُؤلِّفِهِ (= دبستان المذاهب)، ولا اسْمُهُ على التَّحقيق، فقد أخفى مُؤلِّفُهُ اسْمَهُ ومذْهبَهُ، لا يوجدُ في أصْلِ الكتاب اسْمُهُ ولا اسْمُ مذْهبِهِ، كما هو الشَّأنُ في غير هذا الكتاب من ذكْرِ اسْمِ المُؤلِّف ومذهبِهِ، وغرَضُهُ من ذلك أنْ لا يُحمَل كلامُهُ على العصبيَّة.

واختُلِفَ في اسْمِهِ:

فحُكيَ عن «سِرْجام مُلْكُم» أنَّ اسْمَ مُؤلِّفِهِ «محسن الكشميري» المتخلِّص في شعرِهِ بـ «الفاني». ويوجدُ ترجمتُهُ في كتابِ «صُبْح كُلشَن»، من غيرِ أنْ يُذْكَر له هذا التأليف.

وحُكيَ عن مُؤِّلِف «مآثر الأمراء» أنَّ اسْمَهُ كان «ذو الفقار».

وقيلَ: إنَّه لِسيَّاحٍ عاشَ في أواسطِ القرْن الحادي عشر، وعن بعضِ المسْتشرقين أنَّ في مكتبَةِ «بروكسل» نُسْخة منه، مذكورٌ فيه أنَّ اسْمَ مُؤلِّفِهِ كان «محمد فاني».

وفي «كشْفِ الظُّنون» أنَّه تأليف «مؤبَّد شاه المهتدي» صنَّفَهُ لـ «أكبر شاه»، وعن مقدِّمةِ قزَّارستان أنَّه تأليف «مؤبَّد أفراسياب».

وقيل: إنَّ اسْمَ مُؤلِّفِهِ كان «كيخسرو بن آذر كَيْوان»، ولم أجد لهذه الأقوال شاهدًا قويًا، لا في نفْسِ الكتاب، ولا في غيرِهِ.

---

(1) الطبرسي، **فصْل الخطاب**، ص108 ـ من المخطوطة.
(2) (ت 588 هـ/ 1192م).

وأما مذهبُ مُؤلِّفِهِ:

فيلوحُ من بعضِ ما ذُكِرَ فيه عدَمُ اعتقادِهِ بالنُّبواتِ وبعثِ الأنبياء، فراجع ما ذكرَهُ في بحثِ الأديان، وما حُكيَ فيه من المباحثِ الواقعة بين النَّصرانيِّين والمسلمين، وبين أهل السُّنة والشِّيعة، وما ذُكِرَ فيه من اختلافِ الفِرَق، ويوجدُ فيه من نقلِ أعاجيب الأكاذيب ما ليسَ في غيرِهِ. وذكَرَ فيه مذاهبَ أهل السُّنة، ثمَّ تعرَّضَ لمذهبِ الشِّيعة. ويظهَرُ من بعضِ مواضيعِهِ أنَّه كان إلى مذاهبِ أهل السُّنة أميل، ونسبَهُ بعضُ علماء الشِّيعة المُتتبِّعين إلى الزَّندقةِ والإلحاد، واللهُ العالِمُ بحقيقةِ حالِهِ، وهو عليمٌ بما في الصُّدور.

... ومن الأعاجيبِ التي تُضحِكُ الثَّكلى، ما نُقِلَ في **دِبِسْتان المذاهب** عن الشِّيعةِ من إسقاطِ سورة من القرآن...ولم يستند في ذلك إلى كتابٍ أو نقْلٍ عن مجهول، ونقَلَها في «فصْلِ الخطاب» فيما نقَلَ عن كُتبِ أهل السُّنة. وهذه السُّورةُ المختلقةُ مشتملةٌ على الأغلاطِ اللَّفظية والمعنوية، وركاكة الأسلوب يعرِفُ من تدبَّرَ فيها أنَّها من اختلاقاتِ أعداء الإسلام، ولا يرتابُ من له معرفةٌ بكلامِ العرب أنَّها دونَ كلام سوقتِهِم فضْلًا عن فُصحائِهِم، وفضْلًا عن كلامِ اللهِ تعالى»[1].

وفي معرض ردِّه على بعض الإخبارية، كتَبَ السيِّد هبة الدين الشَّهْرستاني[2]: «فالعجَبُ ممَّن ذكرَ سورةَ الولاية وقال: «لعلَّها هي التي أسْقَطُوها من القرآن»، مع أنَّها من البرودةِ وعدم الارتباط بمراحل من أدنى درجات الفصاحة والبلاغة، مع أنكَ عرفْتَ أنَّ الترديدَ والتَّشكيكَ من مثلِ ذلك موجبٌ لتجويزِ المِثْل، وهو ينجرٌّ إلى هدْمِ الإعجاز وإبطالِ النُّبوة، لولا الحمْل على الغفلةِ عن الملازمة، فافْهَم»[3].

---

(1) **لطف الله الصَّافي، مع الخطيب**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص414 ـ 415.

(2) (ت 1315 هـ/ 1897م).

(3) الشَّهْرستاني، **رسالة حفظ الكتاب عن شبهة القول بالتحريف**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص128.

وقد ردَّ النَّهاوندي[1] على بعضِ الإخبارية - الذين ادَّعوا احتمال حصول تحريف في القرآنِ حينما أرادَ عثمانُ إبَّان خلافتِهِ أنْ يجمَعَ الناسَ قاطبةً على قراءةٍ واحدة، ولمَّا أحرَقَ سائرَ المصاحف، توهَّمَ أُناسٌ أنَّ قسْمًا من القرآنِ أُحرِقَ أثناءَ ذلك - بقولِهِ: «هذا الاحتمالُ مبنيٌّ على فرْضِ كون القرآن الموجود في عصْرِ النبيِّ ﷺ وبعدَهُ نُسْخةً واحدةً أو نُسْختين عندَ واحدٍ من الصَّحابة أو اثنين، ثمَّ استَنْسَخَهُ جماعةٌ من المنافقين مع عدَمِ اطِّلاع أكثر المسلمين بهِ وبآياتهِ، ثمَّ خفيَ الأصْلُ عن الأنظار، وانتشَرَ المحرَّفُ في الأقطار. وهذا الاحتمالُ ممَّا لا ينبغي انقداحُهُ في ذهنِ أحد، حيثُ إنَّ القرآنَ كان بآياتِهِ وسُورِهِ أظْهَر من الشَّمسِ عندَ المسلمين، ولم يكُن بينَهُم علْمٌ غير علْم القرآن، فكيفَ يمكن عدَم اطِّلاع أغلبهم بآياتِهِ وسُورِهِ ومحل آياتِهِ وكيفيةِ قراءَتِهِ...».[2]

وكتَبَ الإمامُ الخميني[3]: «لو كان الأمرُ كما توَّهمَ صاحبُ **فصْلِ الخطاب** - الذي.... أوردَ رواياتٍ ضِعاف أعرَضَ عنها الأصحاب، وتنزَّهَ عنها أولو الألباب من قُدماءِ أصحابِنا...هذا حالُ كُتُب الرِّوايات غالبًا كالمُسْتدرك، ولا تسأل عن سائرِ كُتُبِهِ المشْحونةُ بالقَصَصِ والحكاياتِ الغريبة التي غالِبُها بالهزْلِ أشبه منه بالجد...**والعجَبُ من معاصريهِ من أهلِ اليقظةِ كيف ذهلوا وغفلوا حتى وقَعَ ما وقَعَ ممَّا بكت عليهِ السَّماوات، وكادت تتدكْدك على الأرض!!**»[4].

لماذا كُتِبَ كتاب فصْلُ الخطاب؟

كتَبَ الشَّيخ د. محمد الصَّادقي[5]: «ما أظلَمَهُ وأجهَلَهُ من يفتري عليه (القرآن) التَّحريفَ والتَّجديف، وإليكم رواية عن عالِمين علَمين، ينقُلانِ قصَّةً

---

(1) (ت 1371 هـ/ 1951م).

(2) النَّهاوندي، **نفحاتُ الرَّحمن**، نقلًا عن الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص153.

(3) (ت 1409 هـ/ 1989م).

(4) الإمام الخميني، **شرح كفاية الأصول**، ج1، ص243. مع تصرُّف طفيف ببعضِ الضمائر وحذف بعض الكلمات حتى يصبحُ المعنى أكثر وضوحًا.

(5) (ت 1432 هـ/ 2011م).

رثَّةٌ مُزْرِئة، عمَّن ألَّفَ كتابًا حولَ تحريف القرآن، وعوذًا منه ومن أضرابِهِ، باللهِ ما أجهَلَهُم وأغفَلَهُم عن ناموسِ الإسلام وعصْمتِهِ[1].

- أحدُهُما المرجع الدِّيني السيِّد شهابُ الدِّين المرعشي النَّجفي (دام ظله)[2]، قالَ لي: إنَّ المرحومَ حيدر قُلي خان، المعروف بـ «سرْدار كابُلي»، وهو من أعاظِم العُلماء الجامعين بين الدِّراساتِ الإسلامية والعصْرية، طلَبَ منه المغفورُ لَه المرجع الأعظم السيِّد البروجردي أنْ يأتي إلى قم، ليُستفادَ منه في الحوزةِ حول العلوم العصرية والكُتُب السَّماوية وما أشبه، فأجابه.

وفي يوم من أيامِهِ الأولى أتى إلى بيتي، ولأنَّه كان من تلامذةِ الحاج ميرزا حسين النُّوري ـ صاحب **مستدرك الوسائل** ـ بهذه المناسبة سألته: ماذا حمَلَ أُستاذَكُم على تأليفِ كتابِهِ **فصْلُ الخطاب في تحريفِ كتاب ربِّ الأرباب**؟ الذي هو مزْرئةٌ مُخْجِلةٌ بالكتابِ العزيز، وذريعةٌ للنَّقدِ والتهجُّمِ عليه من قِبَلِ المعاندين؟

فمكَثَ هُنيئةً يبكي، فقلْتُ له: هل أسأْتُ الأدبَ في سؤالي هذا؟

قال: لا، ولكن خطر ببالي خاطرةٌ خطيرةٌ مزعجةٌ عن سببِ تأليفِ هذا الكتاب. وهي أنَّني كنْتُ ممَّن يُساعِدُ الشَّيخَ في جمْعِ المسانيدِ لكتابِهِ: **مستدركُ الوسائل**. فإذْ حضَرَ سيِّدٌ مُعمَّمٌ هنْديٌّ، وسلَّمَ عليه، وقال: أيُّها الشَّيخُ الجليل، هل كان اسْمُ إمامِنا أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن؟

قال: نعم، ولكنَّهم حذفوهُ عنه.

---

(1) كتب السيد محمد سعيد الحكيم: «لا يحسن الإغراق في النيل ممن يذهب للتحريف، فإنهم وإن وقعوا في خطأ فادح، إلا أنه خطأ علمي، يبتني على الغفلة، لا يسقط الحرمة، ولا يوجب كفرًا. خصوصًا بعد اتفاقهم مع عامة المسلمين على عدم الزيادة، وعدم التحريف فيما هو موجود في المصحف الشريف ـ لتواتره أو بلوغه درجة الإعجاز ـ لما سبق من دعوى الإجماع على عدم الزيادة. ولذا لم يبلغ الاختلاف ـ بين الشيعة وقسم من السنة من جانب مع القسم الثاني من السنة ـ في جزئية البسملة حد الطعن، فضلًا عن التكفير وإسقاط الحرمة. فلا القائل بجزئيتها يكفر القائل بعدم الجزئية، لأنه ينقص من القرآن، ولا القائل بعدم الجزئية يكفر القائل بالجزئية، لأنه يزيد في القرآن». (انظر: محمد سعيد الحكيم، **في رحاب العقيدة**، ج1، ص137).

(2) توفي سنة 1411 هـ/ 1990م.

قال: فأهكذا يُظْلَمُ إمامُنا وأنتُم ساكتون؟ أترجَّى منكم بكلِّ إصرار أنْ تكتُبوا لي كلَّ يومٍ صفْحةً ممَّا جرى على ضوءِ رواياتنا، حول ما نقَصَ عن القرآن، حتى تُثلِجَ صُدُورَنا بما كان فيه من فضائلِهِ عليه السلام، ونزدادُ حُبًّا له.

فأجابَهُ الشَّيخُ، وكان يأتيهِ كلَّ يوم، ويأخُذُ صفْحةً ممَّا كان يجمَعُ الشَّيخُ من مواردِ التَّحريف، ويستنْسِخُها ويرُدُّ الأَصْلَ إليه، حتى تمَّ الكتاب باسْمِ **فصْلِ الخطاب في تحريفِ كتابِ ربِّ الأرباب**، ثمَّ غابَ ولم يرْجَع.

واتَّفقَ لي أنَّني راجعْتُ السَّفارةَ البريطانية في بغداد، لأخْذِ تأشيرة السَّفَر، إذْ كانت العراقُ يومذاك تحتَ السُّلْطة البريطانية.

فرأيتُ واحدًا من أعضاءِ السَّفارة ينظُرُ إليَّ نظْرةً قاصِدةً مُتكرِّرة، فأصبحْتُ أنظُرُ إليه، وتلمَّحْتُ أنَّني رأيتهُ من ذي قبل. فسلَّمَ عليَّ وقال لي: أتعرفُني؟

قلت: لا.

قال: أنا السيِّدُ الهنْدي الذي كنْتُ آتي بيتَ الشَّيخ وآخُذُ منه يوميًّا صفحةً من كتابِ **فصْل الخطاب** .وقد كنْتُ مأمورًا بما حصَلْتُ عليهِ من الشَّيخ، فحصَلَ المقصودُ تمامًا.

يقولُ السَّرْدار كابُلي: ولمَّا انتشَرَ خبرُ هذا الكتاب، وقد أخذَهُ الشَّيخ رضا المكتبي المسجدشاهي في سفرتِهِ إلى النَّجفِ ليطبَعَهُ، أخذَتْ الهجمات تتوارد على الشَّيخِ بكلِّ تشنيعٍ وتقبيحٍ من عُلماءِ العراق وإيران، وقد طُبِعَ الكتابُ وقتئذٍ، فاضْطرَّ الشَّيخُ أنْ يطلُبَ من رئيسِ الوزارة الإيرانية وقتذاك «أتابك» أنْ يمنَعَ نشْرَهُ. وفورَ وصول الخبر، أمَرَ أتابك أنْ تُحبَسَ نُسَخُ الكتابِ في غرفةٍ وتُسكَّر، حتى يفنيها عن آخِرِها.

فصادَفَ بعدَ أيام أنْ قُتِلَ أتابك، ثمَّ اغتنَمَ الشَّيخ رضا المكتبي الفرْصةَ، ففتَحَ الغرفةَ بحيلٍ ورُشى، فنَشَرها، حرْصًا على متعةِ الحياةِ الدُّنيا.

- وثانيهما المغفور له صاحبُ **الذَّريعة إلى تصانيفِ الشّيعة**، الشَّيخ آغا بُزُرْك الطَّهراني(1)، وهو من أكابرِ العُلماء المُحدِّثين.

---

(1) توفي سنة 1389 هـ/ 1970م.

سألتُهُ يومًا ما، حيثُ كنْتُ أُراجِعُهُ في بيتِهِ لاستعارةِ كُتُبٍ حولَ التَّفسير وغيرِهِ، عندما نزلْتُ النَّجَف الأشْرف، بعدما تخلَّصْتُ عن السِّجنِ المكي. . . . .
فقُلْتُ: ماذا حمَلَ أُستاذَكُم على تأليفِ كتاب **فصْلُ الخطاب في تحريفِ كتاب ربِّ الأرباب**؟ وكان ممَّا استعرْتُهُ منه نفس الكتاب بخطِّ الشَّيخ النوري.

قال: وأنا ممَّن سألتُهُ عن ذلكَ فأجاب: رأيتُ رواياتَ أهل البيت عليهم السلام منتشرةٌ في مختلفِ الكُتُب، فأحبَبْتُ أنْ أجمَعَها في مُؤلَّفٍ واحدٍ، رغمَ أنَّني لا أتأكَّدُ تحريف الكتاب.

قلْتُ: كيف يجمَعُ الشَّيخُ ما لا يتأكَّد من صحَّتِهِ؟ فهل كان يسْمَحُ الشَّيخُ لنفْسِهِ أنْ لو انتشرَت بين الناسِ فرْيةٌ على زوجتِهِ أنْ يجْمَعَها في مُؤلَّفٍ يُطبَع وهو لا يتأكَّد، بل ويتأكَّد من أنَّ هذه الفرية؟!

ثمَّ قُلْتُ: إنَّه كرَّسَ شطْرًا من عُمرِهِ في جمْعِ هذه الأحاديث من مثلِ **بُستان المذاهب** وسواه من المختلقاتِ والزُّور، واجتهَدَ في نقْلِ مُتونِها بأسانيدِها والكُتُب المنقول هي عنها، ولكنَّه لا يستدِلُّ بآيةِ الذِّكْر ردًّا على من يستدِلُّ بها بصيانةِ القرآن عن التَّحريف، يكتُبُها هكذا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، ثمَّ يقول: من الذِّكْرِ المُنزَّل: الرَّسول، لقولِهِ تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا﴾[2]، رغمَ أنَّ الآيةَ هي ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، تأكيدات تسْع حولَ الحِفاظ على الذِّكْر المُنزَّل - لا المُنْزَل - إذْ إنَّ «نزَّلْنا» تعني تدريجية النُّزُول، فلا تعني الرَّسول ﷺ نفسه، بل هو القرآن حيثُ تدرَّجَ نُزُولُهُ عليه؟

قال: نعم، ولكنَّه لم تكن له فرْصة تُتيحُ له أنْ يُراجِعَ القرآن.

قُلْتُ: أجل كانت فرْصة مُتاحة لجمْعِ هذه الأساطير نقْضًا لعصْمةِ القرآن، فلم تبْقَ له فرْصة لمراجعةِ القرآن حتى ينقُلَ الآية التي يعني نقْضُ دلالتِها على صيانةِ القرآن كما هي في القرآن!!!

(1) سورة الحجر، الآية: 9.
(2) سورة الطلاق، الآيتان: 10 - 11.
(3) سورة الحجر، الآية: 9.

قال: فأهكذا يُظْلَمُ إمامُنا وأنتُم ساكتون؟ أترجّى منكم بكلِّ إصرار أنْ تكتُبوا لي كلَّ يومٍ صفْحةً ممَّا جرى على ضوءِ رواياتنا، حول ما نقَصَ عن القرآن، حتى تُثلِجَ صُدُورَنا بما كان فيه من فضائلِهِ ﷺ، ونزدادُ حُبًّا له.

فأجابَهُ الشَّيخُ، وكان يأتيهِ كلَّ يوم، ويأخُذُ صفْحةً ممَّا كان يجمَعُ الشَّيخُ من مواردِ التَّحريف، ويستنْسِخُها ويرُدُّ الأَصْلَ إليه، حتى تمَّ الكتاب باسْمِ **فصْلِ الخطاب في تحريفِ كتابِ ربِّ الأرباب**، ثمَّ غابَ ولم يرْجَع.

واتَّفقَ لي أنَّني راجعْتُ السَّفارةَ البريطانية في بغداد، لأخْذِ تأشيرة السَّفَر، إذْ كانت العراقُ يومذاك تحتَ السُّلْطة البريطانية.

فرأيتُ واحدًا من أعضاءِ السَّفارة ينظُرُ إليَّ نظْرةً قاصِدةً مُتكرِّرة، فأصبحْتُ أنظُرُ إليه، وتلمَّحْتُ أنَّني رأيتهُ من ذي قبل. فسلَّمَ عليَّ وقال لي: أتعرفُني؟

قلت: لا.

قال: أنا السيِّدُ الهنْدي الذي كنْتُ آتي بيتَ الشَّيخ وآخُذُ منه يوميًّا صفحةً من كتابِ **فصْل الخطاب** .وقد كنْتُ مأمورًا بما حصَلْتُ عليهِ من الشَّيخ، فحصَلَ المقصودُ تمامًا.

يقولُ السَّرْدار كابُلي: ولمَّا انتشَرَ خبرُ هذا الكتاب، وقد أخذَهُ الشَّيخ رضا المكتبي المسجدشاهي في سفرتِهِ إلى النَّجفِ ليطبَعَهُ، أخذَتْ الهجمات تتوارد على الشَّيخِ بكلِّ تشنيعٍ وتقبيحٍ من عُلماءِ العراق وإيران، وقد طُبِعَ الكتابُ وقتئذٍ، فاضْطرَّ الشَّيخُ أنْ يطلُبَ من رئيسِ الوزارة الإيرانية وقتذاك «أتابك» أنْ يمنَعَ نشْرَهُ. وفورَ وصول الخبر، أمَرَ أتابك أنْ تُحبَسَ نُسَخُ الكتابِ في غرفةٍ وتُسكَّر، حتى يفنيها عن آخِرِها.

فصادَفَ بعدَ أيام أنْ قُتِلَ أتابك، ثمَّ اغتنَمَ الشَّيخ رضا المكتبي الفرْصةَ، ففتَحَ الغرفةَ بحيلٍ ورُشى، فنَشَرها، حرْصًا على متعةِ الحياةِ الدُّنيا.

- وثانيهما المغفور له صاحبُ **الذَّريعة إلى تصانيفِ الشِّيعة**، الشَّيخ آغا بُزُرْك الطَّهراني[1]، وهو من أكابرِ العُلماء المُحدِّثين.

---

(1) توفي سنة 1389 هـ/ 1970م.

سألتُهُ يومًا ما، حيثُ كنْتُ أُراجِعُهُ في بيتِهِ لاستعارةِ كُتُبٍ حولَ التَّفسير وغيرِهِ، عندما نزلْتُ النَّجَف الأشْرف، بعدما تخلَّصْتُ عن السِّجنِ المكي. . . . . فقُلْتُ: ماذا حمَلَ أُستاذَكُم على تأليفِ كتاب **فصْلُ الخطاب في تحريفِ كتاب ربِّ الأرباب**؟ وكان ممَّا استعرْتُهُ منه نفس الكتاب بخطِّ الشَّيخ النوري.

قال: وأنا ممَّن سألتُهُ عن ذلكَ فأجاب: رأيتُ رواياتَ أهل البيت عليهم السلام منتشرةٌ في مختلفِ الكُتُب، فأحبَبْتُ أنْ أجمَعَها في مُؤلَّفٍ واحدٍ، رغمَ أنَّني لا أتأكَّدُ تحريف الكتاب.

قلْتُ: كيف يجمَعُ الشَّيخُ ما لا يتأكَّد من صحَّتِهِ؟ فهل كان يسْمَحُ الشَّيخُ لنفْسِهِ أنْ لو انتشرَت بين الناس فرْيةٌ على زوجتِهِ أنْ يجْمَعَها في مُؤلَّفٍ يُطبَع وهو لا يتأكَّد، بل ويتأكَّد من أنَّ هذه الفرية؟!

ثمَّ قُلْتُ: إنَّه كرَّسَ شطْرًا من عُمرِهِ في جمْعِ هذه الأحاديث من مثلِ **بُستان المذاهب** وسواه من المختلقاتِ والزُّور، واجتهَدَ في نقْلِ مُتونِها بأسانيدِها والكُتُب المنقول هي عنها، ولكنَّه لا يستدِلُّ بآيةِ الذِّكْر ردًّا على من يستدِلُّ بها بصيانةِ القرآن عن التَّحريف، يكتُبُها هكذا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، ثمَّ يقول: من الذِّكرِ المُنزَّل: الرَّسول، لقولِهِ تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا﴾[2]، رغْمَ أنَّ الآيةَ هي ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[3]، تأكيدات تسْع حولَ الحِفاظ على الذِّكْر المُنزَّل ـ لا المُنْزَل ـ إذْ إنَّ «نزَّلْنا» تعني تدريجية النُّزُول، فلا تعني الرَّسول ﷺ نفسه، بل هو القرآن حيثُ تدرَّجَ نُزُولُهُ عليه؟

قال: نعم، ولكنَّه لم تكن له فرْصة تُتيحُ له أنْ يُراجِعَ القرآن.

قُلْتُ: أجل كانت فرْصة مُتاحة لجمْعِ هذه الأساطير نقْضًا لعصْمةِ القرآن، فلم تبْقَ له فرْصة لمراجعةِ القرآن حتى ينقُلَ الآية التي يعني نقْضُ دلالتِها على صيانةِ القرآن كما هي في القرآن!!!

---

(1) سورة الحجر، الآية: 9.
(2) سورة الطلاق، الآيتان: 10 ـ 11.
(3) سورة الحجر، الآية: 9.

قال صاحبُ **الذَّريعة**: فهو على أيَّةِ حال ما كانَ قائلًا بتحريفِ القرآن، وقد كتَبَ كُتيِّبًا حولَ صيانة القرآن عن التَّحريف، وذكَرَ فيه أنَّني ما أرْضى أنْ يُطالع **فصْلُ الخطاب** إلَّا أنْ يُطالَعَ ردُّهُ.

فقُلْتُ له: وافضيحتاه من أعذارِ الشَّيخ وأفاعيلِهِ!»[1].

أقول: وقد كتَبَ أعلامُ الشِّيعة سيلًا من الرُّدود على كتابِ **فصْل الخطاب**، ومن أفضَلِ من كتَبَ في هذا المجال: العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي في مُقدِّمةِ تفسيرهِ **آلاءُ الرحمن**، والسيِّدُ الخوئي في كتابِهِ **البيانُ في تفسيرِ القرآن**... لكن ما زلنا ندْفَعُ ثمنَ هذا الخطأ الفادح... وإلى اللهِ المشتكى.

رزيَّة أخرى:

من المآسي أيضًا ما صدَرَ في أوساطِ أهل السُّنة، كتاب **الفُرقان** لابنِ الخطيب، الذي طُبعَ في دارِ الكُتُب المصْرية سنة (1367 هـ/ 1948م)، الذي جمَعَ فيه ما سطَّرَهُ أهلُ الحشو في دفاترِهِم في تحريفِ القرآن، وثارت حولَهُ ضجَّةٌ ممَّا دعا بالأزهرِ أنْ يطلُبَ من الحكومةِ مصادرتَهُ[2].

رفض قطعي للتَّحريف:

كتَبَ الشَّيخُ محمد حسين آل كاشف الغطاء[3]: «الأخبارُ الواردةُ من طُرُقِنا أو طُرُقِهِم، الظاهرةُ في نقْصِهِ أو تحريفِهِ، ضعيفةٌ شاذَّة، وأخبارُ آحاد، لا تُفيدُ عِلْمًا ولا عملًا. فإما أنْ تُأوَّل بنحوٍ من الاعتبار، أو يُضْرَبُ بها الجدار»[4].

وكتَبَ السيِّد المرعشي النجفي[5]: «القولُ بالتَّحريفِ أُلقيَ من طرَفِ

---

(1) الشيخ الصادقي، **تفسير الفرقان**، ج12، في هامشٍ من هوامش تفسيرهِ للآية 3 من سورةِ التوبة، ص232 ـ 234.

(2) انظر: محمد هادي معرفة، **صيانة القرآن من التحريف**، ص187 ـ 195.

(3) (ت 1373 هـ/ 1953م).

(4) كاشف الغطاء، **أصل الشيعة وأصولها**، ص3.

(5) (ت 1411 هـ/ 1990م).

أعداءِ الإسلام بين المسلمين لإذهابِ بهاءِ الكتاب وإطفاءِ نورِهِ ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]. أُقْسِمُ باللهِ ربِّ الرَّاقصات[2]، وداحي المدْحوَّات، أنَّ القولَ بالتَّحريفِ ممَّا يقْصِمُ الظَّهر، ويهدِمُ بُنيانَ الدِّين، وأنَّه المصيبةُ الواردةُ على الإسلام، فيا لها من مصيبةٍ وردَت من العدو، واغترَّ بها المُحب»[3].

موقف الإمام علي عليه السلام ضمانةٌ مُؤكَّدة:

استشهادُ أهل البيت عليهم السلام وأصحاب النَّبي صلى الله عليه وآله والتَّابعين العفوي والمستمر بالقرآن، والاحتجاج به، من صدْرِ الإسلام، يُؤكِّد أنَّ ما تلقَّوهُ من النَّبي صلى الله عليه وآله من قرآن، هو ذاته ما بأيدينا اليوم بين دفَّتين. وإقرارُ أهل البيت عليهم السلام الضِّمْني بهيئةِ القرآن الفعلية، يعتبرُ من أقوى القرائن على سلامةِ النَّص القرآني. وإلا لو رصَدَ أهلُ البيتِ عليهم السلام تحريفًا أو نقْصًا في القرآن، لما سكتوا، ولما أقرُّوهُ، ولما دعوا الناسَ إلى التمسُّكِ به، واتِّخاذِهِ معيارًا لمعرفةِ صدْقِ أو كذْبِ ما يُنْسَبُ إليهم[4]، ولما استشهدوا به مِرارًا في خُطَبِهِم وأحاديثِهِم. لذا السيِّد محمد سعيد الحكيم يقول: «من الظاهرِ أنَّ القرآنَ المجيد يُثْبِتُ نفسَهُ بنفسِهِ، وأنَّه ليس من إنشاءِ البشر، كما قالَ عزَّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[5]. وهو من أجلِ ذلك في غنى عن التواتر، وإنْ كان متواترًا... وما أكثر استشهاد المسلمين من الصَّدْرِ الأوَّل بالقرآنِ الشَّريفِ في مقامِ الاحتجاج وغيرِهِ، ولم يرِدْ في كلامِهِم - ولو صُدْفةً - الاستدلالَ أو الاستشهادَ بشيءٍ يصلحُ أنْ يكون قُرآنًا

---

(1) سورة الصف، الآية: 8.

(2) الراقصات هي الإبل، ويبدو أنه قيل لها ذلك لأنها عند مشيها تتراقص.

(3) انظر: الدارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص252.

(4) فمثلًا روى الكشي بسند معتبر شكوى الإمام الرضا عليه السلام من أبي الخطاب وأصحابه الذين كانوا يدسون الأحاديث الكاذبة على لسان جدِّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث يقول: لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدُسُّونَ هذه الأحاديث إلى يومِنا هذا في كتبِ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإنَّا إنْ حدَّثنا، حدثنا بموافقة القرآن، وموافقة السُّنة، إما عن الله وعن رسوله نُحدِّث، ولا نقول قال: فلان وفلان، فيتناقض كلامنا.

(5) سورة يونس، الآية: 27.

في أُسلوبِهِ وبيانِهِ غير ما هو موجود في المصْحفِ الشَّريف. فمثلًا قد خطَبَت الصدِّيقةُ فاطمةُ الزَّهراء عليها السلام خُطْبتين، قد رصَّعتْهُما بكثيرٍ من آياتِ القرآن الكريم، لكن لم يُصادِف أنْ وقَعَ فيهما شيءٌ من غيرِ ما في المصْحفِ الشَّريفِ الموجود اليوم»[1].

وكتَبَ العلامة الآلوسي[2]: «بعدَ انتشارِ هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة، لا سيَّما الصَّدْر الأوَّل الذي حوى من الأكابرِ ما حوى، **وتصدَّرَ فيه للخلافةِ الراشدةِ عليٌّ المرتضى، وهو بابُ مدينة العِلْم لكُلِّ عالِمٍ، والأسدُ الأشدُّ، الذي لا تأخُذُهُ في اللهِ لومَةُ لائم؛ لا يبْقى في ذهنِ مُؤمنٍ احتمالُ سُقُوط شيء بعدُ من القرآن**، وإلا لوقَعَ الشكُّ في كثيرٍ من ضرورياتِ هذا الدِّين الواضحِ البرهان»[3].

كما كتَبَ السيِّد الطَّباطبائي[4]: «يُمكِنُنا القولُ بجُرأةٍ إنَّ **سُكُوتَ عليٍّ عليه السلام، الذي كان مُصْحَفُهُ يُخالِفُ في التَّرتيبِ المُصْحف المُنْتَشِر، كان لأنَّ ترتيبَ النُّزُول لم يكن ذا أهمية في تفسيرِ القرآن بالقرآن الذي يهتمُّ به أهلُ البيتِ عليهم السلام، بل المهمُّ فيه هو ملاحظة مجموع الآيات** ومقارنة بعضها ببعض، لأنَّ القرآنَ الذي هو الكتابُ الدَّائمُ لكلِّ الأزمانِ والعُصُور والأقوامِ والشُّعُوب لا يمكنُ حصْرُ مقاصدِهِ في خُصوصيةٍ زمنيةٍ أو مكانيةٍ أو حوادث النُّزُول وأشباهِها.

نعم، بمعرفةِ هذه الخصوصيات يمكنُ استفادة بعض الفوائد، كالعِلْم بتاريخِ ظُهُور بعض المعارف والأحكام والقَصَص التي كانت مُقارنة لنُزُولِ الآيات، وهكذا معرفة كيفية تقدُّم الدَّعوة الإسلامية في ثلاثٍ وعشرينَ سنة وأمثالها. . .ولكن المحافظةُ على الوحدةِ الإسلامية التي كانت الهدف الدَّائم لأهلِ البيت، هي أهمُّ من هذه الفوائد الجُزْئية»[5].

---

(1) السيد محمد سعيد الحكيم، **في رحاب العقيدة**، ج1، ص138.
(2) (ت 1342 هـ/ 1923م).
(3) الآلوسي، **روح المعاني**، ج1، ص32.
(4) (ت 1402 هـ/ 1981م).
(5) الطباطبائي، **القرآن في الإسلام**، ص174.

ويأتي فوقَ ذلك كلِّه، ما ورَدَ في خُطَبٍ مُتعدِّدة للإمام علي عليه السلام في **نهجِ البلاغة**، من أمرٍ بالتمسُّكِ بالقرآن. قال السيِّد البروجردي[1]: ما ورَدَ في الرِّواياتِ والخُطَب، لا سيَّما خُطَب «نهج البلاغة»، من الحثِّ على العمَلِ بالقرآنِ وحفْظِهِ وتعظيمِهِ، وبيانِ شأنِهِ من بين الكُتُبِ وغيرِ ذلك، ممَّا يرتبطُ به كثير، بحيث لو جُمِعَت كلُّها في نُسْخةٍ لتشكَّلَ كتابًا، فلو كان مُحرَّفًا، كيف صدرت عن أهلِ البيت عليهم السلام هذه الأخبار في شأنِهِ؟»[2].

وإليك كلماتُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نهجِ البلاغة حول القرآن، مُرتَّبة حسَب ورودها فيه:

- عنه عليه السلام: «... كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ، مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ ...»[3].
- وعنه عليه السلام: «.... وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ المشْهُورِ، وَالعَلَمِ المأْثُورِ، وَالكِتَابِ المسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالمَثُلَاتِ»[4].
- وعنه عليه السلام: .... أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًّا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟ وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: «مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»، وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، **وَذَكَرَ أَنَّ الكِتَابَ يُصَدِّقُ بعضُهُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:** ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾. **وَإِنَّ القُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ**»[5].

---

(1) (ت 1380 هـ/ 1960م).
(2) البروجردي، **بحث الأصول**، نقلًا عن الدّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبدًا**، ص165.
(3) الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، خ1.
(4) المصدر السابق نفسه، خ2.
(5) المصدر السابق نفسه، خ18.

- وعنه عليه السلام: «... .فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا، وَكَفى بَالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا ! وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا ! وَكَفَى بِالكِتَابِ حَجِيجًا وَخَصِيمًا!....»[1].
- وعنه عليه السلام: «... .وأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ ولَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ، دِينَهُ اَلَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ اَلْأَعْمَالِ، ومَكَارِهَهُ ونَوَاهِيَهُ وأَوَامِرَهُ، فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ اَلْمَعْذِرَةَ، واتَّخَذَ عَلَيْكُمُ اَلْحُجَّةَ، وقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ»[2].
- وعنه عليه السلام في خطبة الأشباح: «.... فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْم، هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَام السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ. فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا. فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»[3].
- وعنه عليه السلام: «... .تَعَلَّمُوا الْقُرآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ»[4].
- وعنه عليه السلام في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال: «إنَّا لم نُحكِّم الرِّجال، وإنَّما حكَّمنا القرآنَ. هذا القرآنُ إنَّما هو خطٌّ مستورٌ بين الدَّفتين، لا ينطقُ بلسانٍ، ولا بدَّ له من ترجُمان»[5].

---

(1) الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، خ83.
(2) المصدر السابق نفسه، خ86.
(3) المصدر السابق نفسه، خ91.
(4) المصدر السابق نفسه، خ110.
(5) المصدر السابق نفسه، خ125.

■ وعنه عليه السلام بعد ظهور نتيجة التحكيم: «...فإنّما حُكِّمَ الحكمانِ ليُحييا ما أحيا القرآنُ، ويُميتا ما أماتَ القرآنُ، وإحياؤهُ الاجتماعُ عليه، وإماتَتُهُ الافتراقُ عنه. فإنْ جرَّنا القرآنُ إليهم اتَّبعناهُم، وإنْ جرَّهُم إلينا اتَّبعونا...»[1].

■ وعنه عليه السلام: **«وكتابُ اللهِ بين أظهُرِكُم: ناطقٌ لا يعيا لسانُهُ، وبيتٌ لا تُهدَمُ أركانُهُ، وعزٌّ لا تُهزَمُ أعوانُهُ....كتابُ اللهِ تُبصرونَ بهِ، وتنطقونَ بهِ، وتسمعونَ به، وينطِقُ بعضُهُ ببعضٍ، ويشهَدُ بعضُهُ على بعض، ولا يختلفُ في الله، ولا يُخالفُ بصاحبِهِ عن الله....»**[2].

■ وعنه عليه السلام: «يعطِفُ الهَوى على الهُدى، إذا عطفوا الهُدى على الهَوى. ويعطِفُ الرَّأيَ على القرآنِ، إذا عطفوا القرآنَ على الرَّأي...»[3].

■ وعنه عليه السلام: **«... .وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ. لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ»**[4].

■ وعنه عليه السلام: **«...ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، ولَنْ يَنْطِقَ، ولَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، والْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، ودَوَاءَ دَائِكُمْ، ونَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ»**[5].

■ وعنه عليه السلام: **«... .وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ؛ زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ**

(1) الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، خ127.
(2) المصدر السابق نفسه، خ133.
(3) المصدر السابق نفسه، خ138.
(4) المصدر السابق نفسه، خ156.
(5) المصدر السابق نفسه، خ158.

الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى. فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ». فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ. . . .**وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ.** مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ»[1].

- وعنه عليه السلام: «. . . .فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، **حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ**، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ. فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَمًا بَادِيًا، وَآيَةً مُحْكَمَةً، تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ. فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ. . .»[2].

---

(1) الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، خ176.
(2) المصدر السابق نفسه، خ183.

- وعنه ﷺ: «**ثمّ أنزلَ عليهِ الكتابَ نورًا لا تُطفأُ مَصابيحُه، وسِراجًا لا يَخبو تَوقُّده، وبَحْرًا لا يُدرَكُ قَعرُه، ومِنْهاجًا لا يُضِلّ نهجُه، وشُعاعًا لا يُظْلِم ضَوْؤُه، وفُرقانًا لا يُخمَدُ برهانُه، وتبيانًا لا تُهدَمُ أركانُه، وشِفاءً لا تُخشى أسقامُه، وعِزًّا لا تُهزَمُ أنصارُه، وحقًّا لا تُخذَلُ أعوانُه**، فهوَ مَعدِنُ الإيمانِ وبُحبوحتُه، وينابيعُ العِلْم وبُحورُه، ورياضُ العدلِ وغُدْرانُه، وأَثافِيُّ الإسلام وبُنْيانُه،... جعَلَه اللهُ رِيًّا لعَطَشِ العلماء، وربيعًا لقلوبِ الفقهاء، ومَحاجَّ لِطُرقِ الصُّلحاء، ودواءً ليس بَعدَه داء، ونورًا ليس بَعدَه ظُلْمة، وحَبْلًا وثيقًا عُروتُه، ومَعْقِلًا مَنيعًا ذِرْوتُه، وعِزًّا لمَن تَولّاه، وسِلْمًا لمَن دخَلَه، وهُدىً لمَنِ ائْتَمّ به، وعُذْرًا لمَنِ انْتَحَله، وبُرهانًا لمَن تكلّم به، وشاهدًا لمَن خاصَمَ به... وعِلْمًا لمَن وعى، وحديثًا لمَن روى، وحُكْمًا لمَن قضى»[1].

(1) الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، خ198.

خاتمة

بعد هذه الرِّحلة الطَّويلة، التي تعرَّفنا من خلالِها على أبرز المحطَّات التي مرَّ بها القرآنُ في تاريخِهِ، ابتداءً من إنزالِهِ من أُمِّ الكتاب، وانتهاءً بوصولِهِ إلى أيدينا بين دفَّتين على هيئتِهِ الفعلية. نتساءل: بالإضافة إلى كلِّ ما مرَّ، وبعد التأمُّل الدَّقيق في مخطوطات القرْن الأول الهجري[1]... بعد استعراض هذه المُبرِّرات الموضوعية، التي ترتكزُ على تحليلٍ مُفصَّل لمعطياتٍ وأدلَّةٍ، مستقاة من القرآن (حتى لو تعاطينا معه في هذه المرحلة من البحث كوثيقةٍ تاريخية)، وكُتُبِ الحديث، والمخطوطات التي دُوِّنَت في الصَّدْر الأول للإسلام... هل توجد آليةٌ سهلة ومباشرة نستطيعُ من خلالِها أنْ نطمئنَّ إلى سلامةِ النصِّ القرآني؟

السيِّد محمد حسين الطَّباطبائي[2] اقترَحَ آلية تتلخَّصُ في التأكُّد من بقاءِ الصِّفات التي وصَفَ القرآنُ بها نفسَهُ. وإليكَ تفصيلُ ذلك.

كتَبَ السيِّد الطَّباطبائي: «**خلاصةُ الحُجَّة أنَّ القرآنَ أنزلَهُ اللهُ على نبيِّهِ، ووصفَهُ في آياتٍ كثيرةٍ بأوصافٍ خاصَّة، لو كان تغيَّرَ في شيءٍ من هذه الأوصاف بزيادةٍ أو نقيصةٍ أو تغييرٍ في لفْظٍ أو ترتيبٍ مُؤثِّر، فقَدَ آثار تلكَ الصِّفة قطعًا. لكنَّا نجدُ القرآنَ الذي بأيدنا واجدًا آثار تلكَ الصِّفات** المعدودة، على أتمِّ ما يُمكِن، وأحسَن ما يكون، فلم يقع فيه تحريفٌ يسْلُبهُ شيئًا من صفاتِهِ. فالذي بأيدنا منه هو القرآنُ المُنْزَل على النبيِّ ﷺ بعينِهِ.

فلو فُرِضَ سُقوطُ شيءٍ منه، أو تغيَّرَ في إعرابٍ أو حرْفٍ أو ترتيب، وجَبَ أنْ يكونَ في أمرٍ لا يُؤثِّرُ في شيءٍ من أوصافِهِ، **كالإعجاز، وارتفاع**

---

(1) انظر الملحق 1.

(2) (ت 1402 هـ/ 1981م).

الاختلاف، والهداية، والنُّورية، والذِّكْرية، والهيمنة على سائرِ الكُتُبِ السَّماوية، إلى غيرِ ذلك، وذلك كآيةٍ مُكرَّرةٍ ساقطة، أو اختلاف في نُقْطةٍ أو إعرابٍ ونحوِها»[1].

وفي موضعٍ آخر، كتَبَ السيِّد الطباطبائي شارحًا فكرتَهُ بنحوٍ أتم: «تاريخُ القرآن واضحٌ بيِّن، من حين نُزُولِهِ حتى هذا اليوم؛ كانت الآياتُ والسُّوَر دائرةٌ على ألسِنةِ المسلمين يتداولونَها بينهم. وكُلُّنا نعْلَم أنَّ هذا القرآنَ الذي بأيدينا اليوم هو القرآنُ الذي نزَلَ تدريجًا على الرَّسُولِ قبلَ أربعةَ عشَرَ قرْنًا.

فإذن لا يحتاجُ القرآنُ في ثُبُوتِهِ واعتبارِهِ إلى التاريخِ مع وُضُوحِ تاريخِهِ، لأنَّ الكتابَ الذي يدَّعي أنَّه كلامُ اللهِ تعالى، ويستدِلُّ على دعواهُ بآياتِهِ، ويتحدَّى الجنَّ والإنْسَ على أنْ يأتوا بمثْلِهِ، لا يمكِنُ لإثباتِهِ ونفي التَّغيير والتَّحريف عنه التثبُّت بالأدلَّةِ والشَّواهد، أو تأييدِ شخْصٍ أو فئة، لإثباتِ مُدَّعاهُ.

نعم، أوضحُ دليلٍ على أنَّ القرآنَ الذي هو بأيدينا اليوم هو القرآنُ الذي نزَلَ على النبيِّ الكريم، ولم يطرأ عليه أيَّ تحريفٍ أو تغيير، إنَّ الأوصافَ التي ذكَرَها القرآنُ لنفْسِهِ موجودةٌ فيه اليوم، كما كانت في السَّابق.

يقولُ القرآن: إنَّني «نورٌ» و«هدايةٌ» وأُرْشِدُ الناسَ إلى الحقِّ والحقيقة.

ويقولُ: إنَّني أُبيِّنُ ما يحتاجُ إليه الإنسانُ ويتَّفِق مع فطْرتِهِ السَّليمة.

ويقولُ: إنَّني كلامُ الله تعالى، ولو لم تُصدِّقُوا فليجتمع الإنْسُ والجنُّ للإتيانِ بمثْلِهِ، أو ليأتوا بمثْلِ ما أتى به محمَّدُ الأُمِّي الذي لم يدْرُس طيلةَ حياتِهِ ولم يقُل لهم مثْل ما نطَقَ به محمَّد، أو انظروا فيَّ: هل تجِدُونَ اختلافًا في أُسْلوبي أو معارفي أو أحْكامي؟

إنَّ هذه الأوصافَ والميِّزات باقيةٌ في القرآنِ الكريم.

---

(1) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج12، ص107.

أما الإرشادُ إلى الحقِّ والحقيقة، ففي القرآنِ الذي بأيدينا بيانٌ تامٌّ للأسرارِ الكونيةِ بأدقِّ البراهين العقلية، وهو الملْجأُ الوحيد لدُسْتورِ الحياة السَّعيدة الهانئة، ويدعو الإنسانَ بمنتهى الدِّقة إلى الإيمانِ طالبًا خيرَهُ وحُسْنَ مآلِهِ.

وأما بيانُ ما يحتاجُ إليه الإنسانُ في حياتِهِ، فإنَّ القرآنَ بنظراتِهِ الصَّائبة جعَلَ التوحيد الأساس الأصْلي له، واستنتج بقية المعارف العَقَدية منه، ولم يغْفَل في هذا عن أصغَرِ نُكْتة، ثمَّ استَنْتَجَ منه الأخلاقَ الفاضلة، وبيَّنَها بطُرُقٍ واضحةٍ جليَّة، ثمَّ بيَّنَ أعمالَ الإنسان وأفعالَهُ الفرْدية والاجتماعية، وذكَرَ وظائِفَهُ حسْبَ ما تدُلُّ عليه الفطْرةُ الإنسانية، مُحيلًا التَّفاصيل إلى السُّنةِ النَّبوية.

ومن مجموعِ الكتابِ والسُّنة نُحصِّل الدِّين الإسلامي بأبعادِهِ البعيدة، الدِّين الذي حسَبَ لكُلِّ الجهات الفرْدية والاجتماعية في كلِّ الأزْمان والعُصُور حِسابَها الدَّقيق المُتْقن، وأعطى حُكْمَها خاليًا عن التَّضادِّ والتَّدافُعِ في أجزائِهِ وموادِهِ. الإسلامُ الدِّينُ الذي يعجَزُ عن تُصوُّرِ فهرس مسائلِهِ أكبر حقوقي في العالَم طيلةَ حياتِهِ.

وأما إعجازُ القرآن في أُسْلوبِهِ البياني، فإنَّ أُسْلوبَ القرآن البياني كان من سِنْخِ اللُّغةِ العربية في عصْرِها الذَّهبي، الذي كانت الأمةُ العربيةُ تتمتَّعُ فيه بالفصاحةِ والبلاغة، وأسلوبُ القرآن كان شُعْلةً وهَّاجةً تسْطَعُ في ذلكَ العصْر، والعربُ فقدت الفصاحةَ والبلاغةَ في القرْنِ الأوَّل الهجْري على أثرِ الفتوحات الإسلامية، وخُلِطَ العربُ بغيرِهِم من الأعاجمِ والبعيدين عن اللُّغة، وأصبحت لغةُ التخاطُبِ العربية كبقيةِ اللُّغات فاقدةً ذلكَ الإشراق البلاغي، وتلك اللَّمعة المضيئة. ولكن إعجازَ القرآن ليس في أُسْلوبِهِ الخطابي اللَّفظي فقط، فإنَّه يتحدَّى الناسَ في أُسْلوبِهِ اللَّفظي والمعنوي.

ومع ذلكَ، فإنَّ الذين لهم إلمامٌ باللُّغةِ العربيةِ وشِعْرِها ونثْرِها، لا يُمكِنُهُم الشكّ في أنَّ لُغةَ القرآن لُغةٌ في منتهى العُذُوبةِ والفصاحة، تتحيَّرُ فيها الأفهام، ولا يمكنُ وصْفُها بالألْسُن. ليس القرآنُ بشِعْرٍ ولا نثْر، بل أسلوبٌ

خاصٌّ يجذُبُ جذْبَ الشِّعْرِ الرَّفيع، وهو سلِسٌ سلاسةَ النَّثْر العالي، ولو وضَعْتَ آيةً من آياتِهِ أو جُملةً من جُملِهِ في خُطْبةٍ من خُطَبِ البُلغاءِ أو صفحةٍ من كتابةِ الفُصحاء، لأشْرَقَ كإشْراقِ المصْباح في الأرضِ المُظْلمة.

ومن الجهاتِ المعنويةِ غير اللَّفظية، احتفَظَ القرآنُ على إعجازِهِ. فإنَّ البرامجَ الإسلامية الواسعة الشَّاملة للمعارفِ العقَدية والأخلاقية والقوانين العمَلية الفرْدية والاجتماعية، والتي نجدُ أُسُسَها وأُصُولَها في القرآنِ الكريم، خارجةٌ عن نطاقِ قُدْرةِ الإنسان، وخاصَّة إنسانٌ عاشَ كحياةِ النبيِّ محمَّد ﷺ، وبيئتِهِ وأُمَّتِهِ.

مُحالٌ نُزُولُ كتابٍ كالقرآنِ على وتيرةٍ واحدةٍ ومتشابهةِ الأجزاء في مُدَّةِ ثلاثٍ وعشرين سنة، في ظُرُوفٍ مختلفة وأحوالٍ متفاوتة، في الخوفِ والاضطراب، والأمنِ والسَّلامة، في الحرْبِ والسِّلْم، في الخلْوةِ والوحدةِ والازْدحامِ والاجتماع، في السَّفَرِ والحَضَر. . .تنْزِلُ سورةٌ سورة، وآيةٌ آية، ولا يوجدُ بينها اختلافٌ وتناقضٌ وتهافُت.

والخلاصةُ أنَّ الأوصافَ التي كانت مُتوفِّرةً في قُرآنِ محمَّد، كُلُّها موجودةٌ في هذا القرآن، بلا تغييرٍ ولا تحريفٍ ولا تبديل، بالإضافةِ إلى أنَّ اللهَ تعالى أخبَرَ أنَّ القرآنَ مصونٌ عن كلِّ تغيير فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿41﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

بمقتضى هذه الآيات، فإنَّ القرآنَ مصونٌ عن كلِّ ما يخدِشُ بكرامتِهِ، واللهُ تعالى هو الحافِظُ له، وخاصَّة أنَّه الهادي إلى المعارفِ الحقَّة، فيجبُ أنْ يكونَ مصونًا كذلك. . .ولأنَّ اللهَ تعالى وعَدَ بحفْظِهِ، نجدهُ محفوظًا عن كلِّ عيبٍ ونقْص، بالرَّغمِ من مرورِ أربعةَ عشَرَ قرْنًا من نُزُولِهِ، وترصُّد ملايين

(1) سورة الحجر، الآية: 9.
(2) سورة فصلت، الآيتان: 41 ـ 42.

الأعداء الألدّاء للحطّ من كرامتِهِ، وهو الكتابُ السّماوي الوحيد الذي دامَ هذا الزّمن الطّويل ولم يطرأ عليه التّغيير والتّبديل»[1].

وللتوسُّع في تأمُّل صفات القرآن التي وصَفَ بها نفسَهُ، راجع الملحق 2 من هذا الكتاب.

(1) الطّباطبائي، **القرآن في الإسلام**، ص175 ـ 179.

ويمكن التعليق على آلية السيد الطباطبائي المقترحة كما يلي:

- رغم روعة ومتانة الآلية التي اقترَحَها السيِّد الطّباطبائي، إلا أنَّها لا تكفي لوحدِها للاطمئنان إلى سلامةِ كلّ النصّ القرآني، بنحوِ حرفي وكامل، وإنَّما تدْفع للاطمئنان الإجمالي. وقد اعترَفَ هو ضمنًا بذلك عندما قال: «فلو فُرِضَ سُقوطُ شيءٍ منه، أو تغيَّرَ في إعرابٍ أو حرْفٍ أو ترتيب، وجَبَ أنْ يكونَ في أمرٍ لا يُؤثّرُ في شيءٍ من أوصافِهِ». على ضوءِ كلامِهِ، سقوط سورة قصيرة (من قبيل سورة النَّصْر أو المَسَد)، أو سقوط كلمة هنا وكلمة هناك بنحوٍ لا يؤثر على شيءٍ من أوصافِهِ، أمرٌ ممكن!.
- أعترف بأنَّ ما ذكره كافٍ للإنطلاق في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ. لكن ما حاولت بيانه بالتفصيل في هذا الكتاب شيء أكبر من ذلك... ما حاولت بيانه هو سلامة كل النص القرآني، بنحو حرفي وكامل. فالمدقق في الإجراءات التاريخية التي اتخذت لحماية وحفظ القرآن، وشدة حرص المشتغلين في قراءة القرآن ورسم المصحف، وتواتر قراءته بين المسلمين آناء الليل وأطراف النهار، والتدقيق الكامل في مخطوطات القرن الأول الهجري، يصل إلى الوثوق الكامل بالسلامة التفصيلية للنص القرآني، وليس مجرد السلامة الإجمالية.
- قالَ السيِّد الطّباطبائي: «لا يمكِنُ لإثباتِهِ ونفي التّغيير والتّحريف عنه التثبُّت بالأدلَّةِ والشّواهد». وقد عرفْتَ أنَّ هذا ممكنٌ من خلالِ رحلتنا في هذا الكتاب. فالتدبُّر بالقرآن ولو كوثيقةٍ تاريخية، وتحليل ما ورَدَ في كُتُبِ الحديث ونقدها نقدًا موضوعيًّا، وتصوُّر ظروف وملابسات تنزُّل النصّ القرآني وانتشارِهِ، والانكباب على دراسة مخطوطات القرْن الأول الهجري، كافٍ للإيمان بسلامةِ النصِّ القرآني. أما الآلية التي اقترَحَها السيِّد الطّباطبائي، فهي تزيدنا اطمئنانًا وإيمانًا بذلك.

الملحق (1)
نماذج لمخطوطات من القرن الأول الهجري

1. **(مخطوطة 1) من مخطوطة المكتبة الشرقية ودار المخطوطات بصنعاء اليمن (نموذج: سورة النساء 171 إلى آخرها- المائدة 2- . .)**: تعود إلى منتصف القرن الأول الهجري. اكتشفت سنة 1965 عندما نزل مطر غزير دمر سقف المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، ذلك المسجد الذي بناه صحابة النبي ﷺ، وأثناء ترميم المكان عثر على خمسة أكياس من الخيش أو أكثر مملوءة بالمخطوطات، تم رفعها وتحويلها لمكتبة الأوقاف. في سنة 1972 عندما تقرر ترميم الركن الشمالي الغربي للجدار الخارجي للجامع، كان من الضروري إزالة جزء من السقف لاستكمال عمليات الترميم. فتم العثور من جديد على عشرين كيسًا من الخيش مملوءة بالمخطوطات تم نقله للمتحف القومي. ثم بمساعدة اليونسكو، تدخلت جامعة كيمبردج سنة 1976، وسرعان ما عكف خبراء العالم المتخصصون في مخطوطات القرآن على دراسة هذا الكنز الكبير. أخيرًا، في سنة 1980 تم الاتفاق بين الحكومتين الألمانية واليمنية على ترميم المخطوطات وإصلاحها، وبدأ المشروع سنة 1982 وانتهى في سنة 1989، وقام الفريق الألماني أثناء ذلك بتصوير أكثر من 35 ألف صورة للوثائق المذكورة. ومن المؤلم جدًا أن يتم بيع صفحات من تلك المصاحف في قاعات المزادات سنة 1992، 1993، 2000، 2001 في لندن[1]. المخطوطة مكتوبة بخط حجازي، في 80 صفحة موزعة

(1) لمزيد من التفاصيل حول هذه المخطوطة انظر: د. طيار آلتي قولاج، **مقدمة المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب**: نسخة صنعاء، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية باستانبول، 2011، ص162 - 164. وقد قام د. قولاج بمناقشة ادعاءات بعض المستشرقين التي اشتغلوا في هذه المخطوطات وتحدثوا عن وجود تحريف، مثل جارد بوين وديفيد باورز، انظر ص170 - 174.

بين المكتبة الشرقية ودار المخطوطات بصنعاء ومجموعة دافيد في كوبنهاغن وصفحات بأيدي أفراد تناقلوها وعرض بعضها بمزاد علني[1].

2. **(مخطوطة 2) من مخطوطة دار المخطوطات بصنعاء اليمن (نموذج: سورة الأعراف 37 ـ 44. سورة الأنفال من بدايتها إلى 17):** تعود إلى القرن الأول الهجري، مكتوبة بخط حجازي في 29 صفحة، يوجد فيها دائرة صغيرة بعد كل عشرة آيات (تعشير)، وخط صغير بعد كل آية، وبعد نهاية وبداية كل سورة يوجد فراغ، ثم تبدأ السورة الجديدة ببسملة. المخطوطة تبدأ بسورة الفاتحة ثم تعقبها مباشرة سورة البقرة. تم العثور على المخطوطة في الجامع الكبير بصنعاء[2].

3. **(مخطوطة 3) من مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء اليمن (نموذج: آخر سورة الشورى ـ سورة الزخرف من بدايتها إلى 13):** معروفة بـ «مصحف صنعاء»، تعود إلى القرن الأول الهجري، ومنسوبة للإمام علي عليه السلام، ليست له أية علاقة بقطع المصاحف والأوراق التي خرجت من مخزن الجامع الكبير في صنعاء، ثم من على سقفه بعد ذلك. فقد كان معروفًا منذ زمن طويل. تنطوي على 275 صفحة تشتمل على 86% من القرآن، نوع الخط كوفي. نشرت صور عن المخطوطة2011م، في آخر المصحف ملاحظة تذكر أن كاتبه هو زيد بن ثابت أو علي بن أبي طالب. هذه المخطوطة منقطة نقط شكل (إعراب). كما تحتوي على علامة بعد كل عشر آيات (تعشير)، وعلامة أكثر تميزًا عند الآية المئة، وقبل بدء أي سورة ثمة ديكور خاص يشبه ما نجده في مصاحف اليوم[3].

4. **(مخطوطة 4) من مخطوطة المتحف البريطاني في لندن المملكة المتحدة**

---

(1) انظر نماذج أخرى لهذه المخطوطة على النت:
http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/soth.html

(2) انظر نماذج أخرى لهذه المخطوطة على النت:
http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/yem1a.html

(3) انظر: د. طيار آلتى قولاج، **مقدمة المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب: نسخة صنعاء**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية باستانبول، 2011. وهذا الكتاب أسره تحقيق وتصوير لهذه المخطوطة بالذات، لكن للتفاصيل انظر بالتحديد: ص174 ـ 183.

(سورة إبراهيم إلى آخرها- سورة الحجر إلى 19): رقم MS. Or. 2165، تعود إلى القرن الأول الهجري، كما أكد المتخصص في مخطوطات القرآن: أدولف غروهمان Adolf Grohmann، تشتمل على 53% من القرآن في 121 صفحة، نوع الخط حجازي، ومكتوبة وفقًا لقراءة ابن عامر، فهي مستنسخة عن مصحف شامي، ويقال إنها أقدم نسخة في أوروبا، وأكدت دراسة في المخطوطة أنها شبيهة جدًا بالمخطوطة الموجودة في باريس. على هذا الأساس مالت هذه الدراسة إلى تحديد زمن المخطوطة ما بين 30 ـ 85هـ. جلب المخطوطة من مصر إلى المتحف البريطاني غريفيل تشستر Rev. Greville J. Chester بتاريخ 29 أبريل/ نيسان 1879م[1].

5. **(مخطوطة 5) من مخطوطة باريس، المتحف القومي للمخطوطات (نموذج: سورة التوبة 105 ـ 115)**: رقم Arab a/328 تعود إلى القرن الأول الهجري، عدد صفحاتها 64 منها في المتحف القومي للمخطوطات في باريس، و2 منها في مكتبة جامعة كيمبردج تمثل 4,2 % من القرآن، مكتوبة بخط حجازي، تم شكل الكلمات بنقاط حمراء، ووضع دائرة حمراء مفرغة صغيرة وحولها نقاط سوداء أصغر بعد كل عشر آيات (تعشير)، مستنسخة من صحف شامي[2].

6. **(مخطوطة 6) من مخطوطة مسجد الحسين عليه السلام في القاهرة مصر (نموذج: سورة الإسراء 110 ـ سورة الكهف إلى 5)**: تعود إلى أواخر القرن الأول أو أوائل الثاني الهجري، مكتوبة بخط كوفي في 1087 صفحة، مفقود منها 4 صفحات، لذا هي تشتمل على 99 % من القرآن، كل عشرة آيات معلمة بعلامة (تعشير)، ارتفاع المصحف 40 سم، ووزنه 80 كج.

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول هذه المخطوطة انظر: د. طيار آلتي قولاج، **مقدمة المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب**: نسخة صنعاء، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية باستانبول، 2011، ص148 ـ 151.
أيضًا انظر على النت: **http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/ms2165.html**

(2) لمزيد من التفاصيل حول هذه المخطوطة انظر: د. طيار آلتي قولاج، **مقدمة المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب**: نسخة صنعاء، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية باستانبول، 2011، ص153 ـ 156.

انتقلت للمشهد الحسيني سنة 1305 هـ (1888م)، وظلت هناك حتى سنة 2006م حيث تم نقلها إلى المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية في مسجد السيدة زينب من أجل ترميمه وإصلاحه. نشرت صور عن المخطوطة سنة 2009. لا تحتوي على أي نوع من التنقيط أو الزخرفة. الأرجح أنها مستنسخة من مصحف مدني أو شامي، لأسباب من بينها وجود كلمة «يرتدد» بحرفي دال. ثمة اعتقاد بأن هذه المخطوطة معاصرة لتلك التي في سمرقند للتشابه بينهما من نواحي متعددة[1]. ويتبع ذلك صورة لكامل المخطوطة بين يدي ثلاثة رجال.

7. **(مخطوطة 7) من مخطوطة متحف الآثار التركية والإسلامية باستانبول (نموذج: سورة فاطر 44 إلى آخرها ـ سورة يس إلى 7)**: تعود إلى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني الهجري. تتكون من 439 صفحة، 17 صفحة منها مفقودة، مكتوبة على جلد غزال بخط كوفي، كل عشرة آيات مختومة بنقطة دائرية ذهبية (تعشير)، قبل بسملة كل سورة ذكر اسم السورة وما إذا كانت مكية أم مدنية. المخطوطة كانت في مكتبة آيا صوفيا ثم نقلت 1914 إلى المتحف المذكور. الأمر المحير هو عدم وجود أي خطأ إملائي في صفحات المصحف الأصلية. في الصفحة الأخيرة من المخطوطة كتب فيها «كتبه عثمان بن عفان سنة 30 هجرية»، لكن الباحثين يشكون في صحة ذلك. هذا المصحف يتفق تقريبًا مع مصحف البصرة. نشرت صور عن المخطوطة سنة 2007م. هذه المخطوطة شديدة الشبه بتلك الموجودة في فيينا[2].

(1) لمزيد من التفاصيل حول هذه المخطوطة انظر: د. طيار آلتى قولاج، **مقدمة المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب**: نسخة صنعاء، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية باستانبول، 2011، ص134 ـ 147. أيضًا: إياد سالم صالح السامرائي، **ظواهر الرسم في مصحف جامع الحسين في القاهرة**، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط1، دمشق، 2013.

انظر نماذج أخرى لهذه المخطوطة على النت: **http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/hussein.html**

(2) لمزيد من التفاصيل حول هذه المخطوطة انظر: د. طيار آلتى قولاج، **مقدمة المصحف** =

8. **(مخطوطة 8) من مخطوطة جامعة برمنغهام المملكة المتحدة** M. 1572 (نموذج: سورة مريم 91 إلى آخرها ـ سورة طه إلى 13): كان يعتقد أنها مكتوبة بخط كوفي وتعود للقرن الثاني أو الثالث الهجري، لكن الدراسات الحديثة أكدت أنها مكتوبة بخط حجازي وتعود إلى القرن الأول الهجري، مكونة من 9 صفحات. تم شكل الكلمات بنقاط حمراء، ووضع دائرة حمراء مفرغة صغيرة وحولها نقاط أصغر بعد كل عشر آيات (تعشير)، وفصل كل آية وأخرى بمستطيل صغير مكون من نقاط، كما تم فصل السورة بمجموعة نقاط سوداء، ثم عمل ثلاثة خطوط حمراء متعرجة، وبدء السورة الجديدة ببسملة بلون أحمر.

9. **(مخطوطة 9): من مخطوطة جامعة توبينغن الألمانية** (نموذج: سورة الكهف 107 إلى آخرها ـ سورة مريم إلى 6): Ma VI 165 فقد أعلنت هذه الجامعة بتاريخ 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014 عن هذه المخطوطة، ونشرتها في موقعها. وحسب الباحثين فإن هذه النسخة التي عثر عليها في ألمانيا قد دُوِّنت بعد وفاة النبي محمد بنحو 20 إلى 40 سنة فقط على ضوء فحصها بالكربون المشع. وكان الباحثون يعتقدون حتى الآن أن هذه المخطوطة كتبت في القرن الثاني أو الثالث الهجري تقريبًا. وتمَّ فحص عينات من هذه المخطوطة كجزء من مشروع بحثي عالمي «كورانيكا» Coranica. وقالت متحدثة باسم مكتبة جامعة توبينغن: «إنه من الممكن معرفة عمر نصوص القرآن من خلال دراسة خصوصيات المخطوطة، والاستعانة في الوقت ذاته بالطرق الفيزيائية للتحقق من مدى دقة النتيجة الأولى». وأوضحت المتحدثة أن مخطوطة المصحف التي عثر عليها في توبينغن كتبت بالخط الكوفي (يبدو أنه خط حجازي وليس خطًّا كوفيًّا)، وهو أحد أقدم خطوط اللغة العربية مضيفة: «نعتقد بأن هذه المخطوطة هي الأقدم لدينا». ووصلت هذه المخطوطة لمكتبة الجامعة عام

الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب: نسخة صنعاء، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية باستانبول، 2011، ص122 ـ 134.

انظر نماذج أخرى لهذه المخطوطة على النت:

http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/tiem457.html

1864 عندما اشترت الجامعة جزءًا من مجموعة الكتب الخاصة بالقنصل البروسي يوهان جوتفريد فيتس شتاين. ويوفر مشروع Coranica أرضية مناسبة للتعاون ما بين أولئك الذين ينتمون للحقول الأكاديمية من تخصص «ثقافة العصور القديمة» و«الدراسات الإسلامية». ويجمع هذا المشروع بين باحثين من مختلف التخصصات من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا والنمسا وإيطاليا. بدأ المشروع في عام 2011 على يد كريستيان روبين وفرانسوا ديروشي (من باريس) ومايكل ماركس وأنجيليكا نيوويرث (من برلين). ووُجدت المخطوطة أنها مدوّنة على جلد عالي الجودة ساهم في الحفاظ عليها لأكثر من 1339 سنة، مما يشير إلى أنها دوّنت من أجل أغراض رسمية، وربما فيما يتعلق بعمل حكومة الإمام علي عليه السلام في الكوفة. هذه المخطوطة مكونة من 155 صفحة، ورقمها: (SWB -Katalog Nr 366787616). ويمكن ملاحظة ما يلي على هذه المخطوطة: الأرجح أنها لم تكن منقوطة بالأصل، لكن مرت المخطوطة بمرحلتين من الإضافة بعد كتابتها. فالنقط الموجود فيها هو نقط شكل وليس نقط إعجام، وقائم على طريقة أبي الأسود الدؤلي. كما أن النقط باللون الأحمر. والأرجح أنه أضيف بعد كتابة المخطوطة بسنوات، وربما بعقود قلائل... هذه هي المرحلة الأولى من الإضافة. أما الكتابة السوداء باللون الغامق فوق بعض الأحرف بالإضافة إلى التشكيل، فهذا من شخص جاء بعد قرون، وأراد تحديث المخطوطة وتعميق الأحرف باللون الأسود، والدليل أن طريقة الشكل هي الطريقة الحديثة التي سنها الخليل بن أحمد... وهذه هي المرحلة الثانية من الإضافة[1].

(1) انظر كامل المخطوطة على النت: http://idb.ub.uni-tuebingen.de/diglit/MaVI165

نماذج لمخطوطات
من القرن الأول الهجري



(مخطوطة 1: مخطوطة المكتبة الشرقية ودار المخطوطات بصنعاء اليمن)

ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ
وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ
إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ
ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا

(نموذج: سورة النساء، آية: 171 إلى آخرها وسورة المائدة، آية: 2 إلى. . .)

(مخطوطة 1: مخطوطة المكتبة الشرقية ودار المخطوطات بصنعاء اليمن)

﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي
رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾
يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ
لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن
لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ
وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ

(نموذج: سورة النساء، الآية: 171 إلى آخرها وسورة المائدة الآية: 2. . .)

(مخطوطة 1: مخطوطة المكتبة الشرقية ودار المخطوطات بصنعاء اليمن)

وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن
تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

(نموذج: سورة النساء، آية: 171 إلى آخرها وسورة المائدة، آية: 2 إلى. . .)

(مخطوطة 2: مخطوطة دار المخطوطات بصنعاء اليمن)

رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧
قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ
فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ
٣٨ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٣٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ

(نموذج: آخر سورة الأعراف، الآيات: 37 ـ 44 وسورة الأنفال من بدايتها إلى آية 17)

(مخطوطة 2: مخطوطة دار المخطوطات بصنعاء اليمن)

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي
مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ
وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا
رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنُۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن

سُورَةُ الأَنفَالِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(نموذج: آخر سورة الأعراف، الآيات: 37 ـ 44 وسورة الأنفال من بدايتها إلى آية 17)

(مخطوطة 2: مخطوطة دار المخطوطات بصنعاء اليمن)

وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾
لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

(نموذج: آخر سورة الأعراف، الآيات: 37 ـ 44 وسورة الأنفال من بدايتها إلى آية 17)

(مخطوطة 2: مخطوطة دار المخطوطات بصنعاء اليمن)

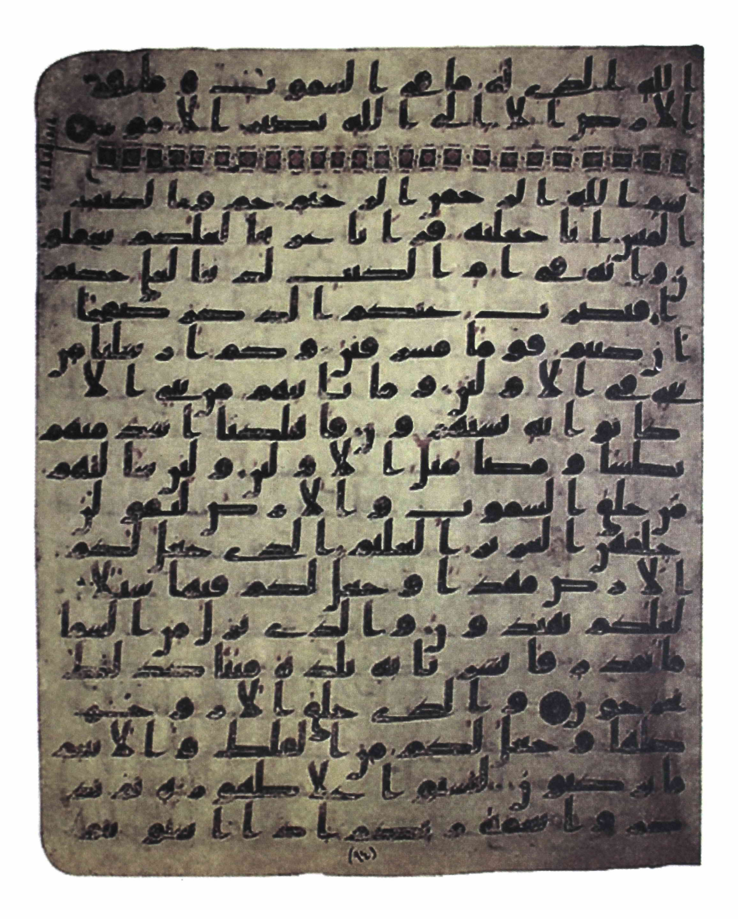
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ
رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ
﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟
فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ

(نموذج: آخر سورة الأعراف، الآيات: 37 ـ 44 وسورة الأنفال من بدايتها إلى آية 17)

(مخطوطة 2: مخطوطة دار المخطوطات بصنعاء اليمن)

كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ١٥ ومن يولهم يومئذ
دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء
بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ١٦
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
إن الله سميع عليم ١٧ ذلكم وأن الله موهن كيد

(نموذج: آخر سورة الأعراف، الآيات: 37 ـ 44 وسورة الأنفال من بدايتها إلى آية 17)



(مخطوطة 3: مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء اليمن)

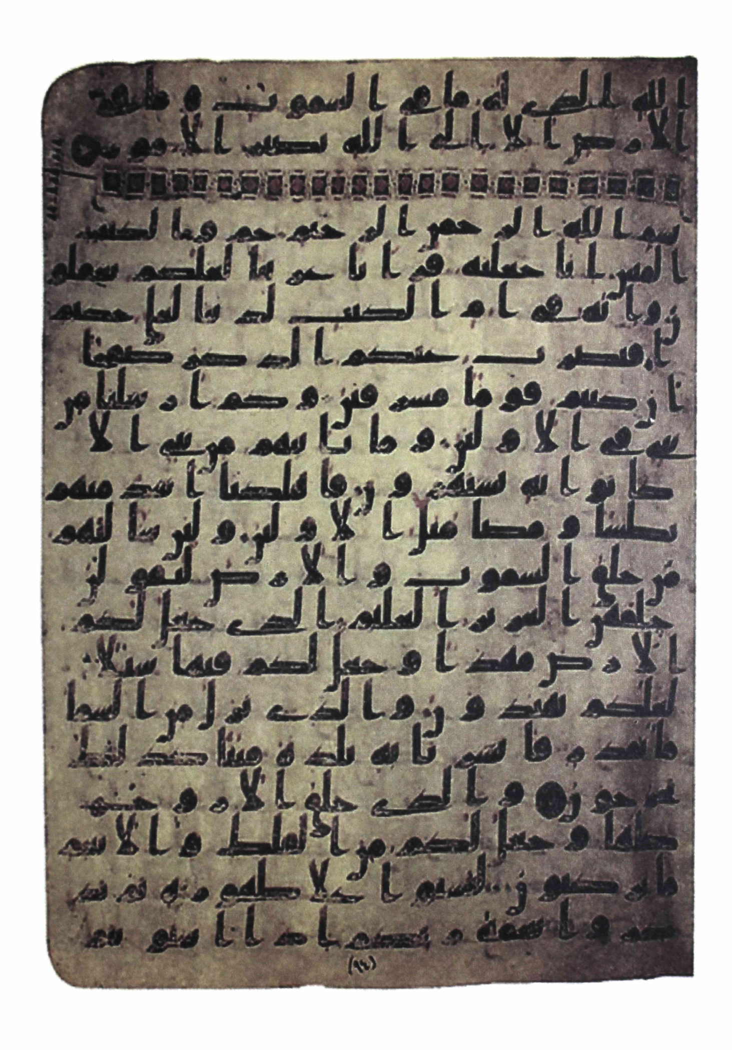
وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ٥٣



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيّٗا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمٗا مُّسْرِفِينَ ٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيّٖ فِي
ٱلْأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ

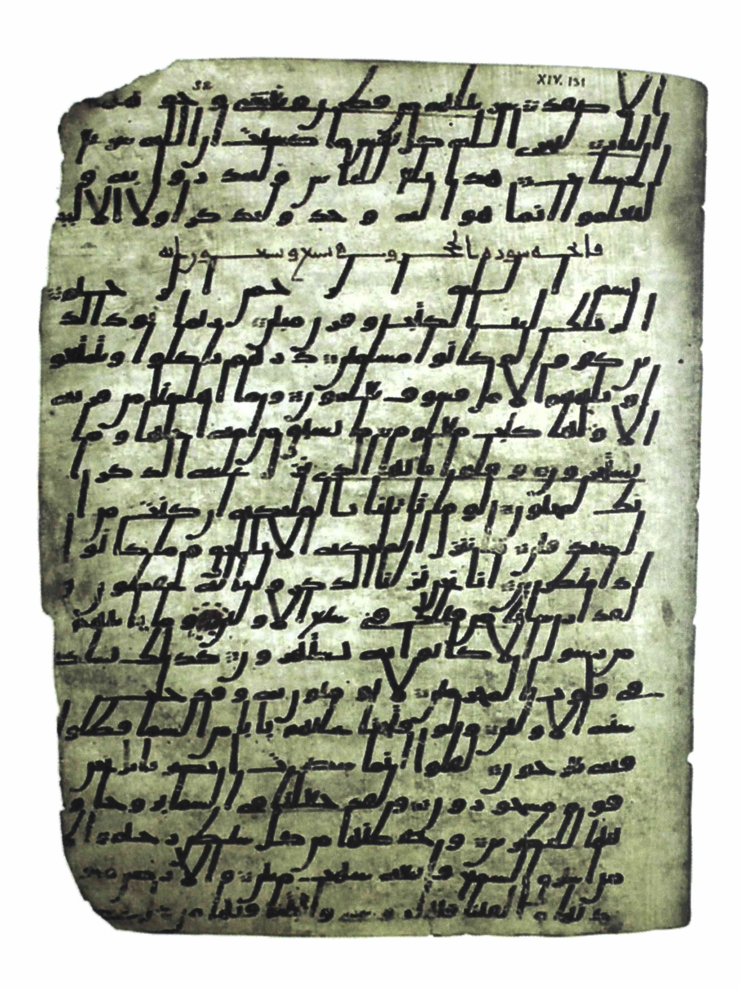
(نموذج: آخر سورة الشورى ـ سورة الزخرف من بدايتها إلى آية 13)



(مخطوطة 3: مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء اليمن)

مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾
وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا

(نموذج: آخر سورة الشورى ـ سورة الزخرف من بدايتها إلى آية 13)



(مخطوطة 4: مخطوطة المتحف البريطاني في لندن المملكة المتحدة)

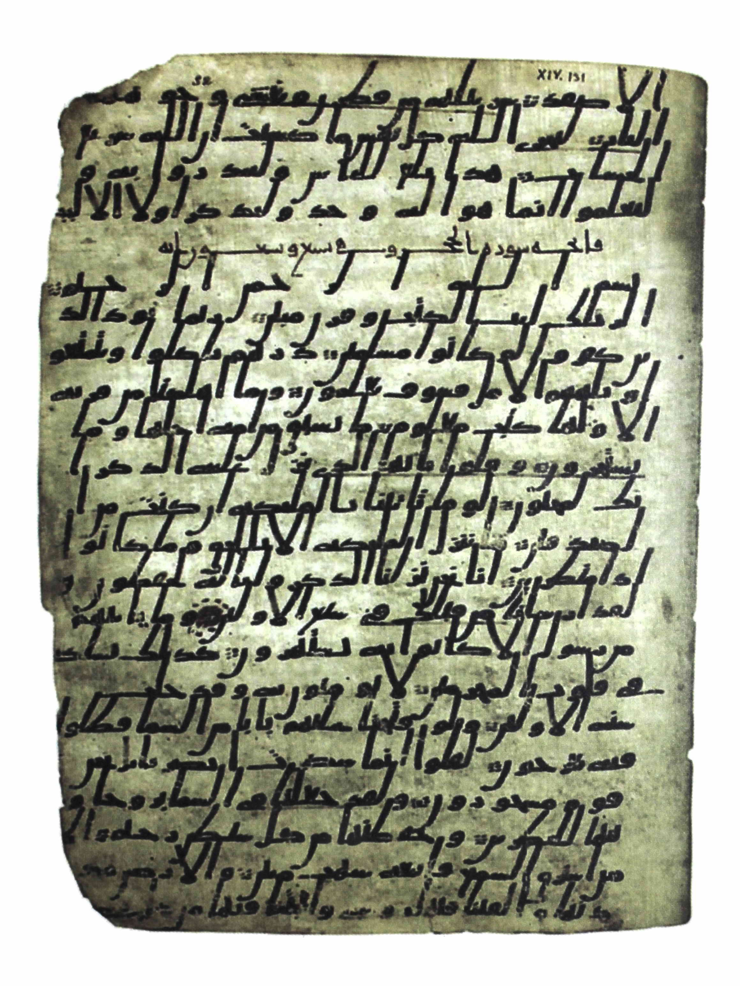
وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ
وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ

(نموذج: آخر سورة إبراهيم إلى آخرها، وسورة الحجر إلى آية: 19)



(يتبع مخطوطة 4: مخطوطة المتحف البريطاني في لندن المملكة المتحدة)

ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ
فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ
١٣ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤
لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥
وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦
وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ
فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ

(نموذج: آخر سورة إبراهيم إلى آخرها، وسورة الحجر إلى آية 19)

(مخطوطة 5: مخطوطة باريس المتحف القومي للمخطوطات)

ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ
إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ
وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ
مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن
يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي

(نموذج: سورة التوبة، الآيات: 105 ـ 115)

(يتبع مخطوطة 5: مخطوطة باريس المتحف القومي للمخطوطات)

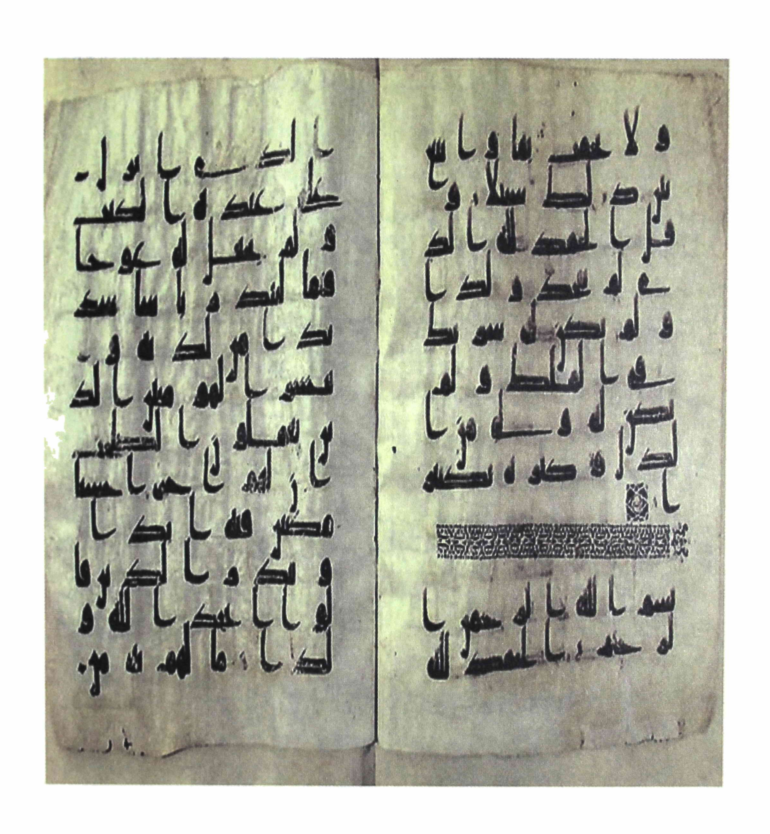
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً
فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١١٠﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ
وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟
بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾
ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ

(نموذج: سورة التوبة، الآيات: 105 ـ 115)

(يتبع مخطوطة 5: مخطوطة باريس المتحف القومي للمخطوطات)

مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا
كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ
لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ
هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ

(نموذج: سورة التوبة، الآيات: 105 ـ 115)



(مخطوطة 6: مخطوطة مسجد الحسين عليه السلام في القاهرة، مصر)

خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ
﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ

(نموذج: سورة الإسراء، الآيتان: 110 و111 وسورة الكهف إلى آية 5)



(يتبع مخطوطة 6: مخطوطة مسجد الحسين عليه السلام في القاهرة، مصر)
(نموذج: سورة الإسراء، الآيتان: 110 و111، وسورة الكهف إلى آية 5)



(مخطوطة 7: مخطوطة المتحف الإسلامي للفنون باسطنبول ـ تركيا)

﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ
فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾
وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا
مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا
جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى

(نموذج: سورة فاطر، آية 44 إلى آخرها وسورة يس إلى آية 7)



(مخطوطة 8: مخطوطة جامعة برمنغهام المملكة المتحدة)

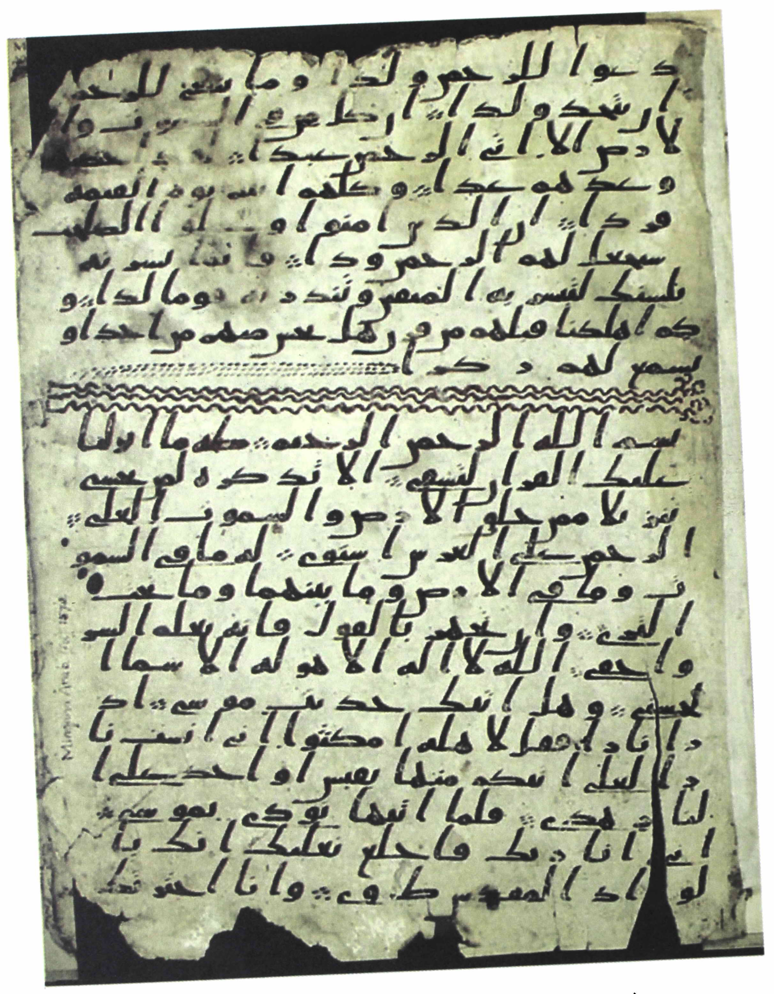
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾

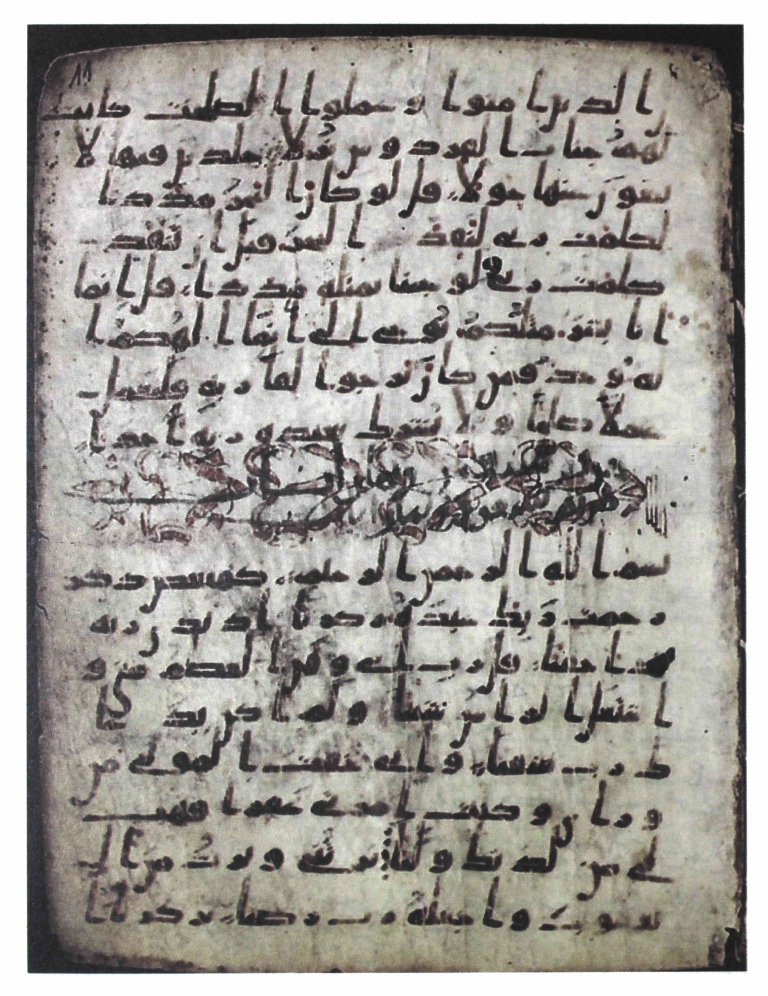
(نموذج: سورة مريم، آية 91 إلى آخرها وسورة طه إلى آية 13)



(يتبع مخطوطة 8: مخطوطة جامعة برمنغهام المملكة المتحدة)

ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ
أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

(نموذج: سورة مريم، آية 91 إلى آخرها وسورة طه إلى آية 13)



(مخطوطة 9: مخطوطة جامعة توبينغن الألمانية)

بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ
ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ
أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ
لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠

سُورَةُ مَرۡيَمَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي
وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا
٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي
عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ
ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا

(نموذج: سورة الكهف، آية 107 إلى آخرها وسورة مريم إلى آية 6)

الملحق (2)
أوصاف القرآن

يمكن حصْر أهم أوصاف القرآن التي يصِفُ بها نفْسَهُ كالتالي:

1. «**القرآن**»: تكرَّرَ هذا اللَّفظ 68 مرة. سُمِّي كذلك لأنَّه «يُقرأ» ويظْهَر باللِّسان، فيُسْتَمَع إليه بالآذان، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1]. وقيلَ من «القِران» أي الاقتران، إذا ضمَمْتَ شيئًا إلى آخر، فالحُرُوفُ والكلمات مقرونةٌ ببعضِها لتُشكِّل الآية، والآياتُ مقرونةٌ ببعضِها لتُشكِّل السُّورة، والسُّور مقرونةٌ لتُشكِّل مجْموعَ الكتاب. وقيل من «القرائن»، لأنَّ الآيات تُصدِّقُ بعضُها بعضًا، أي بعضُها قرائن على صدْقِ البعضِ الآخر. وقيلَ من «القُرْء» بمعنى الجمْع، ومنه «قرَيْتُ الماءَ في الحوض» أي جمَعْتُهُ. على هذا الأساس، قيلَ سُمِّيَ بذلك لأنَّه «جَمَعَ» السُّور بعضَها إلى بعض، وقيلَ سُمِّي كذلك لكونِهِ «جمْعُ» ثمرات الكُتُب السَّالفة المُنْزلة. لكن الأرجح أنَّ «القرآنَ» اسْمُ علَم غير مشْتق خاصٌ بكلام الله تعالى، في قبالِ أسماء أعلام الكُتُب الأخرى كالتوراة والإنجيل. قالَ تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[2].

2. «**الكتابُ المبين**»: هو «كتابٌ» لأنَّه مجْموعٌ فيه الحُرُوف والكلمات، وهو «مُبينٌ» لأنَّه واضحٌ في معانيه، مُوضِّحٌ لطريقِ الحقِّ والهدى. قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[3].

---

(1) سورة القيامة، الآية: 17.
(2) سورة التوبة، الآية: 111.
(3) سورة الزخرف، الآيتان: 1 ـ 2.

3. «كلامُ الله»: «كلمَهُ» يعني أثَّرَ فيه بجُرْحٍ ونحوِهِ، فسُمِّي الكلامُ «كلامًا» لأنَّه يُؤثِّر في ذهنِ السَّامع فائدةً لم تكُن عندَهُ. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1].

4. «نُور»: لأنَّ النورَ واضحٌ بذاتِهِ، مُوضِّحٌ لغيرِهِ. كذلك القرآن واضحٌ بذاتِهِ، مُوضِّحٌ للصِّراطِ المُسْتقيم في هذه الحياة. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[2].

5. «هُدى»: لأنَّ فيه الدَّلالة على الحق، والوقاية من الضَّلالةِ والتِّيه. قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3].

6. «مُثبِّت»: ففي البلايا يُثبِّت المؤمنين، في الضرَّاءِ حتى لا يجْزعوا، في النَّعماءِ حتى لا يطْغوا. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4].

7. «بشيرٌ ونذير»: فهو بشيرٌ حتى يُثير الرَّجاءَ في القلوب، ونذيرٌ حتى يُثير الخوفَ في القلوب، فيتساوى الرَّجاءُ والخوف ككفَّتي ميزان. قال تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ...﴾[5].

8. «لا اختلافَ فيه»: فإذا نظَرْتَ إليهِ نظْرةً واحدة تجِدهُ مترابطًا متماسكًا، تنسجِمُ آياتُهُ بعضُها مع بعض. وإذا نَظَرْتَ إليه بوصْفِهِ نزَلَ على مدى أكثر من عشْرين سنة، في ظُروفٍ مختلفة جدًّا، تجِدهُ محافظًا على مستوىً واحد من الخطاب لا يتذبْذب، فيَلين مثلًا عندما يكون النبيُّ ﷺ في موقعٍ مستضعفٍ من الناحية الماديّة، ولا يطْغى عندما يكون ﷺ في موقعِ قوة من الناحيةِ الماديّة. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[6].

9. «الُفرقان»: لأنَّه فرَّق بين الحقِّ والباطل. ما ملاحظة مع روي عن أبي عبد الله (جعفر الصَّادق عليه السلام)، يقولُ الراوي: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن

---

(1) سورة التوبة، الآية: 6.
(2) سورة النساء، الآية: 174.
(3) سورة البقرة، الآية: 2.
(4) سورة النحل، الآية: 102.
(5) سورة فصلت، الآية: 4.
(6) سورة النساء، الآية: 82.

القُرآنِ والفُرقان، أهُما شيْئانِ أو شيءٌ واحد؟ فقال: القرآنُ جُمْلَةُ الكتاب، والفُرْقانُ المُحكَمُ الواجِبُ العمَلُ بهِ[1]. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[2].

10. «شِّفاء»: لأنَّه يشْفي من الأمراضِ القلْبية كالكُفْرِ والاستكبارِ والحرْصِ والحسَدِ والجهْلِ والغلِّ والجُبْنِ والبُخْلِ. . .إلخ. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

11. «رحمة»: فإنَّ من فهِمَهُ وعقلَهُ كان رحمةً له. قالَ تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

12. «موعظة»: لأنَّ فيه وعظٌ بتجارب الأفراد والأمم الماضية. قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

13. «ذِكْر»: لما فيه من تذْكير بالحقائقِ الكبري في الحياةِ، وما جرى على أُمم ماضية. قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[7].

14. «كريم»: لأنَّه يُثري القارئ والمُسْتمع بالمعارفِ والحقائق، وكلَّما قرأتَهُ استزَدْتَ منه فائدةً جديدة. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾[8].

15. «حِكْمة»: لأنَّه وضَعَ كلَّ شيءٍ في محلِّهِ، أو لأنَّه مُشْتملٌ على الحكْمة. قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾[9]، أي حكمة تامَّة.

(1) الكليني، **أصول الكافي**، ج2، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح11، ص621.
(2) سورة الفرقان، الآية: 1.
(3) سورة الإسراء، الآية: 82.
(4) سورة الأعراف، الآيتان: 203 ـ 204.
(5) سورة يونس، الآية: 57.
(6) سورة الأنبياء، الآية: 50.
(7) سورة الزخرف، الآية: 44.
(8) سورة الواقعة، الآية: 77.
(9) سورة القمر، الآية: 5.

16. «عليّ»: لأنّه عالي القدْر والمنزلة. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

17. «حكيم»: لأنَّ آياتِهِ أُحكِمَت بعجيبِ النَّظْم وبديعِ المعاني، وأُحْكِمَت عن التَّبديلِ والاختلاف. ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[2].

18. «مهيمن»: لأنَّه شاهدٌ يتضمَّن الحقائق الأساسية التي ذكرَتْها الكُتُب السَّالفة، مُصدِّقًا بأنَّها من عندِ الله، ويتجاوزها بالتَّصحيح والتَّنْقيح والتَّوضيح. قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3].

19. «مبارك»: كثيرُ الخيرات دائمُ المنافع. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾[4].

20. «أحسَنَ الحديث»: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾[5].

21. «مُتشابِه»: لأنَّه يشْبَهُ بعضُهُ بعضًا في البلاغةِ والحُسْنِ والصِّدْقِ.

22. «مثاني»: لانعطافِ آياتِهِ بعضُها على بعض، بحيث تبيِّنُ وتُفسِّرُ بعضُها بعضًا. وقيل لتكرارِ قصص الكُتُب الماضية، وتكرار القصَص والمواعظ فيه. ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾[6].

23. «عزيز»: لأنَّه يعزُّ على من يرومُ معارضتَهُ والإتيان بمثْلِهِ. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[7].

24. «بلاغ»: لأنَّه كافٍ في إعلام الناس الحقائق الأساسية؛ النَّظرية والعمليَّة، التي يجب أنْ يعرفوها. قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾[8].

---

(1) سورة الزخرف، الآية: 4.
(2) سورة يونس، الآية: 1.
(3) سورة المائدة، الآية: 48.
(4) سورة ص، الآية: 29.
(5) سورة الزمر، الآية: 23.
(6) سورة الزمر، الآية: 23.
(7) سورة فصلت، الآية: 41.
(8) سورة إبراهيم، الآية: 52.

أهم المصادر

- ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تصحيح محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، ط3، 2002، بيروت.
- ابن أبي داود، **المصاحف**، تحقيق أبو أسامة سليم الهلالي، دار غراس، الكويت، ط1، 2006.
- ابن الجزري، **النَّشْر في القراءاتِ العشْر**، دار ابن الجوزي، ط1، 2014، القاهرة، مصر.
- ابن الجزري، **غايةِ النهاية في معرفةِ طبقات القراء**.
- ابن الجزري، **منجد المقرئين**.
- ابن النديم، **الفهرست**، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، ط1، 1994، بيروت.
- ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**.
- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** .
- ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الدين**، تحقيق أحمد شاكر، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، 1983، بيروت .
- ابن خالويه، **مختصر في شواذ القراءات**، تحقيق برجستراسر، بيت الوراق للنشر، ط1، 2012، بغداد، العراق.
- ابن خلدون، **المقدمة**.
- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**.
- ابن سعد، **الطبقات الكبرى**.
- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**.
- ابن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**.
- ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تحقيق محمد الدَّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**.
- ابن كثير، **البداية والنهاية**.

- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**.
- ابن مجاهد، **كتاب السبعة في القراءات**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، 2010، القاهرة، مصر.
- ابن هشام الأنصاري، **شرْح شُذُور الذَّهب**.
- ابن هشام، **السيرة النبوية**.
- أبو الحسن الواحدي، **أسباب النزول**، المكتبة العصرية، 2004، صيدا، لبنان.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، **صحيح مسلم**.
- أبو العباس ضياء الدين القُرْطبي، **المُفْهِم لما أشكل من تلخيص مسلم**.
- أبو الفتح عثمان بن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، 2010، بيروت.
- أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**.
- أبو القاسم الخوئي، **البيان في تفسير القرآن**، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1975، بيروت.
- أبو القاسم الخوئي، **مباني تكملة المنهاج**، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- أبو القاسم الخوئي، **مستند العروة الوثقى**، تقرير مرتضى البروجردي، المطبعة العلمية، ط1، 1414هـ، قم، إيران.
- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الكبير**.
- أبو القاسم محمود الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.
- أبو بكر بن محمد الصولي، **أدب الكتاب**.
- أبو جعفر النحاس، **القطع والائتناف**.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تفسير الطبري)**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط3، 1968، مصر.
- أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، **التوحيد**، تعليق هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، **الخصال.**
- أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، **سنن أبي داود.**
- أبو زرعة بن زنجلة، **حُجَّة القراءات.**
- أبو سعد السمعاني، **أدب الإملاء والاستملاء .**
- أبو سعيد السِّيرافي، **أخبار النَّحويين البصريين .**
- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **سنن النسائي.**
- أبو عبد الله الكرماني، **شواذ القراءات،** تحقيق شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، ط1، 2001، بيروت .
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري.**
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين.**
- أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، **سنن ابن ماجة.**
- أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن،** دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005.
- أبو عبيد بن القاسم بن سلام، **الناسخ والمنسوخ في الكتاب والسنة،** تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 2006، بيروت.
- أبو علي الفارسي، **الحُجَّة في عِلَل القراءات السَّبْع.**
- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، **مجمع البيان،** دار العلوم، ط1، 2005، بيروت .
- أبو عمر يوسف النمري المعروف بـ ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب .**
- أبو عمرو الدَّاني، **المحكم في نقط المصاحف،** تحقيق عزة حسن، دار الفكر، ط2، 1997، دمشق. أيضاً: تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط1، 2004، بيروت .
- أبو عمرو الدَّاني، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار،** تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية .
- أبو عمرو الدَّاني، **جامع البيان في القراءات السبع،** تحقيق عبد الرحيم الطرهوني/يحيى مراد، دار الحديث، 2006، القاهرة، مصر.

- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **جامع الترمذي.**
- أبو محمد حامد بن بسطام الطحري، **كتاب المباني في نظم المعاني.**
- أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي، **باب الهجاء**، تحقيق فائز فارس، مؤسسة الرسالة، ط1، 1986، بيروت.
- أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، حققه عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر، 1960، مصر.
- أبو محمد مكي بن أبي طالب، **الكشْف عن وجوه القراءات** .
- أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، **الاحتجاج**، تحقيق إبراهيم البهادي ومحمد هادي به، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط1، 1413 هج، قم، إيران .
- أحمد بسَّام ساعي، **المعجزة: إعادة قراءة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2012، الولايات المتحدة الأمريكية/ بيروت، لبنان .
- أحمد بن أبي يعقوب المعروف بـ ابن الواضح الأخباري، **تاريخ اليعقوبي**، منشورات الشريف الرضي، ط1، 1414 هج، قم، إيران .
- أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي، **السُّنن الكبرى.**
- أحمد بن المبارك، **الإبريز.**
- أحمد بن حنبل، **مسند أحمد بن حنبل.**
- أحمد بن محمَّد السيَّاري، **كتاب القراءات: أو التنزيل والتحريف**، حققه أيتان كولبرغ ومحمد علي أمير معزي، نشره دار بريل للنشر من ليدن وبوسطن، 2009م. Revelation and Falsificatiõn The Kitb of al qir'at of Ahmed b. Muhammad al-Sayyr, Etan Kohiberg & Mohammad Ali Amir Moezzĩ Brill..
- أحمد هبو، **الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب**، دار الحوار، سوريا، ط1، 1984.
- الإمام الخميني، **الآداب المعنوية للصلاة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط3، 2004، بيروت.

- الإمام الخميني، **أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية**، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط1، 1413 هج، قم، إيران.
- الإمام الخميني، **كتاب الطهارة**، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط1، 1421 هج، قم، إيران.
- أمير محمد الكاظمي القزويني، **عقيدة المسلم**، مطابع اليقظة، الكويت.
- أياد السامرائي، **ظواهر الرسم في مصحف جامع الحسين في القاهرة**، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 2013. وهي رسالة دكتوراه.
- إيجناس جولدتسيهر، **مذاهب التفسير الإسلامي**، ترجمة عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، 2013.
- إيجناس جولدتسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، المركز القومي للترجمة، 2013، القاهرة.
- الباقلاني، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، اختصره أبو عبد الله الصيرفي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1971، تحقيق محمد زغلول سلام.
- بدر الدين الزَّركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، 2006، القاهرة، مصر .
- تيودور نولدكه، **تاريخ القرآن**، ترجمة جورج تامر، مؤسسة كونراد، أدناور للنشر، بيروت، ط1، 2004 .
- الجاحظ، **رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية: الرد على النصارى**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004.
- الجاحظ، **رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية: حجج النبوة**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004.
- الجصاص، **أحكام القرآن**.
- جعفر السبحاني، **معالم النبوة في القرآن الكريم**، دار الأضواء، ط2، بيروت، 1984.
- جعفر مرتضى، **الصَّحيحُ من سيرةِ الإمام علي (ع)**.
- جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** .
- جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، ط1، 1997، بيروت.
- جمال الدين القفطي، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**.

- الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط4، 1391، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- حسن زادة آملي، **هشْت رسالة عربي، فصْلُ الخطاب في عدَم تحريف كتاب ربّ الأرباب**، مؤسسة البحوث والتحقيقات الثقافية التابعَة لوزارة الثقافة والتعليم العالي، ط1، إيران .
- حسن علي حسن مطر الهاشمي، **قراءة نقدية في «تاريخ القرآن» للمستشرق تيودور نولدكه**، العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2014، العراق .
- حسين الطباطبائي البروجردي، **جامع أحاديث الشيعة**، دار الأولياء، بيروت.
- حفني ناصف، **تأريخ الأدب.**
- حيدر حب الله، **الوحي والظاهرة القرآنية**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2012.
- الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد.**
- خليل رشيد أحمد، **انفرادات القراء السبعة**، مكتبة أمير، كركوك، العراق، ط1، 2013. رسالة دكتوراه.
- رافع النصير الزغلول، عماد عبد الرحيم الزغلول، **علم النفس المعرفي**، دار الشروق، الأردن، ط1، 2003.
- رباح صعصع الشمري، **جمع القرآن عند المستشرقين: جون جلكريست نموذجاً**، العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2014.
- الزُّبيدي، **طبقات النَّحويين** .
- الزجاج، **إعراب القرآن ومعانيه.**
- السبزواري، **مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام**، دار الكتاب الإسلامي، 1992، بيروت .
- سولسو، **علم النفس المعرفي**، ترجمة محمد نجيب الصبوة، شركة دار الفكر الحديث، الكويت، 1996 .
- السُّيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تعليق محمد شريف سكر، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، ط1، 1987، بيروت .
- الشَّريف الرَّضي، **نهج البلاغة**، تحقيق صبحي الصالح، ط1، 1967 .
- الشريف المرتضى علم الهدى، **الذخيرة في علم الكلام**، تحقيق أحمد

الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط3، 1431 هج، قم، إيران .

- الشَّريف المرتضى علم الهدى، **المُوضِّح عن جهةِ إعجاز القرآن**، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، مشهد، إيران.
- الشريف المرتضى علم الهدى، **شرح جمل العلم والعمل**، تصحيح وتعليق يعقوب الجعفري المراغي، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط1، 1414 هج، إيران .
- الشريف المرتضى، **رسائل المرتضى**، تقديم أحمد الحسيني، إعداد مهدي الرجائي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت .
- شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** .
- شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء.**
- شمس الدين الذهبي، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** .
- شمس الدين الذَّهبي، **ميزان الاعتدال.**
- شهاب الدين أبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، دار صادر، بيروت.
- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت .
- عبد الأعلى السَّبْزواري، **مواهب الرحمن**، دار التفسير، ج2، 2007، العراق .

عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط4، 2003، عمان، الأردن.

- عبد علي العروسي الحويزي، **تفسير نور الثقلين.**
- عبده الراجحي، **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1999م .
- علاء الدين المتقي الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.**
- علاء الدين المتقي الهندي، **منتخب كنز العمال**، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1990، بيروت .
- علي الموسوي الدَّارابي، **النصُّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبداً**، مجمع البحوث الإسلامية، ط1، 1433، مشهد، إيران.

- علي بن إبراهيم القمي، **تفسير القمي**.
- علي بن حسين علي الأحمدي، **مكاتب الرسول**، دار صعب، بيروت.
- علي محمد معطي، **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2003.
- عمر يوسف حمدان، **أضواء جديدة على الرسم العثماني: مظاهر وأنماط**، المكتب الإسلامي، عمان، ط1، 2009 .
- غانم قدوري الحمد، إياد السامرائي، **ظواهر كتابية في مصاحف مخطوطة**، دار الغوثاني، دمشق، ط1، 2010 .
- غانم قدوري الحمد، **رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية**، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، 2009، عمان، الأردن.
- غانم قدوري الحمد، **محاضرات في علوم القرآن**، دار عمار، ط2، 2014، عمان، الأردن .
- فاضل السامرائي، **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، دار عمار، ط3، 2010، عمان، الأردن.
- الفيض الكاشاني، **تفسير الصَّافي**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1979، بيروت .
- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، 1959.
- كمال الحيدري، **تأويل القرآن: النظرية والمعطيات**، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 2006، بيروت .
- المجلسي، **مرآة العقول**، تصحيح سيد هاشم رسولي، دار الكتب الإسلامية، ط2، 1379 هـ ش، طهران، إيران .
- محمد آصف محسني، **صراط الحق**، ذوي القربى، ط1، 1428هـ، قم، إيران .
- محمد الصَّادقي، **تفسير الفرقان**، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2013، بيروت .
- محمد باقر الحكيم، **علوم القرآن**، مجمع الفكر الإسلامي، ط3، 1417هـ، قم، إيران.

- محمد باقر الصدر، **المعالم الجديدة للأصول**، مطبوع ضمن دروس في علم الأصول، دار التعارف للمطبوعات، 1989، بيروت.
- محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، مؤسسة الوفاء، ط2، 1983، بيروت.
- محمد بن أبي بكر المرعشي، **جهد المقل**.
- محمد بن علي الشوكاني، **نيل الأوطار**.
- محمد بن عمر الواقدي، **المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، مؤسسة الإعلام الإسلامي، 1414هـ، إيران.
- محمد بن محمد ابن جزِّي الكلبي الغرناطي، **التَّسهيل في علوم التنزيل**.
- محمد بن محمد بن النعمان: الشيخ المفيد، **الإرشاد**، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1، 1995، بيروت.
- محمد بن محمد بن النعمان: الشيخ المفيد، **أوائل المقالات**، دار الكتاب الإسلامي، 1983، بيروت.
- محمد بن مسعود بن عياش، **تفسير العياشي**.
- محمد بن يعقوب الكليني الرازي، **الكافي**، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط1، 1418هـ، قم، إيران.
- محمد جواد البلاغي، **الرحلة المدرسية**، دار المرتضى، ط3، 1993، بيروت.
- محمد جواد البلاغي، **مقدمة تفسير آلاء الرحمن (الوجيز في معرفة الكتاب العزيز)**، تحقيق محمد مهدي نجف، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط1، 1419هـ، إيران.
- محمد حسين آل كاشف الغطاء، **أصل الشيعة وأصولها**، دار الأضواء، ط2، 1993، بيروت.
- محمد حسين آل كاشف الغطاء، **جنة المأوى**، دار أنوار الهدى، قم، ط2، 1436هـ.
- محمد حسين الطَّباطبائي، **القرآن في الإسلام**، ترجمة أحمد الحسيني، مطبعة سبهر، 1404هـ، طهران.
- محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران.

- محمد حميد الله الحيدر آبادي، **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1941.
- محمد رشيد رضا، **تفسيرِ المنار**.
- محمد رشيد رضا، **مجلة المنار**.
- محمد سعيد الحكيم، **في رحاب العقيدة**، دار الهلال، ط9، 2012، قم، إيران.
- محمد طاهر الكردي، **تاريخ القرآن**.
- محمد عابد الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2007، بيروت.
- محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان**، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، 2001، القاهرة، مصر.
- محمد علي باقري، **مذكرات في نبوة النبي**، دار المحجة البيضاء، ط1، 2012، بيروت.
- محمد ناصر الألباني، **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**.
- محمود أبو رية، **أضواء على السنة المحمدية**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط5، بيروت.
- محمود الآلوسي، **روح المعاني**.
- محمود عباد محمد، **خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتى عصر ابن البواب**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1991.
- مختار الغوث، **لغة قريش**، البينة للطباعة والنشر، دمشق، ط3، 2011م.
- مرتضى العسكري، **أحاديث أم المؤمنين عائشة**، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1992، بيروت.
- مرتضى العسكري، **القرآن الكريم وروايات المدرستين**، شركة التوحيد للنشر، ط1، 1996، بيروت.
- مرتضى العسكري، **عبد الله بن سبأ**، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، 1983، بيروت.
- مرتضى المطهَّري، **النبي الأمي**، ترجمة محمد علي التسخيري، الدار الإسلامية، ط2، 1985، بيروت.
- **المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب: نسخة صنعاء**، مركز

الأبحاث للتاريخ والفنون الثقافة الإسلامية باستانبول، منظمة التعاون الإسلامي IRCICA، 2011. تحقيق طيار آلتي قولاج.

- مصحف المشهد الحسيني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، منظمة التعاون الإسلامي IRCICA، تحقيق طيار آلتي قولاج.
- **مصحف توبكابي سراي**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، منظمة التعاون الإسلامي IRCICA، تحقيق طيار آلتي قولاج.
- مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مراجعة نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2003، القاهرة، مصر.
- مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، ط4، 1974، بيروت.
- مهدي المخزومي، **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986.
- موريس بوكاي، **القرآن والتوراة والإنجيل**، ترجمة عادل يوسف، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2009، عمان الأردن.
- ناصر مكارم الشِّيرازي، **تفسير الأمثل**، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002، بيروت.
- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد**.
- النُّوري الطبرسي، **فصْل الخطاب**، الكتاب المخطوط.
- هادي معرفة، **التمهيد في علوم القرآن**، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط1، 1412هـ، قم، إيران.
- هاشم الهاشمي، **تعارض الأدلة الشرعية**، تقريرات دروس السيد السيستاني، غير منشور.
- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**.

المؤلف في سطور

- من مواليد دولة الكويت 1967 (1387 هـ).
- بدأ في 1986 (1406 هـ) بدراسة بعض مقدمات العلوم الدِّينية في الكويت، ثمَّ انتقل لمواصلة الدِّراسة إلى الحوزة العلمية في قم المقدَّسة في 1987 (1407 هـ).
- أنهى مرحلة السُّطوح، وحصل على البكالوريوس في العلوم الدِّينية من المركز العالمي للدِّراسات الإسلامية (جامعة المصطفى العالمية حاليًّا) في قم في 2002 (1423 هـ).
- بموازاة تحصيله العلوم الدِّينية، شرع بالدِّراسة الأكاديمية، فحصل على اللِّيسانس من جامعة بيروت العربية في الفلسفة وعلم النَّفس في 1993 (1413 هـ).
- حصل على الماجستير من جامعة الكويت في فلسفة المنطق في 1999 (1419 هـ).
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة سندرلاند بالمملكة المتحدة في فلسفة المنطق وعلم المعرفة في 2006 (1427 هـ). تناولت الأطروحة: منطق الاحتمال عند السيِّد محمد باقر الصَّدْر، مع مقارنة نظريته بالنظريات الغربية المعاصرة.
- إمام مسجد، ومدرس في المجال الأكاديمي والحوزوي.

صدر له:

- **خلفيات واقعة كربلاء**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2011.
- **شرح دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة**، الكويت، 2012.

- **أفي الله شك؟**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2013.
- **محطّات في تاريخ القرآن** (هذا الكتاب)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2015.



الإيمان بالقُرآن بوصفه آية بيِّنة أعجَزَت العرَب عن الإتيانِ بمثْله، يتطلَّبُ التثبُّت من سلامة النَّص القرآني، وأنَّه محفُوظٌ عن التَّحريفِ والتَّزوير، عن الزِّيادة والنُّقصان، بقصْدٍ أو دون قصْد. هذا هو الهدفُ الأساس من هذا الكتاب؛ استعراضُ مُبرِّرات الإيمان بسلامةِ النَّص القرآني، من خلالِ التعرُّف على الأحداث التي مرَّ بها القرآنُ في تاريخه.

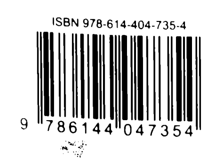
هذا البحثُ يفترضُ أنَّ مسار حفْظِ القرآن، خصوصاً في القرْنين الأول والثاني الهجري، مرَّ بأخطر المراحل. فقد نشطَت حركةُ الوضَّاعين للحديث، ودسَّ الغلاةُ والزَّنادقةُ الأحاديثَ المجعولة في كُتُبِ الحديث، وصارَ مصيرُ القرآن على المحَك.

الظُّروفُ والملابسات التي مرَّ بها القرآن تُذكِّرُنا بقصَّةِ النَّبي موسى. فحفْظُ موسى لم يتأتَّ بمُعجزةٍ خارقة، وإنَّما بتقديرٍ مُذْهلٍ للأحداث الطَّبيعية، بحيث تسلْسلَت بطريقة تكاد لا تُصدَّق لِصالحِ حفْظِ حياة موسى. إلى درجةِ أنَّ من التقطَهُ من اليمِّ وربَّاهُ عندَهُ هو فرعونُ نفسُهُ!

واللّه تعالى بتدبيرِهِ الخفي حفَظَ القرآنَ بيدِ أوليائه وأعدائه معاً، كما حفَظَ موسى بيدِ أمِّه وأُختِه وفرعون وآلِه في وقتٍ واحد!

على ضوءِ دراسة ظُرُوف وملابسات مسار القرآن التاريخي، وحقيقة أنَّ العمدةَ في تداولِ القرآن في صدْرِ الإسلام كان هو التلقِّي بالمشافهةِ والحفظ على نطاقٍ واسع، وتدوين المُصْحَف في زمنِ النَّبي (ص)، والإجراءات التي اتُّخذَت بعد ذلك لحفْظِ القرآن، وأخيراً التدقيق في مخطوطاتِ المصاحف المتعدِّدة التي كُتبَت في **القرْن الأول** الهجري كمعطيات وأدلَّة حسِّية متاحة للجميع...على ضوءِ ذلك كلِّه، أنتهي **إلى الإيمانِ** الرَّاسخ بسلامةِ النَّصّ القرآني.

ISBN 978-614-404-735-4



9 786144 047354